كربلاء في أدب الرحلات

السيّد عبد الصاحب ناصر آل نصر الله

مؤسسة البلاغ

كربلاء
في أدب الرحلات

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

٣٢٢٢٠

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الإسلامي - بناية حطيط
هاتف : 009613514905 - تلفاكس : 009611553119
E-mail : Albalagh-est@hotmail.com نتشرف بالتواصل معكم

كربلاء في أدب الرحلات

السيّد عبد الصاحب ناصر آل نصر الله

شبكة كتب الشيعة

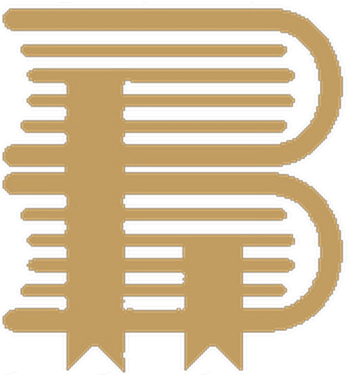

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الأجداث الطاهرة التي روت بدماءها أرضاً كانت ولا تزال إنموذجاً حيّاً لكل الثائرين والأحرار، أرض كربلاء ذات القدسية والعبق الطاهر، حيث إحتضنت رفاة سيد الشهداء الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وآل بيته وأصحابه الأبرار، في يوم عاشوراء من عام ٦١هـ/ ٦٨٠م، عندما أعطى الإمام الشهيد بنهضته الإصلاحية ووقوفه ضد الظلم والإستبداد أروع درس يقدمه من كان الوتر في الخلود، والمصلح الأكبر في تاريخ البشرية، والمنار الأعظم الذي يرشد طلاب الحرية نحو تعميق المبادئ والإصلاح عندما تنحرف المسارات، وتخرج عن خط الرسالة، فكانت دماء الحسين ومن معه من الخالدين، والتضحيات التي قدموها على مذبح الحرية، هي الطريق والوسيلة التي قوّمت الإنحراف، وأصبحت تلك الوقفة العظيمة هي مفتاح التحرر من الضيم والعبودية، ليستمر منهج الإسلام والرسالة المحمدية على النقاوة والعظمة التي خطها رسول الإنسانية وسيد البشر البشير المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

فإلى جدي وسيدي الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس (قمر بني هاشم) عليهما السلام، أهدي هذا الجهد المتواضع، سائلاً المولى القدير وبشفاعتهما أن يكونا عوناً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

والحمد لله رب العالمين.

السيد عبد الصاحب ناصر آل نصرالله

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

مدينة كربلاء المقدسة تعتبر من مدن العراق المهمة، والعراق **(بلاد الرافدين)** إجتذب العشرات من المستشرقين والسيّاح والرحّالة والآثاريين وعلماء الجغرافية والسياسيين منذ قرون عديدة ليطّلعوا على هذا البلد العريق في القدم، ويدرسوا تأريخه وأحواله. والذي يستدعيهم إلى ذلك أهميته التاريخية والجغرافية والإقتصادية، فهو بلد الحضارات والتاريخ الزاخر بالأمجاد. ولشهرة هذا البلد فقد توجهت الأنظار إليه خاصة من دول الغرب التي كانت ترنو إلى الشرق عامة والعراق خاصة بنظرة تتوافق مع مطامع وطموح تلك الدول وشهوتها للسيطرة والتوسع.. فالعراق بلد يزخر بالثروات، فبدأ التنافس بين الدول الأوربية للحصول على موطئ قدم فيه حتى إذا إستدعاهم الأمر للتدخل السافر وشن الحروب وسلوك شتى الوسائل لتحقيق أهدافهم، في زمن عاش العراق به تحت ظل حكومات هزيلة وهشّة جعلته يعيش في فترات مظلمة من تاريخه، وقد إستغلت الوضع دول أوربية إستعمارية مثل ألمانيا، فرنسا وإنكلترا التي كانت أنشط تلك الدول في التمهيد لتحقيق نواياها في السيطرة عليه.

ومنذ أكثر من أربعة قرون نشطت حركة قدوم عشرات البعثات والوفود من مختلف الجنسيات واللغات إلى العراق لدراسة ماضيه وأحواله السياسية والإقتصادية والثقافية والجغرافية، وكان نشاط تلك البعثات عن طريق أفراد وجماعات على شكل رحّالة يجوبون مناطقه ومدنه بحجج متنوعة، فمنهم من

يأتي بهيئة التجار أو بحركات تبشيرية، أو بدواعي سياسية، أو بحجة الباحثين عن التاريخ والآثـار أو بدافع السياحة بإعتبارها هوايات شخصية أو الإنتداب لأغراض فنية أو عسكرية مثل المساعدة في تخطيط الحدود نتيجة الصراع الدائم بين الإيرانيين والعثمانيين، أو لأغراض المساعدات الطبية أو إثناء مرورهم ببلاد الرافدين التي تقع بين القارات وخاصة طريق الهند وإيران.

والذي يراجع كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لستيفن هيمسلي لونكريك وهـو إنكليزي، وكـان المفتش الإداري في الحكومة العراقية إثناء تشكيلها تحت الإنتـداب البريطاني، فقد ألـف كتابه الـذي يبحث في تاريخ العراق في العصور المظلمة حيث يذكر بأنه في الفترة الممتدة مابين عام ١٥٥٣م وحتى الإحتلال البريطاني الذي بدأ من البصرة عام ١٩١٤م وإكتمل بإحتلال بغداد عـام ١٩١٧م وأصبح العراق مُحتلاً من قبل الإنكليز، بـأن في الفترة المذكورة أسماء لثماني وتسعين رحلة وتقرير ومقالة، كلها تتحدث عن العراق وتصفه في جميع النواحي وتتحدث عن أوجه الحياة فيه، وإن أصحاب هذه الرحلات فهم بين فرنسي وهولندي وبرتغالي وإيطالي وألماني وإنكَليزي وروسي وأرمني وهندي وإيراني وتركي، وكان الغالبية العظمى هم من الإنكليز كما يقول الأستاذ جعفر الخياط.

وقد زار العديد من هؤلاء مدينة كربلاء وكتبوا عنها وعن توابعها وضواحيها، ورغم كل ما ذكرناه عن الدوافع، فقد أعطت رحلاتهم إلى المدينة صورة عنها في الأوقـات التي زاروهـا، ومن ذلك التدوين الذي لم يهتم به أهل المدينة ولا حتى العراقيين أو العرب إلاّ النزر اليسير الذي دوّن ما أمكنه ذلك عدا الوقائع والحوادث التي وقعت فيها، ولكن الأجانب كانوا يحملون منهجية في عملهم لغايات مرسومة مسبقاً تجعلهم ينفذون إلى أعماق الواقع ليرسموا خطط التدخل عندما تحين ساعته.

والرحّالة الذين زاروا كربلاء منذ القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد وحتى منتصف القرن العشرين الميلادي كانوا على إهتمامات متنوعة، فمنهم أعلام وفدوا لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام وكتبوا عن كربلاء ما يخص زيارتهم.

ومنهم رحالة مسلمون عرب وعراقيون ومن بلدان إسلامية وفدوا المدينة وكتبوا عنها ووصفوها وذكروا أحوالها وسكانها وتجارتها والأماكن المقدسة فيها وأنساب أهلها وزاروا ضواحيها وكان من بينهم ملوك ورجال دولة كبار في بلدانهم.

ومنهم أجانب أوربيون غير مسلمين دوّنوا رحلاتهم ونشروها بمقالات أو كُتب، ومنهم من لم يترك أثراً يدل على زيارتهم للمدينة أو ضواحيها لأنهم لم يدوّنوا ملاحظاتهم لأسباب عديدة بالرغم من حقيقة زيارتهم إليها.

ولكي نعطي للقارئ الكريم من خلال هذا الجهد الذي نقدمه، صورة عمّا نقله الرحالّة وخاصة الأجانب الأوربيون، لابد أن نركز على النقاط التي تركها الرحالة الأجانب وإعتمد غالبيتهم عليها وهي:

١. التعريف بالرحلات والأسباب التي دعتهم إلى القيام بها، ولو أنهم لم يصرّحوا بالهدف الحقيقي لرحلاتهم ولكن الظروف أثبتت ما ذكرناه في بداية التقديم.

٢. وجدنا بأن أغلب الرحالة وصفوا طرق المواصلات المؤدية إلى مدينة كربلاء، والتعرف على وسائط النقل التي إستخدموها.

٣. قدّموا وصفاً للمدينة وضواحيها والوحدات الإدارية التابعة لها.

٤. التعريف بسكان المدينة ووصفهم ووصف أحوالهم، ولابد من التذكير بأن الرحلات أعطت حجم التنوع السكاني ومقدار عدد الأجانب وخاصة من الإيرانيين والهنود الذين كانوا يتواجدون في كربلاء، بالرغم من كثرة المبالغات في تعيين هذه الحالة إذا ما عرفنا أن مدينة كربلاء تستقبل الآلاف من الزائرين ومن جنسيات مختلفة، وقد يكون بعض الرحالة قد حسب الكثير من هؤلاء على أنهم من سكان المدينة.

٥. وصف المزروعات التي تشتهر بها المدينة لأنها كانت ولا تزال محاطة بالبساتين والمزارع، وتنتج التمور والحمضيات ومختلف الفواكه والخضروات والحبوب.

٦. التعرف على جوانب الإدارة والحكم وحالات الأمن في المدينة وحواليها.

٧. دوّنوا وصفاً شيّقاً لصحراء كربلاء (باديتها)، وما فيها من معالم تاريخية، والقبائل المتواجدة وطرق معيشتهم.

ومما تقدم فعلينا أن نذكر بأن ما دوّنه الرحالة في رحلاتهم كانت مكتوبة لشعوبهم وحكوماتهم وبلغتهم. ولم يكتبوها ليقرأها أهل المنطقة التي زاروها والمناطق المحيطة بها.. فلذلك نجد بأن كل ما كتبوه كان بعيداً عن المجاملة أو التحيز للمدينة وأهلها.

وعلى ذلك فيما يخص الرحّالة الأوربيون، فإن رحلاتهم لا تخلو من أغراض إستطلاعية سياسية وإستخبارية لتزويد الدول الغربية بالمعلومات عن الشعوب والدول خارج أوربا. ونتمكن من أن نحدد الفترات التي قام الرحّالة بها من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، فغالبيتها كانت لصالح حكوماتهم التي إتجهت نحو **(إستعمار الشعوب والدول)** لأغراض السيطرة ونهب الثروات وفتح أسواق لمنتجاتهم ومسك طرق المواصلات التي تربطهم بمستعمراتهم.. وكان تزاحم الدول بإرسال مبعوثين عنها لغرض الإستطلاع خاصة بعد سيطرة بريطانيا على الهند وتحكمها بالطرق البحرية، وكذلك فرنسا وحملتها على مصر وغيرها.

وما يخص العراق فكانت الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا تتحفز دائماً لتقوية تمثيلها الدبلوماسي في مجال خفيّ وهي تتنافس مع فرنسا التي تعاظم نفوذها ونشاطها في الوطن العربي، ولكل منهما أغراض إستعمارية ومصالح مدروسة بدقة، بعد أن شهدت الإدارة والسلطة في أغلب البلدان العربية تدهوراً متزايداً في أنظمة الحكم، وإستمرار الثورات وحالات التمرد ضد الحكم العثماني ولم تكن تلك الدول الغربية بعيدة عن ذلك الصراع وتنميته.

وللتأكيد على ما نورده في هذا الجانب نجد أن لبريطانيا قنصلية في كربلاء قبل إحتلالها للعراق بزمن طويل، وفتح قنصلية لها في المدينة بحجة وجود رعايا لها وهم (**الهنود**) الذين تعتبرهم بريطانيا من رعاياها لأنها تحتل الهند!!، ونجد إلى الآن في كربلاء بعض العوائل من الأصول الهندية تحمل الجنسية العراقية وفي شهادة الجنسية يذكر بأنهم من التبعية الهندية البريطانية!!.

وهذا الكتاب الذي أسميناه (**كربلاء في أدب الرحلات**) نضعه بين يدي القارئ الكريم ليتعرف على الأعلام والرحالة الذين تركوا لهم بصمات بما نقلوه عن المدينة، وإرتأينا أن ننهل من معين المصادر الأصلية التي نقلت الرحلات والتي توفرت لدينا، وسيجد القارئ أننا إعتمدنا ذكر الرحلات حسب تسلسلها الزمني، وقد شرحنا ما يستوجب شرحه ولم نختصر ما كتبه الرحالة إلاّ ما ليس له علاقة بمدينة كربلاء، وقد تجنبنا الإضافة على النصوص بشكل بات. وتمكنّا قدر الإمكان من الحديث عن كل عَلَم ورحّال زار كربلاء وبحثنا عن ترجمته، لنعطي للقارئ الكريم تصوّر عن شخصية الرحّال للتعريف به.

ولم نسمح لنفسنا أن ننقل عن رحّال لم يزر كربلاء مطلقاً، مثلما وجدنا وعلى سبيل المثال (**أحدهم**) سمح لنفسه أن يسلك هذا المنهج وكتب عن رحلة (**فيليب الكرملي**) لكربلاء وهو لم يزر كربلاء أصلاً في رحلته إلى العراق عام ١٦٢٩م، بل نقل هذا (**الكاتب**) وللأسف ما دوّنه فيليب الكرملي معلومات عن البصرة وذكرها (**صاحبنا**) على أنها من مشاهدات الرحالة فيليب في كربلاء، ويمكن للقارئ الكريم التأكد مما ذكرناه بمراجعته لكتاب (**رحالة أوربيون في العراق**) الصادر عن دار الوراق للنشر الطبعة الثانية سنة ٢٠١٠م، حيث وردت رحلة فيليب الكرملي كاملة بترجمة الأب الدكتور بطرس حداد، من الصفحة ٥١ إلى الصفحة ٦٩ ولم يتطرق إلى ذكر كربلاء فيها أبداً!!.

وفي نفس الوقت فقد ذكرنا في بعض الرحلات معلومات دونها رحّالون عرب وأجانب لا تليق بالمدينة وأهلها، بل كانت بعيدة عن الواقع، ولكننا

لم نهمل ما كتبوه عن كربلاء من خلال تصورهم هذا الذي قد يكون له دوافع ومسببات، وذلك من باب الأمانة في نقل النصوص والتصورات، ونعتقد بأن آراء هؤلاء لا تُنقِص من قيمة وأهمية مدينة كربلاء، ولكل قاعدة شواذ، كما أننا لا نعلم بالأمور التي واجهتهم وجعلتهم يتهكمون على المدينة وبالأسباب التي دعتهم إلى ذلك، فقد تكون من باب الطائفية والمذهبية أو العنصرية، وكما سيلاحظها القارئ اللبيب.

إن أدب الرحلات والبلدانيات من فروع المعرفة المهمة، والبلدانيون القدامى من عرب وأجانب أمثال **قدامة بن جعفر وإبن خرداذبه والإدريسي وسُهراب وإبن سرابيون والأصطخري المعروف بـ (الكرخي) وأحمد بن يعقوب المعروف بـ (اليعقوبي) والمسعودي وأبي زيد البلخي وإبن جبير وإبن بطوطة وياقوت الحموي ومحمد الحميري (صاحب الروض المعطار)** وغيرهم الكثير من العرب والمسلمين.

ومن الأجانب أمثال هيرودس (**من القدماء**) وبرترام توماس وتوينبي وويتفوكل وأنطون مورتكات ورالف لينتون وديلابورت وسيتون لويد وجاكوبسون وسروالیس بج وريجارد كوك ولويس ماسنيون والواموسيل وويلكوكس وغيرهم.

وما أتحفنا به المؤرخون والجغرافيون من أعلام العراق في القرن العشرين الميلادي أمثال الأب أنستانس الكرملي، د. طه باقر، د. أحمد سوسة، د. مصطفى جواد، د. جواد علي، د. صالح أحمد العلي، يعقوب سركيس وغيرهم..

والجميع قد أجهد نفسه في هذا المجال ليوصلوا لنا من جهدهم ما يخدم المعرفة والتصور الحقيقي الذي يجعل الأجيال القادمة بعدهم تُلم بتاريخ وجغرافية وحياة الشعوب، فكان فضلهم كبير وخدماتهم في هذا الإختصاص الرائع جليّة ومتميزة.

كما لا يمكننا أن نتجاهل فضل الكثير من الذين قاموا بترجمة الرحلات ونقلها من اللغات الأجنبية إلى العربية، حيث كان لهم الفضل الكبير في إيصال ما دوّنه الرحالة، وسيجد القارئ أسماؤهم في هوامش هذا البحث.

وفي الختام أرجو أن يكون هذا الجهد بعون الله مكملاً لجهود آخرين ممن يهتمون بالكتابة عن مدينة كربلاء المقدسة بصدق وأمانة وإخلاص..

ومن الله نستمد العون ونسأله التوفيق..

المؤلف

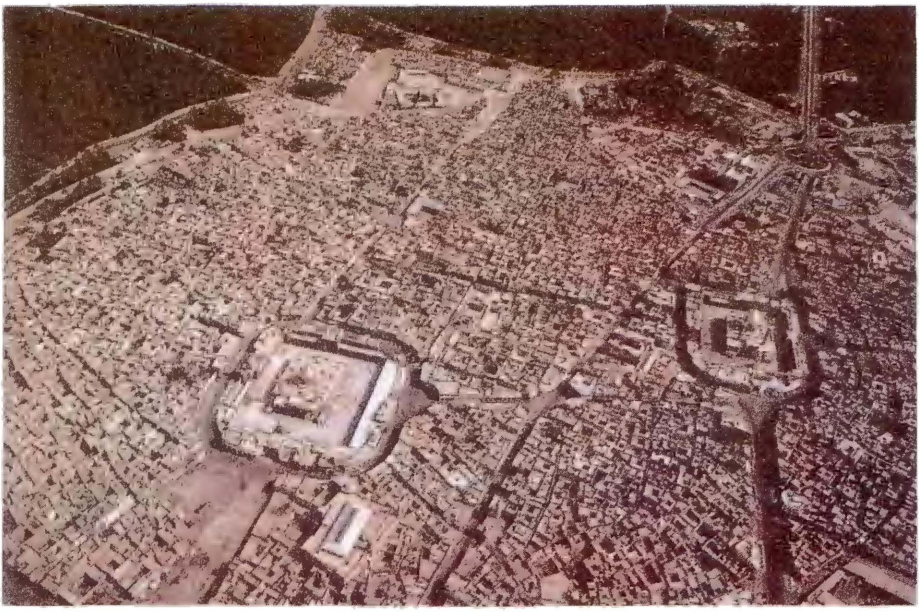

مركز مدينة كربلاء القديمة (من الجو) في بداية سبعينات القرن العشرين الميلادي

كربلاء

لم تَحْظَ مدينة كما حَظيَتْ كربلاء بالشهرة والعظمة والقدسية، فأرضها كانت منذ القدم مشهورة من خلال تسمياتها العديدة، فهي طف الفرات وشاطئ الفرات وبوابة السواد على البادية وحرم الإله (**كرب إل**) وسورا وعمورا ونينوى والغاضرية والنهرين و(**كور بابل**) أي قرى بابل، و(**كربلاتومي**) أيام الآراميين، وفيها معابد الأقوام التي حكمت أرض ما بين النهرين، والنواويس (**وهي مقابر أقوام عدة حكمت المنطقة**)، وفي أرضها تأسست قرى مثل سورا والعقر وشفيّة والغاضرية وباروسما ونِينوى والنواويس وغيرها..

وأرضها أيضاً كانت تمثل طف البادية التي هي الأرض التي تعلو ما حولها ويمتد طفّها من الأنبار إلى الحيرة، وكانت تتوسط عدة حواضر هي عين التمر والحيرة والمدائن والأنبار وبابل ومن ثم الكوفة.

كربلاء أرض لها جانب كبير من القدسية والأهمية الروحية للذين كانوا يتواجدون على أرضها او القريبين منها، فهي تمتد غرب الفرات الحالي ولكن عندما كان الفرات القديم يجري في مجراه المعروف قديماً والمحاذي إلى منطقة (**الطار**) الحالية وفي منخفض الرزازة قبل أن يغيّر مجراه بسبب عوامل الطبيعة والتربة وحالة الجريان فيه فإن الفرات عندما غيّر مجراه أصبحت الأرض التي بين مجراه القديم والمجرى الذي هو عليه هي التي تسمى (**كربلاء**) وقطعاً فإن هذه التسمية جاءت متأخرة زمنيّاً عن أصل تسمياتها القديمة المقاربة جداً لهذا الإسم.

وقبل أن نحدد الموقع التاريخي للأرض لابد أن نعرف لماذا إنحنى الفرات إلى ما هو عليه بالمسافة المعروفة بين مجراه الحالي ومجراه القديم، فتعليل ذلك جاء من كون المنطقة بين المجريين كانت على شكل هضبة ترتفع على ما جاورها وتمتد من ظاهر الأنبار إلى نواحي الحيرة، فإن إبتعاد مجرى النهر كان بسبب وجود هذه الهضبة أو هذا (**الطف**).

والطف هو الموضع المشرف على ما جاوره، وعندما أطلق إسم كربلاء على أرض الطف فهو توكيد لما أورده ياقوت الحموي في معجم البلدان:

«**إن كربلاء سميت بالطف لأنها مشرفة على العراق وذلك من أشرف على شيء أطلّ. والطف طف الفرات أي الشاطئ..**».

فموقع طف كربلاء يمتد من جنوب (**الأنبار**) إلى ضواحي (**الحيرة**) وكان يشمل كل المواقع الموجودة في هذه المنطقة. وعلى ضوء البحث عن تغيير الفرات لمجراه القديم نتيجة الهبوط التكتوني المستمر في السهل الرسوبي، فإن الدكتور أحمد سوسة يذكر بان الخبير الجيولوجي (**راول ميجل**) قد أجرى تحريات جيولجية في منخفض الثرثار وبحيرة الحبانية وبحيرة أبي دبس وبحر النجف وإستخلص من تحرياته هذه ما يؤيد رأي (**ليس**) و(**فالكون**) حول الهبوط التكتوني المستمر في السهل الرسوبي.

ويقول الدكتور أحمد سوسة:

«**ويستنتج من دراسته أنه كان في الأزمنة القديمة مجرىً واسع لمصرف طويل يبدأ من غربي دجلة فيمتد عبر منخفض الثرثار إلى الفرات فبحيرة الحبانية ومن ثم يتصل بمنخفضات المجرة وبحيرة أبي دبس سالكاً طريق(طار السيد) حتى يتصل بمنخفضات النجف المعروفة ببحر النجف. وبعد التحركات التكتونية الأخيرة التي حدثت في هذه المنطقة والتي أدت إلى تغيير وجهها بإنفصال المنخفضات بعضها عن بعض وإرتفاع ضفافها**»[1].

(١) تاريخ حضارة وادي الرافدين/ د . أحمد سوسة ج١ص٨٧.

جاء في كتاب مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ما يلي:

«**لقد اثبتت التحريات الجيولوجية، أن نهر الفرات كان يتصل في عصور ما قبل التاريخ البعيدة بمنخفض الحبانية وأبي دبس وبحر النجف. وأن هذه المنخفضات كانت متصلة بعضها ببعض، مكونة وادياًطويلاً متصلاً من الشمال إلى الجنوب. ولكن حركات تكتونية جزّأت ذلك الوادي المتصل إلى أجزاء منفصلة هي الحبانية وأبي دبس وبحر النجف**»[1].

وعلى ذلك فإن مجرى نهر الفرات القديم قد تغير إتجاه سير المياه فيه نحو الشرق نازلاً في السهل الرسوبي الغريني، الذي من السهولة في مكان لأن تزيح مياهه أجزاء من المناطق الرسوبية، ويتحدد فيها مجراه الجديد.

ونتيجة لذلك فإن ضفاف النهر ذا المياه العذبة تشكل تجمعات سكانية، وهذا ما ظهر على ضفاف نهر الفرات القديم عند كهوف الطار، والبائنة لحد الآن آثارها، والتي تحكي بأنها منازل للبشر تمتد من نهاية بحيرة الرزازة الحالية، وتتجه شمالاً إلى أن تصل إلى (**هيت**) في الفرات الأعلى.

وكهوف الطار تقع ضمن أرض كربلاء القديمة أو ما تسمى بطف الفرات، وهذه الكهوف التي تبعد عن مدينة كربلاء الحالية بحدود (**١٧ كيلومتر**) كانت أقدم إستيطان بشري في أرض كربلاء لحين تغيّر مجرى الفرات القديم الذي إتجه إلى الشرق متوخياً هضبة الطف المرتفعة على ما جاورها من الأراضي.

ومن مجرى الفرات القديم وبإتجاه الشرق، كانت أرض كربلاء تنخفض نحو سواد العراق (**السهل الرسوبي الغريني في الفرات الأوسط**)، وهي منطقة محصورة بين منخفضات المياه العذبة وفيها مجرى الفرات القديم، وبين الأراضي الخصبة في شرق مجرى الفرات، وذلك يعني أن المنطقة بمجملها كانت صالحة لتواجد الناس فيها منذ القدم، لحين الإنشغال بالرعي ومن ثم الزراعة وحسب التطور البشري في الأزمنة القديمة.

---

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة/ د . طه باقر ج١ص٤٩، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م بغداد .

من ذلك نستنتج بأن أرض كربلاء القديمة كانت مسكونة من البشر منذ الأزمنة القديمة، لوفرة المياه والعيون فيها، وتربتها الصالحة للرعي والزراعة شجعت أقواماً عديدة للإستقرار بها، كما أن موقعها المحادد للبادية الغربية بإتجاه الشام وشبه الجزيرة العربية، نجدها كانت الطريق او حلقة الوصل لنزوح أقوام عدة من الغرب أو من الجزيرة العربية نحوها ونحو السهل الرسوبي الخصب الذي سمي فيما بعد بأرض السواد لكثرة الخضرة فيه وخاصة من أشجار النخيل.

فالموقع الجغرافي والبيئي المتميّز لهذه الأرض أعطاها أهمية خاصة منذ أقدم العصور. فهذه الأرض تنتمي إلى حضارة الأقوام السامية في العراق، وخاصة عندما تأسست مملكة بابل وذلك لقربها الشديد منها.

ويذكر المؤرخون وعلماء الحضارات عندما يتحدثون عن (**الأكديين**) وهم من الشعوب السامية التي إستوطنت الصحراء الغربية، والذين نزحوا من جزيرة العرب وإستقروا في وادي الرافدين منذ أقدم العصور.

من هنا فإن نفوذ الأكديين في وسط العراق شمل المناطق المنوّه عنها أعلاه، فذلك يؤكد بأن أرض كربلاء الواقعة جنوب وشرق الفرات القديم، ومن خلال تفرع الأنهار من الفرات ونزول جريانها بإتجاه الجنوب، والتي شملت بعض مجاريها أرض طف السواد (**كربلاء**)، فإن هذه الأرض كانت موطن لأقوام بشرية عديدة إشتغلت بالرعي ثم الزراعة، وأسست لها مدناً وقرى وتجمعات سكانية إنتشرت على ضفاف الأنهار المارة بأرض كربلاء.

وإذا صح قول الباحثين بأن هناك أربعة أنهار تتفرع من فم الفرات في المنطقة الواقعة بين هيت وعانة وما دونها وهذه الأنهار التي سميت بأنهار جنة عدن السامية وهي:

(**فيشون وجيحون وحدقال والفرات نفسه**)، وثلاثة من هذه الأنهار كانت تخترق أرض كربلاء القديمة أو تمر بمحاذاتها عدا (**حداقل**) أو حدقال، فذلك

يعني تأكيد آخر على أن هذه الأرض كانت مسكونة من البشر في أزمنة ما قبل التاريخ، ولنقل تحديداً في الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد.

ولأن أرض كربلاء كانت تنتشر فيها مجاري الأنهار، فأن أراضيها خصبة وصالحة للزراعة، وكانت تعتمد على الثقافة الإروائية، فباتت معروفة ومسكونة من الناس.

كما كانت أرض كربلاء جسراً للهجرات السامية ومن ثم العربية بين الشام والجزيرة العربية وبين سواد العراق. وكانت هي الفاصل بين السهل الخصب وبين البادية الغربية التي طالما توغلت منها الأقوام والجيوش التي ترنو إلى السيطرة على أرض وادي الرافدين الغنية والرائعة. وإنها أول مركز إستيطاني سامي، كما أصبحت بعد مئات السنين أول مركز إستيطاني عربي نتيجة هجرة الكثير من القبائل العربية إلى أرض العراق من مناطق شبه الجزيرة العربية. كما كانت هذه الأرض هي ملتقى الطرق البريّة الرئيسية عبر (**عين التمر**) التي كانت حاضرة موغلة في القدم، وكذلك (**الحيرة**) في بدء تأسيسها ومن ثم في أيام حكم المناذرة في القرنين الخامس والسادس الميلادي، بإتجاه بقية البلدان والمدن القديمة.

إن موقعها قرب مجرى الفرات، ووجودها داخل منطقة مناخية معتدلة، وتتوسط العراق فهي لا في أقصى جنوبه ولا في أقصى شماله، ولكثرة مياهها ووفرة العيون فيها وخصوبة أرضها فكانت مصدر جذب للسكن والإستقرار، وأتخذت هضبتها مدافن لقدسيتها ولإنتشار المعابد فيها، كما ظهرت وإلى الان آثار مجموعة الأديرة والكنائس وكذلك المقابر التي إعتمدها الأقوام القدماء لقدسيتها، وظهر جليّاً ذلك من مجموعة أسمائها مثل: (**دار الاله وحرم الآلهة وسور الإله**) وغيرها من التسميات.

ويستدل مما تقدم بأن كربلاء كانت على مرّ العصور أرضاً مقدسة لدى ديانات مختلفة وعند أقوام متعددة، ولذلك كانت تنتشر فيها معابد كثيرة للصلاة والعبادة والمدافن.

ومن أهم ما تميزت به الأرض هذه هو مرور (**خندق سابور**) الذي شقّه الملك الساساني سابور من الأنبار إلى الإبلّة (**البصرة الحالية**) حتى كاظمة (**الكويت الحالية**) في نواحيها، وهو على شكل نهر. ووضعت على الخندق مسالح وهي مراصد بإتجاه البادية لصد هجمات الأعداء الذين دائماً ما كان إتجاههم من الغرب أي من بلاد الشام وكذلك لتفادي هجمات القبائل العربية التي أتعبت سابور ذو الأكتاف. وكانت هذه المسالح عبارة عن تجمعات للجند وفيها مخازن للمؤن والذخيرة. وكان ذلك قبل ظهور الإسلام بما يقارب القرنين من الزمان ويزيد قليلاً. كما أن أرض كربلاء سميت بـ (**طسج النهرين**) لوقوعها بين خندق سابور ونهر الفرات (**بالاكوباس**) شط الهندية الحالي.

إزدادت أهمية أرض كربلاء في فترة العهد الساساني، حيث كان الأكاسرة الساسانيون يولونها إهتمامهم ويعتبرونها بوابة مملكتهم من جهة الغرب، وقد طوّروا المدن في نواحيها حيث إشتهرت (**باروسما**) وأطلالها الحالية في منطقة (**العطيشي**) مركز ناحية الحسينية، كذلك (**نِيْنَوى**) الواقعة أطلالها قرب هور السيب في منطقتي (**فريحة والحافظ**) القريبة جداً من مدينة كربلاء الحالية وهي غير (**نَيْنَوى**) التي تقع في شمال العراق والتي كانت عاصمة الآشوريين. وكان يمر بها (**نهر نينوى**) وهو ذاته نهر العلقمي في بعض ممراته. وكانت نينوى عامرة في العصور القديمة سكنها الساميون من قبل وغالباً ما كان يطلق على أرض كربلاء إسم نينوى قديماً لإشتهار نينوى في زمانها.

إن الدول والحكومات التي تأسست منذ فجر التاريخ في العراق، كانت أغلبها في حالة صراع مع دول الغرب وخاصة المتمركزة في الأراضي السورية. ولأن أرض كربلاء كانت تقع على طف البادية الغربية من العراق، فقد شهدت هذه الأرض تحركات

الجيوش المغيرة والمدافعة، لإطلالتها على البادية من جهة، وقربها من بابل العاصمة المشهورة التي اتخذتها العديد من تلك الدول القديمة في العراق عاصمة لها. ولأن بقية العواصم مثل أور وأكد وسلوقية وطيسفون، كانت في وسط وجنوب العراق، فمرور الجيوش وسرايا الاستطلاع والمصدّات كانت تمتد بين الفرات إلى الابلة (بداية الخليج العربي) كخط تماس بين البادية الغربية وسهل العراق الأخضر.

فأنشأت على طول هذا الخط، القرى والمستودعات والمراصد والمسالح، بل الخنادق أيضاً، وكلها كانت لإغراض عسكرية. وكان نصيب أرض كربلاء منها كبيراً ولذلك فإن الأرض هذه كانت لها أهميتها السوقية والإستراتيجية.

ذكر المستشرق الفرنسي (ماسنيون) في كتابه (**خطط الكوفة**).. «**أن كربلاء كانت قديماً معبداً للكلدانيين في مدينة تدعى (نينوى)**»[1].

كما وجدت لفظة كربلاء في المنحوتات الأثرية البابلية التي عثر عليها الباحثون الآثاريون فقيل أنها منحوتة من كلمة (**كور بابل**) وهي تعني مجموعة قرى بابلية قديمة أشهرها وأكبرها نينوى.

ومن الأدلّة على قدم كربلاء أو قدم (**الأكوار**) وهي جمع كورة (**قرية**) في تلك الأنحاء هو وجود أطلال وهضبات لا تزال قائمة إلى الان تنتشر في محيط أرض كربلاء.

وعندما حكم الساسانيون العراق وتحديداً في عهد الملك (**سابور ذو الأكتاف**) تاسع الملوك الساسانيين، الذي إعتلى العرش سنة ٣١٠ للميلاد، فقد قسّموا العراق إلى ١٠ إستانات (**ولايات**)، سمّي كل منها (**طسج**) وتعني اليوم (**قضاء**). وقسّمت هذه الوحدات الإدارية بدورها إلى وحدات أصغر سمّي كل منها (**رستاق**) أي بمعنى (**ناحية**) على مفهومنا الحالي.

(١) خطط الكوفة/ العلامة لويس ماسينيون ـ الطبعة الأولى صيدا ١٩٣٩م ترجمة وتعليق تقي بن محمد المصعبي. وكتاب خطط الكوفة من المصادر المهمة على صغر حجم الكتاب، ففيه معلومات وخرائط وتعليقات رائعة. وماسينيون علاّمة فرنسي له مؤلفات عديدة آثارية وإستكشافية، وقد حقق كتابه هذا تقي بن محمد المصعبي في كربلاء بتاريخ ذو الحجة سنة ١٣٥٧هـ المصادف شهرشباط سنة ١٩٣٩م.

وكانت الأراضي الواقعة بين (**عين التمر**) التي تقع غرب كربلاء الحالية بمسافة (٨٠) كيلومتر وبين نهر الفرات الحالي، هي الولاية العاشرة، وقد قسّمت إلى ست وحدات إدارية سميت إحداها (**طسج النهرين**)، وسبب هذه التسمية بـ (**النهرين**) لوقوعها بين خندق سابور ونهر الفرات، والنهرين إحدى تسميات كربلاء القديمة.

كما أسفرت التنقيبات الأثرية عن إكتشاف آثار ومواقع كثيرة على أرض كربلاء أقدمها مجموعة كهوف ومغارات إصطناعية تقع على الكتف الأيمن لوادي الطار الذي كان يمثل (**نهر الفرات القديم**) قبل أن توجد بحيرة الرزازة. ويبلغ عددها (٤٠٠) كهف تقريباً.. وتبعد هذه الآثار عن مدينة كربلاء الحالية قرابة (١٧) كم إلى الجنوب الغربي منها، وموقعها في منتصف الطريق بين كربلاء وقصر الإخيضر بإمتداد الهضبة الصحراوية الغربية. وقد قام الإنسان بنحتها وحفرها في حدود سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد، وربما أستخدمت لأغراض دفاعية بادئ الأمر، ثم أتخذت قبوراً فيما بعد من الأقوام التي سكنت قرب تلك المناطق.

كانت أرض كربلاء سابقاً تسمى بـ (**عمورا**) و(**ماريا**) و(**صفورا**) وهي أسماء اطلقت عليها قبل العهد الساساني. ومن ضمن مجالات إهتمام الساسانيين بها هو وجود بيوت ومعابد للمجوس (**ديانة الساسانيين**) وكانوا يطلقون على الأرض بلغتهم (**مه بار سور علم**) أي المكان المقدس. وفي أرض كربلاء أقدم كنيسة في الشرق هي كنيسة (**القصير**) التي تقع بالقرب من قصر الإخيضر لازالت آثارها باقية لحد الآن.

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي: أنها أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون جارية منها (**الصيد**) و(**القطقطانة**) و(**الرهيمة**) و(**عين جمل**) وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح (**الحصون والقصور**) التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم.

وعلى ذكر ذلك فإن هذه المناطق الواقعة غرب (**الحيرة**) و(**الكوفة**) كانت فيها منازل على طريق الحجاز فهي من ضمن أرض الطف والتي كربلاء جزء منها. ويُذكر بأن الإمام الحسين عليه السلام مرَّ ببعض هذه المنازل عند قدومه من مكة متوجهاً إلى الكوفة التي مُنع من الوصول إليها وأجبر على التوجه إلى كربلاء..

إلى جانب ما تقدم فإن كربلاء ظلّت مزدهرة ومحتفظة بمكانتها في العصور الغابرة، وخصوصاً في عهود التنوخيين واللخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة ملكهم. وعلى ذلك ولتميّز موقعها فقد جعلها لتكون منطقة جذب لبعض القبائل والجماعات والقوافل التي كانت تتجول في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية. مما جعل منها مركزاً لتجمع سكاني قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة.

ومن جوانب قدسيتها ما وصلنا من حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخبر أصحابه عن مقتل سبطه الحسين فيها..

عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت بأحاديث صحيحة نذكر منها:

عن المطلب بن عبدالله بن حنطب: في معجم الطبراني وذخائر العقبى ومجمع الزوائد وغيرها واللفظ للأول، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ذات يوم في بيتي فقال: لا يدخل علي أحد، فإنتظرت فدخل الحسين رضي الله عنه، فسمعت نشيج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فإطلعت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح جبينه وهو يبكي فقلت: والله ما علمت حين دخل فقال: أن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: تحبه؟ قلت: أما من الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء. فتناول جبريل عليه السلام من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما إسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله، أرض كرب وبلاء[1].

(١)راجع معجم الطبراني ج١ ٥٣ ص١٢٥، مجمع الزوائد ٩/ ص١٨٨وص١٨٩، وكنز العمال ١٦ص٢٦٥، وذخائر العقبى ص١٤٧.

وعن شقيق بن سلمة: في معجم الطبراني وتاريخ إبن عساكر ومجمع الزوائد وغيرها واللفظ للأول، عن أبي وايل شقيق بن سلمة عن ام سلمة قالت: كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد أن أمتك تقتل إبنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ ووضعه على صدره، ثم قال رسول الله ﷺ: وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله ﷺ وقال: ويح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فإعلمي ان إبني قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة. ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم[1].

صدق رسول الله فهو ما ينطق عن الهوى أنما هو وحي يوحى.. وذلك الإختيار الرباني للأرض هو أكبر دليل على قدسيتها..

كان **كسرى أبرويز** الملك الساساني، هو الذي تلقى دعوة الرسول الكريم محمد ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وقد إستخف بالدعوة، في حين كانت الدولة الساسانية سائرة نحو الانحطاط لاختلالها وتساقط ملوكها، إلى أن بدأت حملة العرب المسلمين على العراق سنة ١٢هـ/٦٣٢م، وبدأت عمليات تحرير العراق في زمن الخليفة أبي بكر الصديق حيث قام خالد بن الوليد بعمليات عسكرية عديدة بدأت في الحيرة ثم بانيقيا **(الكفل الحالية)** ومن ثم توجه إلى الأنبار وأخضعها، وإتجه جنوباً إلى إحدى قرى كربلاء القديمة وهي **(باروسما)** التي تقع آثارها حالياً في مركز ناحية الحسينية **(العطيشي)**، وتصالح معه أهلها على أن يدفعوا الجزية، ودخل بعدها أرض كربلاء حيث إشتكى جنوده من كثرة الذبّان فيها، ولهم بذلك شعراً، وتوجه إلى نجدة عياض بن غنم في عين التمر، وتمكن من السيطرة على حصن الإكيدر وهو ما كان يسمى بدومة الجندل التابع للحيرة،

(١) معجم الطبراني ج١ ٥١ ص١٢٤، وتاريخ إبن عساكر ج١ ٦٢٢، وذخائر العقبى ص١٤٧، والخصائص الكبرى للسيوطي ج٢ ص١٥٢.

على إسم دومة الجندل في شبه الجزيرة العربية، وقتل الملك فيه واخذ الكثير من الأسرى، وعاد إلى الحجاز. وكُتب التاريخ تذكر كل هذه العمليات بالتفصيل. إلى أن قامت حروب تحرير العراق والقضاء على الدولة الساسانية في معركة القادسية التي قادها سعد بن أبي وقاص زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وتم لهم النصر سنة ١٦هـ/ ٦٣٦م.

وسارت بعض جيوش المسلمين من الأنبار متوجهة إلى صوب الحيرة قبل أن يأمر بإنشاء مدينة الكوفة، وقد أمر بحفر نهر يمر بأرض كربلاء يتفرع من الفرات بالقرب من الفلوجة وهو المسمى بـ **(كري سعدة)** الذي تم الإستفادة من بعض مجاري خندق سابور ونهري نينوى وسورا اللذين إندثرا في ذلك الوقت لتكوين مجراه، وهو ذاته فرع الفرات الذي كان يمر بالمنطقة عندما وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء ومنع من النزول بقربه ليحولوا بينه وبين الماء.

لم تكن كربلاء قد مصّرت عند قدوم الإمام الحسين عليه السلام، وإنما عليه السلام قد إختار بقعة من الأرض ذات مواصفات خاصة عبارة عن منطقة مرتفعة تحيط بها التلال من ثلاثة جوانب ومفتوحة من الشرق بإتجاه النهر **(فرع الفرات)**، وهذه البقعة هي التي خلدها التاريخ فيما بعد حيث حدثت فيها واقعة الطف في يوم العاشر من محرم سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م، وأستشهد فيها الإمام الحسين ودفن فيها مع أولاده وإخوته واولاد عمومته وأصحابه البررة الكرام في معركة الحق ضد الباطل والتي كانت معركة غير متكافئة بكل المقاييس، حيث واجه الإمام وأصحابه وآل بيته جيشاً أرسله والي الكوفة عبيدالله بن زياد بن أبيه بأمر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد قاتل الحسين ومن معه جيش الأمويين المتكون من أهل الكوفة الذين كتبوا إليه بالقدوم وغدروا به فيما بعد، وأبى الخضوع والإستسلام ليعطي للبشرية درساً في البطولة والمبدئية وأن يقول أكبر كلمة **(لا)** قيلت في التاريخ لتقويم مسيرة الإسلام التي إنحرفت عن خطها الذي رسمته رسالة جده الرسول الكريم، وكان يوم إستشهاده هو يوم إنتصار الحق، وليكون مناراً لطلاّب الحرية

ليسيروا على نهجه الذي إستمر حتى يومنا الحاضر يُذكر بكل فخر وإعتزاز لكل من يناضل من أجل المبادئ السامية، فكان يوم إستشهاده قد أعطى للحرية معنى، وللمبادئ وسائل، وللتضحية من أجل إستمرار نهج الرسالة القويم عبراً ودروساً تحكي للأجيال من بعده أن للظلم نهاية ولو إلى حين.

فكان موضع قبره والأرض التي إرتوت بدماءه ودماء من سقطوا معه على مذبح الحرية مزاراً وملاذاً للمؤمنين، وهم يستذكرون حجم التضحيات التي قدمها الحسين وأصحابه رغم كل العذابات التي واجهوها، فكان ولا زال قبره الشريف ملاذاً مقدساً يَفِد إليه الناس من شتى بقاع الأرض ليتنسموا بعبق النبوة وريحها، وليجددوا الولاء للرسالة المحمدية الخالدة، وللتشفع بسبط الرسول وآل بيته، وتمر الدهور وذكرى الحسين والجذوة التي أوقدها لم تنطفئ..

وبعد دفن الأجداث الطاهرة وتعليمها من قبل سكان القرى المحيطة بأرض كربلاء وخاصة من بني أسد الذين كانوا يسكنون تلك القرى، بقي قبر الحسين عليه السلام وقبور الشهداء مدة من الزمن في الفلاة إلى أن تم وضع أول شاهد على القبر الشريف.

وفي سنة ٦٣هـ وقيل سنة ٦٥هـ بنيت أول بناية على شاهد القبر الشريف، وقد منع الأمويون من إتيان القبر لزيارته من قِبل محبي آل البيت إلاّ خلسة، لوجود المسالح على التلال المحيطة بالقبر، ومع ذلك فقد زار الكثير منهم القبر الطاهر إلى أن سقطت الدولة الأموية، وجاء بني العباس سنة ١٣٢هـ حيث أسسوا دولتهم في العراق بإسم آل البيت وقد سمحوا بالزيارة وبناء عمارة على القبر الشريف والسماح بالسكن حول القبر، فتأسست قرية حول المرقد المطهر سكنها سكان القرى المجاورة لتقديم الخدمات للزائرين وإنشاء محلات للإيواء وبعض الحوانيت لبيع ما يحتاجه الزائرون.

وفي سنة ١٩٩هـ بنى الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد بناية جديدة على قبر الحسين وقدم بعض الأمور لمساعدة الساكنين حول القبر، وإستمر

الحال بتوسع القصبة المحيطة بالمرقد إلى أن قام الخليفة العباسي المتوكل بتهديم القبر الشريف وتخريب ما حوله وأجرى الماء عليه وحرث موضع القبر لدرسه، وتشاء القدرة الإلهية أن الحيوانات التي كانت تقوم بعملية الحرث أخذت تنفر عند وصولها إلى موضع القبر، كما أن الماء كان يحير حوله وقد سمي موضع القبر فيما بعد بـ **(الحائر)**، ولهذا الموضوع شرح يطول وليس هذا مكانه، ومنع المتوكل الزيارة وعاقب كل من شوهد بالقرب من موضع القبر، إلى أن تم قتله سنة ٢٤٧هـ وقد شارك إبنه المنتصر بقتله، وعندما إعتلى إبنه عرش الخلافة قام بأول عمل له هو إعادة بناء قبر الحسين، وأنشأ حوله قرية فيها كل ما يحتاجه الناس من سكن ومأكل ومشرب، فتوافد الناس بكثرة إلى قبر الحسين للزيارة والكثير منهم رغب بالسكن والمجاورة، وكان بنو أسد هم الأوائل في ذلك، وأول العلويين الذين إتخذوا كربلاء سكناً ومستقراً هو السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وتوالت الأقوام، وأخذت القصبة بالتوسع..

لم تُمَصّر كربلاء إلاّ في القرن الرابع الهجري حيث تم تجديد بناء القبر وتوسيعه، وتكونت الأسواق والخانات لإيواء الزائرين وبُنيت الدور لساكني القصبة، عندها توسعت وبُني لها أول سور يحيط بها في زمن بني بويه، وفي السور عدة أبواب..

وبمرور الزمن أخذت المدينة بالتوسع وأنشأت المزارع والبساتين حولها، حيث أحاطتها من جميع الجوانب، وأصبح للمدينة شأن كبير وأهمية بالغة خلال فترات الحكم التي توالت على العراق، وأصبح لها طابعها الخاص وكانت محط رحال الآلاف من الزائرين، وتوالت عليها الهجرات من القبائل العربية العلوية وغير العلوية، وتأسست فيها أسر وبيوتات ومقر للحكم والإدارة والنقابة والسدانة وغيرها.

شهدت كربلاء خلال تأريخها الطويل حوادث ووقائع كثيرة، وتأسست فيها المدارس الدينية وأصبحت مركزاً للعلوم الدينية والأدب، وظهر فيها العلماء والفقهاء والأدبـاء وتأسست فيها الفرق الدينية الإجتهادية التي ساهمت في كثير من الأحيان في صراعات جرت على ضوء الإختلافات في وجهات النظر بين العلماء.. وبإختصار شديد فإن لمدينة كربلاء تاريخ حافل جدير بالإهتمام والدراسة والتحليل.

وبـعـدُ.. فمدينة كـربـلاء تقع جنوب بغداد بمسافة ١٠٤كـم، وفيـرة المياه، وتشرف على البادية الغربية، وفيها العديد من الآثار القديمة الشاخصة للعيان لحد الأن، ومواقعها الأثرية تزيد على المائة موقع، وكربلاء من مدن الفرات الأوسط، وتشتهر بمناخ جيد، وتزرع حولها مختلف المحاصيل الزراعية، فهي من المدن الشهيرة بكثرة نخيلها، وتنتج بساتينها الحمضيات بانواعها ومختلف الفواكه الموسمية، والحبوب والخضروات وغيرها، وتقع بحيرة الـرزازة غربها بمسافة ١٢كم وهي إمتداد لمنخفض أبي دبس (**بحر الملح**)، وباديتها تتخللها الوديان والشعاب التي تمتلئ بالمياه في أوقات تساقط الأمطار، وربيعها جميل جداً، وهي بالإضافة لكونها مدينة دينية توجد فيها الأضرحة المقدسة والمقامات الشريفة، فإنها مدينة سياحية، جاذبة للناس غير طاردة، تدب فيها الحياة والنشاط على مدار السنة.

وبالقرب منها واحة عين التمر وهي قضاء تابع لها، ينفرد بالكثير من الأمور التي يطرب لها السائح بالرغم من كونها موغلة في القدم ففيها ما يشفي غليل السائح عندما يشاهد عيون الماء فيها وقصورها التاريخية والمعابد القديمة وحصن الإخيضر الشهير وخان العطشان ومنارة الموجدة وغيرها..

ومدينة كـربـلاء قريبة عـن مدينتي النجف والكوفة حيث تقعان جنوبها بمسافة ٧٥كم تقريباً، ومن يتوغل بتاريخها سيجد الكثير مما خفي عن طالبي المعرفة، فهي تاريخ سورا وبرسيبا وبانيقيا وبابل ونينوى وباروسما والغاضرية

والعقر والنواويس وعمورا والنهرين وبلدة الحكماء وشفيّة وغيرها الكثير.. ومدينة كربلاء طالما كانت تشتهر بإسم (**مشهد الحسين**) و(**الحائر**) و(**مدينة الطف**).

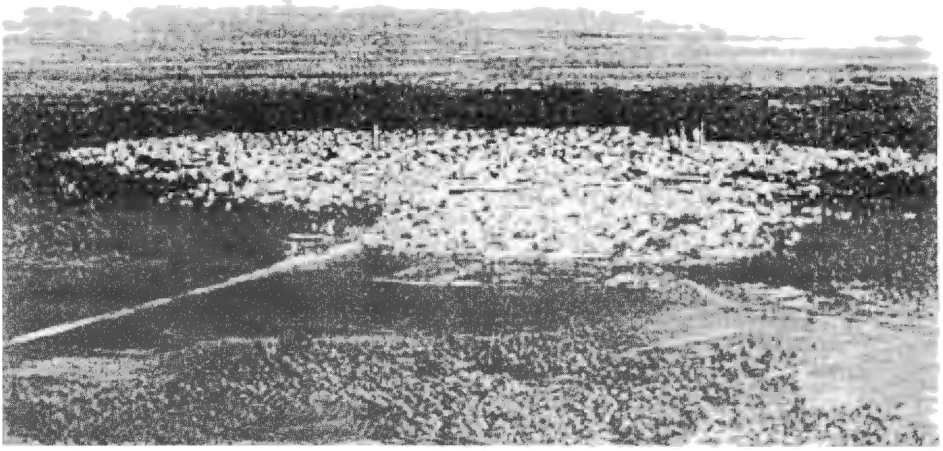

منظر لمدينة كربلاء من الجو سنة ١٩١٨م

وقد تجنبنا الخوض في تفصيل الكثير عما يخص كربلاء مثل تسميتها، وجغرافيتها، وأنهارها، وسكانها، ووقائعها، والحركة العلمية والدينية فيها، وتفصيل تاريخي عن عمارات المشاهد المقدسة فيها أو زيارات الملوك ورجال الدولة إليها، وأوضاعها في ظل الحكومات المختلفة التي حكمت العراق حينها، لأن ذلك له مكان آخر غير هذا البحث، وقد إرتأينا الإختصار الشديد عن كربلاء كأرض ومدينة، ليكون مدخلاً لقارئ كتابنا هذا.

موقع مدينة كربلاء في العراق

أبي حمزة الثمالي وزياراته لكربلاء

هو المحدث والراوية الشهير ثابت بن دينار المعروف بـ (**أبي حمزة الثمالي**). قال فيه إبن النديم في الفهرست: هو شيخ الكوفة وكان من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام من النجباء الثقات.

وفي كتاب (**الشيعة وفنون الإسلام**) جاء بأنه شيخ من مشايخ الكوفة في علم القرآن الكريم. له كتاب تفسير القرآن عرف بتفسير أبي حمزة الثمالي. وله كتاب النوادر. وقد عدّه العلماء من أتباع التابعين في التفسير ورواية الحديث.

كان تلميذاً أو صاحباً للإمام محمد الباقر عليه السلام وللإمام جعفر الصادق عليه السلام. كان ورعاً وعالماً مخلصاً لآل البيت حتى قال بحقه الإمام الصادق عليه السلام: «**أبو حمزة في زمانه مثل الفارسي**[1] **في زمانه، وهو من خيار أصحابنا**».

وفي ثورة زيد بن علي رضي الله عنه ضد الأمويين كان له موقف مساند للثورة، فقد حثَّ أولاده الثلاثة (**حمزة ونوح ومنصور**) بأن يقوموا بواجبهم الجهادي إلى جانب زيد بن علي في ثورته، وقد إستشهد أولاده الثلاثة في المعركة التي دارت بين جيش زيد وجيش الأمويين في جبانة الكوفة.

وكانت وفاة أبو حمزة الثمالي في سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م في الكوفة ودفن فيها.

جاء في كتاب (**كامل الزيارات**) لإبن قولويه أن أبو حمزة الثمالي قال: «**خرجت في آخر زمان بني أميّة إلى قبر الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام حتى**

(١) يقصد به الصحابي سلمان الفارسي رضوان الله عليه.

إنتهيت إلى كربلاء، فإختفيت في ناحية (القرية)[1] حتى إذا ذهب الليل نصفه، أقبلت نحو القبر وكان ذلك في ليلة عَـرَفَة[2] وشاهدت خلقاً كثيراً يصلّون عند القبر، وكنت أريد أن آتي القبر وأقبّله وأدعو بدعوات فما كنت أصل إليه من كثرة الخلق».

ولأبي حمزة الثمالي أحاديث كثيرة مروية عن الأئمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام في آداب زيارة الحسين وما يقال فيها والأدعية التي تتلى عند القبر الشريف.

وفي حديث للثمالي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول في كيفية زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام:

«ثم إمشِ قليلاً وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتمجيد والتحميد والتعظيم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وقصّر خطاك، فإذا أتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقـل... وإجتهد في الدعاء ما قدرت عليه وأكثر منه إن شاء الله، ثم تخرج من السقيفة[3] وتقف بحذاء قبور الشهداء...»[4].

---

(١) يقصد بالقرية هي قرية الغاضرية التي كانت من قرى الطف عند نزول الإمام الحسين كربلاء، وفي الغاضرية كان الإمام الصادق عليه السلام ينتظر حلول الليل حتى يتسلل لزيارة قبر جده الحسين داخلاً الحائر من جهته الشرقية بمحاذاة النهر بعد أن يغتسل به، وقد وجّه عليه السلام أصحابه بذلك ومنهم أبو حمزة.

(٢) ليلة عرفة هي ليلة التاسع من ذي الحجة والتي تصادف في كل سنة خروج الحجيج من مكة إلى صعيد عرفات للوقوف هناك. وليلة عرفة هي الزيارة المخصوصة للإمام الحسين عليه السلام، ويفد إلى كربلاء ليلتها الزوّار بأعداد غفيرة إلى وقتنا الحاضر.

(٣) يتضح أن في زمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان قبر الإمام الحسين عليه السلام عليه عمارة تتكون من سقيفة وعليها قبّة، وللسقيفة باب من ناحية الشرق وباب أخرى يمكن أن تكون في جهة القبلة (الجنوب) أو من الغرب. ويستدل من روايات صفوان الجمّال وهو صفوان بن مروان بن المغيرة الكوفي مولى بني أسد، وكان يكري الجمال فلقّب بالجمّال، وهو من الرواة عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام. وقد ذكر عن الإمام الصادق قوله: «فإذا أتيت باب الحائر فقف وقل.. ثم تأبي باب القبة وقف من حيث يلي الرأس...». وفي حديث أخر عن الصادق أيضاً يقول: «فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة وإرم بطرفك نحو القبر إلى أن يقول ثم أدخل رجلك اليمنى القبة وأخَر اليسرى..»، وجاء الحديثان في بحار الأنوار ج٩٨ ص١٩٨ و٢٥٩.

(٤) بحار الأنوار/ للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

جاء في كتاب كامل الزيارات عن أبي حمزة الثمالي أنه قال عن أبي عبدالله الإمام جعفر الصادق عليه السلام في وداع قبر العباس[1] بن علي عليه السلام ما نصّه:

«إذا ودّعت العباس فأته وقل: أسْتَودعك الله وأستَرْعيك وأقرأ عَلَيْكَ السَلام، آمِناً بالله ورَسوله وبكتابِه وبما جاءَ به من عندِ الله، اللهم أكْتُبْنا مَعَ الشاهدين، اللهم لا تجعلهُ آخِرَ العَهْدِ من زيارَة قَبر إبن أخي نبيّك، وأرزقْني زيارته أبداً ما أبْقَيْتَني، واحشُرْني معهُ ومعَ آبائه في الجِنان، وعرِّف بيني وبينَهُ وبين رَسولك وأوْليائك، اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد، وتَوَفّني على الإيمان بِكَ والتَصْديق برَسولك، والوِلاية لعلي بن أبي طالب والأئمة من ولْدِهِ، والبَراءَة من عَدُوّهم، فإنّي رضيت بذلك يا ربّ»[2].

وجاء عن أبي حمزة الثمالي في مثل ذلك في وداع قبور الشهداء رضوان الله عليهم. ولأبي حمزة الثمالي دعاء مشهور بإسمه ينقله عن الإمام علي زين العابدين عليه السلام، وهذا الدعاء يتلوه المؤمنون دائماً لما فيه من التوسل والتعبد للباري عز وجل، ويوجد في كتاب مفاتيح الجنان.

---

(١) هو أبي الفضل العباس (قمر بني هاشم) بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الشهيد بكربلاء الذي ضرب أروع الأمثلة في البطولة والشجاعة والمبدئية حامياً أخاه الحسين ومؤمناً بنهضته وقد وقع صريعاً يوم كربلاء ودفن في موضع مسرعه، وقبره يبعد عن قبر الحسين مسافة تقارب إلـ (٣٠٠) م.

(٢) كامل الزيارات/ إبن قولويه الباب السادس والثمانون ص٢٧١. وإبن قولويه هو أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر القمي، فقيه محدث وراوي ومن أعلام الإمامية، له عدة مصنفات وقد إشتهر بكتابه كامل الزيارات. توفي سنة ٣٦٧هـ ودفن في الحضرة الكاظمية.

الشاعر منصور النمري وكربلاء

منصور النمري هو أبو القاسم (**أو أبو الفضل**) منصور إبن الزبرقان بن سلمة، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك النمري، من قبيلة (**نمر بن قاسط**). وهو شاعر عباسي ولد في مدينة (**العين**) في الجزيرة الفراتية في بلاد الشام، ولا يعرف تأريخ ولادته. وكانت وفاته نحو سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥ م.

كان تلميذاً لكلثوم بن عمرو العتابي الذي ساعده على الإنتقال من الشام إلى بغداد، وتقرّب من البرامكة فكانت له عندهم حظوة، فمدحهم في أشعاره ورثاهم.

زار منصور النمري كربلاء قبل أن يتم تمصيرها وكانت عبارة عن عدة بيوت تحيط بقبر الحسين عليه السلام، وهي أشبه بالقرية، لأن زيارة القبر الشريف كانت متعذّرة في زمن الأمويين، وعندما تأسست الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، تم السماح لمحبي آل البيت بالزيارة بل وجّهت الدولة الجديدة بعض إهتماماتها إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام لإعتبارات سياسية لكون الدعوة العباسية قامت بإسم العلويين.

بدأت القصبة تتوسع إلى أن أصابها الدمار والخراب على يد المتوكل العباسي سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦٢ م، الذي أمر بتهديم قبر الإمام الحسين (**العمارة التي بناها الخليفة العباسي عبد الله المأمون بن هارون الرشيد سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥ م**)، وما حوله من بيوت ومنشآت، وكرب موقع القبر وأجرى عليه الماء ومنع زيارته. إلى

أن تم قتله بيد إبنه المنتصر الذي إعتلى العرش في نفس السنة وقام ببناء القبر الشريف وسمح للناس بالبناء حوله وتقاطر الناس لزيارته والسكن بجواره.

فمنصور النمري يُعتقد بأنه زار كربلاء أيام هارون الرشيد، والنمري ينحاز إلى آل البيت عليهم السلام عارفاً بقدرهم.

وفي زيارته إلى كربلاء وقف على قبر الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام وأنشد قصيدته التي يقول فيها:

فما وجدت على الأكتاف منهم ولا الأقفاء آثار النصول
ولكن الوجوه بها كلوم وفوق حجورهم مجرى السيول
أريق دم الحسين ولم يراعوا وفي الأحياء أموات العقول
فدت نفسي جبينك من جبين جرى دمه على خد أسيل
أيخلو قلب ذي ورع ودين من الأحزان والألم الطويل
وقد رشقت رماح بني زياد بري من دماء بني الرسول
بيثرب كربلاء لهم ديار نيام الأهل دارسة الطلول
بأوصال الحسين ببطن قاع ملاعب للدبور وللقبول
تحيات ومغفرة وروح على تلك المحلة والحلول
برئنا يا رسول الله ممن أصابك بالأذيّة والذحول[1]

(١) نقلها مؤلف بغية النبلاء في تاريخ كربلاء / ص١٤٨، عن زهر الآداب للحصري، هامش العقد الفريد ج٢ص٢٧٢.

زيارة الإشناني لقبر الحسين عليه السلام

هو العالم الفاضل محمد بن الحسين بن علي الشيباني المعروف بـ (**الأشناني**) المولود سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦ م والمتوفى سنة ٣١٧هـ/ ٩٣٩م، كان من أهل الكوفة ومن كبار علمائها، ومن الموالين لآل البيت الأطهار، وكان قد سجن فترة من الزمن بأمر من المتوكل العباسي.

زار قبر الإمام الحسين عليه السلام محمد بن الحسين الأشناني سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م. كانت زيارته في زمن المتوكل حيث منعت زيارة قبر الحسين من قبله بعد أن هدم القبر وما حوله في الحائر. ويعتقد أن زيارة الأشناني لقبر الحسين كانت بعد مدة وجيزة من عملية الهدم وقبل مقتل المتوكل.

كانت زيارته للقبر الشريف سراً برفقة أحد العطارين، فلما وصلا القبر الشريف جعلا يتحريان جهة القبر حتى عثرا عليه وذلك لكثرة ما كان قد مخر وحرث حوله، فشاهداه وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجري عليه الماء فإنخسف موضع اللِبن وصار كالخندق حول القبر، ولمّا أتمّا مراسيم الزيارة نصبا حول القبر علامات شاخصة في عدة مواضع من القبر.

ويصف الأشناني أوضاع منع الزيارة التي أمر بها المتوكل العباسي، حيث جاء عنه في كتاب مقاتل الطالبيين ما نصّه:

«**فحدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: بَعُدَ عهدي بالزيارة في الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها منتصف الليل**

فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمّه ونتحرى جهته حتى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجري الماء عليه فإنخسف موضع اللِبن وصار كالخندق، فزرناه وأكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع.

فلما قتل المتوكل إجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا على القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه»[1].

(١) مقاتل الطالبيين/ أبي الفرج الإصفهاني ص٤٧٩، تحقيق السيد أحمد صقر.

رحلة إبن حوقل النصيبي

من أوائل الرّحالة القدماء الذين ذكروا مدينة كربلاء في رحلاتهم هو الرحّالة أبي القاسم إبن حوقل النصيبي، الذي زار العراق وكتب عنه الكثير وعن أنهاره وكان في وقته من الجغرافيين العرب.

وقد وصف في رحلته مدينة كربلاء، ويتبين من الوصف أنه زارها قبل سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م، لأنه كتب رحلته سنة ٣٦٧هـ وسمّى كتابه (**صورة الأرض**) المعروف أيضاً بكتاب (**المسالك والممالك والمفاوز والمهالك**).

وفي كتابه هذا يصف إبن حوقل المناطق التي مرّ بها دلالة على مشاهدته الشخصية لهذه المناطق، ويتبين من الوصف أنه وفي طريقه من بغداد إلى الكوفة ذكر كل ما صادفه من الأنهار التي عبرها والمدن التي زارها فيقول:

«.. وبين بغداذ والكوفة سواد مشتبك غير متميّز تخترق إليه أنهار من الفرات فأولها نهر صَرصَر عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن وعليه جسر من مراكب يُعبر عليه، ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار، صغيرة من بغداذ على ثلثة فراسخ، ثم ينتهي على فرسخين إلى نهر الملك وهو كبير أيضاً أضعاف نهر صرصر في غُزر مائه وعليه جسر من سُفن يُعبر عليه ونهرُ الملك مدينة أكبر من صرصر عامرة بأهلها وهي أكثر نخلاً وزرعاً وثمراً وشجراً منها، ثمّ ينتهي إلى قصر إبن هبيرة وليس بين بغداذ والكوفة مدينة أكبر منها وهي بقرب الفرات الذي هو العمود ويطلع إليها هناك عن يمين وشمال أنهار مفترقة ليست بكبار إلاّ أنّها تعمّهم لحاجتهم وتقوتهم، وهي اعمر نواحي السواد، ثم ينتهي إلى نهر سورا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء وليس للفرات شعبة

أكبر منه وينتهي إلى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل منه إلى بطائح الكوفة، وسورا هذه بين تلك النواحي أكثرها كروماً وأشربةً، وكربلا من غربي الفرات فيما يحاذي قصر إبن هبيرة[1]، وبها قبر الحسين بن علي رضي الله عنه وله مشهد عظيم[2] وخطب في أوقات من السنة بزيارته[3]، وقصده جسيم[4]..»[5].

(١) قصر ابن هبيرة : ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج ابن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان لما ولي العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان، بنى على فرات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمها، حتى كتب إليه مروان بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة، فتركها وبنى قصره المعروف به بالقرب من جسر سورا، وجسر سورا هو على تفرع نهر سورا من نهر الفرات. ويؤكد الكثير من المؤرخين بأنه يقع جنوب مدينة المسيب الحالية ما يقارب ناحية سدة الهندية الحالية. وقد إلتبس لدى البعض عندما سكنه أبو العباس السفاح وسماه (الهاشمية) وهو غير مدينة الهاشمية التي بناها وهي الآن في الجنوب الشرقي من مدينة الحلة كما يعتقد البعض، فموقع المدينة هذا يتعارض مع الوقائع التاريخية التي ذكرت قصر إبن هبيرة على إنه على فرات الكوفة.

(٢) المشهد العظيم.. يشير به إبن حوقل على عظم بنايته، والمشهد الضريح وبنايته التي تزار بإجلال.

(٣) الخطب في أوقات من السنة بزيارته، إشارة إلى الزيارات المخصوصة لمرقد الحسين عليه السلام وهي عديدة منها زيارة العاشر من محرم وزيارة الأربعين (٢٠صفر) والنصف من رجب والنصف من شعبان وزيارة عرفة في ذي الحجة من كل عام، بالإضافة إلى زيارته في عيدي الفطر والأضحى.

(٤) قصده جسيم.. يُقصد به الفضل بزيارته كبير رغم الصعوبات والمشاق التي تواجه الزائرين من طول السفر ووحشة الطري وخطورته.

(٥) صورة الأرض/ إبن حوقل النصيبي ص٢٤٢ وص٢٤٣، ط٢ (القسم الأول) طبع في مدينة ليدن سنة ١٩٣٨ م.

إبن الهبّارية وإجتيازه بكربلاء

إبن الهبارية شاعر عربي مشهور من شعراء العصر العباسي في القرن الخامس الهجري، وهو نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبدالله إبن العباس، العباسي الهاشمي، عرف بإبن الهبّاريّة نسبة إلى جدّه لأمه (هبّار). ولد سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م وتوفى سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م.

كان من شعراء بغداد الفحول، لازم خدمة نظام الملك صاحب المدرسة النظامية وأحد وزراء الدولة السلجوقية، وإتصل بغيره من الرؤساء. وشعره في غاية الرقة ولكنه يغلب عليه الهزل والهجاء، إلاّ إذا نظم في الجدّ والحكمة أتى بالعجب.

نظم حكايات (**كليلة ودمنة**) شعراً في كتاب أسماه (**نتائج الفطنة في كليلة ودمنة**). وله كتاب (**الصادح والباغم**).

في سَفَر له إجتاز بكربلاء وترجل لزيارة مشهد الحسين عليه السلام، فجلس يبكي على الحسين عليه السلام وأهله وما أصابه في تلك الواقعة الأليمة يوم الطف في العاشر من محرم فأنشد يقول وهو يجهش بالبكاء:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسماً يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلاء لبذلت في تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من أعدائكم عللاً وحد السمهري الذابل
لكنني أخرت عنك لشقوتي فبلابلي بين الغري وبابل
هبني حرمت النصر من أعدائكم فاقلّ من حزن ودمع سائل

ويقال بأنه نام في مكانه فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال له:.. جزاك الله عنا خيراً، أبشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين[1].

(١) تذكرة خواص الأمة/ إبن الجوزي ص١٥٤.

الرحالة إبن بطوطة الطنجي وكربلاء

في سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م زار الرحالة المغربي إبن بطوطة كربلاء في أيام أبي سعيد بهادر. وهو محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن ابراهيم بن يوسف اللوائي الطنجي المولود في طنجة بالمغرب سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م والمتوفى سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م والمعروف بأبي عبدالله شرف الدين إبن بطوطة الطنجي القاضي.

وإبن بطوطة رحّالة طاف في عدة بلدان بثلاث رحلات إستغرقت زهاء ٢٩ سنة زار خلالها أفريقيا وبلاد العرب وآسيا والشرق الأقصى، وقد إستقر في فاس. ومن آثاره كتابه عن رحلاته تلك (**تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**). إرتحل من طنجة في المغرب إلى الشرق في رجب عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م.

زار قبل كربلاء الكوفة وتوجه إلى الحلة ومنها إلى كربلاء.

وذكر إبن بطوطة زيارته إلى كربلاء في رحلته المسماة (**تحفة النظّار..**) بقوله: «**ثم سافرنا منها (أي الحلة) إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي** عليه السلام **وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخيل ويسقيها ماء الفرات**[1] **والروضة المقدسة**[2]

(١) يقصد بماء الفرات الذي يسقيها إشارة إلى (نهر العلقمي) الذي كان يمر بالقرب من المدينة، ونهر العلقمي هو نهر تم فتحه في نهاية القرن الثاني الهجري، وأخذ مجراه من جنوب الأنبار، وهو إمتداد لنهر (محدود)، وأخذ مجراه بإتجاه الجنوب الغربي حيث دخل في أرض كربلاء من شمالها الغربي، وإتخذ مجرى نهر كري سعدة الذي كان قد إتخذ من ممرات خندق سابور مجرىً له، ومن ثم إنحرف نحو الجنوب الشرقي ليمر بالقرب من أطلال مدينة (باروسما)، ويستمر في إتجاه جنوبها حتي يمر بقرية (نينوى) حيث يتخذ عندها مجرى نهر نينوى القديم، ومن ثم ينحدر نحو الجنوب الغربي حتى يمر بـ (الغاضريات) الواقعة شمال مدينة كربلاء الحالية، ومن ثم يتحول مجراه نحو الجنوب الشرقي منحدراً ومتخذاً آثار نهر (كري سعدة) الذي أخذ هو الآخر المجرى القديم لنهر نينوى عند الجهة الشرقية من مدينة كربلاء الحالية، ويستمر بالجريان جنوب شرق حتى يصل الكوفة ويصب في المجرى الرئيسي للفرات عندها. هذا الوصف لنهر العلقمي قبل أن يندثر ويتم حفر نهر الحسينية الحالي من قبل السلطان العثماني سليمان القنوني الذي سمي حينه بنهر السليماني.

(٢) يقصد بالروضة المقدسة هو مرقد وصحن الإمام الحسين عليه السلام، ويطلق على مراقد آل البيت بـ=

داخلها وعليها مدرسة عظيمة[1] وزاوية كريمة، فيها الطعام للوارد والصادر[2] وعلى أبواب الروضة الحجاب والقومة[3]، لايدخل أحد إلّا عن إذنهم، فيقبّل العتبة الشريفة[4]

= (الرياض) المقدسة، وإبن بطوطة ذكر الروضة المقدسة التي يعني بها مرقد الحسين فقط ولم يذكر الروضتان!!، وكأن في كربلاء أيام رحلته روضة واحدة حيث الروضة الثانية لأبي الفضل العباس عليه السلام لم يذكرها، ونعتقد بأن البعض ممن يقولون بأن قبر العباس مع الشهداء في حرم الحسين والقبر الحالي أستحدث في القرن التاسع أو العاشر الهجري، كان إعتمادهم على رحلة إبن بطوطة الذي لم يذكر في رحلته مرقد العباس بإعتبارها روضة ثانية في كربلاء.

(١) المدرسة العظيمة.. اختُلف في تحديدها، فقد ذكرها مؤلف مدينة الحسين في السلسلة الثانية ص١٣٤ على انها (مسجد إبن شاهين) الذي بناه عمران بن شاهين سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م، ولم يذكر المصدر الذي إعتمد عليه ونعتقد بانه كان إستنتاجاً منه. أما الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية فيذكر في الجزء الثاني من تاريخ المراقد في الهامش من الصفحة ٣٨ ما نصّه: «ولعل المراد بالمدرسة العظيمة هي المدرسة العضدية التي كانت ملاصقة للصحن الحسيني والأخرى القريبة منها». وكذلك لم يذكر الكرباسي المصدر الذي إعتمد عليه. نقول: إن المسجد الذي بناه عمران بن شاهين في الجهة الغربية من الحرم الحسيني كان يسمى برواق بن شاهين وهو ليس مدرسة. أما ما ذكره الكرباسي فبعيد عن الصحة لأن موقع المدرسة العضدية هي خارج الروضة الحسينية، وقد أقيمت في الصحن الصغير لبني بويه على إسم عضد الدولة البويهي.. بينما إبن بطوطة يذكر بالنص بعد الروضة المقدسة كلمة (وعليها) مدرسة عظيمة.. يعني ذلك أن المدرسة كانت تشمل الروضة ذاتها، حيث أن جميع اواوين الصحن الشريف كانت عبارة عن مواقع لإجراء البحث والدراسة من قبل طلاب العلوم الدينية وتواجد العلماء بينهم على شكل حلقات للدرس والمناقشة في وقت كانت النهضة العلمية في كربلاء قد أخذت مداها في منتصف القرن السابع والقرن الثامن الهجري وما بعده.

(٢) الزاوية الكريمة التي كان يوزع فيها الطعام للوارد والصادر، هي دار الضيافة التي كانت في الزاوية الجنوبية الشرقية من الصحن الحسيني، وكان يقدم فيها الطعام للزائرين والفقراء معاً ويصرف عليها من موقوفات الإمام الحسين عليه السلام. وهي غير (دار السيادة) التي عناها مؤلف مدينة الحسين في س٢ص١٣٤ بدون سند أو مصدر موثوق.

(٣) الحجّاب والقَوَمَة يعني بهم العاملين والمتشرفين بخدمة المراقد الشريفة، ونطلق عليهم اليوم بـ (خدّام الروضة)، وإلى وقت قريب يطلق الناس على الذين يخدمون المراقد المقدسة بـ (القوّام) أو (الكوّام) بالكاف المعجمة باللهجة العاميّة. والخدمة في المراقد المقدسة تعتبر غاية في الشرف لدى القائمين بهذا العمل، ولم يكن بالأساس مصدر رزق أو تطفل على الزائرين مثل ما وجدناه في حقب زمنية قريبة، فهي ليست مهنة، وإنمّا كان القدامى من علويين وغير علويين من أشرف الأسر تقوم بأعمال الخدمة في المراقد للزيادة في الشرف وكسب الثواب، وكانت تتباهى الأسر العريقة بإنتمائهم لمجال الخدمة.

(٤) العتبة الشريفة.. دأب الكثير بل الغالبية من محبي آل البيت عند زيارتهم المراقد الشريفة إلى تقبيل (عتبة) الباب التي يدخل منها الزائر إلى المرقد إحتراماً وتيمناً بصاحب المرقد، ودائماً ما تعمل عتبة الأبواب من الفضة وخاصة في المداخل الرئيسية لكل حرم او مرقد.

وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير. وأهل هذه المدينة طائفتان، أولاد زحيك وأولاد فائز وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أب واحد. ولأجل فتنتهم تخربت هذه المدينة[1]...»[2].

نجد بأن الرحّالة إبن بطوطة قد وصف بشكل مختصر ولكنه في غاية الأهمية عن شكل المدينة في ذلك الوقت ووصف المشهد الحسيني كذلك أبرز ما كان في كربلاء من منشآت، وذكر الوضع الإجتماعي من خلال معرفته إثناء الزيارة بالأحداث الواقعة في كربلاء وأسبابها.

وكان ذلك هو أصدق ما وصلنا عن كربلاء في تلك الفترة، لأن إبن بطوطة رحّاله يدوّن ما يشاهده ويسمعه ويتحّرى عنه، وكانت زيارته إلى كربلاء وذكره لها بهذا الوصف يعتبر تثبيتاً لصحة التاريخ وقد سهّل على الباحثين الكثير من أجل دراسة تلك الفترة ووضع المدينة وأهلها.

---

(١) وأهل هذه المدينة طائفتان، أولاد زحيك وأولاد فائز وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أب واحد ولأجل فتنتهم تخربت هذه المدينة.. يعني بالطائفتين من السادة الأشراف في كربلاء هما (آل فائز) وهم اليوم آل طعمة وآل نصرالله وآل ضياء الدين وآل مساعد (عوج) وآل التاجر وآل سيد أمين (جلوخان الفائزيين) وآل قفطون وغيرهم. أما (آل زحيك) فهم الآن آل ثابت وآل النقيب وآل السيد يوسف ومنهم آل الوهاب وآل جلوخان وآل الإشيقر وغيرهم.
وآل فائز هم أحفاد السيد (أبي الفائز محمد) نقيب الحائر وهو من احفاد السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. ومنه عرف أحفاده بآل فائز.
أمّا آل زحيك فهم أحفاد السيد (أبي محمد يحيى زحيك) من أحفاد السيد أبي محمد عبدالله الحائري (نقيب الطالبيين في العراق) وهو من أحفاد السيد موسى أبو سبحة بن السيد إبراهيم المرتضى (الأصغر) بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. ومنه عرف أحفاده بآل زحيك.
ويقول إبن بطوطة أنهم إمامية يرجعون إلى أب واحد، يعني بذلك أن الطائفتان من الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، ويرجعون إلى أب واحد، أي أن جدهم الأعلى والمشترك هو الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فآل فائز أحفاد محمد العابد بن موسى الكاظم عليه السلام، وآل زحيك أحفاد إبراهيم المرتضى (الأصغر) بن موسى الكاظم عليه السلام، ومحمد العابد وإبراهيم المرتضى أخوان وهما ولدا الإمام الكاظم، فالكاظم عليه السلام الأب المشترك للطائفتين وهذا ما عناه إبن بطوطة. وكانت بين الطائفتين فتنة كبيرة في القرن الثامن الهجري وذلك بسبب نقابة الحائر وسدانة المشهد الشريف، وحدث بينهما قتال ونزاع إستمر لسنوات تأثرت به المدينة.

(٢) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة إبن بطوطة)/ إبن بطوطة الطنجي تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ج١ص١٣٩.

ونحن نتحدث عن رحلة إبن بطوطة هذه إلى كربلاء والتي كانت في غاية الأهمية لما ورد فيها من معلومات وحوادث مهمة تخص تأريخ المدينة، فإرتأينا أن نقدم للقارئ شرحاً موجزاً عن النزاع الذي حدث بين آل فائز وآل زحيك في القرن الثامن الهجري وإستمر عدة سنوات، نتج إلى تدخل إحدى القبائل بالهجوم على كربلاء، والسيطرة عليها وإبعاد الطائفتين على حد سواء من الواجهة في المدينة، مما دعا بالقبيلتين أن تتحدا ضد من تدخل وسلب حقهما في المدينة فتصالحا وتمكنا من طرد الذين سيطروا على المدينة بإعتبارهم أغراب عنها، وتقاسما السيادة في كربلاء والتي كان سبب النزاع فيها سدانة المشهد الشريف ونقابة الحائر.

كان آل فائز أقدم تواجداً في كربلاء من آل زحيك لأكثر من قرنين من الزمان، وكانت نقابة الحائر (**نقابة الأشراف في كربلاء**) وسدانة المشهد الحسيني، هما الواجهتان الرئيسيتان في المدينة، ومن حصل عليهما تكون زعامة البلد بيده وبيد أسرته أو قبيلته.

وفي أوائل القرن الثامن عشر الهجري بدأت الخلافات بين القبيلتين على تلك الزعامة، وحدثت بينهما منازعات أدّت إلى فوضى وقتال وأحداث جسام داخل المدينة. وقد دام ذلك الصراع بما يقارب النصف قرن، ونتيجة لهذا الصراع فقدوا إرثهما في زعامة البلد (**كربلاء**) بسبب تدخّل قبيلة (**آل مهنا**) العلوية بقياد الشريف (**شهاب الدين أحمد بن مسهر**) وهو من أحفاد (**الحسين بن مهنا**) أمير المدينة المنورة[1] الذي كان مقيماً في عين التمر شفاثة (**وكان عظيم الجاه والمال، كثير الأملاك**)[2]، التي غزت كربلاء سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م بحجة التدخل في حسم النزاع الدائر بين القبيلتين آل فائز وآل زحيك.

(١) جاء في كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) للسيد ابن عنبة الداوودي مترجماً العقب من الأمير أبي عمارة المهنا بن أبي هاشم بن القاسم من ذرية الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ومنهم الشريف شهاب الدين إبن مسهر بن مسعود بن مالك بن مرشد بن خرسان بن منصور بن محمد بن عبيدالله بن عبد الواحد بن مالك بن الحسين بن المهنا (أمير المدينة المنورة).

(٢) كانت ثلاث قبائل تحمل نفس الإسم، الأولى: هي قبيلة آل مهنا العلوية التي إقتحمت كربلاء=

كان إقتحام المدينة والسيطرة عليها في أيّام الدولة الجلائرية وقبل وفاة مؤسسها (**حسن الجلائري**) بسنة واحدة، وكانت الفوضى تعم البلاد، وسيطرة الحكومة الجلائرية كانت ضعيفة وخاصة في المناطق التي تقع خارج بغداد، وكانت العشائر والقبائل تحاول تكوين كيانات وإمارات مستقلة، وكان القوي هو الذي يسيطر على الأمور في كل الأحوال.

وعندما دخل الشريف شهاب الدين أحمد بن مسهر كربلاء وأخمد الصراع بين الطائفتين، نصّب نفسه (**نقيباً للحائر**)، وأسند سدانة المشهد الحسيني إلى الشيخ شمس الدين محمد الحائري.

عندها هدأت الأحوال في المدينة، وتبيّن لآل فائز وآل زحيك ذهاب الأمر من أيديهما وفقدان نفوذهما، فذهبوا إلى التصالح والتعاضد فيما بينهما، وثاروا مجتمعين بعد عدة سنوات ضد (**آل مهنا**) لإسترجاع حقوقهما، وتمكنوا من ذلك وطردوا النقيب وأسرته من كربلاء وكذلك السادن، وتقاسما النفوذ بينهما، فقد تولى آل فائز نقابة الحائر، وتولى السدانة آل زحيك وبذلك أمنت المدينة[1].

= سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م بقيادة شهاب الدين أحمد بن مسهر وهو من أحفاد الحسين بن مهنا أمير المدينة المنورة والذي سميت القبيلة بإسمه.

أما القبيلة الثانية: فهي قبيلة غير علوية وتسمى بـ (آل مهنا) على إسم زعيمها (ناصر بن مهنا) وهو ناصر بن عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن غزي بن سعد آل قشعم، وقد غزت هذه القبيلة كربلاء سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م، وبسطت نفوذها على المدينة سنوات طوال، وكان ناصر بن مهنا قد أسس إمارته وإتخذ (كربلاء) مقراً له، وأعتبرها (ديرته) كما يذكر لونكريك في كتابه أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، وآل مهنا هؤلاء هم من قبيلة (قشعم) العربية وسميت إمارتهم هذه بإمارة (عشائر جشعم).

والقبيلة الثالثة: فكانت تحمل نفس الإسم وهي من القبائل العربية غير العلوية، وقد سميت بآل مهنا أيضاً على إسم شيخ مشايخ شمّر طيْ (مهنا بن عيسى). وقد إختلف الكثير من الباحثين والمؤرخين على أيّ من هذه القبائل الثلاث التي كانت تحمل نفس الإسم هي التي إقتحمت كربلاء وأنهت الصراع بين آل فائز وآل زحيك، والصحيح قطعاً هي القبيلة العلوية التي ذكرناها، وإعتمدنا على ذلك من خلال دراسة معمقة للقبائل الثلاث وتواريخ تواجدها بالقرب من كربلاء في القرن الثامن الهجري

(١) راجع التفصيل في كتابنا بيوتات كربلاء القديمة/ السيد عبد الصاحب ناصر آل نصرالله من ص١٥١ إلى ص١٥٦، الطبعة الأولى بيروت سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، مؤسسة البلاغ/ دار سلوني.

رحلة المؤرخ والجغرافي حمد الله المستوفي لكربلاء

حمد الله المستوفي القزويني المشهور بهذا الإسم هو جغرافي ورحّالة ومؤرخ وموسوعي وأديب من قزوين في إيران. و(**حمد الله**) هو اللقب الذي أشتهر به، وقد أختلف في إسمه.. فمن المؤرخين من يذكر أن إسمه هو: أحمد بن أبي بكر نصر القزويني، ومن يقول أنه: حمد الله بن أتابك، وقيل بل هو أبو بكر بن حمد بن نصر القزويني المستوفي، ومن قائل بأنه أحمد ولقبه حمد الله.. وهو يذكر بأن نسبه يرجع إلى الحر بن يزيد الرياحي الشهيد بأرض كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام. كما أختلف في تاريخ مولده بين سنتي ٦٨٠هـ و٦٨٢هـ وهو الغالب في الأقوال، وعليه فإن مولده كان في مدينة قزوين بإيران سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨١م، وتوفي ودفن فيها سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م.

ترك المستوفي عدة مؤلفات كان أهمها كتاب (**نزهة القلوب**) في الجغرافية الطبيعية والبشرية للعالم الإسلامي. ومن مؤلفاته بالإضافة إلى نزهة القلوب: (**ظفرنامه**) و(**التاريخ المنتخب**) و(**العالم الكبير في القرن الثامن الهجري**) وغيرها.

وتذكر بعض المصادر أنه زار العراق بين سنتي ٧١٦هـ و٧٣٦هـ. والصحيح في الأمر أنه كان من المعاصرين للرحالة إبن بطوطة الطنجي، فقد زار المستوفي كربلاء في نفس الفترة التي زار فيها إبن بطوطة كربلاء وهي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م في أيام السلطان أبي سعيد بهادر. وكان المستوفي قد زار مدينة النجف ووصفها بكتاب رحلته، ومنها توجه إلى كربلاء. وقال عن زيارته لمدينة كربلاء في كتابه نزهة القلوب:

«.. وغربي الكوفة بثمانية فراسخ في صحراء كربلاء مشهد الحسين المعروف (بالمشهد الحائري). وقد ذكر في عهد المتوكل أنه أجرى الماء عليه بقصد تخريبه حتى حار الماء عند قبره الشريف، وظلت البقعة الطاهرة عند قبره جافة. وقد شيّد عمارته عضد الدولة فناخسروا الديلمي. وحول هذا الموضع قرية مساحتها ألفين وأربعمائة خطوة»[1].

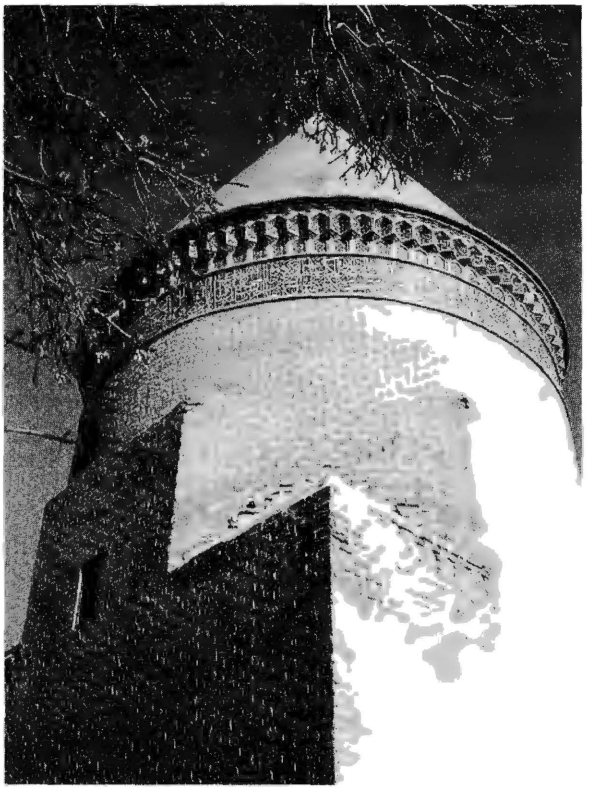

قبر حمد الله المستوفي في (قزوين)

(١) نزهة القلوب/ حمدالله المستوفي القزويني وهذا الكتاب صنفه المستوفي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

كما أن المستوفي زار قبر الحر بن يزيد الرياحي الواقع في صحراء كربلاء من جهة غربها الذي يعتبره جده الذي يقول إنه ينتسب إليه.

وعن ذلك فقد جاء في كتاب (**تحفة العالم**)[1] للسيد جعفر بحر العلوم ما نصّه:

«إن حمد الله المستوفي ذكر في نزهة القلوب: إن في ظاهر كربلاء قبر الحُر تزوره الناس وهو جدّه الثامن عشر. وكان أحدهم يقول:

أشِـــر لـــلـــحُـــرِّ مـــن قُـــربٍ وبُـــعـــدٍ فـــإنَّ الـــحـــرَّ تـــكـــفـــيـــه الإشـــــارَة

جاء في كتاب بلدان الخلافة الشرقية لـ (كي لسترنج) مقتطفات عن كربلاء وردت عن حمدالله المستوفي، حيث يقول:

«أما كربلاء، أي مشهد الحسين، فعلى ثمانية فراسخ من شمال غربي الكوفة. وهي تعيّن موضع الوقعة التي أستشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول مع جميع آله وذويه تقريباً في سنة ٦١ (٦٨٠م). ويزور الشيعة اليوم مشهد الحسين أكثر مما يزورون مشهد علي. ولا علم لنا بأول من بنى هذا المشهد، إلاّ أن هناك ما يدل على وجود بناية فيه منذ المئة الثالثة (التاسعة الميلادية). فإن الخليفة المتوكل، وهو الذي يمقته الشيعة مقتاً لم يضعف بمرور الزمن، أمر في سنة ٢٣٦ (٨٥٠م)[2] بهدم قبر الحسين وبسقي موضع قبره ومنع الناس من إتيانه، وتهددهم بالعقاب الشديد إن زاروه.

---

(١) حفة العالم/ السيد جعفر بحر العلوم ج١ ص٣٧.

(٢) ذكر البعض ان الهدم قام به المتوكل ثلاث مرات هي على التوالي في السنوات ٢٣٢و ٢٣٦و ٢٤٧هـ، ورغم أن إبن الأثير في كامله يقول بأن الهدم كان في سنة ٢٣٦هـ، ولكن المصادر الكثيرة تؤكد أن الهدم الكبير للقبر وما حوله، وسقيه بالماء وحرثه ومنع زيارته التي يعاقب عليها كان في سنة ٢٤٧هـ. وقد تكون عمليات الهدم قبل هذا التأريخ الأخير كانت جزئية وليست كلية بحيث شملت القبر وما حوله، وللتأكيد على ذلك أن سبب قتله الذي شارك فيه إبنه المنتصر كان سببه ما قام به والده المتوكل، بحيث سرعان ما عاود بناء القبر الشريف والمدينة حوله وسمح بزيارته بعد إستلامه الخلافة مباشرة بعد مقتل أبيه، وأبدى إهتماماً كبيراً نحو القبر وما يحيط به.

وذكر المستوفي في وصفه قصور سامراء، إن هذه الإساءة التي أوقعها المتوكل قد جوزي عليها فلم ينجز بناء قصر واحد من قصوره التي إبتناها في سامراء، بل أصابها ما أصاب قبر الحسين عليه السلام على يده. ولا يعلم كم بقي هذا الموقع خراباً[1]، إلاّ أن عضد الدولة البويهي بنى فيه سنة ٣٦٨ (٩٧٩م) حضرة جليلة..

وتكلم المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة للميلاد) على مدينة صغيرة كانت نشأت حول الروضة. وقال ان محيطها نحو ٢٤٠٠ خطوة..»[2].

(١) كما ذكرنا في الهامش السابق فإن المنتصر إبن المتوكل بنى مرقد الحسين بعد مقتل أبيه في سنة ٢٤٧هـ.

(٢) بلدان الخلافة الشرقية/ كي لسترنج ترجمة وتعليق بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص١٠٥ ١٠٦ من مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

النسابة إبن زُهرة الحسيني في كربلاء

هو السيد الشريف تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني (**نقيب حلب**) وإبن نقبائها. كان نسّابة عصره وقد جاب البلدان لغرض تثبيت أنساب السادة الأشراف.

وقد دوّن معلوماته النسبية عن السادة الأشراف في كتاب نسبي مهم جداً سمّاه:

«**غاية الإختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار**».

طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق في مصر سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[1] في زمن الخديوي (**عباس حلمي**) وأصبح هذا الكتاب من المصادر النسبية المهمة لما فيه من معلومات جهد فيها مؤلفه إبن زهرة بتثبيتها من خلال إطلاعه الشخصي ورحلاته التي قام بها للغرض المذكور.

كان النقيب إبن زهرة الحسيني حيّاً يُرزق سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، ويمكن أن تكون زيارته في سنة ٧٩٧هـ لأنه ذكر السيد **شمس الدين أحمد** (**ناظر رأس العين**) بن أبي الفائز محمد، الذي كان في تلك السنة في شفاثا ناظراً فيها وتلقبه العامة بإسم (**أحمد بن هاشم**).

---

(١) كنّا قد ذكرنا في كتابنا (بيوتات كربلاء القديمة) في ص١٥٨ منه أن الكتاب طبع سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م والصحيح هو ما أوردناه أعلاه حيث أمكننا الحصول على الطبعة الأولى منه والتي كانت سنة ١٣١٠هـ. وورد خطأ آخر في ص١٥٩ من نفس الكتاب، حيث ورد أن إبن زهرة كان يلقب بالطقطقي وهو غير صحيح، وسبب الخطأ في الملاحظتين أساسهما المصدر الذي إعتمدنا عليه حينها.

وقد دوّن في مشجره النسبي السادة العلويين من أحفاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام في كربلاء، وذكر بعض الأمور التاريخية عن شخصيات علوية توطنت الحائر الحسيني (**كربلاء**).

فقد ذكر في كتابه (**غاية الإختصار**) عن بني المجاب في كربلاء حيث قال:

«**وبنو المجاب بن موسى**[1] **قالوا سمي المجاب برد السلام وذلك لأنه دخل إلى حضرة أبي عبدالله الحسين بن علي فقال السلام عليك يا أبي فسمع صوت وعليك السلام ياولدي والله أعلم**»[2].

كما ذكر النقيب إبن زهرة في كتابه عن آل أبي الفائز في كربلاء، وهم (**آل طعمة وآل نصرالله وآل ضياء الدين وآل مساعد عوج وآل سيد أمين وآل التاجر وآل قفطون**) ما نصّه:

«**وبيت أبي الفائز بالحائر قوم من العلويين بمشهد الحسين عليه السلام ذوو نيابة ونخل بشفاثا من أعيان سادات المشهد، وكان جدهم شمس الدين محمد**[3] **ناظر شفاثا كريماً موصوفاً بالأفضال والجود، وهم كانوا بالمشهد على قاعدة البدو وقد دخلوا في طي الخمول..**»[4].

وكتب إبن زهرة عن (**بني ترجم**) في الحائر حيث قال:

---

(١) السيد المجاب هو إبراهيم بن السيد الزاهد محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ونجد بعض المؤرخين والنسابة يخلطون بين السيد إبراهيم (الأصغر) المرتضى بن الإمام موسى الكاظم، وبين إبن أخيه السيد إبراهيم المجاب. وعليه فإن إبن زهرة قد إلتبس عليه الأمر كغيره بسبب تشابه الإسمين.

(٢) غاية الإختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار/ إبن زهرة الحسيني ص٥٦، ط١ بولاق مصر ١٣١٠هـ.

(٣) الصحيح هو شمس الدين أحمد كان ناظراً لرأس العين، وإبنه (محمد) شرف الدين كان سادناً للحسين عليه السلام، وذلك في العقد الأخير من القرن الثامن الهجري أيام دخول تيمورلنك العراق.

(٤) غاية الإختصار/ ص٥٥.

«هـؤلاء بيت ترجم قوم من علوية مشهد الحسين عليه السلام تولى النقابة به منهم جماعة، وكانت لهم بالمشهد المذكور والحلة الرياسة والوجاهة والتقدم والنيابة وأملاك نفيسة بشفاثا، وقد بقي منهم إلى يومنا هذا جماعة قليلة بالمشهد قد دخلوا طي الخمول وأناخ عليهم الفقر بكلاكله ومال غصنهم بعد النضارة إلى الذبول»[1].

(١) نفس المصدر/ ص٩٣.

الرحّالة إبن إياس وكربلاء

في السنوات الأولى من إحتلال الصفويين بغداد، قام الرحالة إبن إياس بزيارة كربلاء، وقد وصفها وأهلها بسوء، ولم نتمكن من تحديد السنة التي زار فيها كربلاء، فإنها قطعاً قبل سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م وذلك لأن زيارته هذه جاءت في كتابه الموسوم (**نشق الأزهار في عجائب الأمصار**) الذي إنتهى من تأليفه سنة ٩٢٢هـ. أمّا زيارته لكربلاء فكانت مؤكدة لأنها جاءت في كتابه.

وإبن إياس هو محمد بن أحمد بن إياس، مؤرخ ورحالة مصري، جاب الأمصار وكتب عنها وعن عجائبها. ولد سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م والمتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م.

وهو من مخضرمي الدولتين المملوكية والعثمانية، وقد أشتهر بكتابه (**تاريخ إبن إياس**) أو (**بدائع الزهور**)، وقد بدأ بكتابته سنة ٩٠١هـ، يقع تاريخ إبن إياس في ستة مجلدات، إلاّ أنه يمكن تقسيمه إلى قسمين كبيرين: القسم الأول الذي كان ينقل فيه إبن إياس عن المؤرخين السابقين، وهو التاريخ الذي يعتبر ماضياً بالنسبة لإبن إياس ولم يشهده، ثم القسم الثاني وهو الذي كان فيه إبن إياس شاهداً على عصره، يكتب مايراه وما يسمعه. وإنفرد إبن إياس بكتابة تاريخ مصر من واقع المشاهدة والمعاينة في فترة هامة فيما بين سنة ٩٠٢هـ حتى سنة ٩٢٨ هـ أي قبل وفاته بعامين..

ولإبـن إيـاس مؤلفات تاريخية منها كـان ينقل فيها عـن السابقين: (**مرج الزهور في وقائع الدهور**) في قصص الأنبياء. و(**نشق الأزهار في عجائب الأمصار**) في جغرافية مصر والعالم وتاريخ مصر الفرعونية، ومـن هـذا الكتاب دون ما

كتبه عن كربلاء. و(**نزهة الأمم في العجائب والحكم**) في تاريخ العالم.. وغيرها من المؤلفات..

يقول عن كربلاء عند زيارته إليها ما يلي: «**وهي بليدة صغيرة بأرض العراق وبها قتل الحسين بن الإمام علي رضي الله عنه تعالى وأهلها أهل شر وفتن وبها دفنت جثة الحسين رضي الله تعالى عنه ورحمه**»[1].

ولابد من وصف إبن إياس هذا لكربلاء إنه لاقى بعض المشاكل عند زيارته لكربلاء في وقت كانت فيه المدينة بل والبلد كلّه في حالة عدم إستقرار، وغياب الأمن نتيجة الحروب على السلطة وسيطرة العشائر على المدن وغياب الدور الحكومي.

وقد ذكر الرحّالة السيد عباس المكي في رحلته لكربلاء سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٩م إبن إياس هذا عند وصفه كربلاء وأهلها في كتابه (**نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**) في ج١ص٨٨ حيث قال:

«**ولا تلتفت إلى قول إبن إياس في نشق الأزهار، بأنهم من البخلاء الأشرار، فلله خرق العادة، فإنهم فوق ما أصف وزيادة..**»[2].

(١) نشق الأزهار في عجائب الأمصار/ محمد بن أحمد إبن إياس ص١٠٩.

(٢) راجع رحلة السيد عباس المكي الحسيني لكربلاء هذا الكتاب.

رحلة (مُطراقي زادَه) لكربلاء

صاحب الرحلة هو: **نصوح أفندي السلاحي إبن عبدالله قرة كوز، الشهير بمُطراقي زادة.**

مؤرخ ورحّالة ورياضي، أصله من **(البوسنة)** التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية. تقدم في الوظائف العسكرية، ومهر في فنون الفروسية حتى إكتسب لقبه **(المُطراقي)** وهو الدرع المغلف بالجلد الذي كان يستخدمه الفرسان إثناء القتال.

كان مطراقي زاده ماهراً في فنون الكتابة والحساب، ويمتلك ثقافة تأريخية وجغرافية واسعة، وفي الواقع أن مواهب نصوح المطراقي قد تنوعت بشكل مدهس، فهو مؤرخ متقن وفارس ماهر، وجغرافي واسع المعرفة، وشاعر بليغ، ومترجم ضليع، ومهندس عسكري بارع، ورسّام، ورياضي مصنف، وله في كل هذه الجوانب مؤلفات.

فقد ضُمّ إلى الخدمة **(كاتباً)** في قلم الديوان السلطاني الكبير، ورافق السلطان سليمان القانوني في معظم رحلاته العسكرية. ويظهر أن أمر براعته في التأليف والرسم قد إشتهر عهد ذاك حتى كُلّف بمهمة تسجيل وقائع الحملات العسكرية التي شارك فيها، وتزيينها بالصور الملونة التي تمثل المدن والقصبات التي مرّ بها الجيش أو التي فتحها، وكذلك المدن التي زارها السلطان فقد قام بالكتابة عنها ورسم أهم المشاهد فيها للتعريف عنها وثبيت مواقعها.

وفي الحملة الكبرى التي قادها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م لفتح العراق، كان بصحبة السلطان وقد قام بتدوين وقائع الحملة ورحلته مع السلطان بدءاً من إنطلاقها في القسطنطينية (**إسطنبول**) مروراً بكوتاهية، فقونية، فوان، في الأراضي العثمانية، ثم تبريز، فهمدان، فقصر شيرين، فبغداد، وصولاً إلى الحلة فالنجف، فكربلاء. وفي هذه الحملة تم إنهاء الحكم الصفوي الأول على العراق. ودخول البلد تحت حكم الدولة العثمانية لأول مرّة[1]. وقد دوّن المطراقي رحلته بكتاب سمّاه (**منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان**) والذي سنقوم بنقل رحلته إلى كربلاء منه.

فمطراقجي زار كربلاء في نهاية شهر جمادي الأولى من عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م بصحبة السلطان سليمان القانوني حيث دوّن في رحلته زيارته والسلطان سليمان إلى الحلة قادمين إليها من بغداد، ومن الحلة توجهوا إلى كربلاء فيقول المطراقي:

«**وفي مدينة (الحلة) المحروسة، زار السلطان مقام المنتظر وغاية المختبر خليفة الرحمن (محمد المهدي صاحب الزمان)، وكذلك مرضي الأوصاف والشمائل حضرة الشيخ أبو الفضائل**[2]**، وصاحب الميسرة والميمنة حضرة (السلطان حجيمه).**

وفي أرض (الكرب والبلاء) حيث يرقد صاحب القبة الخضراء في الجنة، وخاتم الخلفاء الراشدين عند أهل السنة، والصابر على البلاء والمحنة الشهيد في أرض

(١) كانت الدولة الصفوية في إيران قد إحتلت بغداد سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي وعندها تم القضاء على حكم دولة (الآق قوينلو) الخروف الأبيض، وأصبح العراق تابعاً للصفويين، وتقدم السلطان سليمان القانوني بعد أن إحتل تبريز أيام الشاه طهماسب الأول بن إسماعيل الصفوي وتوجه إلى بغداد وفتحها سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م. وفي سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م إحتل الشاه عباس الصفوي الكبير بغداد، ودام حكم الصفويين الثاني على العراق خمسة عشر عاماً وإنتهى بإحتلال السلطان مراد الرابع لبغداد سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م، ومنذ ذلك التأريخ خضع العراق لحكم العثمانيين إلى أن إحتل الإنكليز بغداد سنة ١٩١٧م.

(٢) يقصد به قبر الشيخ أبي الفضائل جمال الدين أحمد بن سعد الدين موسى بن جعفر، إبن طاووس الحسني العالم الفقيه المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م.

(كربلا)، الإمام المقتدى وإبن المرتضى (أبو عبدالله الحسين)، وكذلك مرقد سيد المجتهدين وسند المتعبدين (علي بن حسين زين العابدين)[1].

واللسان الناطق والأصل السابق، مقام الإمام (جعفر بن محمد الصادق)[2]**، وجميل الذات وكريم الصفات سيد الشهداء وسعد اللباس والمحمود عند الله والناس، إبن الإمام علي حضرة (العباس)، والمعتصم بعناية الله، الملك العاصم وسلطان الشهداء، حضرة (قاسم)**[3] **إبن الإمام المرتجى وسبط المصطفى وإبن المرتضى صاحب الجود والكرم والمنن (إبي محمد الحسن).**

والنورين الأزهرين الأنورين، درتي الصدفة النبوية ونجمتي بحر الفتوة، السيدين الشهيدين والمقتولين المظلومين (علي الأكبر وعلي الأصغر)[4] **ولدي (أبي عبدالله**

(١) نعتقد بانه كان يقصد علي الأكبر الشهيد مع والده في يوم كربلاء والمدفون عن الرجل في موضع قبر الإمام الحسين ومعه عبدالله الرضيع. والإمام زين العابدين دفن بالبقيع في المدينة المنوّرة.

(٢) مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقع في أراضي الجعفريات، وفي المنطقة المسماة حالياً بـ (الهيّابي). وشُيد (جهان ددة كلامي) هذا المقام خارج سور المدينة بإتجاه قرية الغاضرية، لأن المرويات عن الإمام الصادق عليه السلام تذكر بأنه عليه السلام كان ينزل الغاضرية عندما يأتي لزيارة قبر جدّه الإمام الحسين عليه السلام ومنها كان يتوجه نحو الشرق بعد أن يغتسل بماء النهر (فرع من الفرات الذي كان يمر من الجهة الشرقية للمرقد الشريف) وبعدها يتوجه لزيارة القبر. وقد أوقف أرض هذا المقام والي بغداد (مرجان) وهو نفسه الذي بنى المسجد ومنارة العبد في صحن الحسين أيام الجلائريين. ولا زال المقام قائماً لحد الآن. ويقع شمال المدينة القديمة.

(٣) القاسم بن الحسن دُفن في حفرة الشهداء بالقرب من قبر الإمام الحسين، وشُيّد له مقام في المخيم الحسيني على شكل غرفة تسمى بحجرة القاسم إستذكاراً ليوم عرسه. مع العلم ان المخيم الحسيني الحالي هو ليس المكان الذي خيّم فيه الإمام الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء، ولكن الموقع مستحدث بعد الواقعة بعدة قرون من الزمن ولا محل هنا للإطالة فيه، ويمكن الرجوع إلى كتابنا (كربلاء .. التاريخ والقداسة) ففيه التفصيل.

(٤) علي الأكبر هو أول من أستشهد من آل أبي طالب في واقعة كربلاء ودفن عند رجلي أبيه، أما علي الأصغر فهو الإمام زين العابدين المدفون في البقيع بالمدينة المنورة، والمقصود بولد الإمام الحسين الثاني هو عبدالله الرضيع المدفون بجنب علي الأكبر عند رجلي الإمام الحسين وليس علي الأصغر، وهنا أخطأ مطراقي في النقل.

الحسين)، وبر جبل المحسن المدفون في صحراء (كربلاء) أكرم أرباب السعد وأفخر أصحاب الشهد حضرة (حر الشهيد)[1].

ومن كربلاء وعندما أنهى السلطان سليمان القانوني زيارته لها بعد أن قام بأعمال جليلة للمدينة منها تقديمه هدايا ثمينة لحرم الحسين، وأمره بتعمير مرقده الشريف، حيث قرر تجديد بناء قبة المرقد، وكذلك المنارتين في الجهة القبلية منه بحيث لم تُمد لها يد الترميم منذ بنائهما في العهد الجلائري، وأمره بحفر نهر السليمانية (**الحسينية**).. توجه موكبه إلى مدينة النجف حيث مرقد الإمام علي عليه السلام.

لكن نصوح المطراقي صاحب الرحلة الذي يصاحب السلطان سليمان لم يذكر في تفاصيل رحلته الإعمال التي أمر بها السلطان عدا ما تقدم ذكره، وعن زيارته للنجف يقول: «**وكذلك المرقد الواقع في (بحر النجف) لجوهرة منجم (لا فتى) ومن بشأنه (هل أتى)**[2]، **قبلة العارفين وكعبة الطائفين وسلسلة المشايخ المتقدمين والمتأخرين، ومقتدى زهرة الأولياء والآخرين، وصاحب الكشف والإطعام وزائر بيت الله الحرام، العارف بأسرار الملكوت والواقف في أعلى مراتب القدس والجبروت، ونصل شجرة الولاية وفرع ثمرة النهاية، وفخر آل طه ويس إبن عم سيد المرسلين الشهيد السعيد وأسد الله الغالب (علي بن أبي طالب)**..»[3].

---

(١) هو الحر بن يزيد الرياحي التميمي، الذي جعجع بالإمام الحسين وبأمر من والي الكوفة عبيد الله بن زياد، ليبعده عن الكوفة، وعندما حلّ بكربلاء إنتقل من جيش أهل الكوفة إلى نصرة الإمام الحسين وقاتل دونه حتى قتل رضوان الله عليه، ولأنه من (تميم) وبنو تميم كانوا يستوطنون في ذلك الوقت البادية الغربية من كربلاء فقد نقلوا جثمانه ودفنوه في موضع قريب من تواجدهم.

(٢) (لا فتى) إشارة إلى حديث النبي ﷺ (لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ ذو الفقار). أمّا (هل أتى) فإشارة إلى سورة الإنسان، وآيتها الأولى (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا)، وقد جاء في (مجمع البيان في تفسير القرآن) ج٩ص٤٠٤، عن رواية إبن عباس ومجاهد وغيرهما، كما ذكر أبو الفضل الطبرسي بأن الآية الكريمة الثامنة (ويُطعمون الطعام على حُبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) من سورة الإنسان المباركة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم تسمى (فضة).

(٣) رحلة مطراقي زادة/ نصوح أفندي السلاحي الشهير بمطراقي زادة، المتوفى بعد عام ٩٥٨هـ=

وبعده زار مقام نبي الله آدم عليه السلام ومقامات أخرى.

والصور التالية هي الصور الأصلية الواردة في كتاب رحلة نصوح مطراقي، عبارة عن صفحات من كتابه (**منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان**) عن زيارته لكربلاء والنجف الأشرف:

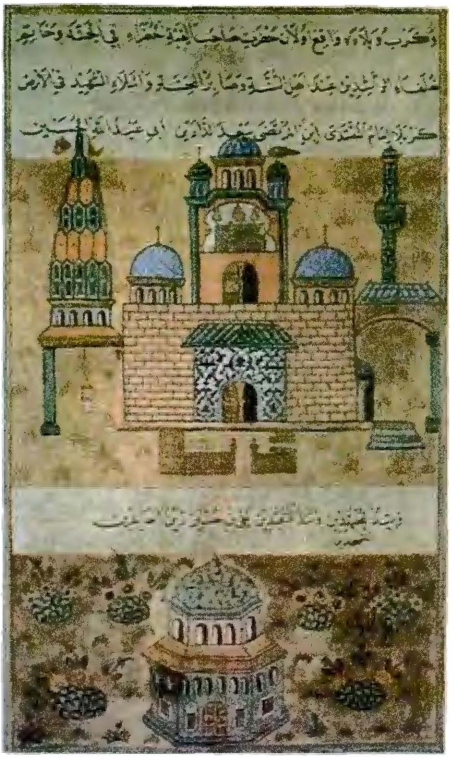

صورة رقم (٢) لمقام جعفر الصادق عليه السلام ومرقد العباس عليه السلام ومرقد القاسم ابن الحسن عليه السلام.

صورة رقم (١) برسم مطراقي لحرم الحسين عليه السلام وعلي زين العابدين عليه السلام

=ترجمة صبحي ناظم توفيق، تحقيق د عماد عبد السلام رؤوف ص٩٥ ـ ص٩٧. المطبوع في أبو ظبي سنة ٢٠٠٣. وأصل إسم الكتاب (منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان).

صورة رقم (٤) لمرقد الامام علي عليه السلام في النجف الاشرف. ومقام نبي الله ادم عليه السلام في النجف.

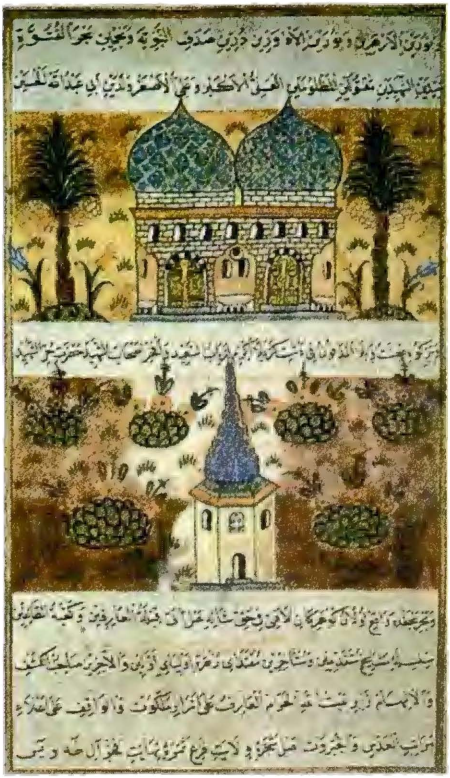

صورة رقم (٣) لقبري ولدي الامام الحسين عليه السلام علي الاكبر وعبد الله الرضيع عليه السلام. وقبر الحر الشهيد رضوان الله عليه.

رحلة القاضي نورالله الشوشتري إلى كربلاء

زار كربلاء في أواخر القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي القاضي نورالله الشوشتري **(التستري كما ورد في بعض المصادر)**، وقد وصف مدينة كربلاء بشكل يسير، وكانت رحلته بعد وفاة الشاعر فضولي، حيث إستشهد الشوشتري بشواهد شعرية منها رباعية الشاعر فضولي البغدادي.

والشوشتري هو: **نور الله بن عبدالله المرعشي الحسيني** المولود بـ **(شوشتر)** في إيران سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م والمتوفى سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م. رحل من إيران إلى الهند وتولى القضاء فيها وكان إمامي المذهب ولكنه يحكم على المذاهب الأربعة. له عدة مؤلفات منها مجالس المؤمنين، تذهيب الأحكام، الحسن والقبيح. ويقال بأنه أغتيل بسبب تأليفه كتاب **(إحقاق الحق)**.

جاء في كتاب بغية النبلاء في تاريخ كربلاء عن هذه الزيارة ما نصّه:

«وقد أكثر المتأخرون من وصفها (أي مدينة كربلاء) والإشادة بها. فكان ممن وصفها القاضي نورالله الشوشتري القرن العاشر وصفاً يسيراً في مجالسه (ص٢٥) بقوله:... والحال أن مشهد كربلاء من أعظم الأمصار ومجمع أخيار كل الديار، والماء العذب يجري في غدرانها. والبساتين الغنّاء تحيطها. وقد قيل في فضيلة تربة كربلاء وثواب زيارة المرقد المنوّر الحسيني روايات كثيرة ومعظمها صيغة[1] بصورة شعرية»[2].

(١) وردت في النص (صيغة) والصحيح (صيغت).

(٢) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء/ ص٢٠.

العالِم والقاضي (محيطي) يزور كربلاء

في كتاب تاريخ العراق بين إحتلالين ورد ما يخص الشاعر والمؤرخ والكاتب المشهور (**عهدي البغدادي**) الذي عُرف برحلته العلمية إلى إسطنبول (**كلشن شعرا**) المسماة (**تذكرة أرباب الصفا**). فقد جعل كتابه على شكل روضات أربع، وفي هذه الروضات ذكر قائمة بأسماء من ذكرهم مع بيان نتف يسيرة عنهم. ومن هؤلاء كتب عن محيطي.

يقول العزاوي في تاريخه عن محيطي ما نصّه:

«**محيطي.. من القضاة ولد في جزيرة رودس**[1]. **ودرس العلوم عن بوستان زادة محمد جلبي من الموالي العظام، تولى النيابة في الشام وأدرنة والإستانة أمداً طويلاً. وقد تقلب في مناصب شرعية حتى صار قاضي الفيلق. وله وقوف على العلوم العربية وشعر لطيف. وعُيّن إبنه أحمد أفندي دفترياً لبغداد سنة ٩٩٦هـ. ذهب لزيارة مشهد الحسين** رضي الله عنه **ونظم قصيدة في الغزل قدّمها للحضرة. شعره في الغزل معروف. ومقطعاته جميلة رقيقه، وله (فتح نامه) تتضمن وصف الحروب في الجبهة الشرقية. فكان ممن توطن بغداد**»[2].

---

(١) رودس جزيرة تقع في اليونان وبالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا في منتصف المسافة بين جزر اليونان وقبرص. وتعرف الجزيرة تاريخياً بكونها موقع تواجد (أبولو رودس) سابقاً، وهو من عجائب الدنيا السبع. كان يوجد في الجزيرة عام ٢٨٠ ق.م تمثال كبير من البرونز يبلغ إرتفاعه حوالي ٥٠ م، وهو عبارة عن فارس يحمل مشعلاً باليد اليسرى وقوس ونشّاب في اليد الأخرى، ماداً قدميه لتمر السفن البحرية بين قاعدته. وقد دمّر التمثال عام ٦٥ للميلاد نتيجة زلزال حدث في المنطقة. ويقال إن أهل مدينة رودس كانوا يضعون النار في عيون التمثال لتهتدي السفن في البحر. وجزيرة رودس اليوم من الجزر السياحية الجميلة في اليونان.

(٢) تاريخ العراق بين إحتلالين/ عباس العزاوي ج٤ص١٣٧.

ولـم يعرف تاريخ زيارته هذه[1]، ونعتقد إنها كانت في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري. وإن قصيدته الغزليه التي قدّمها للروضة الحسينية كانت في الغزل العرفاني، كما المتصوفة في أشعارهم.

(١) جاء في دائرة المعارف الحسينية/ تاريخ المراقد للشيخ محمد صادق الكرباسي ج٢ص٨٠ بأن زيارة محيطي إلى كربلاء كانت في سنة ٩٩٦هـ، وهذا غير صحيح بتاتاً، بل إن في هذا التاريخ تشير المصادر إلى تعيين إبنه احمد دفترياً في بغداد. كما أنه أشار إلى مصدرين في هامش رقم (٦) من نفس الصفحة، وعند مراجعتنا إلى المصدرين المذكورين في هامشه لم نجد فيهما ما يشير على الإطلاق لمحيطي، وهذه من الهفوات الكثيرة الموجودة في كتابه المنوّه عنه.

الرحّالة (بيدرو تكسيرا) في كربلاء

في يوم ٢٩ ربيع الثاني ١٠١٣هـ الموافق ٢٤ أيلول ١٦٠٤م حلَّ بكربلاء الرحّالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) في قافلة تضم بعض الأفراد من جماعته قادماً من مدينة النجف بعد أن زارها وبقي فيها عدة أيام.

وبيدرو تكسيرا رحّالة برتغالي ولد في الثلث الأخير من القرن السادس عشر الميلادي في البرتغال، وتوفي سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م، وكانت وفاته في البرازيل عندما كانت إحدى المستعمرات البرتغالية.

وكان السنيور تكسيرا من الرحّالة الذين جابوا البلاد وزاروا المناطق التي خضعت للإمبراطورية البرتغالية التي تمكنت من السيطرة وقتها على العديد من البلدان وإكتشفت الكثير منها، وكان لها أسطول بحري لايفوقه من ناحية العدد والقوة إسطول آخر في العالم[1] يوم ذاك. وهذا الأسطول كان مسيطراً على منطقة الخليج العربي وما يحيط بها من الأمصار والبلاد.

---

(١) مما يفخر به الإنسان العربي اليوم هو أن دولة (عُمان) وعاصمتها مسقط، تمكنت من بناء أسطول لها في الوقت الذي كان الإسطول البرتغالي يجوب البحار والمحيطات ولا يجاريه آخر، فكان العرب العمانيون قد طوّروا أساليب ووسائل الإبحار وإمتلكوا أدوات وإخترعوا الإسطرلاب وغيره وتمكنوا من بناء أسطول كبير جابوا به الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي وسيطروا على السواحل وبنوا لهم قلاع لازالت قائمة لحد الآن وخاصة في بلدان جنوب أفريقيا مثل الصومال وكينيا وغيرها، وكان التجار والبحارة العمانيون هم الذين أوجدوا ما يسمى باللغة السواحلية في أفريقيا والتي تشمل على الكثير من المفردات العربية. وهذا الأسطول العربي هو الأسطول الوحيد الذي تمكن من ان ينهي بالقوة تفوق الأسطول البرتغالي في البحار.

السادس عشر الميلادي)، لأن زيارته ووصفه لما كان في المدينة من النواحي العمرانية والدينية والعسكرية والإجتماعية والزراعية وغيرها من الأمور، يعني أن حالتها كانت تسير على المنوال الذي شاهده لما يقارب من القرن من الزمان قبل قدومه إلى كربلاء.

كان وصول تكسيرا وجماعته يوم الجمعة ٢٤ أيلول ١٦٠٤م، وقد نزل في أحد الخانات العامرة التي كان بناؤها يعد من الأعمال الخيرية التي يتم إنشائها من قِبل الحكومة او من المحسنين، فالزائرون عندما يفدون لزيارة كربلاء ومراقدها المقدسة ينزلون في الخانات المعدة لإيوائهم، في زمن لم تكن فيه محلات إيواء على منوال الفنادق الحالية قد أوجدت بعد، فالخانات هي التي تأخذ هذه المهمة.

والخانات في كربلاء على نوعين في ذلك الوقت، منها ما يدفع للأصحابها ومتسلميها مبالغ نقدية لقاء المبيت فيها والسكن للفترة التي يرغب الزائر بها، والنوع الآخر كان خانات عامة لإيواء الزائرين بدون أن يدفع لقاء الإقامة فيها أي مبلغ، ويبنى هذا النوع من قبل الدولة حينها بإسم الإمام الحسين عليه السلام، أو يتبرع ببنائها المحسنون من الأثرياء ويجعلونها وقفاً للحسين ليستفيد منها زواره، وهم يكسبون ثواب الدنيا والآخرة، وهذه الخانات كانت في مركز المدينة القديمة وقريبة من المرقدين[1]. وكان في أغلب الأحوال توفر الطعام المجاني

(١) في ذلك الوقت كانت الخانات هي التي تؤوي الوافدين لزيارة قبر الحسين وكذلك التجار الذين يعقدون صفقات تجارتهم في المدينة التي يدب دائماً فيها النشاط التجاري. وغالباً ما كانت الخانات تحوي على أماكن إيواء الحيوانات التي يركبها الزائرون او التي تتبع لقوافلهم، مثل الخيل والجمال والبغال، وإذا كانت أعدادها كبيرة فتربط في مرابط خاصة قرب أبواب المدينة وفي خارج السور وتهيأ لها كافة المستلزمات. وإذا تركنا الحديث عن الخانات هذه بشكليها فنجد حالات أخرى للإيواء منها أن مدينة كربلاء كانت تحتوي على الكثير من الدواوين التابعة لقبائلها وعشائرها العربية من العلويين وغير العلويين من سكان المدينة الأصليين، وكانت هذه الدواوين والمضافات مهيئة أيضاً لإستقبال الزائرين والوافدين على طريقة الكرم العربي التي كان يشتهر بها أهل المدينة القدماء ويفتخرون بذلك. وكانت هناك حالة أخرى لدى الفقراء والبسطاء من أهل المدينة الذين يعتاشون من خلال إستضافة الزائرين في منازلهم لقاء هدايا أو مبالغ رمزية، وتكثر هذه الحالة في أيام الزيارات=

للزائرين يقوم به الناس للحصول على المثوبة وهذه عادة قديمة جداً لدى الكربلائيين، ودليلنا على ما نذكره في هذا الصدد هو قول الرحالة إبن بطوطة الطنجي الذي زار كربلاء سنة ٧٢٦هـ، وفيما قال عن رحلته:... وفيها الطعام للشارد والوارد...

صورة لأحد الخانات القديمة في كربلاء

سمّى تكسيرا مدينة كربلاء بـ (**مشهد الحسين**)، وقال:

«مشهد الحسين بلدة تحتوي على أربعة آلاف بيت معظمها من البيوت الحقيرة. وكان سكانها من العرب، وبعض الإيرانيين، والأتراك، الذين كانوا يعينون للإشراف على المناطق المحيطة بها كذلك. لكن الأتراك كلهم كانوا قد إنسحبوا يومذاك إلى بغداد بسبب الحرب مع الإيرانيين فأدى إلى رحيل العجم عنها أيضاً لأنهم لم يعودوا يشعرون بالطمانينة والأمان».

= المخصوصة لمرقد الحسين حيث يدخل المدينة الآلاف من الزائرين. أما من يزور المدينة من طلبة العلم او رجال الدين فكانت المدارس الدينية المنتشرة في كربلاء هي المأوى المفضل لديهم.

ومن ثم أعطى تكسيرا وصفاً دقيقاً لما شاهده وهو يتجول في المدينة حيث قال:

«وقد كانت أسواقها مبنيّة بناءاً محكماً بالطابوق، وملأى بالحاجات والسلع التجارية لتردد الكثيرين من الناس عليها».

وعند وصفه للمدينة فيشير إلى الروضة الحسينية ويقول:

«وتوارد المسلمين لزيارتها (أي الروضة الحسينية) من جميع الجهات... وفي الروضة السقاة الذين كانوا يسقون الماء للناس في سبيل الله وطلباً للأجر، أو إحياءً لذكرى الإمام الشهيد الذي قتل عطشاناً في هذه البقعة من الأرض. وانهم يدورون بقربهم الجلدية الملأى بالماء، وهم يحملون بأيديهم طاسات النحاس الجميلة»[1].

ومن أهم الأمور التي أشار إليها تكسيرا ضمن مشاهداته في المدينة هي كثرة المواد التي يحتاجها الناس في حياتهم اليومية والمعاشية من مأكل وملبس وإستعمال يومي للإنسان حيث يشير إلى **«تيسّر الأرزاق ورخصها، وتوفر المأكولات والحبوب بكثرة مثل الحنطة والرز والشعير والفواكه والخضروات، واللحوم»**.

ويعزي ذلك كله إلى **«لطف الهواء فيها وكون الجو فيها أحسن منه في جميع الأماكن التي أتى على ذكرها من قبل»**. ويقول أنه **«وجد في كربلاء عدداً من الآبار العامة الحاوية على الماء العذب الجيد جداً وكثيراً من الأشجار، وبعض الفاكهة الأوربية (على حد تعبيره). وكانت الأراضي فيها تسقى من جدول**[2] **خاص يتفرّع من**

(١) للأسف الشديد أصبحت هذه الحالة وسيلة للتكسب والإرتزاق أشبه ما تكون بالشحاذة، وفي الخمسينات والستينات والى منتصف السبعينات من القرن العشرين كنا نشاهد هؤلاء السقايين يدورون في الصحنين الشريفين وهم يسألون الزائرين وبطريقة الإلحاح الفجة لكي (يسبّلوا) الماء بثواب الحسين أو العباس عليهما السلام لقاء مبلغ زهيد من النقود، وكان بعض الزائرين يعطي مبلغاً لجرة كاملة من الماء لتوزع على الزائرين. ولم يكن وجود للقرب وإنما السقاة كانوا يحملون الجرار الفخارية بدلاً من القرب.

(٢) يعني به نهر الحسينية الحالي الذي حفره السلطان سليمان القانوني قبل مجيئ تكسيرا بسبعين عاماً.

الفرات الذي يبعد عن البلـدة بثمانية فراسخ. وكان هناك بالإضافة إلى ذلك عدد كبير من الأغنام والماشية التي شاهدها ترعى في المراعي المحيطة بالبلدة. وفي نهايتها من جهة الفرات كانت هناك بركتان كبيرتان من الماء مربعتا الشكل أنشئتا للنزهة والتسلية وحولهما بعض الأبنية والملاجئ المؤقتة».

ونعتقد بـأن البركتين التي أشـار إليهما تكسيرا هي مواقع هـوري السيب والمالح الواقعين شرق مدينة كربلاء تتجمع فيهما زوائد مياه الأنهر التي تمر قريباً من كربلاء، وكذلك في أيام طغيان الفرات، ويمكن ان يكون قد إعتبرها اماكن للنزهة والتسلية لوجود بنايات واطلال قديمة حولها، وبقرب تلك الأهوار كانت قرى نينوى والنواويس وقد تكون الأطلال التي رآها هي لتلك القرى القديمة.

وهناك إحتمال آخر قد يكون صحيحاً أيضاً هو أن قصبة كربلاء القديمة والتي يدور حولها السور، كانت على هضبة (**كما شرحناه في جغرافية كربلاء في الجزء الأول من كتابنا (كربلاء.. التأريخ والقداسة)**، وذلك يعني أن مجرى نهر الحسينية كان يبعد عن السور بمسافة تقارب الكيلومتر، كما ان الضواحي خارج السور من الناحية الجنوبية المؤدية إلى طريق النجف كانت منخفضة وفي أيام الشتاء والفيضانات فتركبها المياه وتشبه حالة المستنقعات، وهـذا الواقع كان حاضراً أيام المحن والوقائع التي كانت تهاجم وتغزو فيها كربلاء من قبل القبائل وحتى جيوش الحكومة، وكـان يستفيد منها الأهالي لإعاقة تقدم المهاجمين عليهم من جهتها الجنوبية، وحتى مدحت باشا عندما عمد إلى تأسيس محلة جديدة في ذات المنطقة فقد قام بـردم المستنقعات، ومن ثم تخطيط الأرض وتقسيمها على شكل شـوارع منظمة وأراضـي سكنية، ولكن بقت المنطقة إلى يومنا هذا هي أخفض منسوباً من المدينة القديمة.

وبالرجوع إلى البركتين المشار إليهما، فقد تكون الحكومة أو الأهالي قد حفروا هاتين البركتين واحدة في الناحية الجنوبية مقابل (**باب النجف**) والثانية من الناحية الشرقية بإتجاه باب العلقمي وقد يكون تحديدها في منطقة (**الفسحة**) الحالية التي كانت قديماً خـارج السور، وربطوهما بقنوات تغذيهما من النهر

حتى تكونا قريبتين من سور المدينة وأبوابها ويسهل للسقائين جلب الماء منهما وتوزيعه على بيوت الأهالي وهو النظام المعمول به سابقاً، وقد يكون الناس قد زرعوا حولهما الأشجار فأصبحتا مكانا للتسلية والإنشراح لسكان المدينة الذين يعيشون في نظام الأزقة الضيقة التي تقع دورهم فيها، فكانت في ذلك الوقت متنفساً لهم.

وقد ذكر تكسيرا الأمير ناصر بن مهنا آل قشعم الذي كانت كربلاء والنجف خاضعة لحكمه يوم زارهما حيث يقول:

«ان كربلاء والنجف كانتا تخضعان إلى المير (الامير) ناصر المهنا الذي يطلق على نفسه لقب (ملك) وأنه كان تابعاً للأتراك الذين كانوا يغتصبون واردات الأراضي الممتدة في المنطقة كلها». ويقول تكسيرا بأنه **«شاهد بنفسه الأعراب التابعين للمير ناصر يبيعون في وضح النهار: خيول، وملابس، وأثاث، وأسلحة أربعة وثلاثين تركياً من رجال الحكومة التركية في كربلاء بعد ان قتلوهم وسلبوهم ما يملكون»**[1].

كما ذكر تكسيرا أنه **«وجد في الخان الذي نزل فيه أربعين (سگَمانياً)[2] مع ضابطهم الخاص، وكان الناس يخشونهم لأنهم كانوا متعودين على التجاوز على الناس في كل فرصة أو مناسبة، وكانوا من دون وجدان أو ضبط»**.

وجاء في موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء عن نهاية زيارة تكسيرا لمدينة كربلاء ما نصّه:

«وبعد إقامة ثمانية أيام في كربلاء توجه تكسيرا إلى بغداد مع القافلة في اليوم الثاني من تشرين الأول. فسلكت القافلة طريق الحسينية المعروف على ما يبدو وعبرت الفرات من مكان كان فيه خان حصين واسع الأرجاء بعد أن قضوا ليلتهم فيه. وقد تم العبور

(١) نعتقد بأن حادثة قتل الجنود الأتراك في كربلاء، التي ذكرها تكسيرا هي الحادثة التي تم فيها الهجوم على كربلاء من قبل الأمير ناصر بن مهنا وسيطرته على المدينة وإتخذها ديرته ومركز حكمه وكان ذلك عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، وهو وقت قريب من زيارة تكسيرا لكربلاء، والحادثة ذكرناها قبل زيارة تكسيرا هذه للمدينة.

(٢) السگمانيون هم من أفراد الجيش المحلي التابع للحكومة. ويبدو من كلام تكسيرا أنهم كانوا مختفين في الخان بعد ان أسقط ناصر المهنا الحكومة المحلية في كربلاء بمساعدة الأهالي.

بعبّارتين خاصتين تقاضى أصحابهما من أفراد القافلة (معدناً) واحداً عن الشخص الواحد أو الحمل الواحد، وهي عملة فضية تعادل في سعرها أحد عشر (ماقريدي) أو بنساً ونصفاً. وقد إستغرق عبور القافلة من طلوع الشمس حتى العاشرة زوالية قبل الظهر. وهو يقول إنهم وجدوا في الجهة المقابلة ما بين النهرين على حد تعبيره، خاناً كبيراً آخر يقوم في موقع مناسب على الفرات فوق أنقاض مدينة قديمة كانت تسمى (المسيب) على ما يقول. والظاهر أن بلدة المسيب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ (١٦٠٤) وتهدمت، ثم عادت إلى الوجود من جديد أو إنتقلت إلى مكانٍ ثانٍ. وقد كان يبدو للمناظر هناك بقايا سورها المحاط ببساتين وحقول يانعة تستمد ماءها من الفرات بواسطة (ماكنة خاصة تتألف من عدة قرب وتسحبها الثيران)»[1].

مما يتبين من رحلة تكسيرا إلى مدينة كربلاء وتثبيت مشاهداته ووصفه لما رآه وعايشه خلال ثمانية أيام، فقد أوصل لنا معلومات قيّمة عن كربلاء في ذلك الوقت، لم يسبقه أحد في مثل تلك التفاصيل، وقد أكد بأن مدينة كربلاء وضواحيها الخصبة كانت هي مصدر الغذاء من خلال ما كان يزرع حولها من مختلف المحاصيل الزراعية والفواكه والخضروات.

وقبل تكسيرا، فقد ذكرت الوثائق التي وجدت فيما بعد في كربلاء وخاصة فيما يخص الموقوفات للإمام الحسين عليه السلام من أراضي زراعية وبساتين، مثل وقفية الشيخ أمين الدين التي ذكرناها في الجزء الأول من كتابنا (**كربلاء.. التاريخ والقداسة**)، وكذلك وثائق الملكية الخاصة والموقوفات المثبتة لدى العديد من بيوتات وأسر كربلاء القديمة وأغلبها يذكر فيها ما يخص البساتين، وذلك يعني أن الواقع الزراعي حول كربلاء والتابع لها كان متميزاً في ذلك الزمان.

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء لجعفر الخليلي ص٢٨٤وص٢٨٥ عن بحث كتبه وترجمه الأستاذ جعفر الخياط للموسوعة بعنوان (كربلاء في المراجع الغربية).

وعلى ذكر مدينة المسيب من قِبَل الرحالة بيدرو تكسيرا ولأهميتها لكونها بالقرب من كربلاء، وهي في طريق الزائرين ومنطقة عبور نهر الفرات منها، وإرتباطها فيما بعد بأحداث كربلاء.. فنقول:

المسيب هي ليست من المدن التاريخية القديمة مثل بابل والنيل وبرس وبارسيبا وباروسما ونينوى وسورا وغيرها من المدن القديمة الأخرى، فمدينة المسيب مدينة حديثة التأسيس وهي من مدن المواصلات النهرية التي ذكرها لونكريك في كتابه أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، فكانت عبارة عن قرية تربط طريق

المواصلات للزائرين الذين يفدون إلى مدينة كربلاء حيث يعبرون نهر الفرات منها، وذكرها تكسيرا كما أوردناه سابقاً، وكان فيها خان لإستراحة الزائرين في صوبها الصغير وهو الخان الذي ذكره تكسيرا في رحلته، ولا أظن انها كانت مدينة وخربت ثم أعيد بناءها. وأهم موقع قديم كان بقربها هو قصر إبن هبيرة وأطلاله التي كانت بائنة في بداية القرن السابع عشر الميلادي.

وجاء في كتاب السِفر المُطَيب في تاريخ مدينة المسيب للعلامة الشيخ علي القسام الذي كان وكيل المرجع الديني السيد محسن الحكيم فيها.. فيقول:

«أن سبب تسميتها نسبتها إلى نهر السيب الذي كان يجري قرب الحلة وكان من ضمن طسوج سورى»[1].

أمّا المرحوم السيد عبد الرزاق الحسني فيقول في كتابه العراق قديماً وحديثاً: **«أن مدينة المسيب سميت بإسم (المسيب بن نجبة الفزاري) وقد أتخذت القرية التي سميت بإسمه مقراً للحركات الحربية»**[2].

والمُسيّب هذا هو من التوابين الذين ندموا على عدم نصرتهم للحسين عليه السلام مع سليمان بن صرد الخزاعي وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي وعبد الله بن وائل التميمي وغيرهم، والذين إستشهدوا في (عين الوردة) عندما

(١) السِفر المُطيّب في تاريخ مدينة المسيب/ العلامة الشيخ علي القسام ص١٥ طباعة النجف ١٩٧٤م.
(٢) العراق قديماً وحديثاً/ السيد عبد الرزاق الحسني ص١٤٧.

ذهبوا لمقاتلة جند الشام لأخذ الثأر على مقتل الحسين عليه السلام، وكان المُسيّب من أصحاب الإمام علي عليه السلام.

ويذكر الشيخ القسام في كتابه المشار إليه اعلاه ان المؤرخين وأصحاب المعاجم لم يذكروا المسيب، حيث قال ما نصه:

«.. ولم يذكروا مدينة بإسم المسيب وإنما شأنها الأول قرية لا تضم أكثر من ثلاثين أسرة تعيش في أكواخ من سعف النخيل وبيوت الطين وهي منزل من منازل القوافل ومرحلة من مراحل إستراحة المسافرين العابرين الطريق للعتبات المقدسة وغيرها، إتخذت لذلك لتوسطها بين بغداد وكربلاء وكانت الواسطة آنذاك في عبور النهر المار بها والذي يقسمها إلى جانبين، عبارة بأي نحو أتفق وليس فيها وسائل الإنتفاع يومذاك إلاّ نقل المسافرين من جانب إلى آخر وبيع بعض الحاجات الخفيفة الذي يحتاجها المسافر في طريقه. ويذكر أن اول جسر وضع على نهرها يصل بين جانبيها جسر خشبي متحرك كان في عهد داود باشا التركي والي بغداد سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨١٦م»[1].

مدينة المسيب اليوم تقع على مسافة تقارب ٣٢ كم عن كربلاء، ولأهلها إرتباط وثيق بمدينة كربلاء، وتحتل موقعاً من أجمل وأبدع مواقع المدن في العراق، وكانت في بعض الأدوار تابعة إدارياً لكربلاء، وهي الآن تابعة إلى محافظة بابل، ولكن بقي إرتباط أهاليها بمدينة كربلاء وثيقاً ومستمرا وهي أقرب إلى كربلاء من مدينة الحلة.

(١) السِفر المُطيّب في تاريخ مدينة المُسيّب/ ص١٩ وص٢٠.

الرحّالة (بيترو ديلا فاله) وزيارته لكربلاء وضواحيها

بيترو ديلافاله، نبيل من نبلاء إيطاليا، قام برحلة في بلدان الشرق ومنها العراق وذلك في الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي. وإستغرقت رحلته تسع سنوات من عام ١٦١٦م إلى عام ١٦٢٥م (**١٠٢٥هـ إلى ١٠٣٤هـ**).

فقد قَدِم للعراق من بلاد إيران بعد أن زار فيها آثار مدينة (**برسيبوليس**)[1]. فقد زار المناطق الأثرية في بابل وأور. ومن هاتين المدينتين أخذ معه آجراً مختوماً بالخط المسماري الغريب.

وعند زيارته إلى بابل عرّج على زيارة كربلاء ومنها إلى قصر الإخيضر، وكان أول شخص أوربي يزور بقايا موقع الإخيضر الشهير، وقد وصفه وصفاً دقيقاً.

ولم يصلنا عن زيارته لمدينة كربلاء أي وصف لها، عدا ما نقل عن رحلته لوصفه لموقع الإخيضر، وقد يكون قد مرّ بها مروراً وهو في طريقه إلى قصر الإخيضر، لأن إهتماماته كانت آثارية وليست لإستطلاع الحواضر.

---

(١) مدينة برسيبوليس.. هي عاصمة الدولة الأخمينية التي تأسست في بلاد فارس من عام ٥٥٠ ق م إلى عام ٣٣٠ ق م. وهي مدينة أثرية تبعد عن مدينة شيراز الإيرانية (٧٠) كم في شمالها الشرقي. وبرسيبوليس كلمة يونانية معناها المدينة الفارسية أو (مدينة الفرس). وتعرف اليوم بإسم (تَخْتِ جَمْشيد)، وتخت جمشيد تعني عرش جمشيد. وأقدم بقايا موقع مدينة برسيبوليس يعود تاريخه إلى عام ٥١٥ ق م، وهذا الموقع يُعرف عند الفرس القدماء بإسم (بارسه) والتي تعني مدينة الفرس. وفي عام ١٩٧٩م أعلنت منظمة اليونسكو أن برسيبوليس موقع من مواقع التراث العالمي.

وجاء ذكر رحلة ديلا فاله في كتاب مباحث عراقية ليعقوب سركيس[1]، حيث ذكر ديلافاله حديثاً عن الأمير ناصر بن مهنا، وقد أوردنا ذلك سابقاً عندما تحدثنا عن إمارة آل قشعم وأميرها.

ويعتقد أن زيارته هذه للإخيضر كانت في سنة ١٦١٦م (**سنة ١٠٢٥هـ**). وذلك حسب ما نقله الأستاذ (**يعقوب سركيس**) في مباحث عراقية بنص التاريخ الذي كتبه ديلا فاله عند مشاهدته للأمير ناصر في الرسالة السابعة عشرة المؤرخة في ١٠ كانون الأول ١٦١٦م، حيث كان يومها في منطقة بئر النص بين الحلة وبغداد. ويمكن أن يكون ديلافاله قد عاد إلى العراق مرة ثانية لأن طريق عودته إلى بلاده كان عن طريق البصرة حسب ما تذكره المصادر.

(١) مباحث عراقية/ يعقوب سركيس القسم الأول ص٩٣.

نظمي البغدادي في كربلاء

نظمي البغدادي هو والد مؤلف كلشن خلفا مرتضى نظمي زادة. ولد نظمي في ٤ رمضان سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م ببغداد. وقد مال في أول نشأته إلى المعارف كآبائه وأجداده فظهرت مواهبه وجالس العلماء والأدباء، وكان أديباً وشاعراً منذ الصغر، وكان كاتباً نحريراً، فقد أجاد في النظم والنثر. وهو إبن بنت عهدي البغدادي مؤلف (**كلشن شعرا**).

كان يعيش ببغداد في راحة ورغد من العيش، حتى كان من أمر بكر صوباشي وهجوم الصفويين على بغداد وإحتلالها سنة سنة ١٠٣٣هـ. وقد هرب من أعمال القتل والخراب التي أمر بها الشاه عباس الصفوي في بغداد، فهرب منها مع والدته وهو يرتدي زي الدراويش إلى كربلاء متخفياً عند أحد ساداتها، حتى لايعرف حاله، وبقي في كربلاء إلى سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م عندما قدم حافظ أحمد باشا لإسترداد بغداد من الصفويين في المحاولة الأولى، حيث دخل العثمانيون كربلاء لقطع الإمداد الصفوي عن بغداد من جنوبها، فإلتحق بالباشا ومدحه بقصيدة.

وعندما فشلت محاولة (**حافظ أحمد باشا**)، هرب نظمي زادة إلى (**الرها**)[1] وهناك عرفت له مكانته ونال مكانة سامية. وحدث له حادث فكسرت ساقه فلازم

(١) الرها... مدينة تاريخية في الجزيرة الفراتية، تقع الآن على الحدود السورية التركية. ومعناها بالسريانية (أورهي) وباليونانية إدّسا، وعرفت لاحقاً في العصور الكلاسيكية بإسمها الإغريقي إديسا وتعرف حالياً بإسم (أورفة) في تركيا. كانت عاصمة مملكة الرها وكان أهلها يتحدثون اللهجة =السريانية من اللغة الآرامية، ضمت إلى الإمبراطورية الرومانية سنة ٢١٢م، ثم أصبحت بعد إنتشار =

بيته وقرأ (**منظومة مجنون ليلى**) للشاعر فضولي البغدادي، فكتب رواية تباريها سمّاها (**ناز ونياز**).

عندما جاء السلطان مراد الرابع إلى الرها وهو في طريقه لإحتلال بغداد، مدحه بقصيدة وتمنى له السلامة والنصر. وفي سنة ١٠٥٣/ ١٦٤٣م عاد إلى بغداد مع اهله وولده فحصل على مكانة مرموقة ومناصب في كتابة الديوان.

وقبل وفاته بخمس سنوات تقريباً ترك الأعمال ولازم العبادة وقراءة القرآن إلى أن توفي سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.

جاء في تاريخ العراق بين إحتلالين عن نظمي البغدادي ما نصّه:

«.. **له اليد الطولى في النظم والنثر. كان فذّاً في الفارسية والعربية. يعد فريد عصره. وهو صاحب عرفان وزهد وسلوك مقبول، وتصوف مرغوب فيه، وله مساعٍ خيرية وأعمال فاضلة... وفي كل أحواله راعى القوانين الشرعية ولم يَحِدْ عنها**»[1].

وإثناء فترة مكوثه في مدينة كربلاء، فقد كتب الكثير عنها وعن مشاهداته فيها، وعن بعض الأسر والشخصيات التي عرفها بالمدينة وهو متخفي فيها، وكل ما كتبه عن مدينة كربلاء كان مدحاً لها ولأهلها الذين آووه.

=المسيحية فيها مركزاً دينياً وثقافياً هاما للمسيحية السريانية. تعاقب عليها البيزنطيون والفرس الساسانيون قبل ان يدخلها المسلمون صلحاً بقيادة عياض بن غنم سنة ٦٣٨م. أقام فيها الصليبيون كونتية الرها سنة ١١٩٨م التي إستمرت إلى أن إسترجعها منهم عماد الدين زنكي. دخلها العثمانيون سنة ١٥١٧م. ثم صارت بعد سقوط الدولة العثمانية جزءاً من تركيا.

(١) تاريخ العراق بين إحتلالين/ عباس العزاوي ج٥ ص٧١.

الرحّالة الفرنسي (تافرنييه) في ضواحي كربلاء

جان بابتيست تافرنييه رحالة فرنسي ولد في باريس سنة ١٦٠٥م وتوفي سنة ١٦٨٩م فإنه عاش أربعاً وثمانين عاماً، قضى منها في أسفاره العديدة زهاء ست وأربعين سنة قام خلالها بست رحلات زار فيها العديد من الدول وذكر المدن التي حلّ بها وأغلب رحلاته كانت إلى الشرق.

في رحلته السادسة التي قام بها من سنة ١٦٦٣ إلى سنة ١٦٦٨م وصف الطريق الذي سلكه من حلب إلى البصرة وهو الذي يقطع البادية الكبرى، لأن القوافل التي تقصد البصرة تسلك هذا الطريق.

وهو يدوّن مذكراته في رحلته هذه يذكر مشاهداته لمناطق تقع بالقرب من كربلاء، كان لها فيما بعد أهمية للباحثين عن الآثار الموجودة في صحراء كربلاء.

كانت القافلة التي سافر معها تافرنييه قد إحتاجت إلى الماء ولم تجده الاّ بعد تسعة أيام ونترك الرحالة يتحدث عن رحلته فيقول:

«.. والآن بعد أن رأى الكروان باشي (قائد القافلة) أننا سرنا تسعة أيام دون أن نجد في إثنائها ماء، رغب عن السفر جنوباً، وصمم على أن يأخذ طريقه نحو الغرب، فإن لم يصادف ماءً في خلال يومين أو ثلاثة، فإنه يغيّر طريقه لا محالة إلى الشمال الشرقي أي الشرق الشتائي، رغبة منه في الوصول إلى نهر الفرات. وبعد يومين من تغييرنا الطريق، إجتزنا بوادٍ بين تلين صغيرين، صادفنا فيه بركة ماء، كان على مقربة منها أعرابيان مع كل منهما إمرأته وأطفاله، وهما يرعيان قطيعين من المعز والغنم، وأخبرانا أنهما ذاهبان إلى

الموصل. وقد أرشدانا إلى أحسن السبل التي تتوفر فيها المياه. وفي الواقع، أننا من ذلك المكان حتى البصرة، لم نكن نسير ثلاثة أيام حتى نجد ما يكفينا من الماء»[1].

وصوله إلى قصر العطشان:

ومن خلال تدوينه رحلته يتبين لنا أنه إقترب من مدينة كربلاء عندما كان يواصل سيره في البادية مع القافلة التي كان من ضمنها. ويشير إلى أنه وصل إلى قصر كبير في الصحراء لم يذكر إسمه لجهله به ولكنه وصفه بدقة، ووصفه ينطبق كلياً على (**قصر العطشان**)، كما سيتبين لنا من الملحق الذي ورد في نهاية كتاب الرحلة عن المترجمين لها بعد أن نثبّت ما قاله:

«وبعد خمسة أيام من تركنا هذين الإعرابيين، إكتشفنا قصراً كبيراً مشيداً كلّه بالآجر. وفي هذا إحتمال على أن البقعة كانت تزرع في الماضي وان الآجر قد حُرق بالتبن. إن في هذا القصر ثلاث رحاب واسعة، في كل منها أبنية لطيفة ذات طابقين من الأقواس الواحد يعلو الآخر. ومع أن هذه البناية كانت لا تزال قائمة، فإننا لم نجد من يسكن فيها. هذا وأن الأعراب الذين يجهلون الآثار القديمة لم يكن بوسعهم أن يخبرونا عمن بناها. وأمام باب هذا القصر بركة لها قناة قاعها مرصوف بالطابوق وكذلك عقاداتها التي تستوي والأرض. ويعتقد الأعراب أن هذه القناة كانت تأتي بالماء من الفرات، ولكن هذا بعيد الإحتمال بالنظر إلى أن الفرات يبعد عن هذه البقعة نيفاً وعشرين فرسخاً»[2].

جاء في الملحق رقم في الكتاب المترجم عن رحلة تافرنييه ما نصّه:

قد يكون هذا القصر الكبير الذي إكتشفه تافرنييه «خان العطشان» وهو بناء قديم، ترى أطلاله ورسومه في البادية، غربي الفرات، على نحو من ثلاثين كيلومتراً من جنوب

(١) العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة تافرنييه/ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص٢٣.

(٢) المصدر السابق/ ص٢٤.

غربي كربلاء. وهو على حد وصف رحالتنا مبني بالآجر، ومازالت كثير من جدرانه وأقواسه وبعض عقاداته ترى إلى يومنا هذا، وإن كانت قد تشعثت وتصدعت. والذي نميل إليه، أن لهذا البناء صلة بالموقدة (الموجدة) وهو منار يبعد عنه مسيرة ساعتين إلى الشمال الغربي. إن هذه المباني التي ترى بقاياها منثورة في طف البادية، كانت فيما مضى مسالح ومعاقل وحصوناً ومناور للدولة الفارسية تقيها شر هجمات دولة الروم. وقد وصفت الآنسة جرترود بيل خان العطشان، وصفاً أثرياً دقيقاً في أحد كتبها. وعنيت بتخطيط البناء وتصوير بقاياه في اللوحات ٤٦ ٥٢ من كتابها. أما أصل البناء وتاريخه فلم تتطرق المؤلفة إلى ذكرهما[١].

وبعد ان غادر تافرنييه القصر (خان العطشان) يذكر وصوله إلى بلدة فيها مشهد علي (يعني بها مرقد الإمام عليّ عليه السلام وهي النجف) ويصفها، ويذكر بعض الأمور التي هي خارج نطاق بحثنا عن كربلاء، وددنا ذكرها لوجود بعض المعلومات التي نود أن يطلع عليها القارئ الكريم لما تطرّق إليه تافرنييه فيقول:

«ومن ذلك القصر، واصلنا سيرنا نحو الشمال الشرقي. وبعد أن تمادى بنا السير خمسة أيام إنتهينا إلى بلدة صغيرة كانت تدعى سابقاً الكوفة والآن تعرف بمشهد علي[٢]. حيث أن علياً صهر النبي محمد يرقد هناك في جامع فسيح. ويرى حول الضريح أربعة شمعدانات مضاءة، وقناديل فوق الرأس مدلاّة من السقف. ومع ان الفرس يكرمون علياً تكريماً بالغاً، فهم قلما يحجون إلى ضريحه، والسبب في ذلك هو أن الطريق التي يسلكونها قاصدين زيارة الضريح لابد ان تمر ببغداد، وهي تحت حكم السلطان العثماني.وعلى كل حاج حينذاك أن يدفع رسماً قدره ثمانية قروش، وهو أمر لم يكن

(١) المصدر السابق/ الملحق رقم (١) للمترجمان ص١٣٣.

(٢) قبر الإمام علي عليه السلام في النجف وليس في الكوفة، وتبعد الكوفة عن النجف ١٢كم. والمسافة بين القصر الكبير (خان العطشان) ومدينة النجف التي فيها ضريح الإمام علي عليه السلام لاتزيد عن مسير يوم واحد!!.

ملك فارس ليرتاح إليه. إن الشـاه عباس[1] كان يرى من المهانة أن تدفع رعيته مالاً إلى الترك، فعمد إلى صرفهم عن هذه الزيارة بغيرها، ذلك أنه عمّر مـزاراً في (مشهد) على الطـريق من تبريز إلى قندهار. ثم أن الملوك الذين خلفوه كانوا على غراره في عدم السماح لرعاياهم بزيارة الإمام عليّ، إذ يعتبرون الجزية للسلطان إمتهاناً لكرامتهم..»[2].

صورة تافرنييه بملابس فارسية منقولة من كتابه

(١) الشاه عباس الصفوي الكبير هو إبن الشاه محمد خدا بنده، وقد دام حكمه من سنة ٩٣٣ إلى سنة ١٠٣٧هـ (١٥٨٥ ١٦٢٨ م).

(٢) نعتقد بان بعض ما قاله تافرنييه فيه شيء من المبالغة.. لأن العراق كان من سنة ١٠٣٣هـ إلى سنة ١٠٤٨هـ أي ما يقارب (١٥) سنة تحت حكم الصفويين بعد أن إحتله الشاه عباس نفسه.

النسّابة الشهير ضامن إبن شدقم في كربلاء

هو السيد ضامن بن شدقم[1] بن زين الدين علي بن بدرالدين حسن النقيب بن حسين الشهيد بن علي بن شدقم بن ضامن بن محمد الحمزي الحسيني المدني من ذرية أبي القاسم الطاهرالمحدث بن يحيى النابه بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

كان إبن شدقم عالماً فاضلاً شاعراً أديباً كاتباً مشهوراً بعلمه في الأنساب وله كتاب مشهور بعنوان: «**تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب وحسب الأئمة الأطهار**». قال عنه صاحب الأعلام في ج٣ص٢١٣: «**ضامن بن شدقم بن علي بن حسن النقيب المدني: أديب إمامي: له علم بالأنساب. صنّف (تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار) نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم (٦٥٧)، ونسخة ثانية مجلدان، في مكتبة محمد رضا كاشف الغطاء، بالنجف**».

كما ذكره صاحب الذريعة العلامة أغا بزرگ الطهراني النجفي حيث قال «..**جدّه بدر الدين الحسن النقيب مؤلف (زهر الرياض) سنة ٩٢٢هـ الذي ينقل عنه السيد ضامن في كتابه (التحفة)**..».

وذكره السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة في عدة مواضع[2].

---

(١) جاء في (المنجد في اللغة) عن معنى الشَدْقَم ما نصّه: (الشَدْقَم والشُداقِم: الواسع الشِدْقَين. (ح): الأسد). هذا ما ذُكِر في المنجد. والمعروف لدى أصحاب اللغة بأن الشدقم هي الشفّة الغليضة، (البراطم) وعليه فإن الشدقم والشداقم تعني الواسع الشدقين أي واسع البراطم (المتدلية).

(٢) أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين ج٧ص٣٩٢ وج٣٦ص٣٠٤.

«ولد السيد ضامن بن شدقم في المدينة المنورّة، وقرأ على والده، ولمّا نشأ سافر إلى العراق وبلاد فارس (إيران حالياً) لطلب العلم فجمع بها انساب الطالبيين، وكان آخر خبر عن حياته في صفر سنة ١٠٩٠هـ بإصفهان. درس الفقه وغيره على السيد علي بن محمد بن جُوَيْبر الحسيني المدني. روى عن خاله السيد محسن بن حسن الشدقمي، وعن السيد عبد الرضا بن ىشمس الدين بن علي الحسيني نزيلى البصرة»[1].

زار السيد ضامن بن شدقم كربلاء سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م وإلتقى بالعلماء الأعلام فيها، وإتصل بساداتها وأشرافها، وذكر في كتابة تحفة الأزهـار عن إجتماعه بالسيد نعمة الله وذكر السيد طعمة الأول كمال الدين الذي كان سيداً جليلاً ومهاباً في الحائر ما نصّه:

«.. إلى عامنا هذا سنة سبع وثمانين وألـف في مشهد الحائر الحسيني عليه السلام إجتمعت بالسيد الحسيب نعمة الله[2] بن طعمة[3] بن علم الدين[4] بن طعمة[5] بن

---

(١) الروض المعطار في تشجير تحفة الأزهار/ كامل سلمان الجبوري ج١. والروض المعطار بأربعة اجزاء حققه الأستاذ كامل سلمان، ويعد هذا التحقيق هو الأفضل لكتاب التحفة لإبن شدقم، وقد حاز هذا التحقيق على الجائزة الأولى في طهران.

(٢) السيد نعمة الله هو إبن السيد طعمة (الثالث) بن علم الدين. والسيد نعمة الله المعني هو ليس نعمة الله بن يحيى ضياء الدين الذي يقال بأنه إستلم النقابة في كربلاء. والسيد نعمة الله الذي ذكره السيد ضامن بن شدقم قد أعقب السيد خليفة، وخليفة أعقب السيد يحيى ضياء الدين (وهو ليس الجد الأعلى لآل ضياء الدين ضوي من آل فائز في كربلاء)، ويحيى ضياء الدين أعقب ولدين هما السيد نعمة الله وهو جد السادة آل الوهاب من آل طعمة الفائزيين، والسيد أحمد وهو الجد الأعلى لأسرة آل طعمة الفائزيين وأولاده الأربعة الذين خرجت منهم أفخاذ آل طعمة وهم السادة مصطفى (جد بيت القطب وبيت فتح الله وبيت رزوق) وجواد ومحمد (جد آل الشروفي وآل خيمكَة) ودرويش (جد بيت الكليدار وبيت السعيد).

(٣) السيد طعمة وهو السيد طعمة الثالث الذي يتلقب السادة آل طعمة الحاليين في كربلاء بإسمه.

(٤) السيد علم الدين بن طعمة (الثاني) أعقب ثلاثة بنين جميل (جد السادة آل نصرالله) وحسن (جد السادة آل سيد أمين جلوخان الفائزيين)، وطعمة الثالث (جد السادة آل طعمة).

(٥) السيد طعمة هذا هو (طعمة الثاني) بن شرف الدين بن طعمة (الأول) كمال الدين.

شريف الدين[1] بن طعمة الكبير كمال الدين الفائزي الذي كان سيداً جليلاً مهاباً في الحائر يطعم الفقراء كثيراً ولذلك يقال لولده آل طعمة كمال الفائزي[2] سادات أجّلاء ذوو أهل ورياسة ونقابة وعظمة وجلال في الحائر».

وجاء في بغية النبلاء نصاً آخر مشابهاً للنص المذكور أعلاه وهو مكتوب بخط مؤلف بغية النبلاء وكما يلي:

«قال ضامن بن شدقم الحسيني المدني في المجلد الثالث من (**تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار**) عند ذكره لعقب تاج الدين إبراهيم المجاب عند ذكره لطعمة (**السيد طعمة الأول**):

«وفي نسخة أخرى أن طعمة هو إبن أبي جعفر أحمد أبو طراس المذكور من غير واسطة والله تعالى أعلم، ويقال لولده آل طعمة سادات أجلاء ذو اهل ورياسة ونقابة وعظمة وجلالة بالحائر»[3].

ومما يؤكد زيارة السيد ضامن بن شدقم إلى كربلاء في التاريخ الذي ذكرناه، هو ما أورده الشيخ يوسف كركوش في كتابه تاريخ الحلة عند الحديث عن السيد

---

(١) شريف الدين والأصح هو السيد شرف الدين (نقيب الأشراف) بن السيد طعمة الأول كمال الدين (نقيب الأشراف). وشرف الدين هو والد السيد مساعد (جد السادة آل عوج الفائزيين). كما أن شرف الدين هو جد السيد ضياء الدين (نقيب الأشراف) الجد الأعلى للسادة (آل ضياء الدين) وهو ضياء الدين بن يحيى (نقيب الأشراف) بن شرف الدين.

(٢) السيد طعمة كمال الدين الفائزي ويطلق عليه (طعمة الأول) وهو (نقيب الأشراف) بن أبي جعفر أحمد بن يحيى ضياء الدين بن أبي جعفر محمد بن السيد أحمد شمس الدين (ناظر رأس العين) ويطلق عليه العامة (أحمد بن هاشم) بن السيد أبي الفائز محمد (الذي سُمّيت قبيلة آل فائز بإسمه). والسادة آل طعمة الحاليين في كربلاء يتلقبون بهذا الإسم من السيد (طعمة الثالث بن علم الدين) وليس بإسم (طعمة الثاني) او طعمة كمال الدين (طعمة الأول) كما يحلو للبعض أن يطلق ذلك حتى يتبادر للبعض إن جميع عشائر آل فائز هم من آل طعمة!!. فآل طعمة الحاليين في كربلاء هي إحدى الأسر الفائزية كآل نصرالله وآل ضياء الدين وآل مساعد (عوج) وآل التاجر وآل سيد أمين (جلوخان) وآل قفطون وغيرهم.

(٣) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء/ ص١٣٤.

حسن بن يحيى الأعرجي[1] حيث إلتقى به السيد بن شدقم في كربلاء، حيث قال الكركوشي:

«**ذكره السيد ضامن بن شدقم في تحفة الأزهار، وعبّر عنه بالسيد الجليل النبيل، وقال إنه إجتمع به في شهر رجب سنة ١٠٨٧ في حائر الحسين عليه السلام**»[2].

وفي كتابه تحفة الأزهار كتب إبن شدقم الكثير عن لقاءاته في كربلاء واثبت المشجرات النسبية للعلويين فيها.

ومن مؤلفاته النسبية هي: تحفة الأزهار الذي تم ذكره سابقاً، وكتاب لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب، وكتاب زهرة الأنوار في نسب الأئمة الأطهار.

(١) من علماء وشعراء الحلة، كان من المشهورين في زمانه وكان والده من العلماء والشعراء المعروفين بالحلة في زمانه.

(٢) تاريخ الحلة/ الشيخ يوسف كركوش ج٢ص١١٧.

الرحّالة عباس المكي يزور كربلاء

زار مدينة كربلاء ومرقد الإمام الحسين عليه السلام العالم والأديب والشاعر الرحّالة **عباس بن علي بن نور الدين حيدر**[1] **المكي الموسوي الحسيني** في السادس من ربيع الأول سنة ١١٣١هـ/ الموافق لسنة ١٧١٩م. ومكث في كربلاء شهرين وغادرها إلى بغداد ثم إلى إصفهان.

كان عالماً فاضلاً وشاعراً فصيحاً، وله عدة مؤلفات منها (**نزهة الجليس ومنية الأديب الانيس**) الذي ذكر فيه رحلته التي تضمنت مكوثه في كربلاء شهرين. كذلك كتاب (**الأزهار الناظرة في أخبار الأولين والآخرين**) وغيرها.

كان العلامّة السيد نصرالله الحائري الفائزي (**مدرّس الطف**) قد ذهب لحج بيت الله الحرام في موسم عام (**١١٣٠هـ**) بصحبة والده السيد حسين بن علي بن يونس بن جميل بن علم الدين، وفي مكة إلتقى به العلامّة عباس المكي وأخذ عنه الرواية وإعتبر السيد نصرالله الفائزي إستاذه، حيث ذكر ذلك في كتابه (**نزهة الجليس**) عندما قال:

«**ظفرت بجهينة الأخبار، ونادرة الفلك الدوّار، من هو من غير الفضائل والمكارم برى، مولانا أبي الفتح السيد نصرالله بن حسين الحسيني الحائري، فأنشدني لسان الحال على سبيل الإستعجال:**

ظفرت بالكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فإغترفِ

---

(١) في مصادر أخرى هو عباس بن علي بن علي بن علي بن حسين العاملي المدني المكي الموسوي الحسيني، المولود في مكة سنة ١١١٠ هـ والمتوفى سنة ١١٨٠هـ. ونشك في صحة سنة مولده.

فساقني بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين وناولني راية الأدب

فتناولها عرابة فكر باليمين:

ومن كان الهزار له دليلا يمرُّ به على ورد نضيدِ

فإشتغلت بالطلب لديه أسدل الله ستره الضافي عليه، ففتح الفتاح ومنح، وجاد لي الوقت ببغيتي ونلت الأدب بعون رب الملأ وإن كان قد إنقضى زمانه فلا ولا، وكان إجتماعي به بمكة المشرفة أعفى الله قدره السامي وشرفه عام ألف ومائة وثلاثين من هجرة خاتم النبيين».

ومن كلامه هذا نستشف بأن السيد نصرالله الفائزي قد أثّر في العلامة السيد عباس المكي، وقد يكون هو الذي فتح له الرغبة في زيارة العراق وخاصة كربلاء التي هي موطن السيد نصرالله الفائزي، بدليل إنه عندما قدم إلى العراق كان قدومه مع قافلة الحجاج العراقيين وفيها السيد نصرالله والتي كانت بقيادة أمير الحاج يومذاك (يوسف باشا) حاكم الحلة حيث غادر مكة عصر يوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١١٣٠هـ وهو (يوم الغدير).

وصف المكي المدن التي مرّ بها والمنازل في طرق مكة بإتجاه العراق إلى أن وصل إلى مدينة النجف التي بقي فيها عدة أيام زار مشهد الإمام علي عليه السلام حيث غادرها في اليوم الرابع من ربيع الأول سنة ١١٣١هـ متوجهاً إلى كربلاء.

جاء في كتابه (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) مايلي عن زيارته لكربلاء:

.. لما أسفر الصباح عن وجه الهنا والإنشراح، رابع ربيع الأول عام ألف ومائة وأحد وثلاثين من هجرة النبي المرسل، توكلنا على الرب العلي، ورحلنا من مشهد علي، قاصدين زيارة الشهيد المبتلى، المدفون بكربلا، الحسين بن علي ومن معه من الشهداء الصابرين.

ففي خامس الشهر المذكور، أتينا على موضع يقال له الخان الأخير، ومررنا في طريقنا بقبر النبي ذي الكفل فزرنا وبلغنا المرام. وفي سادس الشهر، دخلنا أرض

الحائر، مشهد الحسين الطاهر سلام الله عليه، وعلى أخيه، وعلى جده وابيه، وأمه سائر مواليه ومحبيه:

لله أيـــام مـضـت بـكـربـلا مـحـروسـة مـن كـل كـرب وبـلا
بمشهد الطهر الحسين ذي العلا ونسل خير الخلق من كل البلا
فحفّني بجوده تفضلا ونلت ما كنت له مؤملا
من زاره بالصدق فيه والولا يعود مجبوراً بلا شك ولا

وذكر مقاطع من إرجوزة محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة، وكتاب أمل الآمل، المتوفى في ٢١ رمضان سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م.

ويستمر في تدوين زيارته حيث يقول:

فتشرفت والحمد لله بالزيارة، ولاح لي من جنابه الشريف إشارة، فإنّي قصدته لحال، وما كل يعلم يقال.

وقرت عيني بزيارة الشهيد علي الأصغر، إبن مولانا الحسين الشهيد الأكبر، وزيارة سيدي الشهيد العباس بن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

وأمّا ضريح سيدي الحسين، فيه جملة قناديل من الورق[1] المرصع والعين[2]، ما يبهت العين. ومن أنواع الجواهر الثمينة، ما يساوي خراج مدينة. وأغلب ذلك من ملوك العجم. وعلى رأسه الشريف، قنديل من الذهب الأحمر، يبلغ وزنه منّين[3] بل أكثر. وقد عليه قبة رفيعة السماك، متصلة بالأفلاك. وبناؤها عجيب، صنعة حكيم لبيب.

وقد أقمت شهرين، بمشهد مولاي الحسين، بلدة من كل المكاره جُنّة كأنها من رياض الجنة. نخيلها باسقات، وماؤها عذب زلال من شط الفرات. وأقمارها مبدرة، وأنوارها مسفرة، ووجوه قطانها ضاحكة مستبشرة.

---

(١) الورق.. تعني الفضة.

(٢) العين.. تعني الذهب.

(٣) المن.. من الأوزان، والمن العراقي مقداره (٢٥) كغم.

وقصورها كغرف من الجنان مصنوعة، فيها سُرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، وفواكهها مختلفة الألوان. وأطيارها تسبّح الرحمن على الأغصان. وبساتينها مشرقة بأنوار الورود والزهور، وعرف ترابها كالمسك ولونه كالكافور[1].

وأهلها كرام أماثل، ليس لهم في عصرهم مماثل، لم تلق فيهم إلاّ غير عزيز جليل، ورئيس صاحب خلْق وخُلُق جميل، وعالم فاضل، وماجد عادل. يحبون الغريب، ويصلونه من برهم وبُرّهم بأوفر نصيب.

ولا تلتفت إلى قول إبن إياس في نشق الأزهار[2]، بأنهم من البخلاء الأشرار، فلله خرق العادة، فإنهم فوق ما أصف وزيادة:

هينون لينون أيسار ذوو كرم سواس مكرمة أبناء أيسار
إن يسألوا الحق يعطوه وإن خبروا في الجهد أدرك منهم طيب أخبار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بإكثار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ولا يعد ثنا خزي ولا عار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وإجتمعت بالرئيس المعظم، والعظيم المفخم، ذي الشرف الباذخ والفخر الوضاح، مولانا السيد حسين الكليدار[3]، يعني (حامل المفتاح). وبأخيه الشهم النجيب الكريم، النبيل العظيم، مولانا السيد مرتضى حماه الله تعالى من حوادث القضا. وبالعالم العلامة، الحبر النحرير الرحلة الفهامة، في الوصف الجميل والذكر الحسن، مولانا الفاضل أبو الحسن. فجمع بيني وبين الأمير المظفر، والشجاع الغضنفر، البحر الغطمطم، الأسد الغشمشم، بحر الإحسان ومعدن الكرم الأمير حسين أوغلي بيك

(١) أي أبيض اللون.

(٢) إبن إياس.. هو محمد بن أحمد بن إياس صاحب كتاب (نشق الأزهار في عجائب الأمصار) الذي ألّفه سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، وكان رحّالة وقد زار كربلاء وكتب مالا يليق بها وبأهلها، وقد ذكرنا رحلته في هذا الكتاب.

(٣) كان السيد حسين سادناً (كليدار) لمرقد الإمام الحسين عليه السلام من سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م إلى سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م.

إيشك أغاسي باشي حرم سلطان العجم. وكان قد إستأذن من السلطان في ذلك العام، ان يسير إلى العراق لزيارة الأئمة أعلام الهدى ومصابيح الظلام. وهذا الأمير من أكابر أمراء إصفهان. وهذا الخطاب الذي هو خطاب لرئيس الحجاب على أبواب حريم السلطان، فأشار على ذلك الأمير المنصور المعان، بالمسير صحبته إلى دار السلطنة إصفهان، لكي يجمعني بالشاه حسين السلطان فلمّا تبسّم ثغر الصباح، وتغنى القمري على الأغصان وصاح، عن رابع جماد الأول، عام ألف ومائة وأحد وثلاثين من هجرة النبي المكمل، رحلنا من كربلاء مشهد الحسين زين العباد، إلى دار الخلافة بغداد[1].

(١) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء من ص١٤١ إلى ص١٤٧ عن كتاب نزهة الجليس ومنية الأديب النفيس، للسيد عباس الموسوي الحسيني المكي طبعة مصر سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، الجزء الأول في الصفحات من ٨٤ إلى ٨٨ وفي الصفحة ١١٢.

رحلة الشيخ مصطفى الصدّيقي الخلوتي الدمشقي لكربلاء

في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م زار كربلاء أحد كبار مشايخ الصوفية، وهو العالم الشيخ **مصطفى كمال الدين البكري الصدّيقي الدمشقي الخلوتي**. المولود في دمشق سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م والمتوفى فيها سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م.

الشيخ مصطفى كمال الدين الملقّب بالبكري الصديقي نسبة إلى رجوع نسَبه إلى الخليفة أبي بكر الصديق، والدمشقي لأنه ولد في دمشق. وأصبح من علماء دمشق وسلك طريق التصوف على كبار مشايخ الصوفية. وكانت له مؤلفات عديدة حيث يقول محقق (**رحلته العراقية**) والمعلق عليها السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني الحسني القادري البغدادي:

«وقد بلغت كتبه ورسائله أكثر من مئتي مصنف، منها ستون مصنفاً أحزاباً وأوراداً، وله إثنتا عشرة مقامة، وإثنتا عشرة رحلة، وسبعة دواوين شعرية، وتسع أراجيز في علوم الطريقة وغيرها الكثير».

كان قد إشتهر برحلاته إلى العديد من البلدان، ومن خلال سمعته الطيبة وأخباره التي كانت تسبقه، فكان الناس يسارعون في إستقباله وضيافته وخاصة في رحلته إلى العراق المخصصة لزيارة المشاهد المقدسة والأضرحة الشريفة، وكانت رحلته إلى العراق قد إستغرقت أربعة عشر شهراً منها إثنا عشر شهراً داخل العراق تقريباً. إبتدأها من تركيا حيث غادرها في ٣ محرم ١١٣٩هـ الموافق ٣ أيلول ١٧٢٦م، فوصل حلب ومنها إلى الموصل ثم بغداد، ومنها غادر إلى البصرة ثم رجع منها إلى الحلة التي إتخذ منها مستقراً ليزور ما حولها من المراقد

المقدسة، ومن الحلة توجه إلى كربلاء والنجف وعاد إليها ومنها غادر إلى بغداد التي رحل عنها متوجهاً إلى الموصل عن طريق كركوك، وقد غادر الموصل في أول ربيع الأول سنة ١١٤٠هـ ١٧٢٨م عائداً إلى بلده، وسميت رحلته العراقية هذه بـ «**كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان**».

كانت زيارته إلى كربلاء في أواخر شهر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة سنة ١١٣٩هـ، حيث غادر الحلة إلى الهندية ومن ثم كربلاء ورجع إلى الحلة حيث يقول في رحلته:

«**وجاءنا يوم السبت جناب الشيخ إسماعيل المفتي في الحلة، المعدود في زمرة الفضلاء الأجلاء، وتذاكرنا معه ما حَلَّ بأرض العجم من قبل الروم**[1].

ودعا يوم الأحد الصديق، الشيخ محمد المسمى بالعاني، فأجبناه، فلمّا تم بنا المجلس المحبور، ورد علينا المفتي المذكور.. فإن الشيخ إسماعيل صحب معه تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام.. ثم حضر ذلك المجلس سليمان الموفق إبن عبدالله، تابع علي أغا السلحدار، فتيسرت بسببه دواب الزيارة الحسينية.

فذهبنا صحبته بعد العصر إلى الهندية، وبتنا في تلك البرية، وسرنا في الصباح إلى المشهد الحسيني، ولقد أنشدت لما بدت لعيني هاتيك القباب اللامعة:

لحمى جدي الحسن والحسين ... جئت أسعى له على عين وعين
سيد جده إمام البرايا ... أفضل الخلق ملجأ الخافقين
وأبوه مولى الأنام جميعاً ... وأخوه ذو قدوة الثقلين
وأمه بضعة النبي المفدى ... عمّه جعفر سنا النيرين

ثم أتينا تكية الحاج خنكار بكتاش ولي[2]**، فتلقانا شيخها إسماعيل ددة**[3]**، بالترحيب بلغه الله مراده، وأنزلنا داخل التكية.**

(١) يقصد بأرض العجم (إيران) والروم بـ (الأتراك) العثمانيين.

(٢) هي التكية البكتاشية الصوفية الموجودة في الروضة الحسينية، ولكون الشيخ مصطفى الصديقي هو من المتصوفة فقد كان ضيفاً على التكية المذكورة وكان فيها مقامه في كربلاء.

(٣) إسماعيل ددة، هو متولي التكية البكتاشية حينها.

ثم إنّا بعد أن توضأنا قصدنا زيارة السيد العظيم والسند الأفخم، فزرنا تلك الروضة الجنانية، وكان مقامنا عند الأقدام الشريفة، لدى مقام الشهداء أولي المراتب المنيفة.

ثم إنّا في اليوم الثاني قصدنا زيارة العباس نجل الإمام علي، طيب الأنفاس.

وقصدنا بعد أيام زيارة الحر، الشهيد المقدام، وحصل لنا عنده حظ تام، للروحانية التي عايناها في ذلك المقام.

ثم منه صرنا إلى الحمى خيمكة[1].. ثم إنا ترددنا على تلك البقعة المباركة، لما رأينا لها بركة.

ودعانا علي أغا لداره مراراً. والدادا إسماعيل.. يزيد في الصدق بالمحبة وصفاء الشرب، وتابعه رضا.. وباقي الخدم كانوا معنا على أثبت قدم.

ولقد جاءنا أحد أدباء شعراء المشهد، الذين لهم حسن أدبهم بالمعرفة يشهد، السيد نصرالله إبن السيد حسين الموسوي الحائري الملقّب بالصفي.. وطلب رسالة العرب والعرائس المؤذنة بالطرب[2]، والمقامة الرومية، ثم أخذ كراريس الرحلة العراقية، وأوقفني على رسالة له سمّاها النشوة من روضة القهوة[3]، جعلها في وصف

---

(١) خيمكة.. هي موقع المخيم الحسيني الحالي الواقع حينها خارج سور المدينة في جهتها الجنوبية الغربية، وكان عبد المؤمن دده هو الذي أسس هذا المخيم ليرمز إلى المكان الذي خيّم فيه الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن هو المكان الصحيح وإنما أتخذ رمزاً. وذكر الصديقي للمخيم في زيارته هو دحض للرأي القائل أنه المكان الذي خيّم فيه نادر شاه ثم جعل رمزاً وإن المخيم قائم قبل مجيء نادر شاه لكربلاء.

(٢) يقصد به كتاب الشيخ مصطفى الصديقي (المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب) كما ورد في هامش المحقق رقم من ص١١٦ من كتاب الرحلة العراقية.

(٣) للسيد نصرالله الفائزي الحائري رسالة في القهوة وقد أورد في ديوانه العديد من المقطوعات والأبيات الشعرية عن القهوة منها:

سليلة البن صدالتي نشرها ... يهزأ بالعنبر فوق الضرام

في القدح المبيض لاحت لنا ... فأذكرتنا عهد (حام وسام)

وله في القهوة أيضاً:

لقد قالت السودا إبنة البنّ جهرة ... وقد حُسدت في لثم ثغر الرشا الأحوى

صبرت على حرق ودَقٍ لأجل ذا ... بلغت المنى في لثم ثغر الذي أهوى

القهوتين، ثم جائني برحلته المكية[1] التي تكحل عين الأدب إكحالها السبكية. وديوان أدبه السحر.

وعدنا إلى الحلة يوم السبت.. ونزلنا المدرسة الزينبية ثانياً[2]، ونوينا على زيارة المشهد العلوي، كما عزمنا في الأول، فرأينا شمّر وزبيد قد قاربا للتوافق في القتال[3] ولم يستحسن بعض الأصحاب توجهنا خوفاً من تعدي فبقي القلب متلهفاً على زيارة مرقده السامي[4].. ولما عزمنا على المسير إلى دار السلام، توجهت إلى القبلة مع من حضر من إخواننا الكرام وأهديت إلى جنابه الرفيع الفاتحة»[5].

من هذه الرحلة يتبيّن أن الشيخ العالم مصطفى كمال الدين البكري الصديقي الخلوتي الدمشقي، كان قد زار كربلاء وإلتقى بدايةً بمتولي التكية البكتاشية الذي إستضافه في التكية مدة زيارته إلى كربلاء التي إستغرقت عدة أيّام، وقد ذكر في رحلته بعض أسماء الذين أشرفوا على إستضافته وخدمته.

---

(١) الرحلة المكية.. هي تدوين لذهاب السيد نصرالله الفائزي إلى حج بيت الله الحرام بصحبة والده السيد حسين، والتي إلتقى في موسم الحج بالسيد عباس المكي الذي صحبه إلى العراق عند عودته من الحج.

(٢) المدرسة الزينبية في الحلة كانت محل إقامة الشيخ الصديقي عند إستقراره في الحلة.

(٣) أن رحلة الشيخ مصطفى الصديقي إلى مناطق جنوب ووسط العراق كانت في الفترة التي نشبت فيها الحروب بين العشائر العربية العراقية والحكومة العثمانية بقيادة والي بغداد حسن باشا ثم إبنه أحمد باشا. وقد ذكرنا ذلك سابقاً حيث تكون حلف عشائري سمي بـ (حلف ذي الكفل) من شمّر وبني لام وساعدة والشبل وغيرهم لمقاتلة الحكومة، فقطعت الطرق وأثارت الفوضى فقاتلتهم الحكومة وكسرتهم، ولكن شمّر جمعت قواها وكُسِروا ثانية.

(٤) كان قد زار مرقد الإمام علي عليه السلام في يوم الأربعاء السابع عشر من شهر ربيع الثاني، كما جاء في ص٢٦ من الرحلة العراقية. وكان يريد زيارته للمرة الثانية ولم يوفق.

(٥) الرحلة العراقية (كشط الصدأ وغسل الرّان في زيارة العراق وما والاها من البلدان) للشيخ مصطفى الصدّيقي الخلوتي الدمشقي المتوفى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م، وهو رحلة للأولياء والصالحين في مدن المسلمين/ تحقيق وتعليق السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني، ص١١٤ ١١٧. ط١ بيروت دار الكتب العلمية، سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

وما كان لقاءه بالسيد نصرالله الفائزي إلاّ كونه شخصية علمية معروفة وصلت أخباره إلى كربلاء قبل مجيئه إليها، ويتبين ذلك من طلب السيد نصرالله لأحد مؤلفاته، ويومها عندما يزوره السيد نصرالله وهو كبير علماء زمانه في كربلاء يشير إلى علو قدر صاحب الرحلة.

فردريك الخامس ملك الدنمارك سنة ١٧٦٠م وكان هدف الرحلة كتابة تقرير علمي وإجتماعي شامل عن الجزيرة العربية والعراق وسوريا ومصر، فتعلّم اللغة العربية بوقت قصير. وبدأت الرحلة سنة ١٧٦١م وتضم مجموعة من خمسة علماء ورحّالة. وزار في رحلته التي دامت ثمان سنوات تقريباً عدة بلدان أخرى، وعاد إلى الدنمارك سنة ١٧٧٠م، وكان هو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة حيث توفى بقية أعضاء الرحلة أثناءها. شغل عدة مناصب عسكرية في كوبنهاكَن عاصمة الدنمارك حتى عام ١٧٧٨م، وبعدها إستلم منصباً مدنيّاً رفيعاً في مقاطعة هولشتاين حتى وفاته فيها في ٢٦ نيسان ١٨١٥م. وله عدة مؤلفات عن رحلاته على شكل ثلاث مجلدات.

وهنا نستقطع من ما كتبه في رحلاته عن زيارته لمدينة كربلاء المقدسة وهو ما يهمنا في بحثنا هذا.

كانت رحلة كارستن نيبور وزيارته إلى كربلاء بتاريخ ٢٧ كانون الأول ١٧٦٥م/ ١١٧٩هـ، حيث توجه إليها من مدينة الحلّة. حيث يقول نيبور عن رحلته وزيارته لمدينة كربلاء والتي يسميها (**مشهد الحسين**) ما يلي:

«بقيت في الحلة في اليوم السادس والعشرين من كانون الأول. وفي اليوم التالي شرعت بالسفر إلى مشهد الحسين، المدينة التي شُيّدت في موضع مشهور لدى المسلمين بإسم (كربلاء). وتقع على مسافة ما يقارب السبع ساعات أو خمسة أميال ألمانية من الحلة بإتجاه الشمال الغربي ولا يشاهد على طول هذا الطريق شيء آخر غير القرية المسماة (Tomasie)[١]. وهي قرية كبيرة بكثير من بساتين النخل، يجب أن يكون الشاه عباس[٢] أول من عمَّرها.

(١) وهي الطهمازية.. او الطهماسية، تقع في الجنوب الغربي من مدينة الحلة، وسمّيت بالطهمازية على إسم الشاه طهماسب الأول الصفوي الذي جلب ما يقارب ٢٥٠٠ من العمال المختصين بحفر النهر، ليحفر نهراً من الفرات ليوصل الماء إلى مدينة النجف، وقد أسكنهم في هذه المنطقة التي كانت تنتشر فيها قبيلة خفاجة العربية، ولكن المشروع فشل وبقي العمّال الإيرانيون في المنطقة وإختلطوا مع الأعراب فيها.

(٢) كلام مشكوك فيه، وأن الرحالة نيبور قد إقتبسه من مرافقيه، وقد يكون الشاه طهماسب هو المقصود.

لم تكن منطقة كربلاء مأهولة بعد، عندما فقد الحسين والكثير من أقاربه وأصدقاءه حياتهم هناك، غير أن تلك الموقعة، سبَّبت إعمار هذه المنطقة، حيث جلب الماء من الفرات إلى هناك، وتُشاهد هناك في الوقت الحاضر غابة واسعة للنخيل. تكون المدينة التي في داخلها أوسع من مشهد علي، كما أن عدد سكانها أكثر منها أيضاً. إلاّ أن بيوتها ليست متينة نسبياً ومعضمها مشيَّدة فقط بالطابوق غير المفخور، كما هي الحالة في البصرة والحلة. وهناك خمسة أبواب لسور المدينة، ولكن السور هو الآخر، مشيد فقط باللبن والطابوق المجفف في الشمس، وقد تخرب بأجمعه الآن.

وأكثر ما يستدعي الإنتباه هناك، هو جامع كبير يضمّ في داخله مسجداً يسميه الشيعة بمذبح الحسين وقد شُيّد هذا المسجد في عين المكان الذي داست فيه الخيول على حفيد محمد ﷺ هذا، وقد دُفن فيه.

وقد وجدت أن محاولة وضع رسم تخطيطي لهذا الجامع، أخطر عاقبة من سابقه في مشهد علي. ولم أتمكن من التجاسر بالدخول إلى صحنه حتى في وضح النهار. وقد قمت في هذه الأثناء بالذهاب إلى هناك ليلاً مرتدياً عمامة تركية، برفقة زميلي في الرحلة. وحيث كافة الأطراف كانت مضاءة إحتفالاً بالعيد، فقد رسمت بعد عودتي رسماً لها، يوجد في اللوحة ٤٢ (ج) ليعطي للقارئ فكرة على الأقل عن طرز إنشاء هذا الجامع.

وجداره من الأمام يحفل بالنوافذ وهو يشكِّل منظراً غريباً في هذه البلاد، التي لا يشاهد فيها زجاج النوافذ. والواقع أنَّ من المحتمل أنها كانت هدية من إيراني أرسلها إلى هناك من معمل في شيراز. وتقوم قبة عالية خلف البناية الأمامية، حيث الإمام الحسين مدفون تحتها. وتحيط بها أربع منارات صغيرة، وعلى مسافة أبعد منها في الخلف تقوم قبة أخرى أوسع منها عرضاً بكثير ولكنها ليست عالية للغاية، لذا لم أتمكن من إظهارها في الرسم من تلك الجهة.

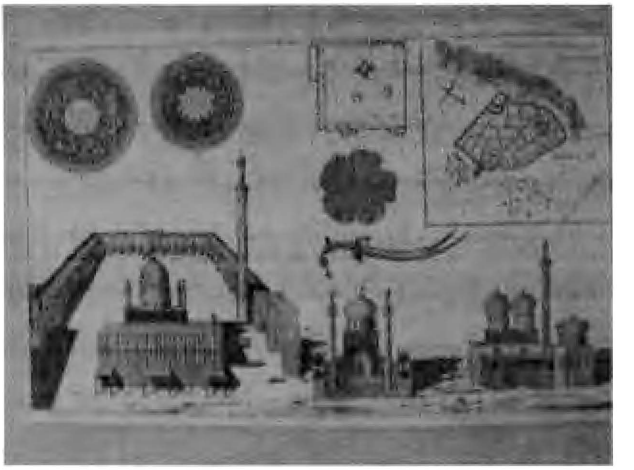

اللوح الذي رسمه كارستن نيبور بعد مشاهدته للروضة الحسينية

وهذه الأبنية جميعاً كائنة في ساحة خالية مُحاطة من كافة أطرافها الأربعة، بمساكن العلماء والدراويش[1]. وهناك أمام المدخل الرئيسي للجامع، شمعدان نحاسي كبير جداً ذو عدة مصابيح، كما هي الحال في مشهد علي. ولا يمكن مشاهدة أي ذهب من الخارج، إلاّ أن هناك كما يقال عدة حاجات ثمينة قرب ضريح الحسين، وأن لايمكن مقارنتها بأي شكل من الأشكال مع الحاجيات الموجودة قرب ضريح الإمام علي رضي الله عنه.

(١) يقصد بها الغرف (الأواوين) المطلة على أطراف الصحن والملاصقة بسور الروضة الخارجي. وكانت هذه الغرف يجلس فيها العلماء ورجال الدين وأصبحت فيما بعد مقابر للأسر المعروفة في المدينة. أما إشارته للدراويش فيقصد بها الأواويين التي كانت تشغلها التكية البكتاشية ويقيم فيها الدراويش وتقع في الجانب الجنوبي الشرقي من الصحن الحسيني على يمين الداخل للصحن من باب القبلة.

الموضوع. فلما لم يجد العباس الماء هناك، ذهب ممتطياً جواده إلى محل يبعد ساعة واحدة بإتجاه الشمال، حيث ملأ قربته فيه. وفي طريق العودة إلتقى بفريق الأعداء، حاولوا أخذ الماء منه فبتروا إحدى يديه في تلك المحاولة. فتناول الماء باليد الأخرى التي بتروها أيضاً. وأخيراً أمسك العباس القربة بين أسنانه، الاّ أن سهماً أصابها آنذاك، جعل الماء ينسكب عن آخره. فعاد ثانية دون ان يتوفق في إرواء غليل أخيه المحبوب.

ومن الأماكن التي تستحق الإنتباه، والتي يزورها الزوار الوافدين إلى هناك، هو الموضع الذي سقط فيه جواد الحسين بصاحبه. ويقع هذا الموضع خارج المدينة على الطريق المؤدي إلى مشهد علي. ويقوم بناء صغير يأمه الـزوار[1]. وقد روى لي دليلي بصورة مفصلة ما تحدّث به به الإمام لعائلته هناك، وعن ما هية الأوامر التي أصدرها إلى ضباطه، ولكنني لا أرى لزوماً في ذكرها جميعاً. وقد ضرب خيمته أخيراً قرب (*CHEIMA KAA*)[2] الموضع الذي أصبح في الوقت الحاضر حديقة كبيرة في الطرف الآخر من المدينة[3].

ويشاهد الآن حوض كبير في نفس الموضع الذي لم يتمكن العباس من العثور على الماء فيه، وبموجب إعتقاد الشيعة فقد إستمد هذا الحوض مائه بواسطة المعجزة[4]

---

(١) لاصحة لوجود موضع خارج المدينة على طريق النجف سقط فيه الحسين عليه السلام من على جواده. وهذه الرواية مشابهه لرواية البعض على أن مخيم الحسين كان قرب موقع المستشفى الحسيني القديم.

(٢) يعني المخيم. والمخيم الحالي هو نفسه الذي يشير إليه الرحالة نيبور، والحقيقة هو ليس المكان الذي خيّم فيه الإمام الحسين، وإن هذا المكان شيّده عبد المؤمن ددة خارج سور المدينة من ناحية الجنوب الغربي للمدينة القديمة في بستان له، ليكون رمزاً للمخيّم. وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

(٣) الحديقة التي يقصدها نيبور هي أن الموقع الرمزي الذي أنشأ لمخيم الحسين من قبل عبد المؤمن ددة كان خارج سور المدينة الجنوبي الغربي، والموقع هو (بستان) سماه نيبور بالحديقة.

(٤) الحوض أنشأ متأخراً للزائرين ويأخذ ماءه من البئر المحفورة في البستان التي بنيت به خيمة الحسين. وهذه البئر موجودة الآن في الجانب الشرقي من (خيمة الحسين)، وتم حفره عند بناء المخيم (الرمز) وكانت ارض المخيم أوطأ بكثير من المدينة حيث كانت في قبل ذلك الزمان مستنقع مياه أو (هور) صغير، قبل أن يمتد البناء إلى خارج السور. ومن السهولة بمكان أن يخرج الماء في البئر في مثل هذه الأراضي.

ويعد هذا الحوض مقدساً لديهم، وفي هذه الحديقة الآن بناية مخربة عن آخرها، وتقع بالضبط في الموضع الذي ضرب الحسين فيه خيمته. وتقع قربها بناية صغيرة قليلة الإرتفاع دفن فيها القاسم العريس وكثير من الشهداء[1] الاخرين، وامّا صاحبة داري التي كانت أرملة عجوز، متمسكة بشيعيتها فقد سُرَّت كثيراً لدى سماعها بزيارتي قبر القاسم المشار إليه.

فقد كان هذا الأخير وليّها المفضل وقد تحدثت إليّ والدموع تملأ عينيها عن أن هذا الشاب الشجاع كان على أهبة الزواج، أي أن القاضي كان قد عقد قرانه بحضور الشهود حين استشهد بمعية الحسين والشهداء الآخرين، وفي النهار الذي سبق ليلة زفافه، وقد كانت هذه المرأة الطيبة القلب ملمَّة بكل كلمة تبادلها كلا المحبين بينهما قبل نشوب القتال.

وقد كنت هناك عند بدر شهر رجب[2] بالضبط، حيث أخذ مئات الزوار يتوافدون إلى هناك حوالي هذه الآونة ليقضوا ليلة كاملة بجانب ضريح الحسين. وبما أنهم لا يملكون تقويماً مطبوعاً، لذا فإنهم على الأغلب ليسوا على بيّنة من أيام إحتفالاتهم على وجه الضبط. لذا فإن أكثرهم يمضي ليلتين في الجامع، ليطمئن إلى عدم فوات الوقت المرهون.

---

(١) لا يوجد أحد من شهداء واقعة الطف مدفون في هذا المكان، ويمكن ان الرحالة نيبور قد إستقى هذه المعلومة الخاطئة من مرافقه، ويمكن ان يكون هذا المكان الواطئ هو (حجرة القاسم) أو خيمة القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام الذي تذكر الروايات أنه تزوج قبل الواقعة بيومين، وخلّد هذا المكان الرمز لتلك الحادثة. والقاسم بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مدفون في حفرة الشهداء داخل الحرم الحسيني الشريف مع بقية الشهداء.

(٢) ليلة ١٥ رجب أو ما تسمى (نصف رجب) هي زيارة سنوية لمرقد الإمام الحسين عليه السلام وتعتبر من الزيارات المخصوصة التي يزور فيها الآلاف من المؤمنين قبر الحسين. وشهر رجب من الأشهر المهمة التي تتم فيه الزيارة حيث هناك ثلاثة زيارات فيه، في أول رجب ومنتصف رجب و٢٧ رجب، ولكن أهمها زيارة نصف رجب.

والأمـر الذي يستوجب تحفّظ السائح، سيما لو كان شيعيّاً، هو جماعة حثالة الإنكشارية[1] المطرودين من بغداد لسوء سلوكهم. ويطيب لهؤلاء بصفة خاصةالبحث عن الأغنياء الإيرانيين للتصرف معهم، فيعطون لهم فكرة سيئة جداً عن الحكومة العثمانية والسُنّة على الإطـلاق الذين لا يحمل الشيعة عنهم فكرة طيبة جـداً. فإذا إتصل أجنبي ما معهم أي مع سوقة الإنكشارية فإنهم يبحثون على الفور عن وسيلة ما تمكنهم من التشاجر معه فيتهمونه بحجة تحدثه بسوء عن هذا أو ذاك أو الحكومة وحتى عن الدين ولديهم في الحال الشهود على ذلك. فإن لم يشأ الإيراني الذي يجهل التركية والعربية على السواء في اغلب الأحيان أن يقع بيد الحكومة، فعليه عندئذٍ أن يدفع الدراهم.

وقد شاء أحد هؤلاء الذين طبقت سيرتهم الآفاق، وكان حسن الهندام أن يتعرف إلي في أحد المقاهي، وهو يحسبني تاجراً أرمنياً، فلما وجد أمامه أوربياً زاد فرحاً، وإمتدح الخدمات الكثيرة المتبادلة بينه وبين الأوربيين في حلب وإستانبول حتى أنه أخبرني بأسماء البعض منهم.

وقد أكد لي أنه سيكون عظيم الإمتنان لو أتيح له ثانية إسداء خدماته في مثل هذا المحل الذي أجد نفسي فيه غريباً كلياً، ذلك المحل الذي يعيرون الأوربيين فيه أهمية قليلة كنصيب النصارى الشرقيين من إهتمامهم.

---

(١) الإنكشاريين هم من أفراد الجيش العثماني، وشهدت فترة المماليك خصوصاً الكثير من حوادث التمرد والعصيان على الولاة من قبل أفراد الجيش الإنكشاري وخاصة من قبل قادتهم من (الأغوات)، وكانت تواجههم حكومة بغداد بالقوة في اغلب الأحيان، مما يستدعي الكثير منهم إلى الهروب إلى مدن العراق الأخرى أو ينقلون إليها ليبعدوهم عن بغداد ويعيثون في هذه المدن فساداً وخاصة مدن العتبات المقدسة التي يؤمها الكثير من الزوار الأجانب. فيقومون بأخذ الخاوة والإعتداء على ممتلكات الناس وقطع الطرق في أحيان اخرى. وذلك يؤكد ضعف حكومة بغداد المملوكية وعدم تمكنها من إستتباب الأمن، وكانت مدينة كربلاء حينها تعاني من ضعف متوليها المعينين من قبل المماليك، وقد كانت المدينة تعيش دائماً في إضطراب أمني بسبب كثرة هؤلاء الشقاة من اليرمازية والإنكشاريين.

وكنت قد سمعت مراراً من إيران مثل هذه المداهنات التي لا تعني شيئاً. إلاّ إنني لم أكن معتاداً على مثل هذه السرعة في تقديم العروض من الأتراك والعرب المستقيمين. لذلك فقد إلتزمت على الفور جانب الحذر كثيراً. وعندما علمت بعدها مع أي شخص كنت أتحدث، صرت أتجنب آنذاك الإتصال مع كافة الجماعات هناك.

وأود أن أذكر في هذا المضمار أيضاً، أن الكعبة لدى المسلمين ليست وحدها الملجأ الأمين للحمام[1]، بل إن ندرة التعرض إليهم هناك هي نفسها في الجوامع القائمة على ضريحي علي والحسين وفي الجامع الأساسي في الحلة وكذلك في المدن الأخرى.

ويشتد الإقبال هناك بصورة تدعو إلى العجب على الطرّات (التُرَبْ)[2] والمسابح المصنوعة من المكيل وذلك لسرعة تآكلها بنتيجة لكثرة إستعمالها وهي تصنع في معمل في مشهد الحسين، يعود لإحدى العوائل منذ عدّة سنوات. وتعدّ هذه العائلة نفسها من نسل السادات[3]، أو من أحفاد النبي، وتنتسب إلى المذهب الشيعي. غير أنه عليها أن تدفع مقابل هذا الإمتياز إمتياز المعمل مبلغاً مهماً سنوياً إلى باشا بغداد.

---

(١) الحَمَام.. هي طيور دائما يطلق عليها (طيور الحضرة)، ولزائري العتبات المقدسة إهتمام خاص بها حيث يقومون برمي الحبوب لها لإطعامها ولايمسها احد بسوء، حيث يعتبرها الزائرون إنها تلوذ بالمراقد لتحظى بالسلام، وكثيراً ما يجد المرء أناساً يمتهنون بيع الحبوب (الدخن) للزائرين الذين يشترون منهم لإطعام هذه الطيور زيادة في حصول الثواب.

(٢) التُرَبْ ومفردها تُربة تصنع من الطين الحُر يستعملها الشيعة الإمامية افثني عشرية لغرض السجود عليها. والشيعة يسجدون على التربة لقوله تعالى «وجعلنا الأرض مسجداً وطهورا»، فيفضلون السجود على الأرض وما أنبتت من نبات لايؤكل. ولأن التربة يمكن المحافظة على نظافتها من النجس حتى يكون موضع الجبين في مكان نظيف من ناحية، ومن ناحية أخرى الركون إلى قوله تعالى حيث الأرض والتراب هو أفضل مكان للسجود وتصعير الجبين للخالق سبحانه وتعالى. ومن يقول بان الشيعة يقدسون التربة أو (الحجارة) هو مخطئ في تصوره، فلا قدسية للتربة بتاتاً عدا ما ذكرناه. ولأن تراب مدينة كربلاء في إعتقاد الشيعة قد سالت عليه دماء الإمام الحسين عليه السلام فيفضلون ترابها لصنع الترب لاغير. وعند أغلب الشيعة أنه في حالة عدم توفر التربة فلامانع في السجود في مكان لاشك في طهارته.

(٣) هم (بيت التربجي)، من السادة (الأعارجة) حسينيو النسب، حيث يرجع نسبهم إلى السيد عبيدالله العرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليه السلام. وجدهم هو السيد علي بن حسين بن علي بن هادي بن حسن حسن بن محمد بن جعفر بن عمير بن=

وتباع هذه الحاجات المقدسة في بناية صغيرة في جامع الإمام وقد جعلت صاحبي الملاّ يشتري لي قسماً منها، ورسمت من الطرات التي جلبها بأشكال وأحجامها مختلفة بضع طرات صغيرة. وهي تبدو فيه منحوتة بأشكال جميلة. إشتريت هناك أيضاً ملفاً من الورق بطول ستة أقدام وثلاث بوصات ويبلغ عرضه ثماني بوصات. وقد رسمت عليه الكعبة والضريح النبوي الشريف وأضرحة أعظم الأئمة والأشياء الطريفة التي تعرض للزائر في هذه الأماكن.

وجميع هذه الأشكال مرسومة بصورة بدائية وملونة دون إقتصاد تذهيبها وطلائها الفضي. إن الحصان (البراق) الذي إتخذ محمد ﷺ طريقه إلى السماء عليه، والأسد (ويراد تمثيل علي به)، وجواد علي الملون الشهير (دلدل)، وعبده (عنبر)[1]، وسيفه (ذو الفقار)، والختم الذي كان على ظهر النبي محمد ﷺ، كانوا جميعاً مرسومين على هذه الورقة. ولو أنني حفرت الرسم بكامله على النحاس لغرض الطبع لأصبح قرائي قليل الشكر لي. ولكن نظراً لتعدد البحوث عن السيف (ذي الفقار) في تاريخ العرب فقد رسمته في لوحة. وله شكل خاص وكبر خارق للعادة. ذلك من شخصية شهيرة للغاية وقوية كعلي، كان لابد لها أن تمتلك سيفاً خاصاً كبره خارق للعادة. فلو قارنا السيف في الرسم المذكور مع الأشكال الأخرى في الرسم نفسه، لتبين لنا طوله يقارب (ستة أقدام ونصف).

وسيجد الأوربيون رسمه غريباً. ولو فرضنا أن من المحتمل أن علياً كان يملك سيفاً ذا حدين، وأن المسلمين الحاليين كما هو معلوم يعرفون السيف الإعتيادي فقط، لذلك فلا يعتب كثيراً على الرسامين الشرقيين حين يرسمون ذا الفقار بنصلين. ألا يرسم

= محمد بن مقبل بن جماز الأعرجي. كان منهم السيد حسين التربجي الذي كان حياً في كربلاء سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، والسيد هادي التربجي الذي كان حياً في كربلاء سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م. وإشتهر منهم المرحوم السيد مرتضى بن محسن بن حسين بن علي التربجي المتوفى سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م وكان سيداً جليلاً ومن خدام الروضة الحسينية، وقد تركوا مهنة صناعة الترب منذ زمن.

(١) يقصد به (قنبر) مولى الإمام علي وغلامه، وورد عن الإمام علي قوله عليه السلام:

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

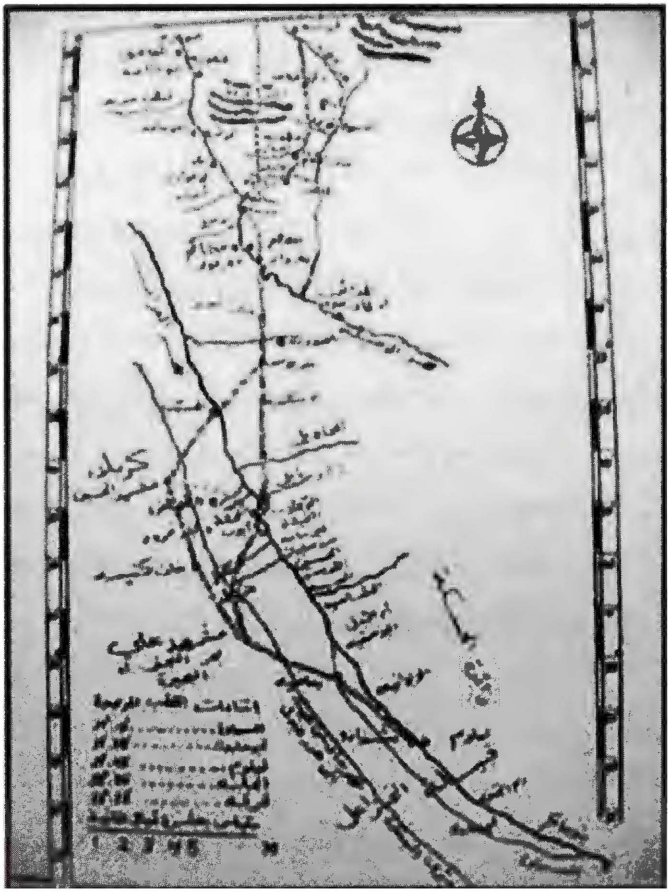

إن (البراق) مرسوم على الورق المذكور على شاكلة جواد مسروج وله رأس إمرأة ذات شعر طويل، وله جناحان صغيران وذنب عريض متجه إلى الأعلى.

عدت إلى الحلة من مشهد الحسين أو كربلاء برفقة ما يقارب المائتين من الزوار. وقد سافر الآن إلى هناك كثير من الناس ممن لم يحضروا في مشهد علي قبل البدر وذلك لأداء زياراتهم، بينما إتخذ الآخرون الطريق المؤدي مباشرة من كربلاء إلى بغداد ويقدر الطريق من مشهد الحسين إلى مشهد علي بمسافة سبع ساعات أو خمسة أميال ألمانية وتبدو أولاً على بعد ميل واحد تقريباً من المدينة المذكورة، بساتين النخيل غامرة المكان، ويكون الطريق بعدها رملياً، ولا يصادف المرء أي بناء سوى خان (*KNESA*)[1] وهو كروان سراي يقع في محل لا يبعد عن كفيل[2].

ولا يكون هذا الطريق في العادة أميناً بالنسبة للمسافرين المنفردين، وخلال إقامتي هناك عاد إلى مشهد الحسين ذات مرة أناس قد نهبهم العرب. وفي اليوم الثاني وصل أُناس قد نهبتهم خيّالة الباشا الذين يفرض فيهم حماية الأمن في الطريق. فكان على هؤلاء المسافرين أن يسلّموا كل ما له قيمة مما بمعيتهم. ولم تستثن بنادقهم أيضاً وقد اطلق سراحهم بعد ذلك. ويقدر الطريق من كربلاء إلى بغداد بمسافة ست عشرة ساعة كما يلي: خمس ساعات إلى (المسيّب) وهي قرية على الفرات، لها جسر شُيّد على العوامات. أربع ساعات إلى إلـ (كروان سراي) المسمى (*BIR UNUS*)[3] ومنها إلى بغداد عن طريق الحلة في سبع ساعات[4].

وأطّلعنا على ترجمة ثانية لرحلة نيبور عن طريق الأنترنيت للسيد الدكتور عدنان جواد آل طعمة المقيم في ألمانيا وهو من أبناء مدينة كربلاء، لا تختلف كثيراً عن المصدر الذي إعتمدناه أعلاه، ونورد بعض الفقرات التي لم ترد في المصدر وذكرها السيد الدكتور عدنان في ترجمته ومنها:

(١) المقصود به خان النص (خان الحماد)، ناحية الحيدرية الحالية.

(٢) يقصد به (الكفل).

(٣) هو خان بئر النص (النصف) الواقع في منتصف الطريق بين بغداد والحلة.

(٤) رحلة نيبور الكاملة إلى العراق/ مراجعة وتعليق وتقديم الأستاذ سالم الآلوسي، ص١٣٢ ص١٤٠.

«إن السنّة أيضاً يـزورون الحضرة الحسينية لأداء صلاتهم وزيارتهم بكل جدّية وزهد. والشيعة يعملون صراخاً وعويلاً..

رأيت هنا وبكل تقدير وإعجاب كيف أن المؤمنين يؤدون صلاتهم وزيارتهم وكيف أنهم يقبّلون باب المدخل الرئيسي للحضرة الحسينية بحماس..

وفي داخل الحضرة وبسبب حزنهم العميق على إستشهاد الحسين يقبّلون أرضية الحضرة الحسينية بشوق وحماس أيضاً وقسم منهم يضربون رؤوسهم ضد الجدران وضد شبابيك الضريح المعدنية بقوّة..

وحتى بعض الزوّار ومن شدة الحزن والإنفعال والصراخ يمر بمرحلة لا شعورية عند قبر الإمام الحسين الكبير يقتل نفسه لإعتقاده بأنه سيصبح شهيداً ويدخل الجنّة مع الحسين وأهله وأقربائه وأصحابه الشهداء لأنه ضحّى بحياته للحسين.

يجب أن أعترف بأني لم أسمع رثاءاً أكثر من رثاء الشيعة في هذا الجامع (الحضرة الحسينية). فالناس يبكون ويصرخون فأن الحسين أبوهم المتوفي اليوم.

وهذا الحزن لم يكن للرياء، مثل رثاء بعض النساء اللواتي يبكين على الميّت من أجل النقود، بل حزنهم حقيقي نابع من القلب، بحيث أن عيون الزوّار الخارجين من أو الداخلين إلى الجامع (الحضرة الحسينية) كلها كانت وارمة. وأن شيعة هذه المدينة هم أكثر حزناً وحماساً من الذين في مدينة مشهد علي».

رحلة (تايلر) إلى بادية كربلاء

غادر الرحالة (تايلر) مدينة حلب متوجهاً إلى العراق في ١٥ كانون الأول سنة ١٧٨٩م (١٢٠٣هـ) فمرّ بالقائم ومن ثم على بعد ميلين من (كبيسة) ومنها إتخذت قافلته طريق الصحراء.

الآبار المعدنية في البرذويل:

يذكر تايلر في رحلته أنه في اليوم الأول من كانون الثاني ١٧٩٠ وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصل إلى «**البردون**»[1]، ويقول بأن هذا يطلقه الأعراب على عدد من الآبار المعدنية التي لمائها طعم الكبريت. وقد وردت الإبل ماء البئر لتروي عطشها، ولكنه لم يستسغ طعمها.

ويقول بأنه قبل الوصول إلى موقع الآبار رأى عدداً كبيراً من البط البري ومختلف الطيور[2]. ولاحظ أنه من الممكن الحصول على الماء في الصحراء خاصة لإرواء الإبل، وذلك في الحفر في مواقع الجداول الجافة، وقد تأسف

(١) لعله يقصد بالبردون (عيون البرذويل)، والبرذويل من الآثار القديمة في عين التمر القديمة وفيها الآن خرائب قصر يسمى بالبرذويل لليهود الذين كانوا يسكنون عين التمر القديمة منذ زمن بعيد.

(٢) من الطبيعي أن تتواجد الطيور والبط البري في تلك الأنحاء لأن المنطقة التي يذكرها تايلر هي قريبة جداً من بحر الملح (هور أبي دبس) وهو منخفض عظيم موغل في القدم يتغذى من فائض الفرات أيام فيضانه ومنه إمتد فيما بعد ليشكل بحيرة الرزازة التي كانت منخفضاً مقطوعاً عن بحر الملح وإمتلأت بالمياه منه.

(**حسب قوله**) لأنه لم يجلب معه الأدوات اللازمة للحفر. وهو يذكر ذلك ليقدم نصيحة للمسافرين الذين يسيرون في إثره.

ويقول بأنه مرّ بعدد من القبور كانت على مرتفع قريب من الماء، ووقع نظره على صريفة متداعية يسكنها أعراب يشبهون فقراء الهند، لم يعرف عنهم شيئاً، ولعلهم من الدراويش أو من الفقراء الجوالين، ولم يكن معهم سلاح، ولم يطلبوا منهم شيئاً، بل كانوا مسالمين وعلى شيء من التأدب[1].

الوصول إلى شفاثا:

يقول تايلر أنه في اليوم التالي أي في ٢ كانون الثاني عبر عقيق نهر لا بد أن يكون كبيراً في موسم الأمطار، وفي الساعة الواحدة من بعد الظهر بدت أمامه عن بعيد قرية (**شتات**) ويقصد بها (**شفاثا**)، وفي ذلك المكان مرّ بهم إعرابي عارٍ، فأخبرهم عن وجود شرذمة من اللصوص في تلك البقعة. ونتركه يصف الحالة فيقول:

«وفعلاً رأينا بعد مدة قصيرة سبعة أو ثمانية رجال راكبين الجياد. فأسرع شيخنا (يقصد به قائد القافلة) إلى تغيير الطريق وإنحرف حالاً عن الدرب المسلوك متجهاً إلى اليمين، فتوقفنا في موضع إسمه (قصر الأسالي)[2] حيث إختبئنا في مكان عميق لا

---

(١) يمكن أن تكون القبور هذه هي قبر السيد أحمد شمس الدين (أحمد بن هاشم) وقبرا إبنه وأخيه لأنها تقع بالقرب من البرذويل وهي المنطقة التي يصفها تايلر، ولازالت هذه القبور موجودة لحد الان وتم تعمير قبر السيد أحمد الذي كان (ناظراً لرأس العين) وهو إبن السيد أبي الفائز محمد «الجد الأعلى للسادة الأشراف آل فائز وهم آل نصرالله وآل طعمة وآل ضياء الدين وآل مساعد (عوج) وآل التاجر وآل سيد أمين وآل قفطون وغيرهم»، وأن هؤلاء الأعراب هم من الموكلين بالإقامة بالقرب من هذه القبور.

(٢) قصر الإسالي هو أحد القصور العديدة والقديمة المنتشرة في عين التمر ومركزها (شفاثا) ويقع في ناحيتها الشمالية، ومن هذه القصور غير قصر الإسالي هي: قصر الدراوشة وقضر الهوى وقصر شمعون وغيرها. وأصبحت المنطقة المحيطة بكل قصر تشكل تجمعاً سكنياً على شكل قرية تسمى بإسم=

يرانا إلاّ من يصل إلى المرتفع الذي يطل علينا مباشرة. ثم أرسلنا رجلاً يستطلع الطريق ويحمل إلينا الخبر اليقين، وفي هذه الأثناء إتخذنا مواقعنا للمجابهة وأعددنا أنفسنا للقتال. وأصدر شيخنا أمره مانعاً الجميع من الصعود إلى المرتفع المحيط بنا ومحرماً علينا إيقاد النار لئلا يفضحنا الدخان المتصاعد. وفي صباح اليوم التالي علمنا أن الرجال الذين توقعنا مناجزتهم لم يكونوا قطاع طرق بل أفراد قافلة كبيرة من التجار تتكون من نحو ثلاثمائة مسافر، وقد حطوا الرحال في ذلك الموقع القريب من شفاثا ليشتروا كميات من التمر من تلك القرية نظراً إلى جودته وشهرته الواسعة[1]. وكانت نيتهم الإتجار بهذه التمور وبيعها في أسواق حلب ودمشق. لقد فرحنا بهذا الخبر فأسرعنا إلى مكافاة الرجل ببضعة قروش، وسار شيخنا من ثم إلى القرية. بيد أن الرجل الذي أرسل رائداً يستطلع الطريق جلب إنتباهي، لأنه عوضاً عن أن يكون مرتدياً لباساً بسيطاً لا يلفت الأنظار، كان متسربلاً برداء جيد، متسلحاً ببندقية ومسدسين وسيف من النوع الجيد. عن منظره في وحدة الفلاة يجعله لقمة سائغة للصوص.

نحو الساعة الواحدة وصلنا قريباً من غابة النخيل، حيث تتوسطها قرية شفاثا فأقمنا خيامنا عند عدوة نهر ضحل الماء كثير النبت والأشجار، فإنطلقت جمالنا وجيادنا تسرح في ذاك المرعى الخصيب، وطاب لنا المقام في تلك البقعة بعد أن تعبت عيوننا وملت منظر الصحراء الرتيب فألقينا أنفسنا على العشب. وبعد وصولنا بقليل اخبرنا الشيخ بأنه سيرسل نفراً من القافلة إلى القرية لشراء الحاجيات، وتبرع أحد مرافقينا بالذهاب عنّا لتلبية طلباتنا، فسألناه أن يشتري دجاجاً وحليباً وبيضاً، وهي الأشياء الوحيدة المتوفرة

=القصر وأهل شفاثا يسمون القصر (كَصر)، وهذه القصور كانت لمتنفذين في العصور القديمة عندما كانت (عين التمر) المدينة الموغلة في القدم ذات شأن كبير كونها عقدة المواصلات بين الشرق والغرب ووجود العيون الجارية فيها، فهي الآن واحة خضراء بديعة الجمال في وسط بادية كربلاء.

(١) تشتهر عين التمر قديماً ومركزها الآن (شفاثا) بتمورها التي يندر وجدوها في مكان آخر، ومن هذه الأنواع من التمور (الجسب)، حيث ذكره المؤرخون عن المنطقة، ولازالت تمور شفاثا من أجود التمور. ومن المفيد أن نذكر بأن في واحة شفاثا توجد أشجار الزيتون وأشجار الرمّان، وهذه الأشجار تنتج نوعا خاصاً من المحصولين، وهذه الخصوصية ترجع إلى نوعية المياه التي تسقى بها هذه الأشجار لأنها مياه كبريتية، وجو المنطقة له تأثير آخر عليها.

في القرية... وعاد في المساء وهو يحمل بعض الطيور وأخبرنا أنه لم يجد حليباً أو بيضاً، ولم يشأ العودة خالي الوفاض كما أنه أراد إستعمال النقود التي تسلمها منا فإشترى كمية من التمر الفاخر.

إنَّ الأعراب يدفعون في البادية نصف قرش ثمناً للدجاجة الواحدة، ونحو أربعة قروش أو خمسة ثمناً للخروف الواحد...»[1].

يذكر تايلر أيضاً في رحلته بأنه وجماعته شاهدوا إستعراضاً ورقصات وإستمعوا إلى الغناء من قبل الجنود المرافقين لهم، وتحدث عن تقديمه مكافآت وجوائز للمستعرضين فيقول:

«قبل وصولنا إلى هذا الموضع، طاب للجنود المرافقين لنا أن يقوموا بإستعراض أمامنا. فشرعوا يرقصون رقصة عسكرية، فيجتمعون في حلقة ويشهر كل واحد منهم سيفه، ويدورون حول أعلام مثبتة في الأرض وسط الحلقة. فلما وصلنا شفاثا أخذوا يرقصون وهم يرددون اغنية عربية ويقومون بحركات مضحكة تتفق وكلمات الأغنية. ولما كانت الحفلة على شرفنا، رأينا أنه من واجبنا أن نكافئهم، فوزعنا عليهم عشرين قرشاً، وقدمنا لهم شيئاً من خبز الشعير ومن التمر الفاخر الذي إشتريناه من القرية. وجدير بالذكر أنَّ الرجال يفضلون خبز الشعير ويستسيغونه.

كان رجال آخرون قد مضوا إلى القرية ثم عادوا وهم يسوقون أمامهم حميراً تحمل المواد التي إشتروها، والحمير كثيرة الإستعمال في تلك الأطراف أنها مفيدة جداً، وهي حيوانات قنوعة. لقد إشترى الرجل شيئاً يسيراً من التبغ والتمر والطحين والدهن والشعير..

الرماية عند العرب:

أمضى الرجال ذلك اليوم بالتمرن على الأسلحة النارية، فكانوا وكأنهم في يوم عيد. ولقد أظهر العرب المهارة في هذا الميدان شيئاً كبيراً، وفي طريقة الإمساك بالسلاح وفي طرقة إستعماله. وبهذه المناسبة أيضاً، كان لا بد أن نظهر بمظهر يليق بنا، فقدمنا لهم

(١) رحالة أوربيون في العراق/ رحلة تايلر إلى العراق ص٧٧ إلى ص٧٩. دار الوراق للنشر.

جوائز، وهي عبارة عن أسلحة إقتنيناها في مدينة البندقية، فوضعناها لأحسن الرماة. فأسرع جميعهم ووقفوا في صف واحد والشيخ في مقدمتهم، وأخذ الشيخ يرمي فربح ثلاث جوائز، ولكنّي أعتقد أنَّ الرجل بحكم مكانته المرموقة في القافلة أثّر على الحكام مهما يكن من أمر فقد نال مسدسين وبندقية. وكان الهدف على ١٥٠ خطوة وهو حجرة بحجم الصحن العادي. وكادت طلقات الرماة كافة تصيب الهدف. ومن الأمور الطريفة أن رجلاً حاول الرماية ببندقية صيد، وهي جديدة عليه ولم يستعملها من قبل قط، وقد أصاب الهدف، فكان سروره عظيماً لنجاحه في إستعمال ما لا عهد له به، ولشدة فرحه أخذ يمطر البندقية بوابل من القبل»[1].

الإخيضر:

يبدو أن سير القافلة كان يتخذ طريق القوافل التي لا تتوقف في المدن الكبرى وصولاً إلى البصرة، فعند مغادرة القافلة شثاثا سلكوا طريق الجنوب الشرقي، بحيث أنهم شاهدوا من بعيد قصر (حصن) الإخيضر ولكنهم لم ينزلوا فيه، وعلى خط سيرهم كان الإخيضر على يسارهم، فيقول في مذكراته:

«وفي الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الرابع من كانون الثاني حدجنا جمالنا وإنطلقنا في نفس الإتجاه السابق، في أرض منبسطة قاحلة، فعبرنا مجرى ماء، وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً رأينا على يسارنا أطلال حصن صغير مربع الشكل يبعد عنّا نحو نصف ميل، يطلق عليه العرب إسم (الإخيضر) وفي ذلك اليوم هطلت الأمطار بغزارة طوال الليل، وبالرغم من كل الإحتياطات التي إتخذناها عند نصبنا الخيام، فإننا لم نسلم من البلل.

لاحظت أن البعران لا تقابل العواصف وجهاً لوجه، بل تدير ظهرها، ويظهر عليها القلق عند المطر، وقد يقضي المطر عليها إذا دام سقوطه مدة طويلة. وهذا ما حدث في

(١) نفس المصدر/ ص٧٩ ص٨٠.

تلك الليلة، إذ ظهرت بوادر الموت على أحد الجمال فأمر الشيخ بنحره وتوزيع لحمه على الحاضرين، فأكلوه بشهية كبيرة.

وكانت طريقة طبخ اللحم أن أعدوا حفرة في الأرض وأوقدوا النار فيها حتى تكوم أمامهم جمر ورماد حار جداً، فألقوا اللحم في الحفرة، وجعلوا يقلبونه حتى نضج، وتزداد لذة اللحم بقدر ما يحترق ظاهره»[1].

من الوصف الذي قدّمه تايلر في طريق الرحلة، فيبدو أن القافلة إتخذت طريق (**وادي الأبيّض**) الذي يؤدي إلى منخفض (**بحر النجف**)، فقد ذكر بأنه شاهد من بعيد (**مشهد علي**) أي مرقد الإمام علي من خلال قبته المرتفعة على الهضبة، فنجده يقول:

قرب النجف الأشرف:

«نحو الساعة الثامنة صباحاً (٦ كانون الثاني ١٧٩٠) تهيأنا للسفر بعد أن زالت الغيوم وضحكت السماء فإنطلقنا... وفي الساعة الواحدة رأينا في الأفق البعيد (مشهد علي) وكان عن يسارنا على بعد ما يقارب أربعة أميال أو خمسة. لقد أكدوا لنا أن قبة المسجد مغشاة بالذهب، وشهد الأعراب الذين كانوا برفقتنا على صحة هذا القول. ولكني لا أستطيع البت في أمر لم أتحققه بنفسي[2].

ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أنَّ الناظر إليها عن بعد يراها تلمع وتتوهج. لكن النحاس المذهب له المشهد نفسه. إنَّ هذا المكان هو محط تكريم المؤمنين وتقديسهم.

لو إستثنينا القبة التي قد تكون ذات قيمة عالية، فإن الموضع الذي أصبح مثوى خليفة الرّسول لا يحسد عليه، لأنه محاط بأرض درداء قاحلة صخرية، تفتقر إلى أنواع

---

(١) نفس المصدر السابق/ ص٨٠ ص٨١.

(٢) قبة مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام طليت بالذهب سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م بأمر من شاه إيران (نادر شاه الأفشاري)، حيث زار النجف وأمر بتعمير المرقد الشريف، وإكساء القبة والمنائر بالذهب.

النباتات كافة. ولم نجد في تلك الأرجاء أيّاً من الحيوانات التي تعيش في الصحراء كالأرانب والطيور.

وجدنا بالقرب من «المشهد» مجرى نهر كبير، لكنه حسب إعتقادي يجف في فصل القيظ. وقد نقل إلينا أن أهل البلدة يشكون شحة الماء، ويضطرون إلى الذهاب إلى اماكن بعيدة لجلبه.

تغيّر الجو هناك وإرتفعت الحرارة تدريجياً، وكانت الأمطار السابقة قد جعلت الأرض موحلة، وإزدادت الرطوبة. فأخذت البعران تسير بصعوبة..»[1].

وواصل (تايلر) رحلته إلى السماوة والمنتفق ثم الزبير حتى وصل البصرة، ومنها في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني ١٧٩٠م ركب البحر متجهاً إلى الهند.

(١) راجع رحلة تايلر إلى العراق في كتاب (رحّالة أوروبيون في العراق)، من منشورات دار الوراق، من ص٧١ إلى ص ١١٨ .

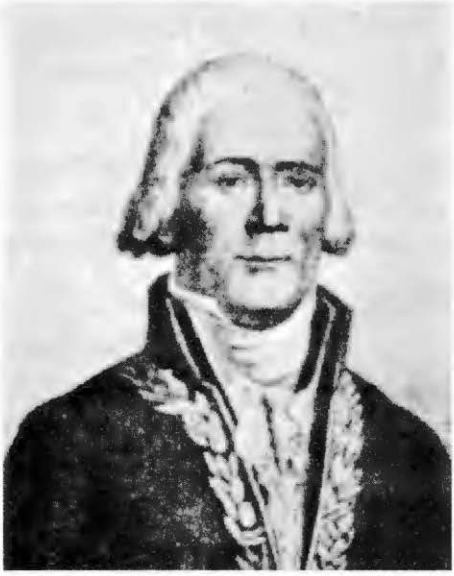

خلال رحلته إلى العراق التي ترجمها الأب يوسف حبي، زار مدينة كربلاء قادماً إليها من النجف الأشرف سنة ١٧٩٦م (١٢١١هـ) حيث ذكر في رحلته عن كربلاء مايلي:

«.. **ليس مشهد علي (النجف) المدينة الوحيدة التي يقصدها الزوار للحج**[١]، **إذ أنهم يقصدون أيضاً مشهد الحسين أو الإمام الحسين حيث يوجد قبر الحسين بن علي الذي قُتِل مع عدد كبير من أقاربه وأصحابه في واقعة كربلاء، ومعلوم أن الحسين بعد وفاة معاوية قصد الكوفة مع مائة وخمسين شخصاً وسائر آل بيته حيث كان ينتظره أنصاره، غير أن يزيد بن معاوية قد أرسل ضده ستة آلاف شخص قاتلوه، فأستشهد الحسين وسلاحه بيده، لأنه حارب حتى الرمق الأخير ضد العدد الغفير من المناوئين. وأقيم له ضريح قريب من ميدان المعركة، وعلى هذا الضريح شُيّد فيما بعد مسجد، وتكونت حوله المدينة..**»[٢].

(١) الحج هنا يعني زيارة المرقد الشريف، ومن حج إلى مكان زاره ووصله، والشائع لدى الجميع أن الذهاب إلى بيت الله الحرام في مكة يسمى (حج) وهي فريضة من فرائض الإسلام واجبة التحقق عند الإستطاعة.

(٢) رحلة أوليفييه إلى العراق (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦)/ ترجمة الأب يوسف حبي، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م بغداد.

زيارة الرحّالة أبو طالب خان إلى كربلاء

هو الرحالة الهندي والتركي الأصل (**أبو طالب بن حاجي محمد بك خان الإصفهاني**) المتوفى سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م.

ألّف أبو طالب خان كتاباً أسماه (**مسير طالبي**) وقد طبع في الهند سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م. وقد دوّن في كتابه هذا جميع مشاهداته عن البلدان التي مرّ بها في رحلته التي بدأها من الهند حيث سافر إلى إنكَلترا ومنها إلى فرنسا، ثم عبر البحر الأبيض المتوسط ووصل إلى إسطنبول. ومن إسطنبول قصد العراق فشد رحاله إلى بغداد عن طريق الأناضول، ووصل بغداد بعد أن زار عدة مدن منها سامراء. ومن بغداد توجه إلى زيارة كربلاء ومنها قصد النجف الأشرف عن طريق الحلة. ومن النجف عاد إلى بغداد ثم رحل منها إلى البصرة، ومن البصرة وعن طريق البحر سافر إلى بومبي، ومن بومبي ختم رحلته عائداً إلى كلكتا موطنه.

فقد زار أبو طالب خان كربلاء في عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، بعد غزوة الوهابيين للمدينة المقدسة، وذكر في رحلته ما حلَّ بها من خراب ودمار على أيدي العصابات الوهابية المسلحة.

وعن رحلته إلى مدينة كربلاء ذكر في كتابه مسير طالبي وصفه لرحلته إلى مدينة الحسين عليه السلام ومشاهداته فيها حيث قال:

«.. **بعد إقامتي ببغداد ثمانية أيام، إستأنفت سفري لزيارة مشهد كربلاء ومشهد النجف الأشرف، وفي هذه المرّة لم أعلم الباشا**[1] **بنيتي وخطتي، فإكتريت خفية خيلاً**

(١) يقصد بالباشا هو والي بغداد (سليمان باشا الكبير) والذي كان وقتها يعاني من شدة المرض.

وبغالاً من حوذي، وإتفقت معه على أن يرافقني في جميع الطريق، وسافرت بلطف فائق. ولقيت حفاوة من كل من لاقاني في أي موضع كنت من طريقي، وإبتهجت بلقيا قاضي كربلاء ملاّ عثمان وكان عائداً إلى كربلاء، وكان رجلاً سنيّاً ولكنه كان قد تفقه وتثقف وتعلم علماً جليلاً، وكان بريئاً من أوهام الأحكام التي يحكم بها الطغام قبل الإستعلام، وظهر لي أنه سرّ سروراً عظيماً بلقائي، ورجا مني أن أكون رفيقه في السفر.

وفي الطريق من بغداد إلى النجف رأيت بين كل ثمانية أميال خانات مسافرين مبنيّة بالآجر تشبه حصوناً، ولكنها يندر أن يقيم فيها المسافرون.

وفي اليوم الأول سرنا أربعين ميلاً وقضينا الليل في خان المزراقجي، ثم وصلنا إلى كربلاء في نحو الساعة الثالثة من اليوم التالي. ونزلت في دار السيد حمزة، وكنت عرفت إبن أخيه في (مقصود آباد) في البنغال، وكنت أرجو أن أراه ثانية بكربلاء، ولكنه توفي قبل وصولي إليها بعدة أشهر، ومع ذلك فقد إستقبلني أبواه إستقبالاً حسناً وأعاناني على إتمام مختلف مناسك الزيارة».

لقاءه بحاكم كربلاء:

وفي كربلاء إستقبله حاكمها (أمين آغا)[1] المعيّن حديثاً بعد واقعة الوهابيين حيث يقول: «وتلقاني حاكم كربلاء أمين أغا بكثير من الأدب، ودعاني مرتين إلى التغذي معه، وأعدّ لي خيلاً لأسافر إلى النجف ورغب في دفع كرائها، ولمّا كان ذلك يحرمني ثواب الزيارة ولم أقبل قط هذا البذل. ولقيت في كربلاء عمتي (كربلائي بكَم) وعدة نساء من توابعها، وكان شقاء أسرتنا قد إضطرهن إلى إعتزال العالم، فجئن يقضين أيامهن الباقية في الأرض المقدسة، وأن هذا اللقاء غير المنتظر سرني أعظم السرور، أن الوهابيين كانوا قد سلبوا منهن ما يملكن، وقد أعنتهن بجميع ما أستطيعه إذ ذاك من العون المالي».

(١) هو أمين آغا ترك الذي تم تعيينه حاكماً لكربلاء بعد غارة الوهابيين عليها، خلفاً لحاكمها المتخاذل، الذي سحب إلى بغداد وتم إعدامه. وبقي أمين آغا ترك حاكماً على كربلاء من سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م حتى سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م.

وصفه لحادثة الوهابيين:

وعن حادثة الوهابيين الذين غزوا كربلاء في ١٨ ذي الحجة ١٢١٦هـ والتي كانت قد وقعت قبل زيارته كربلاء بمدة وجيزة، يقول أبو طالب خان في كتاب رحلته (مسير طالبي):

«في الثامن عشر من ذي الحجة يوم غدير خم (حيث كان معظم سكان كربلاء قد ذهبوا لزيارة النجف الأشرف بقصد الزيارة المخصوصة). إذ داهم كربلاء خمسة وعشرون ألف من الفرسان وقد إمتطوا الجياد العربية الأصيلة وكانوا قبل ذلك قد بعثوا جماعة منهم إلى ضواحي كربلاء وقد إرتدوا زي الزوّار، وجرى بينهم وبين عمر أغا[1] والي كربلاء إتفاقاً وكان هذا الوالي سنياً متعصباً وعند دخولهم المدينة تعالت أصواتهم بـ (أقتلوا المشركين).

وكان من البديهي أن عوقب عمر آغا آخر الأمر بأن أمر سليمان باشا والي بغداد بإعدامه. بعد القتل العام أرادوا أن يخلعوا صفائح الذهب الأبريز من جدران المشهد الحسيني ولكن لإستحكامها ومتانة وضعها لم يستطيعوا ذلك. فقط خربوا قسماً من الضريح الذي تحت القبة.

وفي الغروب فجأة وبدون سبب ظاهر غادروا كربلاء متجهين إلى الحجاز وقد قتل في هذه الحادثة أكثر من خمسة آلاف شخص. أما الجرحى فلا يحصون لكثرتهم. وكان من جملة القتلى ميرزا حسن شاهزاده الإيراني. وميرزا محمد طبيب اللكنهوري. وعلي نقي خان اللاهوري مع أخيه ميرزا قمر علي مع غلامه وخادمه»[2].

وعن حادثة الوهابيين التي نقلها أبو طالب خان، ذكرها عنه ريتشارد كوك في كتابه (**بغداد دار السلام**) بنفس المضمون مع الإختلاف في الترجمة، ما نصّه:

«وقال الميرزا أبو طالب خان في رحلته: في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة (نيسان ١٨٠٢م) حينما خرج معظم أتقياء كربلاء لزيارة مشهد النجف رعفت الصحراء

(١) عمر آغا، كان حاكم المدينة وكان على غير وفاق مع أهلها، فتمت محاكمته ونال جزاءه وأعدم.
(٢) مسير طالبي/ أبي طالب بن محمد خان الإصفهاني، طبع بومبي سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م.

بخمسة وعشرين ألف وهابي، بعضهم على الخيل وبعضهم على الجمال ودخلوا كربلاء بمساعدة ناس قد إستنفروهم من قبل، وكانوا يتنادون بقولهم: أقتلوا الشيعة، إقطعوا رقاب الملحدين. فذبحوا السكان ونهبوا ما في الدور وحاولوا قلع صفائح الذهب من المشهد، إلاّ أنها كانت من وثاقة الإلصاق بحيث لم يستطيعوا ذلك، غير أنهم شعثوا بالقبور وبقية ما في المشهد وعادوا من حيث اتوا في أفول الشمس، وقد إتّهم الناس عمر أغا. كان ذا عقيدة فاسدة بمراسلة الوهابيين ومماالاتهم على الفساد، ويؤيد ذلك انه هرب عند أول إنذار بهجومهم إلى قرية بجوار كربلاء من غير أن يقاوم ولو أقل مقاومة، وآل أمره إلى المحكمة فحكم عليه سليمان باشا بالإعدام.

وقد قتل الوهابيون في إثناء مكثهم بالمدينة، على قلّتهم، خمسة آلاف إنسان وجرحوا عشرة آلاف. وحملوا معهم الذهب والفضة والأشياء الثمينة التي وجدوها فيها. وقعت هذه الحادثة في هذه الأيام القريبة بحيث لا يتكلم الشعب إلاّ عليها وإقتصاص هذه الأفعال الوحشية جعل شعر رأسي يقف، ويظهر أن أهل كربلاء إستسلموا للذبح بجبن وإستخذاء دون أن يدفعوا عن أنفسهم[1] ولمّا عاد الوهابيون إهتبل الأعراب الساكنون بالقرب من كربلاء الذعر العام فدخلوا المدينة وسلبوا جميع ما ترك الوهابيون مما لم يحملوه، وقتلوا بسيوفهم جملة كبيرة من السكان ومكثوا في كربلاء يومين وليلة»[2].

(١) هذا غير صحيح فقد قاوم أهل المدينة الذين لم يذهبوا إلى النجف بدليل إستشهاد سادن الحسين والعديد من السادة ومن اهالي كربلاء، ولكن الهجوم كان عليهم مباغتاً، والحكومة لم تاخذ دورها بالحماية.

(٢) بغداد مدينة السلام/ ريجارد كوك نقله إلى العربية وترجمه الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل ج٢ هامش ٢٥ ص١٠٦، والنص الذي أوردناه عن رحلة أبو طالب خان جاء من كتاب: رحلة ميرزا أبو طالب خان ص٤٠١وص٤٠٢.

نهر الحسينية:

وفي رحلته إلى كربلاء تحدث أبو طالب خان في كتابه مسير طالبي عن نهر الحسينية عندما أراد أن يقيس عرض شط الهندية وهو في طريقه من كربلاء إلى الحلة ليقصد النجف الأشرف حيث قال:

«هو على غرار نهر الحسينية الإسم الذي يعرف به اليوم مع ما طرأ على عدوتيه من تغيير وتبديل، هو اليوم عين النهر الموجود يروي ضياع كربلاء وبساتين ضواحيها بإسم نهر الحسينية. كان منفذه الرئيسي ينتهي إلى هور السليمانية الواقع في القسم الشرقي من البلاد، على مسافة بضع أميال، والفرع الذي إختص لإرواء السكنة والمجاورين كان يطوق المدينة من ثلاث جهات[1]. حيث الشمال والغرب ثم ينعطف نحو الجنوب ويتجه شرقاً حتى يصل منفذه الرئيسي في هور السليمانية».

(١) هذا الفرع الذي يطوق مدينة كربلاء من ثلاث جهات ويسقي أهلها حيث كان مساره قريباً من السور هو (نهر الهنيدية) الحالي. وهذا الفرع من نهر الحسينية قد حُفر قبل أن يحفر نهر الرشدية الذي أخذت مياهه تصل إلى القرب من مرقد الحر الرياحي، ويستمر بالجريان إلى ان تصب بزايزه في منخفض هور أبي دبس الذي تشكلت عنه بحيرة الرزازة فيما بعد.

رحلة المنشي البغدادي إلى كربلاء

المنشي البغدادي هو **(السيد محمد بن أحمد الحسيني المنشي البغدادي)** كما سمّى نفسه في رحلته، وهو إيراني الأصل وكان يعمل موظفاً في المقيميّة البريطانية في بغداد التي بقي فيها إلى سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠ م، وكان يعرف بـ **(السيد محمد آغا الفارسي)**.

كانت رحلته هذه التي شملت مناطق عديدة من العراق بسبب مرافقته إلى المستر **(كلاديوس جمس رج)** المقيم البريطاني في العراق. والرحلة كانت في زمن الوالي داود باشا **(آخر الولاة المماليك في العراق)**.

ويعتقد بأن الرحلة إلى كربلاء كانت في سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م، لأن المنشي البغدادي كان يصحب المستر رج في رحلاته، وهـذا إختلف مع الوالي داود باشا الذي كان يشك بنوايا المقيم البريطاني، وخاصة في رحلاته داخل العراق مع مرافقيه الذي كان من بينهم المنشي البغدادي وكان حينها سكرتير المقيم البريطاني ويسميه محمد آغا، وقد منعه من السفر وتدخلت الحكومة البريطانية، إلى أن غادر المستر رج العراق.

غادر المنشي البغدادي العراق سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م حيث بقي فيها عدة سنين مشغولاً بخدمات المقيميّة البريطانية ببغداد، وكتب رحلته في دار الحكومة في **(بومبي)** وعرضها على شكل رسالة.

كتب المنشي البغدادي رحلته إلى العراق وتجوّله فيه سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م، وأهداها حسب ما يقول:

«.. هدية لمجلس الجناب المستطاب جامع الكمالات.. صاحب السيف والقلم، ملاذ العرب والعجم، ناسخ آيات برمك، ماحي آثار الأتابك.. (هنرابل مونت استوره الفنستين كورنر بهادر) حاكم بومبي.. أدام الله إقباله وإجلاله العالي، ورجا أن تنال القبول.. كان ذلك سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م»[١].

أمّا رحلته الكاملة فقد كانت بالفارسية وقام بترجمتها إلى العربية المرحوم الأستاذ عباس العزاوي.

يقول المنشي البغدادي عن رحلته إلى كربلاء التي بدأها من بغداد، ما يلي:

كربلا:

من قرى بغداد قصبة كربلا. وفيها نحو خمسة آلاف بيت. وهناك روضة الحسين عليه السلام. ومن بغداد إلى كربلا خمسة عشر فرسخاً. وفي الطريق قد بنيت خمسة خانات، ويبعد فرسخين (خان الكهية)[٢]، والثاني يبعد عن بغداد أربعة فراسخ وهو (خان زاد)[٣]، ويبعد ستة فراسخ عن بغداد خان البير أو خان النصف، ويبعد ثمانية فراسخ خان المزراقجي، وعشرة فراسخ (المسيّب) على جانب الفرات. وهناك نحو أربعمائة بيت. ومنه يعبر جسر ممدود على الفرات فيُسار إلى كربلاء بمسافة خمسة فراسخ.

نهر الحسينية:

ومن الفرات يشتق نهر يذهب إلى كربلاء يقال له (نهر الحسينية). وفي كربلا ولمسافة أربعة فراسخ بساتين، تمرها مشهور بالجوْدة.

---

(١) رحلة المنشي البغدادي إلى العراق/ ترجمة عباس العزاوي ص٢٤، ط١ دار الوراق سنة ٢٠٠٨م.

(٢) خان الكهية، مندثر حالياً وكان موقعه بين الدورة واليوسفية.

(٣) خان زاد .. وموقعه بين بغداد والمحمودية وأطلاله على نهر اليوسفية.

شفاثا:

ومن كربلا يُسار إلى شفاثا[1]، ومن كربلا إليها ثمانية فراسخ. وهي بلدة تبلغ نفوسها ألف بيت. وفيها بساتين النخل والرمّان بكثرة. والماء فيها وافر.»[2].

(١) تقع غرب مدينة كربلاء وهي الآن مركز قضاء عين التمر، والطريق إليها يمر من جانب بحيرة الرزازة عند منخفض الطار، ومن ثم قرية (الشعيب) فقصر الإخيضر ثم تقاطع طريق النخيب المتفرع من يسار الطريق العام إلى شفاثة الواحة الغنّاء الجميلة في وسط الصحراء .

(٢) رحلة المنشي البغدادي إلى العراق/ ترجمة عباس العزاوي ص١٥٢ ١٥٣.

الشيخ أمين بن حسن الحلواني وإفتراءاته عن كربلاء

الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني المدرس في الحرم النبوي الشريف، هو مؤلف كتاب (**مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود**) وسمّاه (**خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨هـ ١٢٤٢هـ**) الذي ألّفه سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م. وهو إختصار لكتاب مطالع السعود.. للشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي.

ونحن نبحث في المصادر التي يُذكر فيها ما يخص مدينة كربلاء في تأريخها وخاصة عن غزوة الوهابيين ليتم تثبيته في كتابنا (**كربلاء.. التاريخ والقداسة**)، الذي نقوم الآن بإعادة طبعه بحلة جديدة وبعدة أجزاء، فقد وجدنا شيئاً عُجاب من الإفتراءات التي لا يمكن أن تحصل أبداً، أو أن تكون من باب التلفيق على المدينة وأهلها لأسباب سياسية أو طائفية مذهبية. والغريب في الأمر أننا وجدناها في مصادر قد إعتمد عليها الكثير من كبار الكتاب والمؤرخين، ونقلهم عنها يعني أنها مصادر قديمة وموثوقة.

وفي خِضمّ عملية البحث في المصادر وجدنا الكثير من الإدعاءات والأقوال والبحوث التي عبّر أصحابها عن رأيهم أو نقلوا أخباراً كاذبة أو مالوا إلى جهة الحاكم على مبدأ كتّاب السلاطين، أو أنهم إعتمدوا على النقل إذا لم يكونوا قد عاشوا الواقع في حياتهم على مصادر لم يتمعنوا من صدقها أو من عدمه، كما لم يدققوا ببصيرة ثاقبة فيها ولم يحللوا أبعادها ومخاطرها، لأنها ستكون مصدراً ووثيقة للأجيال التي تليهم.

وبين أيدينا كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (**تاريخ العراق ونجد**) لعثمان بن سند الذي حققه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والذي يطابق الأصل، الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م عن الدار العربية للموسوعات.

كذلك كتاب مختصر مطالع السعود للشيخ أمين بن حسن الحلواني الذي حققه وعلّق على حواشيه محب الدين الخطيب والمطبوع في القاهرة سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م في المطبعة السلفية. وهو إختصاراً لكتاب (**مطالع السعود في أخبار الوالي داود**) للشيخ عثمان بن سَنَد البصري الوائلي المولود سنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م والمتوفى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. والسبب في إختصاره وحسب ما يذكر العلامة محمد بهجة الأثري الذي قدّم للمختصر بتفصيل عن عثمان بن سند هو أن نصف الكتاب الأصلي كان شعر للمؤلف في الغزل والحماسة والمدح والرثاء والشكر والتهنئة اورده في المناسبات، وفيه أيضاً نقد لشعر بعض معاصريه وفوائد شتى[1]. وفي نفس الصفحة التي ذكر فيها العلامة الأثري ذلك، كتب المحقق والمعلق على كتاب المختصر وناشره (**محب الدين الخطيب**) في هامش الصفحة ما يلي:

«**وقد طواه الشيخ أمين الحلواني مقتصراً على الحوادث التاريخية**».

كان عثمان بن سند قد ألّف كتابه مادحاً الوالي داود باشا، ولكنه لم يذكر ما قام به داود باشا في واقعة المناخور ضد مدينة كربلاء والوقائع فيها إستمرت أربع سنين ولم يخضع له الكربلائيون بسهولة!!. ولكنه ذكر غزوة الوهابيين على كربلاء بشيء مقتضب لا يتناسب مع الحدث في وقائع سنة ١٢١٦هـ.

(١) يذكر العلامة محمد بهجة الأثري أن هذا الكتاب يعرف بإسم (مطالع السعود، لشموس أخبار الوزير داود)، والنسخة الموجودة منه في أكثر من ٦٠٠ صفحة، وهو أهم ما كتب إبن سند، وبه خلد ذكره وذاع صيته وإن لم يطبع بعد. رتبه على السنين بادئاً بتسجيل حوادث العراق من عام ولادة داود باشا، فدوّن فيه اخباراً مهمة ووقائع خطيرة لا يصيبها الباحث سواه، ووصف احوال العراق السياسية والإجتماعية وشؤون القبائل العربية من أيام حكومة عمر باشا حتى حكومة داود باشا. وفي سنة ١٣٤١هـ/ ٢٠١٠م قام الدكتور عماد عبد السلام رؤوف بتحقيقه.

وعندما قارنّا ما كُتب في مطالع السعود لإبن سند مع ما كُتب في المختصر للحلواني، وجدنا إختلافاً كبيراً في النص، بل تطرّق صاحب المختصر بعد الحديث عن غزوة الوهابيين على كربلاء مُزيداً على النص بنبذة عن أخبار تخص مدينة كربلاء لم نجدها في كتاب مطالع السعود.

والحلواني في مختصره وهو مستمر بالحديث عن واقعة الغزو الوهابي نجده يدخل فجأة في موضوعين متتاليين مسيئين عن كربلاء لم يتطرق إليهما عثمان إبن سند في كتابه مطالع السعود، وليس لهما علاقة بغزو الوهابيين.

لم نعلم هل شاهد صاحب المختصر ما كتبه عن كربلاء بنفسه أم نُقلت له؟!، رغم أننا تابعنا رحلات الحلواني وسفراته خارج الحجاز لم نجد ما يثبت أنه زار كربلاء، كما إنه لم يذكر في كتابه المختصر من أين جاء بهذه المعلومات التي نعتبرها إفتراءات لا صحة لها.

وددنا أن ننقل للقارئ الكريم الحادثتين اللتين ذكرهما عن كربلاء والمسيئتين لأهلها الكرام، وسنثبت بطلانهما، لإعتقادنا بأن الحلواني كتبها لغاية في نفسه وعلى نهج مذهبي طائفي.

ويأسف المرء أن يجد ذلك في مصدر قديم ومشهور، علماً بأنه كان ينتقد الوهابيين وأفعالهم وسلوكهم بل ومذهبهم.

١ عن الجنائز التي تدفن في كربلاء

جاء في مختصر مطالع السعود:

«ولنذكر نبذة من أخبار جيَف الشيعة المعبر عنها عندهم بالتوابيت التي يدفنونها بكربلاء، وهي أنه إذا مات الشيعي في أقصى المشرق أو المغرب فيوصي بأنهم يدفنونه في كربلاء وينذر على ذلك النذور، فيتحمل أهله بجيفته وينقلونه إلى كربلاء، وهناك تأخذ عليهم الحكومة شيئاً معلوماً من الدراهم في مقابلة دفن الميت في كربلاء، وهناك صهاريج كبار لبعض أهل البلدة من الشيعة معدّة لطرح تلك الجيف فيها، ولهم شيء

معلوم أيضاً على كل جيفة، فيطرحون الميّت داخل الصهريج، ويسدون عليه، وكلما وردت جيف أيضاً يطرحونها داخل تلك الصهاريج، وربما تتكلف الجيفة الواحدة من حيدر آباد الدكن إلى كربلاء مثلاً نحو ألف روبية، هذا مع الأواسط، وأمّا مع أغنياء الشيعة فربما تتكلف الجيفة ألوفاً. ثم إنه إذا إمتلأ ذلك الصهريج من الجيف والتوابيت تجد لتلك الأماكن وما جاورها عفونة ونتانة تُشم من مسافة لا يطيقها إلاّ أهل تلك الجهات الذين ألفوها، ولذلك كلما إمتلأت الصهاريج فصاحب الصهريج يبيع ما فيه من تلك الجيف المعبر عنها بالتوابيت على صاحب الحمّام بثمن معلوم، فيحضر صاحب الحمّام وينقل جميع تلك الجيف ويَقِدْ بها حمّامه. فأنظر لحماقة هؤلاء الشيعة كيف يصرفون الذهب والفضة لأجل حرق آبائهم. وياليت شعري ما الفرق بينهم وبين مجوس الهند الذين يحرقون موتاهم»![1].

نقول:

إن ذلك محض إفتراء على قدسية مدينة كربلاء وعلى سكانها أولاً، كما هو في نفس الوقت تعرّض غير لائق للمذهب الديني لأهل المدينة ثانياً.

فإن الشيعة يتمنون أن يدفنوا في النجف وكربلاء للقدسية التي تتمتع بها البلدتان، ولكن ذلك لم يكن لجميع الشيعة في البلدان إلاّ القليل منهم إمكانية نقل جثث موتاهم من بلدانهم إلى النجف أو كربلاء، وإنتشار هذه الظاهرة بدأت منذ أوائل القرن العاشر الهجري وإبتدأت من إيران في العهد الصفوي. وشُرّعت لذلك إتفاقيات وقانون خاص بها على مقدار الضريبة التي تدفع، والإجراءات الصحية التي تتخذ، وكيفية عملية النقل والدفن، وهذا الموضوع بحثناه بكتابنا عن تاريخ كربلاء في سياق الحديث عن المشاكل التي حصلت بين الدولة الإيرانية والدولة العثمانية.

كما أن صاحب المختصر ذكر الموضوع عن شيعة الهند ولم يذكر شيعة إيران ولا نعرف ما السبب؟. كما أنه لم يذكر نوع وشكل الصهريج هل هو من

(١) مختصر مطالع السعود / الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني ص٧٥.

الحديد أم من الفخار وكم هي سعته وهل شاهد الأمر بنفسه أم نقله عن غيره؟!!. لأن هذا الطرح وبهذه الشكلية لم يسبقه به أحد من المؤرخين ولا من الرحّالة الذين زاروا كربلاء وهم كُثر ولم يتركوا شيئاً إلاّ وأثبتوه.

وهل يُعقل أن يتم بيع الجثث لصاحب حمّام في المدينة حتى يستعمل الجثث وقوداً لحمّامه؟... وكربلاء في ذلك الوقت كانت تعج بالعلماء وبالنهضة الدينية الكبيرة وتصدرها في هذا المقام بإعتبارها المركز الديني الأكبر في الزمن الذي يتحدث عنه مؤلف مختصرمطالع السعود، كما أن المواد التي يحتاجها البلد لإشعال النار في حمّاماته متوفرة وبكثرة من الخشب وغيره، فمدينة كربلاء محاطة بالبساتين ومخلفاتها من سعف النخيل والكرب وتشذيب أغصان الأشجار كافية بل وفائضة عن الحاجة، فما الداعي لحرق الجثث، والذهاب إلى تحمّل خطيئة يحاسب عليها الدين والشرع والعرف السائد.

كما انه تحدّث عن هذا الأمر في كربلاء، فلماذا لم يتحدث عن وجود هذه الظاهرة في النجف فهي الأكثر إستقبالاً للجنائز من الخارج. فلو قال هذا المؤرخ بأن التوابيت الخشبية وحدها التي تُنقل فيها الجنائز يتم حرقها بعد إفراغها من الجثث ودفنها حتى يتم التخلص من آثارها الصحية لكان ذلك مقبولاً ومنطقياً، ويمكن أن يكون ذلك هو الحاصل قطعاً ولكنه ولأغراض مذهبية تحدث بهذه الكيفية.

وأخيراً فهو يقول: «**فانظر لحماقة هؤلاء الشيعة يصرفون الذهب والفضة لأجل حرق آبائهم. ويالیت شعري ما الفرق بينهم وبين مجوس الهند الذين يحرقون موتاهم**»!!!.

وهنا بان عدم تقدير صاحب مختصر مطالع السعود وقلّة فهمه وإطلاعه، لأن الذين يحرقون أجساد موتاهم هم (**الهندوس**) وليس المجوس في الهند، لأن الهندوس يعتقدون بعدد كبير من الآلهه ولكل إله عندهم له شأن يختلف عن غيره، بينما (**المجوس**) في الهند وهم عبدة النار وطريقتهم ليس حرق الموتى

لأنهم يُعضّمون النار ويبعدون الدنس عنها، فطريقتهم في التعامل مع موتاهم هي ليس (الدفن) في باطن الأرض ولا حرق الجثث وتسييرها في الأنهر لإعتقادهم بأن المياه تطفئ النار التي يعبدونها، وإنما يضعون جثة الميت في مكان خاص محاط بالأشجار ويعرّونها ويتركوها للغربان لتأكلها حتى تبقى أرواح موتاهم تحملها الطيور[1].

٢ حُفرة الدم في كربلاء

أما الموضوع الثاني فيقول صاحب مختصر مطالع السعود ما يلي:

«ومن عجائب كربلاء أن هناك حفرة على صورة قبر وعليها غطاء من حجر الرخام، ويزعم شيعة أهل تلك البلدة أنه إذا أهلَّ شهر المحرم يفيض الدم من تلك الحفرة وبه يعرفون ظهور الهلال، ومع أنها بطول السنة ناشفة، يعني أنهم ليلة الشك يذهبون إلى تلك الحفرة ويمدّون فيها عصا فإن ظهر رأس العصا وفيه صورة دم ممسّك فيعرفون أن هذه الليلة هي أول شهر المحرّم، فتضجُّ البلدة بالصراخ، ولا يحتاجون إلى النظر في الأفق لرؤية الهلال، بل يكتفون بمد العصا في تلك الحفرة. وهذا أيضاً من دكيّاتهم وحيلهم لنصرة مذهبهم»!![2].

وبدون توقف يستمر بالحديث عن واقعة الوهابيين مباشرة فيقول.. فلما بلغ الوزيرَ ما صُنع في كربلاء أمر الكتخدا علي بك أن يخرج بعسكره.. إلخ.

---

(١) زُرت الهند عام ١٩٩٩م، وإثناء جولتي في مدينة (بومباي) الشهيرة وهي بوابة الهند على المحيط والعاصمة التجارية للهند، فقد قادني مرافقي إثناء جولة للتعرف على معالم المدينة، فأراني (حديقة كبيرة) تقع على كورنيش المدينة الطويل والجميل، وتقدر هذه الحديقة التي يعلو سياجها عن الرصيف بمقدار ستة امتار تقريباً، بمساحة تزيد عن الخمسة دونمات من الأرض، وفيها أشجار كثيفة وعالية جداً، وكان لون الأشجار يميل إلى العتمة (السواد) من كثرة الغربان التي تقف على اغصانها، وفي منتصف الحديقة (دكات) عديدة تعلو عن الأرض بمقدار مترين، وأبعاد مساحة الواحدة منها ٣م× ٤م تقريبا وهي معمولة من الإسمنت الصقيل، توضع عليها جثث الموتى من طائفة المجوس عارية وتترك، فتنزل عليها آلاف الغربان وتأكلها ولم تبق منها شيئاً حتى العظام بمناقيرها، وبوقت قصير جدا تتلاشى الجثة ولم يبقى منها أيّ أثر.

(٢) مختصر مطالع السعود/ ص٧٦.

نقول:

وهذه فِرْيَة ثانية حيث أوردها صاحب المختصر مباشرة بعد الأولى وبدون توقف، وقد وقفنا عندها متأملين ما ذا يقول؟!!... فنسأل هل رآى الحادث بنفسه؟ فأين من أمكنة كربلاء؟ هل في داخل حرم الحسين عليه السلام، أم في داخل المدينة القديمة المسّورة بسور آنذاك؟ أم خارجها؟ فلم يوضح ذلك. وهل نقل الحادثة عن أحد؟ فلماذا لم يذكر المصدر الناقل، وهل هو زار كربلاء أصلاً؟ فهو لم يزرها وإلاّ كان قد كتب ذلك.. فهي محض إفتراء قطعاً.

نحن لا نشك بقدسية الأرض التي سال عليها دم الحسين العظيم، وإذا كان صحيحاً ما نقله فلن نستبعد المعجزات بحق سيد الشهداء، وقد إعتقد بعض العامة ولم يروا بأن في إحدى المرّات وجد دم في بقعة من حرم الحسين..

وحتى ذلك إن حصل فهو لم يكن سنوياً قد إستمر بالظهور ولو كان صحيحاً لذُكر ووُثّق من قبل مئات المؤرخين الذين كتبوا عن كربلاء وعاشوا أحداثها، أو ممن زاروها، أو من سكنتها على الأقل!!. ويمكن أن يكون مؤلف كتاب مختصر مطالع السعود قد سمع بموقع (**المذبح**) الذي يقدس الناس هذا المكان ويعتبرون أن في هذا الموضع ذبح الإمام الحسين روحي له الفدا، فروى من عنده الحادثة لشيء في نفسه.

وأخيراً نتعجب من مؤرخ يكتب عن حادثة وقعت في كربلاء وهي غزوة الوهابيين وفي إثناء سرده للواقعة يذكر حوادث مفترات ليست لها علاقة بالحادثة ثم يستمر ويكمل مباشرة وبدون إنقطاع واقعة الغزو الوهابي فيقول..

«**فلمّا بلغ الوزير ما صُنع في كربلاء أمر الكتخدا علي بك أن يخرج بعسكره ويتبعه إلى مقرّ ملكه العارض، فما وصل الهندية حتى نجا سعود على المهرية القود وإلتحق بالقفار والصحارى، فجبن الكتخدا، ولم يمكنه أن يلحقه**».

نعزو كل ما تقدم هو أن عثمان بن سند كتب مطالع السعود، ليؤرخ ولاية داود باشا، هذا الوالي المملوكي الطائفي الذي كان يكُنّ عداءاً لمدينة كربلاء

بشكل غير طبيعي لوقوف أهالي كربلاء وعصيانهم ضد حكومته، والشيخ أمين بن حسين المدني الحلواني الذي كتب مختصر مطالع السعود كانا يجانبان الحق في بعض المواقع لأغراض مذهبية طائفية لاغير، وكثيراً ما وجدنا بين أسطر الكتابين كلمة الروافض والتي يعنيان بها الشيعة على وجه التحديد.

والأدهى من ذلك نجد محقق كتاب مختصر مطالع السعود والمعلق على حواشيه والواقف على طبعه، والذي يسمي نفسه خادم العلم الشريف (**محب الدين الخطيب**) يعلق في هامش الصفحة ٨٦ من المختصر على النص التالي لصاحب المختصر الذي يقول عن إبن سعود: «.. **فأنظر لهذه السياسة التي ملك بها جزيرة العرب أجمع بغير دراهم ولا دنانير، ولم يفتح معدناً ولا جبى خراجاً، بل كان كلُّ ما يحصله من الدراهم والمغانم في غزواته ومن أثمان المجوهرات التي نهبها من كربلاء ومن الحجرة النبوية كان يدَّخرها ويصرف منها في العمارات وشراء الأسلحة للفداوية**[1] **التي حوله..**»[2].

وجاء تعليق محقق الكتاب (**خادم العلم الشريف!!**) في الهامش وفي نفس الصفحة عن ما ينهبه إبن سعود في غزواته، حيث يقول:

«**وهذه هي سنة الإسلام وحكم شريعته في هذه الأمور**»!!.

وكأن من يقتل ويسلب وينهب ويعتدي على الحجرة النبوية (**قبر النبي محمد عليه الصلاة والسلام رسول السلام الذي بعثه الله رحمة للعالمين**) وينهب ما فيها، ويقطع عشرات المئات من الأميال ليعتدي على مدينة آمنة ويقتل أهلها ويسلب الأموال ويهدم الدور والأسواق، وينهب كل ما وجد في حرم الحسين (**سبط الرسول وريحانته وسيد شباب أهل الجنة**) ويحرق الضريح والحرم المطّهر ويجول بخيله داخل الحرم، ويقتل النساء والأطفال والشيوخ الآمنين، ويُجري

(١) يقصد بالفداوية.. المقاتلين الذين يلتفون حوله ويعتمد عليهم بعمليات القتل والسلب والنهب ويسميهم بمعنى الفدائيين.

(٢) مختصر مطالع السعود (خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق)/ الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني ص٨٦، وفي نفس الصفحة الهامش رقم الذي ورد فيه التعليق.

أنهاراً من الدماء... ويقول خادم العلم الشريف (**هي سنة الإسلام وحكم شريعته في هذه الأمور**)!!. ولا يمكن قول المزيد سوى (**حسبنا الله ونعم الوكيل**).

زيارة (يمين الدولة علي خان) لكربلاء

يمين الدولة علي خان هو الحاكم السادس من ملوك **(مملكة أودة)** في الهند، وقد حكم في مملكته مابين سنة ١٢١٣هـ ١٢٢٩هـ/ ١٧٩٨م ١٨١٤م. وكان ملوك مملكة أودة يهتمون بالعتبات المقدسة في كربلاء خصوصاً، وقد خصصوا أموالاً ترسل إلى كربلاء سنوياً توزع للفقراء وإقامة المشاريع الخيرية في المدينة، وكان لهم وكلاء أربعة من رجال الدين يقومون بهذه المهمة، وإستمروا بإرسال المبالغ إلى منتصف القرن العشرين الميلادي حسب المعلومات المتوفرة لدينا.

ويبدو أن زيارة ملك أودة يمين الدولة علي خان جاءت بعد حادثة الوهابيين، حيث شاهد ما أصاب المدينة من خراب ودمار فأشفق على حالها، فبذل أموالاً كثيرة وقام بأعمال جليلة حينها.

جاء في بغية النبلاء في تاريخ كربلاء عن هذه الزيارة ما نصّه:

«وقد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فأشفق على حالتها وبنى فيها أسواقاً عامرة وبيوتاً قوراء[1] أسكنها بعض من نكبوا وبنى للبلدة سوراً حصيناً لصد هجمات الأعداء. وأقام حوله الأبراج والمعاقل ونصب له آلات الدفاع على الطراز القديم وصارت على من يهاجمها أمنع من عقاب الجو. فأمنت على نفسها وعاد إليها بعض الرقي والتقدم»[2].

النص الذي أورده مؤلف بغية النبلاء حول سور مدينة كربلاء الذي شيده يمين الدولة علي خان فيه خلاف، وخاصة إن المؤلف لم يُشر إلى مصدر يؤكد

(١) قوراء .. الواسعة والفسيحة .

(٢) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء / ص٤٠ . وتاريخ كربلاء وحائر الحسين / ص٢٣٨ .

بناء السور من قبل يمين الدولة. لأن المشهور والموثق من المصادر التاريخية أنه بعد غزوة الوهابيين قام السيد علي الطباطبائي (**صاحب الرياض**) بالإشراف على بناء سور جديد ومنيع للمدينة بأموال أرسلها الشاه فتح علي القاجاري سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م مع (٢٠٠٠) شخص من قبائل البلوش ليقوموا ببناء السور وهم مشهورون بخبرتهم في هذا المجال.

فإن يمين الدولة إمّا أن يكون قد زار كربلاء بعد غزوة الوهابيين بمدة وجيزة، فقام بالصرف على ترميم السور المتهالك حينها، ضمن أعماله الخيرية التي قام بها، أو قد يكون بدأ ببناء السور لمرحلة، وعندما وردت الأموال إلى السيد علي الطباطبائي من الشاه القاجاري قام بإكمال بناء السور الذي بقيت منه أجزاء حتى منتصف القرن العشرين، وتداعى بعد ذلك عند توسع المدينة القديمة، ولايزال جزء منه في محلة المخيم في الزقاق الواقع خلف ديوان المرحوم العلامة الشيخ محمد الخطيب.

الرحالة (جمس بكنغهام) وذكره كربلاء

في صيف عام ١٨١٦م (١٢٣١هـ) زار الرحالة جمس بكنغهام العراق وكتب رحلته التي سماها «**رحلة في بلاد الرافدين**» أو «**رحلتي إلى العراق**».

وذكر في رحلته هذه بأنه زار برج بابل ومعبد بعل أو برس نمرود في السابع والعشرين من تموز ١٨١٦م. ولأن مسيره من بغداد إلى آثار بابل، ولكون بابل وبرس نمرود قريبتان من كربلاء، فقد ورد في رحلته ذكر لكربلاء ونعتقد أنه لم يزرها، وإلى القارئ الكريم ما جاء برحلته في اليوم الثامن والعشرين من تموز عن كربلاء وهو يزور برس نمرود وهو البرج المشهور الذي يطل على البطائح والمستنقعات الممتدة من الجهة الثانية لنهر الحلة بإتجاه كربلاء حيث يقول:

«**تسلقنا الناحية الغربية من البرج بسرعة وحين بلغنا قمته وإستعدنا أنفاسنا، كانت مهمتنا الأولى هي أن نلاحظ مواقع الآثار التي تحيط به كيما نحدد بدقة أكثر موقع ذلك الطلل**[1]، **لأن الميجر رنل قد إعترف بما إطلع عليه من وصف (الأب عمانؤيل)**[2]. **وهو**

(١) يقصد بالطلل.. هو الموقع الذي يقفون عليه وهو قمة برس نمرود، ويذكر مترجم الرحلة الأستاذ سليم طه التكريتي في هامش الصفحة ٤٥و٤٦ من كتاب (رحلتي إلى العراق) البحيرة والمستنقعين الأول والثاني وقد حدد موقعهما بإتجاه الشمال الغربي. ونقول: هو نفس إتجاه مدينة كربلاء عن موقع برس نمرود، وهذه البطائح المائية كانت تسمى قديماً بالسيب الأعلى والسيب الأسفل. وسنجد بأن احد الرحالة ذكر بأنه وصل إلى كربلاء بسفرة مائية من قرب برس نمرود حتى وصل إلى مستنقع (أبو روية) القريب من كربلاء.

(٢) الأب عمانويل.. هو القائم بأعمال المقيم الفرنسي في بغداد سنة ١٧٥٨م، وكان يعتبر نفسه أسقف الروم في العراق وأسقف بابل. وكان الأب عمانويل قد كتب الكثير عن بابل وبغداد من خلال مشاهداته ورحلاته، وتوفي بمرض الطاعون ببغداد سنة ١٧٧٣م.

وصف دقيق بأنه يقع ضمن موقع بابل، في حين ذكر (نيبور) أنه يقع خارج ذلك الموقع وعلى بعد ميلين أو ثلاثة أميال خلف الأسوار.

أمّا موقع (كربلاء) أو مسجد الحسين فقد أشير لنا بأنه في إتجاه الشمال الغربي، وإن مسجد علي يقع في الناحية الجنوبية. ومع أن الصباح كان رائقاً والوقت مناسب للرؤيا، إلاّ أن أيّـاً من المسجدين لم يكن ظاهراً في تلك اللحظة، لأن بلوغ كل منهما يتطلب مسيرة يوم كامل، دون أن يستطيع المرء تحديد عدد الساعات، كما إن الخانات[1] التي أشير إليها في المواقع قد قيل إنها تقع على الطريق المباشر من مسجد علي إلى مسجد الحسين، ذلك الطريق الذي يقطعه عرب الصحراء القاطنون غربيّه بشكل ظاهر حيث لا تمضي سنة دون سلب عدد من الـزوار الإيرانيين سواء كانوا جماعات قوية أم منفردين»[2].

(١) الخانات التي يشير إليها هي الخانات الثلاث التي تقع بين كربلاء والنجف الأشرف وهي خان النخيلة الذي يبعد عن كربلاء ٢٠ كم تقريباً، وخان الحماد (خان النص) الذي يتوسط الطريق بين المدينتين المقدستين، وخان المصّلى الذي يبعد عن النجف قرابة ١٨كم، وقد أعدت هذه الخانات لإستراحة الزائرين وتوجد فيها مختلف الخدمات لهم. كما أن خان النخيلة القريب من كربلاء هو أقرب للموقع الذي يشير منه الرحالة بكنغهام.

(٢) رحلتي إلى العراق/ جمس بكنغهام ترجمة سليم طه التكريتي، ج٢ ص٤٥وص٤٦ ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره، وطبع في دار البصري بغداد سنة ١٩٧٠م.

رحلة (فريزر) إلى كربلاء

هو المستر **جيمس بيلي فريزر**، رحّالة أنكَليزي زار العراق عام ١٨٣٤م/ ١٢٥٠هـ ضمن رحلة بدأها من إسطنبول إلى إيران بمهمة دبلوماسية، وقدم إلى العراق وزار عدة مدن فيه ومنها كربلاء، ومن بغداد عاد إلى إيران عن طريق ديالى. ويبدو أن فريزر زار بغداد في أواخر حكم داود باشا، فقد تحدث في رحلته عن نهاية داود باشا وتقويض حكم المماليك في العراق.

كان يكتب فريزر ما يخص رحلته على شكل رسائل يبعثها إلى زوجته، وقد قام الأستاذ جعفر الخياط بترجمة بعض الرسائل التي تخص رحلته إلى العراق فقط، وسجلها الخياط بكتاب أسماه (**رحلة فريزر إلى بغداد عام ١٨٣٤م**)، ومنه نستقي المعلومات عن رحلته التي زار فيها كربلاء وما كتبه عنها.

ولد جيمس بيلي فريزر في أنفرنيس بإسكوتلاندا في سنة ١٧٨٣م، وتوفي في ريليك في كانون الثاني سنة ١٨٥٦م. كان سائحاً ومؤلفاً، وقد ذهب إلى الهند في أول أدوار حياته، وفي سنة ١٨١٥م إرتاد جبال الهيمالايا ودرس الكثير من أحوالها. وحينما عاد إلى لندن عُيّن لمرافقة الأميرين الإيرانيين اللذين كانا منفيين في إنكَلترا، رضا قلي مرزا ونجف قلي مرزا. وعاد معهما حتى أوصلهما إلى إستانبول. تزوج إبنة اللورد ووهاوسلي سنة ١٨٢٣م، وهي زوجته التي ظل يبعث إليها برسائله التي يؤلف قسم منها قوام هذه الرحلة. وكانت بعض الملاحظات الفلكية والجغرافية التي دوّنها في رحلاته وأسفاره ذات فائدة جلّى في رسم خرائط البلاد الآسيوية.

كان فريزر ملم باللغة الفارسية، وله كتب عن إيران منها (**القزلباش**) و(**رحلة شتوية إلى إيـران**). وله كتاب عن آثـار العراق الموسوم (**ما بين النهرين وآشور**) أصدره عام ١٨٤٢م.

يقول الأستاذ جعفر الخياط:

«**ولا بد من الإشارة هنا إلى أن صاحب الرحلة يجنح في رسائله هذه إلى التحامل على العرب والأكـراد معاً بعض التحامل، ويصمهم بوصمات ونعوت قد لا تكون مناسبة، وخاصة العشائر منهم. وذلك في معرض التكلم عن أخطار الطريق وتعرّض السياح والمسافرين إلى السلب والنهب وفرض الأتاوة عليهم. وإني أعتقد أن هذا شيء لا يمكن أن يكون غير منتظر بالنسبة لأوضاع البلاد وأحوال سكانها في تلك الأيام من جهة، ولعقلية الأوربيين وإستغرابهم مما يصادفونه في البلاد الغريبة عنهم من جهة أخرى. على أنني أؤاخذه فيما يصدره فيها من أحكام عامة في بعض الأحيان من دون أن تستند إلاّ إلى حوادث فردية أو وقائع شاذة لا يمكن أن تتخذ مقياساً تقاس به الأمور بصورة عامة**»[1].

وعن رحلته إلى كربلاء وما كتبه عنها كان من قبيل ما ذكره الخياط أعلاه، وقد يكون قد إستقى معلوماته التي دوّنها من المرافقين له، والذين يمكن أن يكونوا مؤيدين أو على قرب من والي بغداد داود باشا الذي شن حرباً شعواء على مدينة كربلاء دامت فترة طويلة لغرض إخضاعها، عندما تمردت المدينة على حكمه المتعسف والظالم، ولم يتمكن من إخضاع المدينة حيث قاوم أهلها جيشه في واقعة (**المناخور**) التي بدأت في ١٣ شوال سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م التي قادها ضد المدينة (**سليمان المناخور**)، وإستمرت المعارك بين أهل مدينة كربلاء وجيش الوالي داود باشا مدة طويلة تضمنت معارك ضارية خاضها الكربلائيون ضد الجيش الذي لم يتمكن من إقتحام المدينة إلى يوم ١٩ ذي الحجة من نفس العام،

(١) رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤/ جعفر الخياط ص١٠، ط١ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م الدار العربية للموسوعات، بيروت/ لبنان.

فقد أصدر الوالي العفو العام إلى الميراخور، وبذلك توقفت الأعمال الحربية بين الطرفين، وسمح الكربلائيون إلى عدد كبير من الجند بالدخول إلى كربلاء لغرض زيارة المشهدين فيها وإشترط أهل المدينة عليهم بأن يدخلوا بدون سلاح، وتم ذلك، فرحب بهم أهل المدينة، ثم عاد الجيش إلى بغداد.

وبعد إنتهاء هذه الواقعة فقد بقيت القطيعة بين داود باشا وأهل كربلاء، وحدثت عدة معارك فيما بعد بين الطرفين، إلى أن إنتهت في عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م عندما دخل الجند عنوة في ٢٢ رمضان ١٢٤٤هـ.

وقاد الثورة على الوالي داود باشا العديد من أشراف المدينة وأعيانها ورؤساء العشائر والمناطق فيها يتقدمهم نقيب الأشراف المرحوم السيد حسين بن مرتضى النقيب (آل دراج).

وما نقله الرحالة فريزر هو مخالف للواقع قطعاً، وقد إضطررنا أن نذكر ذلك لما سيأتي من مدونات فريزر التي كتبها في إحدى رسائله عن مدينة كربلاء.

في الجزء الثاني من الرحلة فيه تسع عشرة رسالة تتناول سفرات فريزر إلى سلوقية وطاق كسرى، ثم إلى آثار بابل والحلة وما جاورهما (**منها كربلاء**)، وإلى مخيم زبيد وبعض العشائر الأخرى.. وما يلي ما كتبه عن كربلاء وهو يتحدث عن المشاكل الأمنية التي صادفها في رحلته فيقول:

«**ويصعب هذا كله على السياح من مثلي الذين يعد التأخير بالنسبة لهم شيئاً متعباً وخطراً. هو خطر على الأخص بالنسبة للعدد الكبير من الزوار الإيرانيين كذلك، الذين يأتون من بلاد بعيدة لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف، فقد عاد أولئك الذين دفعتهم حماستهم منهم إلى التجاسر على سلطة الأعراب وقد سلبوا إلى حد العري، ومن دون أن يروا العتبات بأعينهم. ومن الحقائق التي تدل على ضعف الحكومة التركية التام في هذه الولاية أن جميع العتبات التي لها قدسية خاصة تقريباً قد جعلت ملاذاً لشر الناس في المجتمع وأكثرهم تفاهة، ولا تزال في وضعها هذا حتى الآن. ومن المحتمل أن يكون هذا قد نشأ عن طبيعة الحماية يستغلها في الدرجة الأولى أسوأ الخارجين**

على القانون من الناس بطبيعة الحال. لكنه على كل إمتياز لا يسمح (المتولي) ورجال الدين أو خدام الحضرة، للسلطات الزمنية أن تتعرض له. وهكذا يتجمع أصحاب السوء وقد يدفعون الكثير من المال من أجل الحصول على الحماية حتى يكون في مقدورهم الهيمنة عليها كما هي محلة الشيخ عبد القادر (باب الشيخ) ببغداد نفسها. وقد حصل مثل هذا الوضع كذلك في النجف وكربلاء معاً، ولكن بمقياس أوسع وحالة أسوأ بكثير. إذ إزداد عدد المتمردين المتجمعين هناك بحيث لم يعد من الممكن لحاكم المنطقة ولا لسلطة الباشا أن تسيطر عليهم. وهؤلاء لا يفعلون ما يريدون فحسب، بل كانوا أيضاً يطلبون من الزوار الذين يأتون لزيارة العتبات المقدسة الإذعان لأوحش الطلبات وأبعدها عن المألوف والمعقول، وفي حالة عدم الإنصياع كانوا ينهبون أمتعتهم ويجردونهم حتى من ألبستهم، كما يسلبونهم زوجاتهم وبناتهم في بعض الأحايين[1]. وقد إستفحل هذا الشر لدرجة إضطر فيها داود باشا نفسه تجريد قوة ضد هؤلاء في النجف، فنجح في إخضاعهم للطاعة.

ولا تزال كربلاء في حالة ثورة. فلم يستطع اليرماز[2] والقتلة والسفهاء الذين يكوّنون عدداً كبيراً فيها، من صد الجيش الذي جرده الباشا عليهم فقط بل أصبحوا أيضاً يهيمنون هيمنة تامة على البلدة كلها بحيث لم يكن بوسع أحد أن يعصي لهم أمراً أو يتحداهم من دون أن ينال جزاءه. فقد إبتدعوا طريقة سرية للإتصال والتفاهم فيما بينهم لا يحيط بها غير الداخلين في زمرتهم، وبواسطتها يستطيعون أن يجمعوا في أي مكان كان قوّة غير يسيرة بأسرع ما يمكن. ولذلك كان الناس المحترمون يخشونهم

(١) هناك مبالغة كبيرة في هذا الطرح، وإذا وقعت حادثة مماثلة فهي لا تدخل في مجال التعميم، وقد تكون قد حصلت وإنتشر خبرها، فإن ذلك لا يعني إستمرارية وقوع أمثالها، خاصة أن هذه المدن تعيش أصلاً على زوار العتبات، فإذا سمح للمفسدين فإن أحداً لن يصل للزيارة والسياحة وسوف يقف أهل تلك المدن ضدهم قبل الحكومة، إذا ما علمنا بأن كبراء البلد وشيوخها كانت لهم الحظوة والقوة في مدن العتبات.

(٢) اليرماز أو اليرمازية هم الشقاة بالتركية، وغالباً ما كان يطلق على الجنود الإنكشارية الهاربين من الخدمة والذين يتحولون إلى شقاة ومؤذين يطلق عليهم اليرماز أيضاً.

بحيث لا يجرأون على بذل أي مجهود أو إتخاذ أي إجراء من الإجراءات لمعارضتهم وحتى لحماية أنفسهم منهم. فقد حدث قبل مدة غير طويلة أن غضب هؤلاء على نوّاب هندي كان قد أقام في كربلاء منذ عدة سنوات، فهاجموا بيته ونهبوه ثم أخذوا البيت منه ودمّروا ممتلكاته من دون أن يكون بوسع أي أحد منعهم أو التصدي لهم بشيء، فإضطر النواب المسكين إلى الهزيمة والنجاة بنفسه إلى بغداد التي لم يزل يقيم فيها على ما أعلم. وهم يذهبون في فسادهم وخلاعتهم حتى إلى حد أنهم حينما يعلمون أن أحد الزوار يصطحب معه زوجة جميلة أو أختاً حسناء، يبعثون ليأتون بها إليهم. وحين يرفض ذلك يعمدون إلى سرقتها منه بحيلة من الحيل أو إلى إغتصابها بالقوة. وكثيراً ما كان يحدث هناك أن تفقد زوجات بعض الناس على هذه الشاكلة لمدة إسبوع أو أكثر، فيعدن إلى أهلهن بعد ذلك بحالة يرثى لها، فقد سمعت أحد الإيرانيين أنا بنفسي يتذمر من معاملة زوجته بهذه الطريقة[1]. وبعد، أليست هذه حالة وتدعو بصراحة إلى الإقتصاص والإصلاح؟ إنها واحدة من ألف حالة من حالات سوء الحكم والفوضوية التي تلفت نظر أولئك الذين يمرون بالبلاد، وتدل على تعاسة سكانها وشقائهم»[2].

---

(١) يلاحظ القارئ مقدار المبالغة في هذا السرد الخارج عن الواقع أصلاً، ليس دفاعاً عن المدينة وأهلها بل عندما نقول بأنها مبالغة، لأن في تلك الفترة كانت الأوضاع في المدينة في حالة غليان ضد حكم المماليك فإن أهلها تمكنوا من إستلام زمام الأمور بعد مقتل حاكم المدينة التركي وكذلك مقتل الحاكم الذ جاء بعده، وكلها كانت من تدبير الوالي داود باشا الذي يريد بشتى الوسائل والذرائع إخضاع المدينة واهلها المنتفضين على الحكومة بسبب سوء معاملتها لهم. ويذكر تاريخ المدينة بأن سراة القوم فيها تمكنوا من السيطرة على الوضع العام فيها، وقد قاموا بالقبض على بعض اليرمازية ومعاقبتهم. ولكن يجدر بنا أن نذكر بأن النساء الزائرات أو نساء المدينة كُنَّ محجبات وغير سافرات الوجوه حتى يُرى جمالهن من قبحهن، ويمكن أن يكون الزائر الإيراني الذي نقل لفريزر ما حدث لزوجته من باب الصراع السياسي والسلطوي بين إيران والأتراك وحكمهم في العراق ليقولوا بأن الحكم فاسد والفوضى عارمة في المدن، ليتسنى لهم ولحكومتهم التدخل بحجة حماية رعاياها من الزوار والمقيمين. وقد نقلنا نص ما ذكره فريزر بدون أي تحريف لنعود إلى الملاحظة التي نقلناها عن مترجم الرحلة الذي ذكر بأن الرحالة وصف بسوء العرب والأكراد من باب التحامل.

(٢) رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤/ ترجمة جعفر الخياط ص١٧٥ ١٧٧.

الرحالة الروسي (إيليا نيكولا بيرزين) يزور كربلاء

من الذين زاروا مدينة كربلاء وأشادوا بعمرانها المستشرق والرحّالة الروسي **(إيليا نيكولا بيرزين)** وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديداً في سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م. وكان بيرزين قد دخل العراق من البصرة التي وصلها في شهر تموز من عام ١٨٤٣م.

تكتسب زيارة **(بيرزين)** إلى كربلاء أهمية كبرى لكون زيارته هذه جاءت إثر **(حملة نجيب باشا)** الدامية التي حدثت في أوائل سنة ١٨٤٣م (١٢٥٨هـ). تلك الواقعة التي نتجت عن إنتفاضة المدينة المقدسة ضد السلطات التركية.

كان لواقعة نجيب باشا الوالي الظالم الذي كان يكنُّ أشد العداء لمدينة كربلاء، وقد أكد البعض إنها كانت أحقاد مذهبية على حد قولهم، والحقيقة هي أن مدن الفرات الأوسط ومن بينها مدينة كربلاء قد ذاقت من حكم الأتراك الويلات، فأخذت تنتفض على الحكومة العثمانية التي حاولت جاهدة إخضاع مناطق الفرات الأوسط وبالخصوص مدينة كربلاء التي رفضت مساعدة الوالي في حروبه، كما ان الشعور الوطني الذي أخذ بالتزايد ضد الحكام الأتراك الذين يفرضون الضرائب ويسيئون للأهالي بشكل لم يعد تحمّله، فإنتفض أهل كربلاء وقرروا مقاومة الأتراك.

عندها قرر الوالي محمد نجيب باشا دخول المدينة عنوة بعد أن حاصرها ٢٧ يوماً ووجه عليها مدافعه التي رشق بها المدينة المقدسة ولم تسلم من قصفه حتى العتبات المقدسة فيها. وقد هاجمها ثاني يوم عيد الأضحى سنة ١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢م

وأوسعها خراباً ودماراً، إستباح جنده وقادته المدينة بكل قسوة وبربرية وسالت أنهار الدماء من أهالي كربلاء الذين قاوموا بكل ما لديهم ولكن الجيش كان أقوى مما كانوا يتحملونه، وتناثرت جثث الضحايا حتى في مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام بعد ان لاذ بهما الأهالي.

وقد أورد (بيرزين) في دراسة له عنوانها (كربلاء) نشرها في مجلة (دراسات الأرض والرحلات) في موسكو سنة ١٨٥٨م (١٢٧٥هـ) حول أبنية كربلاء، عدة ملاحظات عيانية قائلاً:

«توازي مدينة كربلاء بسعتها مدننا التي هي مراكز أقضية، أما عدد السكان فهو أكثر بكثير مما عندنا، وذلك لأن الشوارع في البلدان الشرقية أضْيَق بكثير من أزقتنا، والبيوت تبنى غالباً متلاصقة الواحدة بالأخرى، ولا وجود للساحات والميادين في المدينة، ويحيط بها سور من الطابوق المجفف بأشعة الشمس، ويتألف من صفين، الصف العلوي يكون بمثابة مدارج ومشارف، وأمّا الصف السفلي فيتكون من أقسام خالية ومكشوفة يفصل بعضها عن البعض بالحواجز، وتكون هذه الفروع مأوى للفقراء الذين لا سكن لهم[1]، كما هي الحال في بغداد تماماً»[2].

---

(١) الطريقة التي بني فيها سور كربلاء بعد غزوة الوهابيين التي حدثت في ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، كانت على شكل سور يحيط بالمدينة بتصميم يختلف عن سابقه الذي كان من صف واحد ذو سمك يزيد على المتر الواحد، وفيه أبراج، ومن السور تنفتح خمسة أبواب في محيطه تؤدي إلى خارج المدينة. أما التصميم الجديد بعد الغزوة الوهابية فقد تم بناء السور بشكل محكم وبصفين. الصف الأمامي يرتفع بمقدار تسعة أمتار، وبعرض يقارب الأربعة أقدام، وتم فتح ستة أبواب في محيطه بدلاً من خمسة. أما الصف الثاني من السور فكان أوطئ من السور الأمامي، وبينهما مسافة تقدر بثلاثة أمتار. وتكون البيوت ملاصقة للسور الواطئ الذي لايزيد إرتفاعه عن سبعة أمتار. وبين السورين كان الفضاء يستغل لمأوى من لا سكن له، وفيه شيدت السلالم للسور الأمامي. والفضاء كان يستغل لأغراض الدفاع، ومستودع للمؤونة والسلاح.

(٢) مجلة دراسات الأرض والرحلات/ إيليا نيكولا بيرزين موسكو ١٨٥٨.

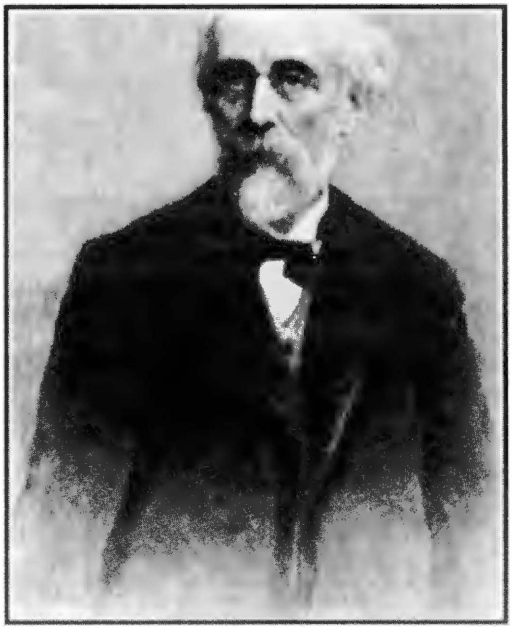

وبقى في هذا المنصب إلى سنه ١٩٠٦م حيث تقاعد عن العمل، وكانت وفاته في أوائل سنة ١٩٣١م.

توجه نولدكه بنوع خاص إلى ناحيتين من الدراسات الشرقية، وقد أصاب من كل منهما حظاً وافراً، الأولى : كانت في اللغات السامية، والثانية : في تاريخ الإسلام وتمدنه.

فوضع في الأولى بحثه في (**اللغات السامية**) ومؤلف في (**نحو اللغه السريانية**)، وكتابيه (**دروس في علم اللغات السامية**) و(**دروس جديدة في علم اللغات السامية**). أما من الناحيه الثانيه فقد دشنها بمؤلفه (**تاريخ القرآن**)الذي وضعه أولاً سنة ١٨٥٩ ونال عليه جائزة (**أكاديميه النقوش الفرنسية**).

ثم أعاد كتابته وزاد عليه وأخرجه في اللغه الالمانية، فكان له موقع كبير عند الباحثين من علماء الغرب، رغم إن هذا الكتاب لاقى إنتقادات عديدة من بعض العلماء العرب والمسلمين. وكتب بحوث أخرى في التاريخ الاسلامي والأدب العربي منها : (**حياة النبي محمد**) و(**دروس في شعر العرب القدماء**) و(**النحو في اللغة العربية الفصحى**) و(**خمس معلقات**) و(**مقالات في التاريخ الفارسي**). ومن المواضيع التاريخية التي أصدرها، كتابه عن (**تاريخ أمراء الغساسنة في الشام**).

تعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكرستية، وأتقن العربية والعبرية والسريانية، وفي عام ١٨٥٦م نال شهادة الكتوراه.

ذكر البعض بأن ثيودور نولدكه زار كربلاء سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، وأنه كتب في وصف الحرم الحسيني، ومن هؤلاء مؤلف مدينة الحسين الذي يذكر بأن نولدكة زار كربلاء فذكر:

«**إن مرقد الإمام الثالث الحسين بن علي يقع في ساحة الصحن التي تقدر مساحته بـ (٢٥٤× ٢٧٠) قدم، محاط بأواوين وزوايا وقد زخرفت جدرانها بشريط مطعم مستمر متلألئ الذي قيل أنه يحتوي على كتابات قرآنية بالكاشي الأزرق والأبيض. وإن البناء الرئيسي يدخل إليها بواسطة الإيوان الذهبي الخارجي، والروضة نفسها محاطة بأروقة**

معقودة يستطيع الزائرون الطواف حول المرقد من هذه الأروقة، وتعلوها قبّة شاهقة تحيط بالمرقد على نصف دائري، وفي وسط مركز قاعدته من الأسفل ضريح من الفضّة يبلغ وزنه (١٠٩ ١١٢) رطلاً، وفي وسطه صندوق يضم رفاة الحسين بن علي الذي يبلغ إرتفاعه أقدام وطوله (١٢) قدماً ومحاط بعمل مشرفي مطعّم بالعاج ومن الفضة من القدم الذي نقف عند ضريح صغير»[1].

وجاء في دائرة المعارف الحسينية/ تاريخ المراقد للشيخ محمد صادق الكرباسي بأن ثيودور نولدكه زار كربلاء سنة ١٢٦٧هـ، ونقل نص ما أورده مؤلف مدينة الحسين أعلاه، بل أضاف مصدر آخر هو موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء في الهامش[2].

نقول:

لقد بحثنا بشكل موسع في الكثير من المصادر التي ذكرت الرحّالة والمستشرقين الذين زاروا العراق ومنه كربلاء، فلم نجد ما يؤكد بأن العالم والمستشرق الألماني **(نولدكه)** قد زار العراق أو كربلاء، ويمكن أن يكون الوصف الذي كتبه في أحد بحوثه عن كربلاء هو الذي جعل هذا البعض أن يذكر بأنه زار المدينة المقدسة، فالذين كتبوا عن كربلاء فهم كُثر من المستشرقين ولم يكونوا قد زاروها أصلاً، وقد ذكرنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب. فنجد اليوم من يذكر رحلته إلى كربلاء في بعض مواقع الأنترنيت، معتمدين على المصدرين الذين ذكرناهما قبل قليل.

لقد أخطأ مؤلف مدينة الحسين، ووقع في نفس الخطأ الشيخ الكرباسي، لأن **(نولدكه)** لم يزر كربلاء ولا حتى العراق في حياته كلها التي جاوزت التسعة

---

(١) مدينة الحسين/ محمد حسن الكليدار السلسلة الثالثة ص١٧٢. ومصدره في ذلك مجموعة السيد عبد الحسين الكليدار (مخطوط).

(٢) دائرة المعارف الحسينية تاريخ المراقد/ الشيخ محمد صادق الكرباسي الجزء الثاني/ ص١٥٧، ومصدره موسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء ص٢٠٣ عن وزن الفضة في الضريح، وعن كامل النص الذي أورده، من كتاب مدينة الحسين، كما جاء في الهامش أعلاه.

عقود من الزمن. وأوقعوا في ذلك الخطا كل من كتب عن المستشرقين الذين كانت لهم رحلات إلى كربلاء ونشروها لاحقاً على مواقع الأنترنيت.

ودليلنا على ذلك هو ما ذكره الدكتور (**عبد الرحمن بديوي**) في كتابه (**موسوعة المستشرقين**) حيث قال عن ثيودور نولدكه ما يلي:

«.. **قام في ٢ سبتمبر ١٨٦٠ برحلة من برلين حتى روما وطاف بالبلاد الرئيسية طوال الطريق. وإستمرت الرحلة ثلاثة أشهر، وتعد هذه الرحلة هي الرحلة الوحيدة خارج ألمانيا، وإلى جانب رحلاته إلى فيينا وليدن وإنجلترة. والعجب أنه لم يرحل إلى البلاد العربية والإسلامية، رغم أن تخصصه وعمله كلّه يتعلق بلغات هذه البلاد وآدابها وتاريخها وجغرافيتها)!!!**»[1].

أمّا مؤلف مدينة الحسين فكان مصدره (**مجموعة السيد عبد الحسين الكليدار المخطوطة**) وهو ذاته مؤلف كتاب بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، فإذا كان ما يقوله مؤلف مدينة الحسين لكان قد ذكره المرحوم السيد عبد الحسين الكليدار (**رحمه الله**) في كتابه الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ ذكرها عن كربلاء ومرقد الحسين عليه السلام.

أمّا الشيخ الكرباسي الذي أخذ البعض يعتبر موسوعته من المصادر عن كربلاء خصوصاً، فقد كانت في موسوعته أخطاء كثيرة أوردناها في كتابنا (**كربلاء التاريخ والقداسة**)، وهذا خطأ آخر يدل على عدم التمحيص والدقة، فإنه يذكر نص زيارة أو رحلة لم يقم بها صاحبها أصلاً معتمداً على كتاب مدينة الحسين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الشيخ الكرباسي ذكر في الهامش من الصفحة ١٥٧ من تاريخ المراقد ـ ج٢، عن وزن ضريح الحسين بالأرطال ومصدره موسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء في الصحة ٢٠٣، وعند مراجعة المصدر نجد التالي:

١. لم يرد في الصفحة ٢٠٣ من موسوعة العتبات قسم كربلاء عن الموضوع أي إشارة.

(١) راجع (موسوعة المستشرقين)/ الدكتور عبد الرحمن بديوي الصادر سنة ١٩٩٢م.

٢. إنما جاء في الصفحة ٢٥٢ منها، ولم يُذكر أوزان الفضة ولا التأكيد على الرحلة، وإنما ذكر ما كتبه الغربيون أنفسهم من تحقيق خاص بهم كالمستشرق الألماني المعروف نولدكة في كتابه الصادر في برلين سنة ١٩٠٩م، والمستشرق البحاثة لسترانج صاحب كتاب (**بلدان الخلافة الشرقية**) وغيرهما، وقد ذكرنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب!! يعني ذلك أنّ موسوعة العتبات المقدسة لم تؤكد الرحلة، وإنما نولدكه كتب عن كربلاء على ضوء ما كُتب عنها من مصادر عربية وغربية أخرى. مع العلم أن الكرباسي ذكر الصفحة (٢٢)، بينما هي ٢٥٢ وقد يكون ذلك خطأ مطبعي، ولكنه ذكر كتاب نولدكة عن موسوعة العتبات أن الموضوع جاء في ص٤٠ منه بالإشارة إلى الهامش بينما لم يكن للصفحة ٤٠ وجود في هامش من نفس الصفحة في موسوعة العتبات.

٣. هذا التعقيب أردنا به التصحيح لا النقد، حتى لا يعتبر ما نقلوه مصدراً لموضوع لم يكن قد حصل أصلاً!!.

رحلة عالم الآثار الإنكليزي لوفتس[1] إلى كربلاء

في سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م زار مدينة كربلاء المقدسة عالم الآثار الإنكليزي وهو (**وليم كينيت لوفتس**) قادماً إليها من مدينة النجف بصحبة (**درويش باشا**) العضو التركي في لجنة الحدود الدولية، و(**طاهر بك**) حاكم الحلة العسكري، ويرافقهم عدد من العساكر الأتراك.

وكان قد سلك الطريق الصحراوي من النجف إلى كربلاء، حيث يذكر أن الطريق المباشر بين النجف وكربلاء يمر بحواشي البادية، لكنه نادراً ما يُستطرق خوفاً من البدو الذين طالما كانوا يقطعون الطريق لغرض السلب والنهب.

كما يقول بأن المسافر فيه يلاحظ من الجهة الأخرى أهوار الهندية الممتدة على مد البصر. ويذكر أن مدخل مدينة كربلاء أكثر جمالاً من مدخل مدينة النجف، لوجود الكثير من البساتين وأشجار النخيل حول المدينة، وأن الأبنية الكثيرة المبنية خارج الأسوار[2] توحي بشيء أكثر من الطمأنينة والأمان بالنسبة

(١) وليم كينيت لوفتس.. هو عالم من علماء الإنكليز، وكان قد زار العراق في سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م بإعتباره عضواً دولياً في لجنة الحدود التي أنتدبت لتعيين الحدود وتثبيتها بين العراق وإيران، وكان حينها العراق تحت سيطرة الدولة العثمانية، وكانت مسألة الحدود العراقية مع إيران هي من أهم أسباب النزاع بين الدولتين العثمانية والقاجارية الإيرانية، وكانت هذه الرحلة هي زيارته الثانية للعراق لنفس الغرض.

(٢) يظهر أنه كانت هناك أبنية خارج السور قبل أن يقوم والي بغداد المصلح مدحت باشا بإنشاء محلة العباسية التي سميت بـ (الجِدَيْدَه) سنة ١٨٦٩م، علماً بأن القادم من النجف إلى كربلاء يسلك الطريق الذي يمر بمحلة العباسية الحالية ويدخل المدينة من باب النجف والتي كان موقعها في الميدان القديم قرب محلة البلوش.

لخطر القبائل البدوية. ويذكر أنه شاهد في ضواحي كربلاء عدد من (**الكُوَرْ**) لصنع الطابوق (**الآجر**) والذي يشبه طابوق بابل في الشكل والحجم.

وعند وصول موكب (**لوفتس**) وجماعته في الصباح فقد أستقبل بحفاوة كبيرة في مدخل المدينة، حيث يقول:

فقد خرج الحاكم[1] وبصحبته عدد من الموظفين والوجهاء والمعممين بالعمائم الكبيرة المصنوعة بأنعم القماش من الموسلين وأدقّه، والمزركشة بخيوط الذهب أو غير المزركشة، لتقديم إحتراماتهم. وعلى الطريقة الشرقية قال الجميع للضيوف أن بيوتهم وجميع ما يملكون تحت تصرف القادمين الكرام.

ويقول إن هذه الأقوال جميعها ليست سوى مجاملات لا قيمة لها، أو (**بوش**) على حد قول العثمانيين[2].

«وبهذا الإلتفات الزائد دخل لوفتس وجماعته إلى كربلاء خلال عاصفة من الغبار المثار من خيول المستقبلين ووسائط نقلهم، حتى نزلوا في السراي، حيث أعلن الحاكم الذي كان على علم مسبق بمجيء الضيوف بأنه سيتشرف بتناول طعام الإفطار معهم...»[3].

ويذكر وليم لوفتس في كتابه عن رحلته وزيارته إلى كربلاء في الصفحات ٥٩ و٦٠ مايلي:

... كانت أطعمة الإفطار تتألف من البلاو (الرز) وقليل من الخضروات المطبوخة بمختلف الأشكال، وصحن صغير من اللحم. وكان الطبيخ جميعه مطيباً بعصير الليمون، ولكنه كان مشبعاً بأكثر مما يجب من السمن والشحم بحيث لا يمكن أن

---

(١) كان الحاكم هو القائمقام (قورابي أفندي) الذي إستلم حاكمية كربلاء من سنة ١٢٦٧هـ إلى ١٢٧٤هـ/ ١٨٥١م إلى ١٨٥٧م، وقد عُيّن مرة ثانية سنة ١٢٧٦هـ إلى ١٢٧٩هـ/ ١٨٥٩م إلى ١٨٦٢م.

(٢) ليس غريباً على شخص إنكليزي أن ينعت المستقبلين له بهذه الكلمات، لأنه لايعرف المجتمع الشرقي، كما أن لوفتس هو الإنكليزي الذي شارك بترسيم الحدود بين العراق وإيران، والتي إستمرت مشاكل ذلك الترسيم إلى يومنا هذا، لأنها المعتمدة تاريخياً في أي نقاش أو منازعة حدودية.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ص٢٩١.

يستسيغه سوى الذين كان قد أخذ الجوع منهم مأخذه. ومع ذلك فقد أفرغت الصحون كلها حينما إمتدت الأيادي لها. وأنهيت الضيافة بتقديم كاسة كبيرة من (الشربت) سرعان ما أدخلت فيها ملاعق الخشب ذات الأشكال الغريبة.

بعد طعام الإفطار خرج لوفتس وجماعته يطوفون ويتجولون في المدينة، وكان قصدهم الذهاب إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام. ولكن كانت قد وصلت أخبار من النجف عن زيارة لوفتس ودخوله إلى صحن الإمام علي عليه السلام وهو مسيحي[1] يمنع دخوله المراقد المقدسة، فتهيأ الناس لمنعهم وإذا لم يمتنعوا ويصّرون على الدخول فسيتخذ المحتشدون الذين يحملون مختلف الأسلحة سبيل المقاومة. فيقول لوفتس في مذكراته:

«... **يبدو ان الأخبار في الشرق تنتقل بسرعة البرق، فعندما توجهنا إلى الصحن الحسيني كان قد إصطف ثلة من الجنود المرافقين لنا بأسلحتهم في الباب الكبيرة، فوجدنا عند الباب تجمع لعدد كبير من الرعاع المسلحين بصورة مخيفة. وكان على رأس هؤلاء درويش مسلح بشكل يلفت النظر ويبدو أنه كان يترصد حركتنا منذ أول وصولنا المدينة، فلم يجد الجميع من الحكمة أن يحاولوا الدخول امام جمهور محتشد متهيأ للمقاومة، وكان بوسعنا الحصول على فكرة كاملة عن داخلية الحير من البيوت المحيطة به، غير أن عدداً من خدمنا المسيحيين تمكنوا من الدخول مع بعض الخدم المسلمين إلى صحن الحسين، وسرعان ما إنكشف أمرهم فأخرجوا عنوة بعد أن ضُربوا ضرباً مبرحاً، وعلى ذلك يجب ان تقدّم لهم التهاني على خروجهم غير مقتولين بمثل هذه السهولة...**».

---

(١) بالنسبة إلى دخول غير المسلمين إلى العتبات المقدسة، فقد نصت قوانين وأنظمة العتبات الرسمية وكذلك التوجيه الشرعي من العلماء بعدم دخول غير المسلمين للعتبات، وكان آخر هذه الأنظمة هو قانون (نظام) العتبات المرقم ٢١ لسنة ١٩٦٩ والمعدل سنة ١٩٧١م الذي يمنع دخول غير المسلمين للعتبات. وقد أفتى بعض العلماء بجواز دخول غير المسلمين على أن يكونوا من أهل الكتاب بإعتبارهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، بينما قسم آخر حرّم ذلك وإقتصر الموافقة على دخولهم من الأبواب إلى حافة الصحن فقط ولايجوز لهم تجاوز ذلك، ويعللون هذه الموافقة البسيطة هو لإطلاع غير المسلمين على المعالم الدينية في العتبات المقدسة، ويقوم المعنيون بشرح مفصل عن المراقد.

وفي مذكراته أيضاً يصف لوفتس واقعة كربلاء ويشيد ببطولة الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره الذين خرّوا صرعى معه وعددهم إثنان وسبعون، ويشير إلى بقاء الإمام السجاد عليه السلام الذي يتحدر السادة الحاليين من نسله حسب قوله.

وصفه للروضة الحسينية

في وصفه للروضة الحسينية يقول لوفتس:

«إن جامع الحسين كثير الشبه في تصميمه بمشهد الإمام علي، لكنّه لا يمكن أن يقارن به من حيث النظافة والزينة والعمران. فإن قبّة الحسين وحدها مكسوّة بالذهب، وان إحدى المنارات الثلاث تبدو متداعية وتوشك على السقوط».

وعن الروضة العباسية فقد ذكر بأن قبة جامع العباس كانت مكسوّة بالبلاط المزجج (**يقصد به الطابوق الكاشاني**) الأزرق المعتم.

دفن الجنائز في كربلاء

شاهد لوفتس في زيارته الجنائز التي تنقل خاصة من إيران لتدفن في كربلاء والنجف، وعن الدفن في كربلاء يقول:

«إن دفن الجنائز التي يؤتى بها إلى كربلاء كان أشبه مايكون بما يحصل في مشهد علي بوجه عام، لكنّ عددها لا يصل إلى العدد الذي يدفن منها في النجف. وأن عملية الدفن لا يبذل فيها الإهتمام اللازم في كربلاء، لأن الحُفر لا تحفر بأعماق كافية، وإنما تحفر بحيث لا تغطى الجثث المدفونة فيها إلاّ بالكاد، وبسرعة تخلو من المراسيم.

وصف أسواق كربلاء

ووصف لوفتس الأسواق في كربلاء حيث قال:

«**أن أسواق كربلاء كانت ممتلئة بأنواع الحبوب، وبالسلع التي كان يحملها الزوّار إليها من جميع انحاء العالم. وهي تشتهر بصناعة المصوغات المخرّمة، والحفر المتقن على الأصداف المستخرجة من مغاصات البحرين في الخليج**».

خيمة علي

ويشير لوفتس إلى وجود مصلّى صغير خارج أبواب كربلاء، يقال إنه قد أنشئ في المكان الذي شاهد فيه الإمام علي رؤيا[1] معروفة في خيمته. ولذلك يطلق على هذا المصلّى (**خيمة علي**)[2]. وهو بناء إثنا عشري الأضلاع له ستة مداخل، ومحاط بشرفة لها سقف يستند على أعمدة. وحينما همّ لوفتس ومن معه بالدخول إليه طُلب إليهم ان يخلعوا أحذيتهم قبل الدخول ففعلوا، لكن الضابط التركي[3] الذي كان معهم لم يلتفت إلى ذلك الطلب فدخل إلى المصلّى بحذائه. وحينما إعترض عليه أحد الخدم الموجودين فيه أجابه يقول: «**إن حذائي لا يقل نظافة عن مصّلاكم القذر**»[4].

---

(١) في رواية تناقلها المؤرخون مختصرها أن الإمام علي عليه السلام عندما ذهب إلى صفين وكانت مغادرته من النخيلة قرب الكوفة، ومرّ بأرض كربلاء، وعندها شوهد وهو يتأمل الأرض وهو يقول: ها هنا محل ركابهم ومهراق دمائهم. قيل له منْ يا أمير المؤمنين، قال: ثقل لآل محمد.

(٢) لا يوجد ما يشبه هذا المكان الذي يصفه لوتس خارج أسوار المدينة غير (المخيم الحسيني) الذي يقع في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة القديمة وخارج سورها، ويمكن أن نُقل إليه ما هو غير صحيح. ولم نعرف البتة عن أثر للمكان الذي تحدث فيه الإمام علي عليه السلام رغم أن الرواية عن الإمام صحيحة لا غبار عليها وقد ذكرت في العديد من المصادر التاريخية المعتبرة.

(٣) الضابط التركي هو الحاكم العسكري العثماني في الحلّة (طاهر بك) الذي رافق لوفتس في زيارته.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ص٢٩٥.

لوفتس يذكر الخراب الذي حلّ بكربلاء بعد واقعة نجيب باشا[1]

عندما وصف لوفتس الروضة الحسينة قال: إن أحدى المآذن الثلاث[2] تبدو متداعية وتوشك على السقوط، فقد عزى ذلك إلى إحتلال جنود (داود باشا) والي بغداد لكربلاء.

(١) واقعة نجيب باشا أو (غدير دم) .. حدثت هذه الواقعة المأساوية في يوم ١١ ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ الموافق ليوم ١٣ كانون الثاني سنة ١٨٤٢م وكان هذا التاريخ مصادفاً لليوم الثاني لعيد الأضحى. وسبب هذه الواقعة التي حدثت بعد واقعة المناخور بـ (٢٥) سنة تقريباً، هو أن الحال داخل مدينة كربلاء قد ساء لإشتداد ضغط الحكومة العثمانية على أهالي كربلاء عندما فرضت على المدينة ضرائب كثيرة، وقد إشتدت إساءة الحكام الأتراك على المدينة وأهلها وطالبوهم بأعمال السخرة والإنصياع لأوامر الجيش التركي والحكومة. كما أن أبناء المدينة ضاقوا ذرعاً بإنتهاكات المسؤولين الأتراك وأعوانهم من الأعراب الغرباء من بعض العشائر التي جلبتها الحكومة لتعاونهم على السيطرة على كربلاء والذين بدأوا بالقيام بأعمال لا يرتضيها الكربلائيون، وهم المعروفون بمناوئتهم للأتراك وحكمهم وعدم خضوعهم للوالي محمد نجيب باشا الذي كان يدير عمليات ضد الهندية ومناطق أخرى من الفرات الأوسط، وكان يتخذ من حامية المسيب مقراً له. وقد رفضت المدينة تموين حامية المسيب بالأرزاق، فطلب الوالي زيارة المدينة إلاّ أن اهلها طلبوا منه تحديد عدد الأشخاص الذين سيرافقونه، بل وأصرّوا على أن لايزيدوا عن ستة أشخاص. فقرر الوالي محاصرة المدينة وأخذ بقصفها ثم الهجوم عليها بكل شراسة وقسوة، مما إضطر الأهالي للدفاع عنها وحدثت مجزرة هائلة وسالت أنهر من الدماء وأستبيحت الحرمات وتم إخضاع المدينة بالقوة. وكانت لهذه الواقعة أصداء دولية إستنكرت الحادثة، وتدخلت فيها دول عظمى مثل روسيا وبريطانيا بالإضافة إلى إيران، وكان ذلك في زمن السلطان العثماني عبد المجيد الثاني. فأصاب المدينة الدمار والخراب ولم تسلم العتبات المقدسة فيها من الأضرار. وعلى إثر التحقيقات الدولية التي أجريت بعد الواقعة تم نقل الوالي من بغداد.

(٢) كانت الروضة الحسينية تحوي على ثلاث منائر أقدمها هي منارة العبد الذي بناها الخواجة مرجان قرب جدار الصحن الصغير في الجهة الشمالية الشرقية للصحن الحسيني حينها وذلك في سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م. وقد أزيلت منارة العبد سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م لميلانها بعد أن أجريت عليها عدة ترميمات من قبل. أما المنارتين الأخريتين فقد بناهما السلطان أحمد بن أويس الجلائري في إيوان الروضة القبلي وتم إكمالهما سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م.

فقد اخطأ لوفتس بإسم الوالي الذي إحتل مدينة كربلاء، فهو ليس داود باشا وإنما الوالي محمد نجيب باشا الذي سميّت واقعته بـ (**غدير دم**). لأن داود باشا قام بواقعة (**المناخور**)[1] أيام حكم المماليك في العراق. وبعدها بسنوات عديدة هاجم نجيب باشا كربلاء وإستباحها بل ودمّرها سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٣م، وكانت هذه الواقعة قبل مجئ لوفتس بسنوات قليلة.

حيث يقول لوفتس عن إحتلال والي بغداد لكربلاء بالقوة جاء بعد ان أصبحت المدينة وكراً لعصابات (**اليرماز**) أي الشقاة الذين ظلّوا يعيثون فساداً فيها مدة من الزمن، ويتحدون الأتراك في حكمهم[2].

وأهم ما يذكره عن حملة نجيب باشا يقول بأن (**طاهر بك**) حاكم الحلة العسكري التركي الذي جاء لوفتس بحمايته لزيارة كربلاء، كان أحد الضبّاط المشتركين في هذه الحملة المتصفة بالقسوة والعنف (**حسب قوله**)، وقد حصل على ترفيعه نتيجة لذلك، حيث روى طاهر بك للمستر لوفتس أنه قد قتل بيديه ثلاثة من اليرماز، بينما اخرج رجاله سبعين منهم من مخابئهم التي إلتجأوا إليها ما بين الأطفال والنساء فقتلوهم صبراً في أماكنهم.

ويذكر لوفتس عن هذا الحادث الفظيع العلامات التي كانت ما تزال ظاهرة للعيان في مختلف أنحاء كربلاء نتيجة الحصار والقصف... ويقول:

---

(١) واقعة المناخور.. أو واقعة (داود باشا) التي حدثت في ١٣ شوال سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م بسبب سياسة والي بغداد المملوكي داود باشا الذي أراد عنوة إخضاع مدينة كربلاء وأهلها الذين ثاروا على قسوة وظلم الحكومة، وسميت بالمناخور أو (الميرآخور) نسبة إلى قائد الجيش الذي حاصر كربلاء وقاد الهجوم عليها وهو (سليمان ميرآخور) أمير الإصطبل. إستمرت المعارك بين أهل المدينة وجيش الوالي مدة طويلة تضمنت تسعة معارك خاضها الكربلائيون ولم يتمكن الجيش من إقتحام المدينة إلى يوم ١٩ ذي الحجة من نفس العام، عندما اصدر الوالي العفو العام وعندها توقفت الأعمال الحربية وإنسحب الجيش إلى بغداد.

(٢) لابد انه إستقى هذه المعلومات الخاطئة من مرافقه (طاهر بك) الحاكم العسكري للحلة، الذي كان أحد ضباط الحملة، وقد أبدى فيها قسوة متناهية، وبسببها تم ترفيعه وجعله حاكماً عسكرياً على الحلة.

«فقد تهدمت الدور المقابلة للسراي، ولم يعاد تشييدها فبقيت دلائل واضحة للخراب والتهديم. وتعرضت المساجد[1] للخراب والتدمير بصورة خطيرة، فظلّت آثار القنابل والشظايا واضحة للعيان في قبابها، وجدران البلدة[2] التي لم تسد الفجوات والثقوب الحاصلة فيها. ولم يسلم النخيل في البساتين من آثار القصف كذلك، فبقي عدد كبير منه تبدو الثقوب في جذوعه بارزة للمشاهدين، بينما إحترق عدد آخر منه هنا وهناك وتجرد من سعفه.

«إستمرت زيارة لوفتس لكربلاء عدة أيام، وقد غادرها إلى بغداد مباشرة عن طريق المسيّب، لكنّه يقول إنه خرج قبيل بزوغ الشمس وسقوط أشعتها الباهتة في أول الأمر على القبة الذهبية، وقبّة العباس المكسوّة بالقاشاني الأزرق المعتم التي كانت لا تزال محاطة بغلالة خفيفة من الضباب. فكان لذلك منظر مؤثر في نفسه»[3].

(١) المساجد .. يقصد بها الروضتين الحسنية والعباسية ، حيث حصل فيهما القتل والتخريب بشكل بشع.

(٢) جدران البلدة .. يقصد به لوفتس سور المدينة ، حيث قام العسكر بحرق وقلع النخيل القريبة من السور ، وضرب السور بالمدافع ، ومن الفجوات التي احدثها القصف تم إقتحام المدينة . ومنذ ذلك التاريخ لم يعاد بناء السور وبدأ يتلاشى بتوسع المدينة إلى خارجها .

(٣) موسوعة العتبات المقدسة / قسم كربلاء ـ ص٢٩٦.

رحلة عبد العلي خان (أديب المُلك) لكربلاء

هو **عبد العلي خان بن الحاج علي خان مقدّم المراغي حاجب الدولة**، وهو شقيق محمد حسن خان (**صنيع الدولة**)، ووالدته بنت الملاّ أحمد المراغي المعروف بـ (**مستجاب الدعوة**). ولد عبد العلي خان في مدينة (**مراغة**) الإيرانية في ٥ شعبان ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، عمل في صباه في خدمة البلاط الملكي في عهد الشاه محمد القاجاري (**مؤسس الدولة القاجارية**)، وكان قد تربّى مع ناصر الدين شاه حيث كان رفيق صباه، وأخذ يعمل في مناصب متعددة في البلاط الملكي، وعندما تسلّم ناصر الدين شاه عرش إيران قربّه إليه بإعتباره رفيق صباه وقلّده عدة مناصب منها إدارة الحكومة في قُمْ وسمنان ومراغة، كما قلّده عدة مناصب وزارية لثقته العالية به وأصبح من كبار رجال الدولة. ولقب (**أديب المُلك**) منحه إياه الشاه القاجاري ناصر الدين شاه عندما أنشد عبد العلي خان بيتين من الشعر بحق الشاه. وكانت وفاته في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، عن عمر ناهز الستّين عاماً.

وقد قام (**أديب الملك**) برحلة إنطلق منها من طهران إلى العراق ورجع إليها، وإستمرت رحلته قرابة الستة أشهر وكان حينذاك إبن الثلاثين سنة من العمر.

وكان تاريخ دخوله العراق في نهاية الإسبوع الأول من شهر صفر سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، قضى قرابة أربعة أشهر من رحلته في العراق، زار فيها بغداد ومدن العتبات المقدسة مثل سلمان باك وسامراء والكاظمية وكربلاء والنجف وغيرها من البلدات والقصبات، وقد سجّل إثناء رحلته كل ما شاهده وإعتمد إسلوب الوصف الدقيق ذاكراً لقاءاته بالشخصيات الإدارية والعلمية والأعيان.

وفي رحلته هذه إستقطعنا ما يخص مدينة كربلاء ورحلته إليها، وكانت رحلته بالكامل كتبها على شكل مـذكـرات طُبعت لأول مـرّة باللغة الفارسية سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م من قبل مسعود كلزاري، وقام بترجمتها إلى اللغة العربية وعلق عليها الأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي ضمن كتاب (**العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه**)، وقد أوفى المترجم بما عليه من إختصاص الترجمة التي حصل له فيها بعض الصعوبات، وأجاد في التعليق على ما جاء في هوامش الكتاب إلاّ بعض الشطحات التي نعتبرها غير مقصودة والتي سوف نقوم بذكرها عند نقل وقائع الرحلة التي أخذنا منها الجزء المتعلق بكربلاء.

هذه الرحلة إلى مدينة كربلاء ننقلها للمتتبع والقارئ الكريم، وهي تعطي وصفاً للمدينة المقدسة وعاداتها ورجالاتها في زمن الرحلة، وهو توثيق لواقع الحال وقتها. وكانت الرحلة بعد ما يقارب خمسة عشر عاماً من وقـوع حادثة نجيب باشا المسماة (**غدير دم**). وإليك تفصيل الرحلة حيث يقول في مذكراته:

«**وفي اليوم الثالث من ربيع الثاني ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) ومع طلوع الفجر زرت الإمامين الكاظمين عليهما السلام، وإستاذنتهما في السفر، ثم عدت إلى المنزل وركبنا بنيّة الزيارة للإمام سيد الشهداء عليه السلام.**

وبعد ان غادرنا بغداد القديمة أمرت نائب القائم بالأعمال[1] الحاج محمد علي الذي جاء لتوديعنا بالعودة إلى بغداد، وتقدمنا الطريق حتى وصلنا إلى جسر صغير فأعطينا قِراناً واحداً عن أربعة أشخاص وعبرنا الجسر، وكان هناك أربعمائة نفر من الجيش وأربع عربات مدافع وسبب وجود الجيش هنا هو لمنع الزائرين من سلوك طريق آخر هروباً من دفع ضريبة العبور إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام[2].

(١) يقصد به نائب القائم بالأعمال الإيراني والذي يمثل سفير الدولة القاجارية الإيرانية في بغداد، حيث كانت لإيران قنصلية في الكاظمية يديرها شخص بعنوان القنصل او نائب القائم بالأعمال وهنا نعتقده قنصل إيران في الكاظمية.

(٢) بالنسبة للجسر الصغير الذي ذكره هو الجسر المقام على نهر (الخِر) والذي يقع جنوب بغداد على طريق مدن الفرات الوسط والجنوب. أما بالنسبة للضريبة فهو إتفاق بين الحكومتين الإيرانية=

وعلى كل حال عبرنا من هناك ووصلنا إلى شاطئ دجلة[١] حيث جلسنا وتناولنا طعام الغداء، ومن هناك ركبنا وواصلنا المسير حتى وصلنا إلى رباط خان زاد[٢] الذي يبعد عن الكاظمية مسافة خمسة فراسخ[٣]، وهناك نزلنا وبتنا ليلتنا.

من خان زاد إلى المُسيّب

تبلغ المسافة من خان زاد إلى المسيب ستة فراسخ، وكل فرسخين يوجد محل للإستراحة والتوّقف، وعلى بعد فرسخين من خان زاد يقع خان بير يونس[٤]، وهو للزائرين في الشتاء والصيف خير مؤنس، وبينه وبين خان المزراقجي[٥] فرسخين.

ومنذ أن قطعنا نصف فرسخ بعد خان بير يونس، لاح لنا طاق كسرى وقُبّة سلمان وجدار صحنه[٦]، وعندما إقتربنا من خان المزراقجي ذهبت إلى السيد علي المستوفي

=والعثمانية نصت عليها المعاهدة المبرمة بين الطرفين وسيتم شرح ذلك في موقعه عند موضوع الخلافات الإيرانية العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد وضعت الحكومة العثمانية بعض الإجراءات لتنظيم حركة الزائرين والوافدين وحتى نقل الجنائز لتدفن في مدن العتبات المقدسة وكذلك الأعمال التجارية.

(١) شاطئ دجلة المقصود به هو منطقة (الدورة) حيث يجري دجلة بالقرب من الطريق إلى مدن الوسط والجنوب، ويستدير نهر دجلة نحو الشرق.

(٢) رباط خان زاد: هو أول خانات الإستراحة على الطريق، وكان موقعه في بلدة (اليوسفية) الحالية جنوب بغداد، ويعتبر من المراحل الأولى التي وضعت لإستراحة الزائرين أو المسافرين.

(٣) الفرسخ يقارب ثلاثة اميال، يعني بالكيلومترات يقارب أو يزيد قليلاً عن الخمسة كيلومترات.

(٤) خان بئر يونس: هو الخان الموجود حالياً في بلدة المحمودية، ويقع على يمين الذاهب إلى الحلة وكربلاء، وهو خان كبير ومعالمه الحالية تدل على كبره وقدرة إستيعابه للمسافرين، وفيه كان بئر يستقي منه النزلاء فيه وسمي الخان بإسم البير، ويتكون الخان من عدة غرف واواوين معقودة للإستراحة، وفي وسطه فسحة كبيرة. ويسمى الآن (خان المحمودية).

(٥) خان المزراقجي: يقع بين خان بئر يونس وقصبة المسّيب، وتحديداً في بلدة الإسكندرية الحالية

(٦) من الممكن صحة ما ورد بانه شاهد طاق كسرى وقبة سلمان، لأن المنطقة التي وصفها هي اقرب نقطة لنهر دجلة حيث من بعدها يتم إنحداره نحو الشرق ومن ثم إلى الجنوب الشرقي، وهذه المنطقة هي أقرب مسافة بين نهري دجلة والفرات، حيث يبتعدان بعدها، كما إن هناك إحتمال ثانٍ لصحة ما يقول، هو عدم وجود أشجار النخيل في تلك المنطقة بكثافة بحيث يمكنها ان تمنع رؤية ما شاهده.

العلوي[1]، وقد شاهدت آثار قبول الحج على وجهه، فتحدث لي عن طريق مكة في عشر دقائق فشعرت انني كنت معه منزلاً منزلا.

تناولنا طعام الغداء في خان المزراقجي، ثم تحركنا مسافة فرسخ واحد، فلاحت لنا قرب المسيب قباب محمد وإبراهيم أولاد مسلم بن عقيل[2]، فتألمت كثيراً لأنهما يبعدان عن الشارع العام حوالي ثلث فرسخ، وقد عرفت أن القبائل في البادية المحيطة بالمرقدين تقوم على الدوام بتسليب وسرقة أموال الزائرين، ولا أحد يجرأ على القيام بزيارة هذين الطفلين الشهيدين[3]، ولذلك يممت شطرهما فوصلنا وصليّت هناك.

الضريح له قبتان مكسوتان بالقاشاني، وكلا القبرين المطهرين يقعان في بقعة واحدة، الصحن صغير، وهناك حديقتين صغيرتين وسط الصحن، وفي كل حديقة يوجد عدد من أشجار النخيل، الصحن الأمامي، فيه خان جلس فيه عدد من الأشخاص الذين هبّوا لمساعدتنا وخدمتنا، فقد جلبوا لنا الماء وإستضافونا، فأعطينا كل واحد منهم مقداراً من المال[4]، ثم تحركنا نحو المسيّب. كان هناك عدد كبير من الزوّار عند رأس الجسر، فتوقفنا دقيقة حتى قام العمّال المكلفون على الجسر بقطع الطريق على العابرين

---

(١) لم نرغب في البحث عن ترجمة هذا السيد لأنه خارج بحثنا، ويمكن ان يكون من معارف عبد العلي خان وصادف في ذلك الوقت رجوع الحجيج بعد موسم الحج، علماً بأن الحجاج الإيرانيين الذين كانوا يذهبون للحج برّا كانوا يسلكون طريق العراق حتى يزوروا في ذهابهم وعودتهم المراقد المقدسة لأئمة آل البيت وخاصة النجف وكربلاء.

(٢) المرقدان يقعان في الضواحي الشرقية لمدينة المسيب، لا كما ذكر في هامش الكتاب بانهما غربها.

(٣) كلام مبالغ فيه كثيراً، علماً بأن العشائر التي كانت قريبة من المرقدين قد إستقرت هناك منذ زمن بعيد، ولم تحيط بالمرقدين (بادية) وإنما كانت حولهما مزارع وبساتين لقرب الفرات منهما.

(٤) قد يجد القارئ تناقضاً بين ما وصف سابقاً والوصف التالي، كما أن العادات العربية لاتقبل أن يتم دفع المال نتيجة الضيافة، فإذا إستضافوه وأكرموا وفادته وعندها فهو قد بالغ فيما اورده، وإذا كانوا قد قبلوا منه المال فإن طريقة كسبهم للعيش تعتمد على ما يجنونه من خلال خدماتهم للزائرين وهذه الحالة بعيدة عن مبدا الضيافة المعروفة.

من الجهة الأخرى، وقام بإيصالنا مع المرافقين إلى الجهة الأخرى من النهر، فأعطينا لكل واحد منهم ألف دينار[1].

ثم وصلنا إلى خان المسيّب، وإسترحنا قليلاً، ثمّ خرجنا إلى نهر الفرات من أجل التفرج، ولاح لي على سطح إحدى البنايات علماً مرفوعاً، فسألت عنه، فقالوا إنها تكية للدراويش فتحركت نحو البناية، وعندما دخلنا شاهدْت حديقة من الورد، وكوزاً كبيراً يستخدم لتبريد الماء، كما وجدنا عدداً من الدراويش، من الهند والسند مجتمعين هناك، وهم يمارسون طقوسهم.

وبعد أن قضينا وطْرنا من السير والتفرّج عدنا إلى الخان مرة أخرى، وهو خان كبير جداً، وبناءه محكم، وهو يستوعب حوالي خمسة آلاف شخص، وأهل المسيّب يجلبون الطعام لهم، ولم أرَ مثل هذا الخان في سعته وتنظيمه على طول الطريق إلى العتبات المقدسة، كما لم أسمع عن خان أفضل منه أيضاً. وقد بنى الخان الإصفهانيون[2]، وفي هذه الأيام يقوم التاجر البغدادي المعروف الحاج محمد صالح كبّه بإعماره.

كربلاء المقدسة

تبلغ المسافة من المسيّب إلى كربلاء خمسة فراسخ، وعند شروق الشمس تحركنا من المسيب، وفي منتصف الطريق وصلنا إلى تلّة السلام فصعدت إلى أعلى التلّة[3]،

(١) جاء في هامش ١٦ ص٢٣ في الكتاب من قبل المترجم عندما نقل عن صاحب الرحلة وهو يدفع ألف دينار لكل أربعة أشخاص لعبورهم نهر ديالى بالمركب مايلي: الدينار هنا هو من اجزاء العملة الإيرانية (قران) أي يساوي جزء واحد من ألف جزء من (قران) والقران يعادل الريال الإيراني الحالي وهو ثمن زهيد بمقاييس اليوم (إنتهى). يعني من ذلك انه دفع عن كل واحد منهم (قران) واحد.

(٢) هذا الخان قديم وكان موجوداً في العهد العباسي الثاني، واجريت عليه عمليات إعادة بناء وترميم بشكل مستمر، وقد يكون احد المتبرعين من الإصفهانيين قد قام بترميمه ولكن ليس هم من بنوه أولاً.

(٣) تلة السلام.. هي (تل مرعز) الذي يقع في الشمال الغربي من مركز ناحية الحسينية الحالية،=

ولكن لكثرة النخيل العالي لم أستطع رؤية القبّة المطهرة، فأديت الزيارة، ثم تحركنا حتى وصلنا (خان العطشان)[1] الواقع على نهر الحسينية، فنزلنا فيه وتناولنا طعام الغداء.

تبدأ بساتين النخيل والفواكه، وبشكل كثيف ومتصل بفرسخ ونصف قبل كربلاء كما يوجد جسر أبيض[2] يقع قبل كربلاء بفرسخ واحد، وعبوره يمثل أمنية بالنسبة للزوّار، والجميع يتحرك تحت ظل النخيل الحسيني، وكلما رأى الزائر ماء النهر ذرفت عيناه الدمع وإنطلقت من قلبه الآهات.

=ولا يبعد عنها كثيراً. كان الزائرون عندما يصلون إلى هذا التل (وهو من بقايا التلال الأثرية لمدينة باروسما القديمة) يصعدون على قمّته لعلهم يتمكنون من رؤية قبة الحسين عليه السلام، وكانت في أعلى التل لوحة من الحجر مكتوب فيها زيارة (وارث)، فيقوم الزوّار بقراءة الزيارة، وعندها يعطون (الكرواني) الذي يقود القافلة إكرامية (الوصول) وهم فرحين بقرب وصولهم إلى مشهد الحسين عليه السلام.

(١) هو خان (العطيشي) الواقع في مركز ناحية الحسينية الحالية، وقد يطلق العامة على مركز الناحية إسم العطيشي، وهو آخر مرحلة لإستراحة الزائرين قبل وصولهم إلى كربلاء، ولا زال موجوداً إلى الآن، وقد سمّي على إسم (عطيش بن شبرم) وهو من شيوخ قبيلة المسعود التي سكنت تلك المنطقة بعد هجرتهم من (نجد)، حيث قتل في معركة مع جيش أحد امراء مكة من الأشراف الذي قتل هو أيضاً وإنتصر المسعود حينها. أمّا (خان العطشان) فهو من المواقع الأثرية الموغلة بالقدم ويقع في بادية كربلاء وتحديداً جنوب غربي كربلاء بمسافة ٣٠ كيلومتر، وقد ذكره المؤرخون والعديد من الرحّالة والآثاريين. بينما خان العطيشي يقع في الشمال الشرقي من مدينة كربلاء بمسافة تقدر بـ ١٤ كم تقريباً.

(٢) الجسر الأبيض: هو القنطرة البيضاء، وكما يسميها العامة (كَنطرة البيضة)، وتقع هذه القنطرة في منتصف الطريق بين خان العطيشي ومدينة كربلاء، ويعبرها الزائرون والمسافرون، لأن القادم من خان العطيشي يسير في الطريق الرئيسي الذي يحادي الجهة اليمنى من مجرى نهر الحسينية بإتجاه الجنوب نحو كربلاء، وعنها يستمر الطريق في الجهة اليسرى المحاذية إلى مجرى مياه النهر. والقنطرة لها جانب من القدسية وعليها منارتان وقد بنيت بشكل متقن وبديع، وفي أربعينات القرن العشرين أنشأ قبلها بمئة متر سد وفوقه جسر لعبور المركبات وفيه بوابات حديدية لتنظيم مجرى مياه النهر في فرعين عن يمين وعن يسار النهر الأصلي، وعندها تم الإستغناء عن القنطرة البيضاء وبقيت علامة وأثر ومعلم مقدس في المنطقة.

وأخيراً وقبل دخولنا إلى كربلاء، إستقبلنا عند المدخل أحد الخدم[1] وأرشدنا إلى الطريق، وكان الدخول من باب النجف[2]، وطبقاً للإجراءات الرسمية نزعنا كل ما لدينا من الأسلحة الحربية من بنادق وغيرها وسلمناها لهم، وأخذنا إيصالاً بذلك، ثم ذهبنا إلى منزل الحاج غلام علي الشمّاع[3]، المجاور لصحن العباس عليه السلام، وبعد الإستراحة والإستحمام، حل وقت المغرب فتوجهنا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يُرافقنا السيد درويش[4]، قارئ الزيارة وهو أحد الخدّام المحترمين.

دخلنا الصحن الشريف وقبّلت أعتابه، وبعد ذلك قبّلت باب الروضة المقدسة، ثم قرأنا إذن الدخول ودخلنا الروضة المطهرة، وهناك انشدت قصيدة عند ضريح الإمام

---

(١) يقصد به أحد (الخدّام) الذين يتشرفون بخدمة العتبات المقدسة والزائرين، وقراءة الزيارة لهم.

(٢) باب النجف هي إحدى أبواب سور كربلاء، وموقعها في جنوب المدينة القديمة، وسميت بباب النجف لأن الطريق المؤدي إلى مدينة النجف يبدا من امامها، وفي داخل السور فإن المنطقة القريبة منها سميت بمحلة باب النجف وهي من محلات كربلاء المشهورة لحد الآن، وموقعها في سور المدينة كان في الميدان الحالي الذي بنيت فيه دار البلدية القديمة فيما بعد وهدّمت وأنشأ محلها خزان الماء، والذي أزيل هو أيضاً. وفي زمن الوالي مدحت باشا تم تهديم السور من جانبي هذه الباب عندما خطط وأنشأ محلة العباسية الواقعة جنوب المدينة القديمة وخارج سورها، وذلك سنة ١٨٦٩م.

(٣) يبدو من إسمه (غلام علي) إنه من الرعايا الإيرانيين المقيمين في كربلاء، فكثيراً ما كان الإيرانيون يتسمون بـ (غلام علي) أو (غلام رضا) أي عبد علي وعبد الرضا وهكذا، ويقتصر العامة الإسم بكثرة بلفظة (قلوم) لأن الإيرانيين دائما ما كانوا يلفظون حرف الغين قافاً، والقاف غينا، وسمعت أحدهم يقول بيت شعر مشهور:

يا واغفا كن منحرف سلّم سلامك فإنصرف

هذا محلّ معاشنا لا ينبقي لك أن تغف

(٤) لم يذكر إسمه الكامل ليتم التعرف عليه، وما ورد في هامش المترجم بأن صاحب الرحلة في مكان آخر قال عنه إنه من احفاد السيد درويش الكبير، ويقول المترجم أنه سأل أحد إصدقاءه من اهالي كربلاء فقال إن العائلة معروفة اليوم بإسم بيت سيد درويش (إنتهى). ونقول بأنه لاتوجد أسرة مشهورة اليوم في كربلاء بهذا الإسم، بل المشهور لدينا ان الجد الأعلى للسادة آل الكليدار من آل طعمة الفائزيين هو المرحوم السيد درويش بن السيد أحمد بن السيد يحيى بن خليفة بن نعمة الله بن السد طعمة الثالث، والتي تلقبت الأسرة الفائزية هذه بإسمه.

الحسين عليه السلام، ودعوت لجلالة الشاه روحنا فداه، ثم تحركنا لزيارة العباس عليه السلام فقرأنا إذن الدخول وأدينا الزيارة وأنشدت قصيدة بحضرته عليه السلام، وعدنا بعد ذلك إلى المنزل وشكرنا الله على نِعَمِه[1].

وفي اليوم التالي زارنا قائمقام كربلاء، والميرزا حسن سادن الروضة الحسينية[2] والسيد سعيد[3] سادن الروضة العباسية، والعالم المجتهد الحاج ميرزا علي نقي[4]، الذي يقوم بتوزيع أموال الهند على المستحقين، والحاج ميرزا محيط، والسيد حسن والسيد أحمد أولاد المرحوم الحاج السيد كاظم[5]، ومن الأمراء النَوّاب الحاج إمام وردي ميرزا سركشيك باشي، والحاج السيد محمد تقي الهندي، والعالم الشيخ عبد

(١) كان يوم دخوله إلى كربلاء هو يوم الخامس من ربيع الثاني سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وتاريخ وصوله إلى كربلاء إعتمدنا على يوم مغادرته الكاظمية يوم الثالث من ربيع الثاني وبات في الطريق ليلتان فقط.

(٢) هو الشيخ ميرزا محمد حسن آل كمونة، الذي تولى السدانة بعد وفاة شقيقه الحاج مهدي آل كمونة.

(٣) هو السيد سعيد بن السيد سلطان بن ثابت بن درويش بن محمد آل ثايت، الذي تولى سدانة الروضة العباسية من سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م إلى سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، وكان والده السيد سلطان حاكماً مطلقاً على كربلاء للأعوام ١٢٤٥هـ. ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٠م. ١٨٣٧م. وفترة حكمه متقطعة حسب الظروف التي كانت تمر بها مدينة كربلاء في واقعة المناخور وغيرها. وكان من رجالات وأكابر أعيان المدينة. وولده السيد سعيد الموما إليه كان قد تزوّج من إبنة شاه إيران (فتح علي القاجاري).

(٤) هو السيد علي نقي بن السيد حسن بن السيد محمد (المجاهد) بن السيد علي (صاحب الرياض) الطباطبائي. والسيد علي تقي كان عالماً مجتهداً من بيت علم له مكانته في الوساط الدينية في ذلك الوقت (سيتم الحديث عنهم في مكان آخر من هذا الكتاب). والسيد علي تقي كان المتولي بتوزيع أموال مملكة (أوده) على الفقراء، وهي موقوفات من أحد ملوك الهند، وفي أيام الإحتلال الإنكليزي للعراق كانت هذه الأموال تصرف بتوجيه من سلطات الإحتلال لأغراض شتّى سنذكرها فيما بعد.

(٥) السيد كاظم هو العلامة المشهور بالسيد كاظم الرشتي، تلميذ الشيخ أحمد الإحسائي وخليفته في رئاسة الفرقة الشيخية، ومن ثم أسس الفرقة الكشفية وقد توفي سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، وقد اعقب ولديه المذكورين أعلاه، السيد حسن الذي توفي بدون عقب، والسيد أحمد الملقب (احمد وفي) المقتول سنة ١٢٩٥هـ ١٨٧٨م، ومن عقبه اليوم في كربلاء أسرة آل الرشدي. ولقد كان للسيد كاظم وولده السيد أحمد أدواراً مهمة قاموا بها في الأحداث التي عاصروها في كربلاء.

الحسين[1]، وأحمد علي خان الهندي، والنوّاب ميرزا علي حسين وهو أمير هندي، والميرزا أحمد مراغة، ومقرب الخاقان ملك الكتاب[2]، والحاج محمد علي كماني[3].

السيد درويش قارئ الزيارة

بعد وصولنا إلى المنزل وصل إلينا السيد درويش وهو من أحفاد السيد درويش الكبير، فأدخلت رؤيته السرور على قلبنا. وهو سيد شاب حسن الطلعة والمحيّا، هادئ، يجيد قراءة الزيارة والتعزية، ويجيد التعامل مع الناس، صوته حزين، وعندما يقرأ الزيارة يبعث على البكاء والأنين، فهو يقرأ بإخلاص ووفاء، وكنت كلّما تشرّفت بزيارة سيد الشهداء يقرأ لي إذن الدخول، وكلّما إقتضت الحاجة يقرأ الزيارة، وإلاّ فإنه يقف على الدوام جانباً.

(١) هو العلامة الشيخ عبد الحسين الطهراني الذي كان يقوم بأعمال الترميمات في الروضة الحسينية بتكليف من الشاه ناصر الدين القاجاري. توفي في الكاظمية سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، ونقل جثمانه إلى كربلاء ودفن في الصحن الحسيني الشريف.

(٢) من كل الأسماء والشخصيات التي وردت في المتن، هناك ثلاثة منها من العرب ومن وجهاء مدينة كربلاء وأعيانها، وهم الشيخ محمد حسن كمونة سادن الحسين، والسيد سعيد آل ثابت سادن العباس، والأديب الشاعر الشيخ محمد على كمونة، أما البقية فهم من غير العرب، ومن ذلك يلاحظ بأن كربلاء كانت وقتها تعيش تكتلات وصراعات سلطوية وتدخلات أجنبية أثّرت بشكل أو بآخر على الوضع العام في المدينة في القرن الثالث عشر الهجري.

(٣) هو المرحوم الشيخ محمد علي بن محمد بن عيسى كمونة (من آل مراد الأسديين) وليس (كماني) حسب ما ورد في النص، وهو شقيق سادني الحسين الشيخ مهدي والشيخ محمد حسن. شاعر وأديب واغلب قصائده في رثاء آل البيت، وتوفي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، وكان يختلف عن اخويه تماما.

زيارة يعقوب أفندي[1] حاكم كربلاء

كان قائمقام كربلاء يعقوب أفندي أول من بادر إلى زيارتي، لذلك فقد تحركت في البداية إلى زيارته، وكانت سرايا الحكومة تقع إلى جدار بوابة النجف[2] وهي بمثابة البرّاني والديوان لبيت القائمقام، ومع ذلك فله منزل داخل المدينة يقضي فيه أوقاته مع عياله في الليل والنهار.

يقع أحد طرفي هذه السرايا بإتجاه المدينة، والطرف الثاني ملتصق بجدار القلعة (السور)، ويرابط هناك حوالي الأربعمائة جندي معهم أربعة عربات للمدفعية، وهي جاهزة عند الضرورة، وعندما وصلت إلى هناك عزف الموسيقيون بآلاتهم الموسيقية، وتم تبديل حرس الشرف، وكان القائمقام يقف في الطابق الأعلى من السرايا يشاهد الأمور، وعندما صعدت السلّم جاء يعقوب أفندي لإستقبالي، ودخلت إلى المنزل فوجدته منزلاً نظيفاً تنتثر فيه الوسائد والفرش ومصاطب واطئة مع مكتب، ومن هناك تحركنا إلى طابق آخر، فوجدته مكاناً جميلاً مناسباً، تتدلى فوق نوافذه ستائر الحرير على الطريقة الإفرنجية، وقد وضع العود والعنبر في المجمّر، ثم أخذني إلى غرفة أخرى فوجدتها أفضل من الغرفتين السابقتين ففيها فرش من المخمل ووسائد

---

(١) في سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م تم تعيين (يعقوب بك أفندي) حاكماً لكربلاء (قائمقام) بدلاً من السيد أحمد بن عبدالله القريبي من أسرة آل الحكيم الذي كان من أهالي كربلاء. وإستمر يعقوب أفندي حتى سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وكان بقاءه في منصبه بكربلاء أكثر من ثماني سنوات، وكانت زيارة عبد العلي خان هذه له قبل نقله من كربلاء بشهرين تقريباً. وتم تعيين السيد عبد الرحمن بن عبد الله السويدي قائمقام لكربلاء، ولم يبق فيها عدة أشهر وعيّن محلّه (مير ميران مظهر باشا) بدرجة متصرف لكربلاء.

(٢) بوابة النجف.. هي باب النجف، إحدى أبواب سور كربلاء وقد تحدثنا عنها في هامش سابق، وكان سراي الحكومة بجنبها مباشرة، والسراي ملاصق للسور وفيه بوابة رئيسية تطل على المدينة القديمة، وأمامه ساحة كبيرة خارج السور تُتخذ مقرات للحامية التركية، ومن باب النجف هذه إلى (ساحة البلوش الحالية) ساحة الإمام علي عليه السلام، تم تهديم السور في زمن الوالي مدحت باشا عندما أسس المحلة الجديدة في كربلاء وهي العباسيتان (الشرقية والغربية) سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.

نفيسة، وستائر متعددة الألوان تتدلّى فوق النوافذ، فجلست في صدر المجلس وإنشغلنا بالتعارفات والمجاملات والأحاديث، وجاؤوا أولاً بالبخور فإنتشر عطره في المكان، ثم أعطوا لكل واحد منا أركيلة وفنجاناً من القهوة بكمال الود والمحبّة واللطف، وكانت الأركيلة التي اعطيت لي تتكوّن من البلّور الصقيل والكبيرة جداً وتحت الأركيلة قماش راقٍ مطرّز، ووسطها مكسوة بالفضة الراقية المعمولة بشكل جيّد.

بعد تناول القهوة وتدخين النركيلة، قدّموا لكل واحد من الضيوف كأساً من الشربت (الحريرة) لونها أبيض كالحليب، ويبدو أنها تم تبريدها في ذلك الجو الحار بواسطة الثلج. وبعد الإنتهاء من تدخين الأركيلة وتناول الشربت نهضت فودعني أيضاً بتمام اللطف والإحترام.

عدت إلى المنزل، وفي اليوم التالي قمت بزيارة الحاج محمد علي كماني (كمونة) والميرزا حسن كليدار الروضة الحسينية، وهما شقيقان من أب واحد، كما زرت الحاج السيد سعيد كليدار الحضرة العباسية.

منزل الحاج سعيد الكليدار

للحاج سعيد الكليدار (آل ثابت) دارٌ مجاورة للإمام الشهيد تقع خارج باب الصدر[1]، وهي من الدور الكبيرة والجميلة، سيّما وأن صالة إستقبال الدار تطلّ على صحن سيد الشهداء، فتمنح الجالس هناك روحاً معنوية ونشاطاً كبيراً، وتقع خلف

(١) يقصد بها (باب السدرة) ولاتوجد باب من أبواب صحن الامام الحسين بإسم باب الصدر. أضف إلى ذلك ان بيت المرحوم السيد سعيد آل ثابت كان يشرف على صحن الحسين عليه السلام من ناحيته الشمالية الغربية، وكانت باب السدرة كما هي حالياً في نفس موقعها، وجميع المعمرين تقريباً كانوا يحدّثونا عن موقع دار السيد سعيد وجماليته. وقد أراني أحد الأصدقاء المقيمين في لندن حالياً، عدة صور جميلة جداً عن أقسام هذه الدار ومحتوياتها، صوّرها المصوّر الخاص لناصر الدين شاه عند زيارته لكربلاء، وكانت في أحدى صالات البيت عدة رفوف مملوءة بالقناديل المتنوعة و(الهبابات) البديعة والسماورات الجميلة، وأسلحة جارحة مثل السيوف والقامات القديمة، وكذلك البنادق والبشتاوات التي يندر وجودها الآن.

الصالة غرفة في الطابق العلوي، والأبواب المقابلة للصحن مطعّمة بالزجاج، ووجه الصالة يتجه نحو القبلة. وفي الصالة تنتشر المصاطب الواطئة وعليها الفرش والوسائد الجيدة، والصالة مزيّنة بشكل جميل جداً حيث تتدلّى الستائر على الطريقة الإفرنجية، ورائحة العنبر والمسك تفوح هناك، الكراسي والمصاطب نظيفة وأواني البلّور والكريستال مرتبة فوق المصاطب، والسماور والشاي كان جيداً، وكذلك القهوة والأركيلة، وفي هذه الأجواء أنشدنا طرفة[1]، بيتين من الشعر في وصف المجلس.

في ضيافة السيد سعيد

كنت قد وعدت السيد سعيد كليدار العتبة العباسية بالحضور على دعوة طعام، وبالفعل فقد ذهبت إلى منزله ليلاً بعد اداء الزيارة إلى سيد الشهداء عليه السلام، فوجدت هناك العالم الشيخ عبد الحسين جالساً في صدر المجلس على مصطبة واطئة وهو مشغول بالحديث مع الحاج محمد علي كمونة، وكان على يساره يجلس مقرّب الخاقان ملك الكُتّاب، فنهض الجميع ترحيباً بنا فجلسنا أنا وطرفة كلٌّ على كرسي.

فدعاني الشيخ إلى الجلوس إلى جواره، وجاؤونا بماء الورد، فأنسنا بالمجلس حتى عادت مرارة القهوة حلوة في فمي، ودخّان الأركيلة صار في أنفي مثل رائحة العود، وبسبب تلألؤ المصابيح الزجاجية ولمعان المرايا الإفرنجية تحول الليل وكأننا في منتصف النهار حيث الشمس الساطعة، وكانت صورة الشاه وصور سلاطين الروم معلقة على صفحة كاملة من إحدى الجدران.

كانت الأحاديث متنوعة تدور مرّة عن فتح هرات، وأخرى حكايات عن قندهار[2]

(١) يقول أنشدنا طرفة بيتين من الشعر، وطرفة هذا إسم شخص كان يرافق عبد العلي خان وكان شاعرا كما سيتبين لنا ذلك فيما بعد عند ذهابهم لدعوة العشاء في بيت السيد سعيد الكليدار آل ثابت.

(٢) (هراة) و(قندهار) مدينتان في أفغانستان، وكل منهما مركز لمقاطعة تقع بالقرب من الحدود الايرانية الأفغانية، وكثيراً ما قامت ثورات فيهما ضد الحكومات الإيرانية التي كانت تسيطر عليهما، ومنهما خرج الغزنويين الذين قضوا على الدولة الصفوية.

حتى أعلنوا عن أن العشاء جاهز، فتقدمنا واحداً بعد الآخر لغسل الأيدي، وإنتقلنا إلى غرفة أخرى مجاورة.

كان العشاء في الحقيقة جيّداً، فقد كانت زوجته من سلسلة القاجاريين، وكل ما قدمته من الطعام كان مرغوباً، فهناك الفسنجون[1]، والمخللات والطرشي بأنواعه، والمسمّى[2] والبوراني، والقيمة، والشربت مخلوطاً بعصارة الدارسين، والخضروات والجبن والفجل الممتاز، والبصل، والسمك، والقوزي.

وبعد الإنتهاء من تناول الطعام غسلنا أيدينا بالصابون، وعدنا إلى مجلسنا الأول، وبعد تناول القهوة والأركيلة، قام أحد الشعراء العرب بإلقاء قصيدة في مدح أمير المؤمنين سلام الله عليه، فأدخل على القلوب السرور، وإنشغلنا بعدها بالأحاديث وتناول القهوة وتدخين الأركيلة، ثم نهضنا وودعنا منصرفين إلى منازلنا.

في ضيافة الميرزا حسن سادن الروضة الحسينية

قبل يوم من الموعد المقرر للذهاب إلى النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين، جاء السيد درويش قارئ الزيارة، وقال أنه مُرسلٌ من الميرزا حسن سادن الروضة الحسينية، حيث دعانا بكمال المحبة والأدب إلى تناول طعام العشاء عنده، فرأيت من الصواب تلبية الدعوة، وأجّلت الذهاب يوم غدٍ إلى النجف إلى ما بعده، وفي الليلة التالية بعد أداء الزيارة لسيد الشهداء، ذهبت بصحبة الميرزا فرج الله خازن الأشعار والسيد نصرالله، إلى بيت الميرزا حسن، وكان دليلنا إلى المنزل هو السيد درويش، وفي منزله قضينا الوقت بكمال السعادة، حتى مضت الساعات كالدقائق، ثم إنتبهت إلى أن الساعة هي تمام السابعة[3]، وبعدها فرشوا لنا سُفرة الطعام وفيها ما لذّ وطاب من الطعام من أنواع

(١) أكلة شهيرة لدى الكربلائيين وتُعمل من اللحم أو الدجاج وعصير الرمان والجوز المطحون والراشي.

(٢) المسمّى: هي مرقة الباذنجان المقلي بشكل طولي مع اللحم وعصير الطماطم وتكون (دسمة) أي كثيرة الزيت والدهن. والبوراني هو الباذنجان المقلي على شكل دوائر.

(٣) على التوقيت العربي السائد في ذلك الوقت، بإعتبار بداية الساعة الأولى تبدأ من لحظة غروب الشمس.

الرز والقيمة والفسنجون وبوراني الباذنجان المقلي بالدهن، ومسمّى الباذنجان، والخبز والخضروات فقلنا (هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم)، وأكلنا حتى (إذا بلغت الحلقوم)، ولن أنسى ما دمتُ حيّاً طعم هذا الطعام اللذيذ. وبعد الإنتهاء من تناول ذلك الطعام اللذيذ، جلسنا بمقدار تدخين إركيلتين ثُمّ رحلنا من المكان وما زال في القلب حنين إلى ذلك المجلس.

زيارة المخيّم[1]

وفي اليوم التالي أخبرت السيد درويش الذي كان يقرأ الزيارة وهو في نفس الوقت كان قارئاً على الحسين، أخبرته برغبتي لزيارة المخيم، لإقامة مجلس للتعزية هناك، فقال بقي إلى المغرب ثلاث ساعات وإننا على موعد ليلة الجمعة، وعند الوقت المحدد وحين وصولنا إلى المخيم وجدت هناك مجالس للتعزية منعقدة.

عندما دخلت من الباب إرتقى السيد درويش المنبر وأخذ يقرأ حتى أبكى الأرض والسماء، وقد جذبني هذا السيد الشريف إليه بقراءته، فإتفقت معه على إقامة سبعة مجالس في روضة سيد الشهداء عليه التحية والثناء، وثلاثة مجالس في المخيم.

يقع المخيم خارج باب القبلة من الصحن المطهر في أرض منخفضة، ويبعد عن الصحن المطهر بأكثر من ألف قدم، وقد وضعوا فوقه غطاء من القماش (جادر) عظيم، ومن الجانبين تمثالين من الجص والطابوق[2]، وأشادوا من كل جوانبه إيواناً، وفي الجانب الأيمن من الصحن هناك غرفة مشهورة بإسم حجلة القاسم[3].

---

(١) يقصد به المخيم الحسيني الذي يقع خارج سور المدينة من ناحية الجنوب الغربي.

(٢) يقصد صاحب الرحلة بالتمثالين هما المحامل المبنية على شكل أقواس واطئة على جانبي الممر المؤدي إلى الباب الرئيسية لخيمة الحسين، و(المحامل) تعني الهوادج التي كانت توضع على الجمال إثناء السفر، وهذه تمثل محامل الأضعان وقد صفّت قرب الخيام.

(٣) لا نعرف شيء بإسم حجلة القاسم، فإمّا أن تكون إحدى الأخطاء المطبعية في الكتاب، أو كما لفضها صاحب الرحلة كما سمعها واثبتها المترجم. والصحيح هي حجرة القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام.

ويقع تحت المخيم بئر العباس عليه السلام، والناس ياخذون الماء من هذه البئر فيغسلون به وجوههم ويشربون منه تبركاً وتيمناً، ويلعنون قاتلي سيد الشهداء عليه التحية والثناء، ويقع مرقد الشيخ محمد (احمد) بن فهد الحلي، في حديقة المخيم[1]، وعند المغرب عدنا إلى مرقد سيد الشهداء سلام الله عليه وزرته، ثم عُدنا إلى المنزل وشكرنا الله تعالى.

مباني كربلاء

لكربلاء قلعة (سور) مُحْكمة تبلغ مساحتها من الداخل نصف فرسخ، وهي تكتظ بالزائرين والساكنين، وقد بناها قبل أكثر من مائة عام آصف الدولة الهندي. ولها ستة أبواب، وهي: باب بغداد، باب النجف، باب المخيم، باب الحُر، باب الإمام جعفر الصادق، باب الخان[2].

وفي كربلاء تسع حمّامات، هي: حمّام القبلة، حمّام شيرين (الحلو)، حمّام شور (المالح)، حمّام النوّاب، حمام الحاج حمزة، حمّام الميرزا حسن، حمّام الميرزا عبد الباقي، وحمّام الجديد.

(١) المرحوم العلامة إبن فهد الحلي مدفون في بستان عائد له يقع جنوب المدينة وخارج السور، وعند وفاة إبن فهد الحلي كان المخيم الحالي غير موجود في مكانه الحالي ولم يشيّد بعد، ولكن اليستان التي شيد بها المخيم كانت بجانب البستان التي دفن فيها الشيخ إبن فهد أو قريبة منها. وإبن فهد هو الزعيم الديني الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي الأسدي الذي كان من أشهر فقهاء القرن الثامن الهجري، المولود سنة ٧٥٧هـ والمتوفى في كربلاء سنة ٨٤١هـ، وكانت مسيرته العلمية وحياته كلها موضع تقدير وإحترام أرباب العلوم والمعارف والادب، وله اليوم مزار في وسط كربلاء. حيث دفن في بستان قريبة من المخيم خارج سور المدينة، وقبره في البستان الذي سمي بإسمه.

(٢) أن ما ذكره صاحب الرحلة لبعض أسماء الأبواب هو مختلف عن تسمياتها الأصلية، فباب الحر يقصد بها باب الطاق، وباب الإمام الصادق هي باب السلالمة.

وفيها أربعة مدارس، هي: مدرسة تقع في إحدى زوايا الصحن الشريف وقد بناها حسن خان الإيرواني، ومدرسة الهندي، ومدرسة الميرزا علي نقي، ومدرسة التُرُك.

وفيها عشرة مقاهي.

وأشجار النخيل المثمرة التي تؤخذ عليها الضرائب يبلغ عددها مائة وعشرين ألف نخلة، وتبلغ ضرائب كربلاء ثلاثين ألف تومان.

وفي الصحن المبارك خمسة سقّاءات، إثنين منها أقامتهما أم سلطان الروم[1]، وواحدة أقامها إبراهيم القزويني، وواحدة أقامها السيد مصطفى الإستربادي، وواحدة أقامها احد الهنود.

وهناك حوضين، بنى أحدهما الميرزا محمد علي[2]، والثاني بناه أحد الهنود.

وفيها ستة من المجتهدين المعروفين: هم الحاج الميرزا علي نقي الطباطبائي[3]، والشيخ محمد طاهر الرشتي، والشيخ محمد حسين القزويني، والحاج الميرزا محيط، والشيخ زين العابدين المازندراني[4]، والملاّ آقا الدربندي.

---

(١) يقصد بها والدة السلطان العثماني، لأن العثمانيون كان يطلق عليهم لفظة (الروم).

(٢) الميرزا محمد علي إبن الشاه فتح علي القاجاري (شاه إيران)، وكان الميرزا محمد علي قد إستقر فترة طويلة في كربلاء، وتوفي فيها ودفن في مقبرة القاجاريين في الحرم الحسيني الشريف.

(٣) هو العالم المجتهد السيد ميرزا علي نقي بن السيد حسن بن العلامة الكبير السيد محمد المجاهد بن العلامة السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض). ولد في كربلاء سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، وتوفى في ٦ صفر ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، ودفن في مقبرة خاصة في بداية سوق التجار الكبير عند الزاوية التي يتفرع من سوق التجار سوق الساعاتية، وهي مقابلة لمقبرة جده السيد محمد المجاهد، وقد أزيلت المقبرتان عام ١٩٧٩م عند تنفيذ مشروع بين الحرمين الأول.

(٤) هو العلامة المجتهد الشيخ زين العابدين بن مسلم البارفروشي المازندراني الحائري، ولد بمازندران في إيران وإرتحل إلى كربلاء لطلب العلم وتتلمذ على أكابر علمائها إلى أن أصبح مرجعاً، وكان اكثر مقلديه من الهنود. توفي في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، ودفن في مقبرة خاصة تقع عن باب قاضي الحاجات وهي من أبواب الصحن الحسيني الشريف.

وفيها ستة آلاف منزل وفي المعدل يبلغ عدد الأفراد في كلّ منزل ستة عشرفرداً[1] حيث يبلغ العدد الكلي قريب المئة ألف إنسان من العرب والعجم.

وهناك مراقد لبعض العلماء المجتهدين حيث تقع في مقابل الصحن المطهر بعض القباب المكسوّة بالقاشاني[2].

ولصحن سيد الشهداء سلام الله عليه ستة أبواب[3]:

باب القبلة، باب قاضي الحاجات، باب الصحن الصغير، باب الصدر، باب السلطان، باب الزينبية.

يبلغ طول الصحن المبارك تسعون ذراعاً، وعرضه سبعون ذراعاً.

وتقع على جهة باب القبلة ومن الطرفين والطابقين الأرضي والفوقاني أربعة عشر غرفة، وفي مدخل باب القبلة هناك محل للسقاية بناها السيد إبراهيم المجتهد القزويني من أموال الهند.

وفي مواجهة الداخل من باب القبلة وفي مقابل الإيوان يقع الرواق والبقعة المطهرة لسيد الشهداء، وفي وسط الإيوان الذهبي هناك القبة المطهرة، وإثنتين أو ثلاثة من المنائر المكسوّة بالذهب تقع على طرفي الإيوان، وقد طلاها بالذهب الملك الشهيد آقا محمد خان، ويعود أصل البناء إلى عصر الدولة البويهية[4]، وعمرّها من بعدهم الصفويون[5].

(١) رقم مبالغ فيه وتقدير خاطئ بلا شك.

(٢) من هذه المراقد التي كانت تعلوها القباب، قبر احمد بن فهد الحلي، وقبره خارج السور بقليل. ومقبرة الطباطبائية في سوق التجار الكبير على زاوية سوق الساعاتية، وقبر السيد محمد المجاهد بن صاحب الرياض السيد علي الطباطبائي.

(٣) هناك إختلاف في التسمية، وماهي إلاّ التسميات القديمة لأبواب الصحن، فباب الصحن الصغير هي الآن تسمى باب الشهداء، وباب الصدر هي باب السدرة، وباب السلطان هي باب السلطانية.

(٤) ليس أصل البناية يعود إلى العصر البويهي، وعضد الدولة البويهي أشاد العمارة الرابعة، فهناك عدة مرات بعد حكم البويهيين تم فيها تجديد عمارة المشهد الحسيني. وما قام البويهيون في تشييد مقابرهم فيما سمي بعدئذٍ بالصحن الصغير يفوق ما قاموا بتعميرهم لمرقد الحسين!!.

(٥) العمارة التي يتكلم عنها صاحب الرحلة هي بالأساس صممت وأنشأت في زمن أويس الجلائري وولديه حسين وأحمد، أما التوسيعات التي حصلت على الحرم والصحن الشريف لم يقم به الصفويون وحدهم، ولكنهم ساهموا ببعض الأعمال والترميمات، وقد أجملت مفصلاً كل ما قام به الصفويون

يحيط بالضريح المبارك شباكين أحدهما من الفولاذ والآخر من الفضة، وفي وسطهما هناك صندوق من الخشب، وتحت الصندوق يقع مدفن سيد الشهداء عليه السلام.

ويقع ضريح شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله، علي الأكبر وذلك بصورة متصلة بضريح سيد الشهداء من جهة القدمين، ومن جهة خلف الرأس يقع مسجد كبير يتصل بالبقعة المطهّرة، حيث يصلّي فيه عدد من الناس، وعلى يمين الداخل من الصحن الصغير ترتفع منارة مكسوّة بالكاشاني تُعرف بمنارة (الكاكا)[1].

في هذا المكان توجد ثلاث محلات مخصصة لخلع الأحذية (كيشوانية)، وفي جهة باب القبلة يوجد مكانين لذلك، وفي باب الزينبية عندما تدخل يوجد مكانين أيضاً.

قبور المشاهير في الرواق المبارك

عندما تدخل من باب القبلة يقع رواق في الجهة الشرقية فيه من مراقد المشاهير[2] التالية أسماءهم:

١. قبرالمرحوم محمد علي[3] ميرزا بن الخاقان المرحوم فتحعلي (فتح علي) شاه، ويلتصق بالبقعة المطهرة قبر المرحوم الحاج كاظم الرشتي[4]، وبجانبه صندوق واحد

لمشهد الحسين، وهو لا يرقى إلى الهالة الكبيرة التي يوصفون بها في هذا المضمار والسبب معروف!!.

(١) هذا الإسم غير صحيح، وإنّما إسمها المعروف والمشهور هو: «منارة العبد».

(٢) ليست مواقع القبور التي ذكرها صاحب الرحلة جميعها في الرواق الشرقي من الحرم، وإنما بعض من المذكورين دفنوا في مناطق اخرى من الحرم.

(٣) لم يقع قبر محمد علي ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري في الجهة الشرقية، بل في مقبرة القاجاريين في الزاوية الشمالية الغربية المقابلة لمرقد السيد إبراهيم المجاب

(٤) ذكر مترجم الرحلة في كتابه بالهامش٤٣ ص٤٧ بأن السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الكيلاني الرشتي، أنه تولّى المرجعية في كربلاء، وهذا غير صحيح لأن السيد كاظم الرشتي هو تلميذ الإحسائي وكان من الشيخية، ومن ثم أسس الفرقة الكشفية، ودخل في صراع فكري وعقائدي مع العلماء الأصوليين في زمانه، ولم يكن هو يؤمن بالمرجعية أصلاً، وكانت المرجعية الدينية للعلماء الأصوليين حصراً. وفي موضع قبر السيد كاظم الرشتي رأيان، فمن قائل يذكر بأنه دفن في الصحن الشريف بجوار حائط الحرم على يمين مدخل (كشوانية) رقم ٦ المقابلة لباب الشهداء الداخلية، أما الرأي الآخر بأنه دفن على يسار باب الشهداء الداخلية في الرواق الشرقي من الحرم الشريف.

قبر المير السيد علي[1] والآقا محمد باقر البهبهاني[2].

٢. قبر المرحوم أمين الدولة الهندي.

٣. قبر المرحوم ميرزا تقي خان.

٤. قبر المرحوم الحاج ميرزا آقاسي.

٥. قبر جهانكير ميرزا بن المرحوم نايب السلطنة.

٦. قبر ظل السلطان.

٧. قبر الحاج الملاّ صالح القزويني.

٨. قبر الميرزا مهدي الشهرستاني[3].

٩. قبر الحاج مهدي الكليدار[4].

(١) هو العلامة الكبير السيد علي الطباطبائي الشهير بـ (صاحب الرياض)، ولد في الكاظمية سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م والمتوفى في كربلاء سنة سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. وكان يعد من أبرز العلماء في عصره وتصدر الواجهة العلمية في كربلاء، وله عدة مؤلفات منها: الرياض في الفقه وعلى ذلك لُقّب بصاحب الرياض. وأعقب أسرة جلها أصبحوا من كبار العلماء في كربلاء. دفن مع خاله الوحيد البهبهاني.

(٢) هو شيخ الطائفة الإمامية الأصولية الوحيد الأغا باقر بن محمد أكمل البهبهاني المولود في أصفهان سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م والمتوفى في كربلاء سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م ودفن في الرواق الشرقي من الحرم، وهو الذي تصدى للمدرسة الإخبارية أيام الصراع العقائدي بين الأصوليين والإخباريين.

(٣) الميرزا مهدي الشهرستاني هو: العلامة السيد محمد مهدي بن أبي القاسم بن الميرزا روح الله بن جلال الدين بن الميرزا رفيع الدين محمد الصدر بن جلال الدين محمد ابي الفتوح بن زين الدين علي بن صدرالدين. ولد في إصفهان سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م وترعرع في بلدة (شهرستان)، إرتحل إلى كربلاء سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، تتلمذ على الوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني والشيخ محمد مهدي الفتوني، وأصبح من العلماء المقلدين، وكان له ديوان يعرف بإسمه بالقرب من باب السدرة من أبواب الصحن الحسيني الشمالية الغربية. كان جده جلال الدين محمد أبي الفتوح والمشهور بـ (أمير نظام) يسكن كربلاء في منتصف القرن العاشر الهجري، وهاجر إلى إيران. توفي الميرزا محمد مهدي الشهرستاني سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م قبل غزوة الوهابيين على كربلاء، وكان قد أسس أسرة علمية في المدينة، ودفن في الرواق الجنوبي من الحرم الحسيني خلف قبر الشهداء. إشتهر بالتفسير والحديث والفقه واللغة وكان من تلامذته المرحوم الشيخ أحمد الإحسائي مؤسس المدرسة (الشيخية).

(٤) الحاج مهدي الكليدار.. هو مهدي بن محمد بن إبراهيم بن عيسى من آل كمونة الأسديين. تسلم سدانة الروضة الحسينية بحادثة مشهورة بعد واقعة نجيب باشا (غدير دم) التي حدثت في كربلاء سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م بين الأهالي وجيش الوالي الذي إقتحمها عنوة وأحدث فيها مجازر فضيعة يندى لها جبين الإنسانية، وكان موقف مهدي كمونة حينها مخالف لرأي أهل المدينة بل وضد ثوارها،=

وعندما تدخل من باب قاضي الحاجات ومن باب الصحن الصغير[1]، فهناك قبور: السيد إبراهيم القزويني[2]، وفي مقابله يقع قبر السيد مهدي والسيد محمد والشيخ محمد حسين صاحب الفصول.

وفي مدخل الصحن الصغير يقع قبر شيخ الإسلام القزويني، وقبر السيد مهدي والد الميرزا صادق صهر السيد محمد، وقبر السيد حسين والد حاجب الدولة.

الحركة من كربلاء إلى النجف الأشرف

قمت بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وذلك قبل طلوع الفجر من اليوم السابع عشر من ربيع الثاني، مستأذناً إيّاه بالسفر، ثم خرجنا وركبنا خيولنا مع المرافقين، وبعد مضي

=وعند دخول الوالي إلى الصحن الشريف وهو يمتطي جواده مزهواً بنصر بني على آلاف جثث القتلى من أبناء المدينة، فقد إستقبله الحاج مهدي كمونة والسيد كاظم الرشتي وقام الوالي بتسليمه السدانة بعد فرار السادن السيد وهاب بن محمد علي آل طعمة من كربلاء حيث طلبه الوالي لكونه كان مع الثوار. وتوفي الحاج مهدي سنة ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٥م، وإستلم السدانة أخوه المرزا حسن من بعده، ودفن الحاج مهدي في مقبرة صغيرة في الرواق الشمالي من الحرم الحسيني خلف غرفة (الخزانة) الحالية.

(١) باب الصحن الصغير، هي باب الشهداء الحالية التي تقع في منتصف الضلع الشرقي للصحن الشريف.

(٢) السيد إبراهيم القزويني.. الشهير بـ (صاحب الضوابط) وهو: العلامة الكبير السيد إبراهيم بن محمد باقر بن عبد الكريم بن نعمة الله الموسوي، ولقّب بالقزويني نسبة إلى مدينة (قزوين) الإيرانية التي هاجر منها إلى العراق والده السيد محمد باقر وعمّه السيد محمد علي. ولد السيد إبراهيم في النجف سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، وإنتقل مع والده إلى كربلاء، وتتلمذ على يد السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) في مربلاء وفي النجف على الشيخ علي والشيخ موسى ولدي العلامة الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء في الفقه، وعاد إلى كربلاء ودرس على علمائها مثل (شريف العلماء) الشيخ محمد شريف بن حسن علي المازندراني وأخذ منه الأصول، وبعدها عمل بالتدريس وأصبح من المجتهدين، ومن مؤلفاته (ضوابط الأصول) وعلى ذلك عرف وأشتهر بصاحب الضوابط. كان من المتشددين على أفكار السيد كاظم الرشتي (الشيخية والكشفية)، وكانت للسيد إبراهيم أعمال جليلة في كربلاء أشرف عليها كما السيد على الطباطبائي صاحب الرياض، وقد أفتى بعدم السماح للطائفة الإسماعيلية من البهرة والأغاخانية الدخول إلى كربلاء لزيارة العتبات فيها حيث أفتى بنجاستهم، وبعد وفاته سُمح لهم بالدخول وزيارة المراقد... وقد أختلف في تاريخ وفاته، فيذكر البعض أنها كانت سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م، ومن قائل يؤكد أن وفاته كانت سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م. وكانت له آثار ومؤلفات كثيرة وتتلمذ على يديه الكثير من العلماء.

وبعد نهاية زيارته إلى النجف الأشرف رجع ألى كربلاء عن طريق النهر من الكوفة مارّاً بالكفل حتى وصل (**طويريج**)، وأعطى وصفاً كاملاً في رحلة عودته خاصة عند وقوفه في بلدة (**الكفل**)، وشاهد تل نمرود وهو المكان الذي ألقي فيه إبراهيم الخليل في النار، والشيوخ الذين يقرأون التوراة، وعن قرية (**عوينة**) التي كانت فيها قلعة يشغلها جنود الحامية العثمانية. إلى أن رست المراكب الشراعية التي أقلّتهم من الكوفة في بلدة طويريج (**الهندية حالياً**) حيث يقول:

«طويريج عبارة عن قصبة فيها حوالي ألف عائلة وفيها سوق يحتوي على مائة دكّان وكلّ بيوتها وسوقها من الحصير، وهو جميل.

هناك أبدلنا ملابسنا، وذهبنا في جولة مع طُرفة وبقية الرفاق، وجلسنا في إحدى المقاهي فشربنا القهوة ودخّنا الأركيلة ثم عدنا إلى المنزل وأخذنا قِسطاً من الراحة. نصف سكان طويريج يمتلكون بيوتاً في الجانب الآخر من النهر الذي وضعوا عليه جسراً يربط بين جانبي المدينة.

ويسكن المنطقة بين (مجدم) كربلاء إلى (مجدم) الكوفة[1]، قبائل عربية أغلب زراعتها الشلب، فقد اخذوا في الآونة الأخيرة يزرعون الرز، وهو رز لا نظير له في العالم[2]. يبلغ عدد السكان بين كربلاء والكوفة[3] عشرين ألف عائلة من العرب، وكل هذه القبائل العربية هي من عشيرة الخزاعل. وفي عصر يوم السادس من جمادى الأولى وصلنا إلى كربلاء المقدسة.

---

(١) المجدم هي المنطقة التي تعتبر أول مراحل الدخول للمدينة او آخر المراحل للوصول مثل خان الربع.

(٢) الشلب هو الرز، ويقصد بالذي لا نظير له في العالم هو (رز العنبر) الذي لا يزرع إلاّ في مناطق الفرات الأوسط من العراق، ويمتاز برائحة زكية راقية، وهو أغلى أنواع الرز في العالم.

(٣) يقصد العشائرالتي مرّ بها من طويريج إلى الكوفة على جانبي النهر والاطراف الممتدة على الجانبين.

زيارة الحُر

وفي يوم العاشر من شهر جمادى الأولى (١٢٧٣هـ) توجهنا إلى زيارة الحُر الشهيد، وكان (آقا جان، وسلطان) ولدي (محمد رضا ميرزا) حضرا إلى المنزل بعد أن عرفا عزمنا على الزيارة، كما حضر إلى المنزل جميع الخدم، وبعد تناول طعام الغداء، جاء السيد حسين مُقرئ الزيارة، وتحركنا في موكب مهيب ومعنا عدد من الرفاق، ... وخرجنا من جهة باب النجف، فوصلنا وأدّينا الزيارة.

تبلغ المسافة من الحُر إلى كربلاء حوالي الفرسخ، وعندما تنزل قبائل عنزة في المكان يقلّ عدد الزوّار وربما يتوقف، وتنتشر على طول هذا الفرسخ بساتين كثيرة وزروع كثيرة، وقد لاحظنا بعض الفلاحين وهم مشغولين بإعداد الأرض لزراعة الخيار، فسأل طُرفة أحد الفلاحين: هل أنت عربي أم عجمي، فقال إن الجميع هناك من العجم، من أهل خراسان أو إصفهان ومن كل ولايات إيران، فقال كم يأخذون منكم من الضرائب الرسمية، وكم تعطي لصاحب الأرض؟. فقال إن نصف عوائد هذه الزراعة تعطى لنا كأجر على عملنا، والنصف الثاني يأخذه مالك الأرض، وهو الذي يدفع الضرائب من حصته[1].

تقع روضة الشهيد في وسط الصحن الذي شيّدته والدة (آغا خان المحلاتي) وهو كالقلعة، لتحافظ على الزوّار في الأوقات التي ينعدم فيها الأمن، وقد أجرت تعميرات على الروضة. صلينا الظهر والعصر هناك وعدنا بعدها على كربلاء. قبل يوم من حركتنا

(١) كان الإيرانيون يأتون إلى كربلاء للزيارة من مختلف مدن إيران، ولم يكونوا يملكون المال للبقاء فترة الزيارة أو العودة إلى بلدهم، فيقومون بالعمل في البساتين والمزارع وفي بناء أسيجة البساتين (الأطواف ويسمّي العامة مفردها طوفة والإيرانيون يجيدون عملها) ويجمعون المال لمصاريف السكن والطعام وشراء بعض الحاجيات ويوفرون الباقي لنفقات السفر)، وإستمرت هذه الحالة إلى منتصف القرن العشرين وتلاشت بعدها إلاّ ما ندر، ومنطوق السؤال في المتن لا يعني أن هؤلاء العجم هم من السكان في كربلاء فهم ياخذون (أجرة) على العمل بإعترافهم فهم ليسوا مغارسين.

من كربلاء، أرسلت قطعة من قماش الشال ومعها رسالة فيها كثير من الإعتذار إلى (آقا ميرزا حسن) الكليدار ومعها عشرة أشرفي[1] إلى ولده، وثلاثة أشرفي إلى سائر الخُدّام.

وقطعة من قماش الشال إلى (آقا سيد حسين) قارئ الزيارة[2]، وأرسلت إلى محمد علي كمونة كمية من (القند)[3] والشاي، وأرسلت إلى الحاج (السيد) سعيد كليدار الحضرة العباسية، خاتماً ثميناً جداً من الياقوت، مع (القند)، ورسالة فيها كمال الإعتذار، وأرسلت إلى نائبه أيضاً ما يدخل السرور إلى قلبه وكذلك الخدام. ثم يذكر صاحب الرحلة حركته من كربلاء إلى بغداد فيذكر نفس المنازل التي مرّ بها سابقاً ولا يضيف شيئاً جديداً..»[4].

لقد نقلنا وقائع رحلة عبد العلي خان هذه حسب مذكراته التي كتبها بنفسه، وطبعت في عام ١٩٨٤م باللغة الفرسية، وقد تمت ترجمتها من قبل محمد بن الشيخ هادي الأسدي كما أوردناه في بداية الحديث عن الرحلة. وقد تعمدنا كتابة رحلته وزيارته إلى كربلاء وذهب إلى النجف وعاد إلى كربلاء، فقد نقلنا هذه الرحلة على لسانه وقد أطلنا بها، وكان يمكن إختصارها، ولكن السبب في نقل وقائعها بالكامل لكي نعطي للقارئ تصوراً عن مشاهدة ميدانية لأحوال كربلاء، وشخصياتها، وشرح عن المرقد الحسيني في بعض تفصيلاته من شاهد عيان، رغم أن صاحب الرحلة قد غابت عنه معلومات أو نقلت له بشكل خاطئ ولكننا في هوامشنا تم توضيح هذا الإشكال للقارئ الكريم.

وعند البحث عن تاريخ كربلاء وأوضاعها في مختلف الأدوار فإن مثل هذه الرحلات توضح لنا ما كانت عليه كربلاء في زمن قل الباحثون في الحديث عنه.

وبعد هذه الرحلة سننقل رحلات أخرى في زمن متقارب لهذه الرحلة وسيجد القارئ والمتتبع ضالته عن كربلاء وأوضاعها وشخصياتها وأمورها العامة.

---

(١) أشرفي: عملة إيرانية كبيرة كانت متداولة أيام القاجاريين في إيران.

(٢) لم يذكر في عودته السيد درويش قارئ الزيارة الذي اثنى عليه كثيراً من قبل، ولماذا حل مكانه آخر.

(٣) القند: هو قالب من السكّر مخروطي الشكل يزن الواحد ٢ كغم، أو مكعبات من السكر تؤخذ مع الشاي ويسمى عند ذلك (دشلمة).

(٤) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه/ ص٦٧وص٦٨ وص٦٩.

رحلة الميرزا سيف الدولة[1] إلى كربلاء

في سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م زار كربلاء الميرزا سيف الدولة وهو حفيد الشاه الإيراني (**فتح علي شاه القاجاري**)، وكانت رحلته قد شملت عدة دول منها القفقاز وتركيا والشام ومصر ومكة المكرمة والعراق. ومن العراق عاد إلى إيران، وكان دخوله إلى العراق من الموصل، وذكر في رحلته مشاهداته عن الموصل وسامراء والخالص وبغداد والأعظمية والكاظمية ومنها إلى كربلاء ثم النجف الأشرف.

وفي رحلته هذه سنقتصرالحديث عن زيارته إلى مدينة كربلاء فقط في أوائل شهر شعبان من سنة ١٢٨٠هـ لعلاقتها ببحثنا.

فقد تحرك من الكاظمية إلى خان زاد عبر جسر (**الخِرّ**) ثم وصل المحمودية وعبر نهرها حتى وصل إلى خان (**بير النص**)، ثم (**خان المزراقجي**) وبقربه نهر، وقبل الوصول إلى الخان هذا يتشعب الطريق إلى شعبتين، يذهب الفرع الذي يقع على اليسار إلى الحلّة، وعلى اليمين إلى بلدة المُسيّب، وسار بمحاذاة نهر الفرات ساعة على سد ترابي يسمى (**سدّ أم الصخول**)، حتى يصل المسيّب الذي يقول عنها إنها تقع على جانبي الفرات ومكانها لطيف والهواء فيها طيّب، وتنتشر

(١) هو الحاج سلطان عبد المحمد ميرزا سيف الدولة، حفيد الشاه فتح علي القاجاري. تولى عدة مناصب في العهد القاجاري، فقد تولى سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م سدانة العتبة الرضوية (مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام) في مدينة مشهد بخراسان. حصل على لقب سيف الدولة سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م، أصبح حاكماً على (ملاير وتويسركان ونهاوند) سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م في عصر ناصر الدين شاه. تعرّض للعزل والإعتقال في سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م بسبب سوء سيرته للأهالي وخاصة الفقراء وكان ظالماً عندما كان حاكما في المناطق التي ذكرناها، وبعد إعتقاله بفترة قصيرة تم إطلاق سراحه.

حولها بساتين الفواكه والنخيل، وهي مشهورة بلبنها الرائب، وفيها سوق وعدة مقاهي، وبقربها مدفن أطفال مسلم.

ويتحرك من المسيّب إلى كربلاء، فيعبر بداية جسراً مقاماً على نهر الحسينية، ويقول بأن هناك عدة فروع لنهر الحسينية لسقي الأراضي الزراعية، وهناك مشقّة لعبور كل هذه الأنهر الفرعية، ويصل إلى تلّة السلام (**تل مرعز**)، وبعدها يصل إلى خان العطيشي الذي يسميه (**خان العطشان**) ويؤكد بأن الذي بناه هو (**ركن الدولة بن الخاقان**) بإعتقادة (**وهذا ليس صحيحاً لأن الخان كان موجوداً قبل ركن الدولة هذا وقد يكون قد قام بترميم أجزاء منه**)، ثم يواصل مسيره حتى يصل إلى مدينة كربلاء التي يصفها كما يلي:

«**كربلاء مدينة صغيرة عامرة، عدد نفوسها كبير، وهواؤها غير جيّد ورطوبتها عالية، وبسبب كثرة الناس ودفن الأموات فيها بكثرة، فأن هواء المدينة ملوّث على الدوام، وعندما تقل الأمراض فهذا شيء عجيب، لأنني أعتقد أن ليس هناك معجزة أكبر من أن يعيش الناس أصّحاء في مثل هذا الجو المُلوّث، وخصوصاً في بعض الأوقات التي ينقطع فيها نهر الحسينية حيث يقوم الناس بشرب مياه الآبار.**

وتحت كل بنايات المدينة مدافن أو بالوعات لتصريف المياه الوسخة، وعندما تحفر أربعة أذرع تحت الأرض ينبعث ماء الآبار المالح، والواقع أن هذه المدينة مقبرة وليست للسكن[1].

الأبنية والحمامات

بناء العمارات فيها من الجص والآجر والخشب، وهي لاتُعمّر كثيراً، وكل البيوت ضيّقة وصغيرة، ومن ثلاث طوابق أو أربعة، وهي غالية الثمن جداً، أمّا أسواقها فهي ضيقة وسيئة، وخاناتها قذرة جداً، وفيها عدد من الحمامات في غاية القذارة، فماء الخزانة يعتبر ماءً مضافاً فضلاً عن مرارته وملوحته.

(١) بل هذا خلاف الواقع، والمبالغة في هذا الوصف ظاهرة، وتدل على نفسيّة ظالمة كما هي سيرته.

أخلاق الناس

سكّان المدينة هم من العرب والعجم والهنود، والعجم أكثر من العرب والهنود[1]، وأكثر الأهالي يميلون إلى العراك، وهم قليلوا الصّبر، وعديموا الحياء، يأكلون مال الناس، ولا دين لهم، طمّاعين كذّابين، والأكثرية يحملون صفات رذيلة، وخصوصاً العجم[2] المتوطنين هناك، فهم مستهترون بالشريعة، متجاهرون بالفسق.

ضعف همم الناس

ومن جملة الغرائب التي هي أن نهر الحسينية وبسبب عدم كرْيِهِ بصورة مستمرة فأن الطين والغرين يسّد مجرى النهر ويؤدي إلى جفافه، ولكن لا أحد من الأهالي يبدي إستعداده لصرف دينار واحد لمعالجة الموضوع، مع أن عدد البالغين يصل إلى سبعين ألف إنسان، وهم يستفيدون منه للشرب وسقي البساتين والمزروعات، كما أنهم يدفعون الضرائب السنوية للحكومة والبالغة (ثمانين ألف تومان)، وهي ضرائب زراعية، إنهم يشربون الماء المالح والمُرْ، ومزروعاتهم متيبسة، ويرددون القول (ماكو خير بالدنيا)، وينتظرون أن يأتيهم شخص بالمال من الهند او العجم لكري النهر لينتفعو به[3].

---

(١) وهذا غير صحيح البتّة، وخاصة في زمان رحلته، وربما تصوره هذا بناه على كثرة الزائرين من العجم والهنود، وطلاّب العلوم الدينية الذين يدرسون في مدارسها لكثرة المراجع فيها والمدارس.

(٢) الحمد لله.. (فقد شهد شاهدٌ من أهلها) والعجم يقصد بهم الإيرانيون، وصاحب الرحلة إيراني (عجمي) ومن الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران آنذاك.

(٣) كلام غير دقيق لأن نهر الحسينية وفروعه تعمل عليه (فزعة) من أهل المزارع والبساتين لكريه سنوياً وكل جماعة تأخذ (طرح) أي مسافة محددة عليها الكري والتنظيف، وإلاّ لكانت كربلاء اليوم وضواحيها جرداء خاوية على عروشها.

المقاتلون البلوش

تعرضت كربلاء لهجمات الوهابيين، ولحقها من ذلك الضرر الكثير، ولذلك قام الخاقان المرحوم آقا محمد خان بإسكان خمسمائة عائلة من المقاتلين البلوش المسلحين بالبنادق في كربلاء للدفاع عن سكان المدينة[1]، وكانت الدولة الإيرانية وحتى أواسط عهد الخاقان (فتح علي شاه) تدفع لهؤلاء رواتبهم الشهرية، وبعد وصول (اليرمازية)[2] والسيطرة على كربلاء قطعت الحكومة الإيرانية رواتبهم الشهرية، والآن إختلط هؤلاء البلوش مع الأهالي.

قلعة (سور) كربلاء

بنى قلعة كربلاء المرحوم آقا محمد خان، وبعد شهادته بقيت غير كاملة، وتم إكمال البناء بواسطة المرحوم السيد علي الطباطبائي بواسطة أموال الهند[3].

القلعة مبنية بالآجر والجص، أمّا المدفن الشريف فهو يقع في أرض منخفضة، وكـان في السابق عبارة عن بقعة صغيرة، ولكن آقا محمد خان أصـدر أمـره لعبد الـرزاق خان الكاشي فجاء بأموال كثيرة وإبتاع البيوت المجاورة للمرقد وقام بهذه العمارة الحالية[4].

---

(١) البلوش جاءوا إلى كربلاء لغرضين هما بناء سور المدينة بعد غزوة الوهابيين، والدفاع عنها.

(٢) اليرمازية تعني الشقاة، ولكن قطع الرواتب للبلوش كان نتيجة الخلافات الحادة بين الدولة الإيرانية والدولة العثمانية بعد واقعة نجيب باشا، فقد إستغلّت الدولة الايرانية الحادثة لأغراض سياسية.

(٣) راجع عن سور كربلاء منذ بناءه لأول مرّة سنة ٤٠٠هـ في كتابنا (كربلاء .. التاريخ والقداسة)، وسيجد القارئ كل مراحل إعمار السور وبناؤه والأشخاص الذين أمروا بتجديده أو أشرفوا عليه.

(٤) كلام مبالغ فيه جدا، وللقارئ الكريم مراجعة فصل (تاريخ بناء الروضة الحسينية) في كتابنا (كربلاء .. التاريخ والقداسة) أو متابعة التعميرات عليه حسب ذكره ضمن التسلسل الزمني.

المرقد والحرم المطهّر

الحرم المطهر عبارة عن ثلاث طاقات لكل طاق إيوانين من جهتين، ويقع المرقد المقدس في الطاق الوسطاني، حيث تعلو الطاق قبّة، وأواوين الطاقات الثلاثة تنفتح من جهة خلف الرأس الشريف على مسجد كان موجوداً قبل بناء الحرم.

وهندسة المسجد تشبه هندسة الحرم، فهو يتكوّن من طاقات ثلاثة، والجزء الأسفل من جدار الحرم مكسوٌّ بالقاشي، وأرضية الحرم مفروشة بمرمر الموصل، أمّا الطاقات الثلاثة فهي مغطاة بالمرايا من الداخل.

الرواق

وحول الحرم والمسجد الذي صار جزءاً من الحرم يقع رواق عريض، حيث تطل شبابيك الحرم على الرواق، وشبابيك الرواق تطل على ساحة الصحن المقدّس. وتنفتح من الرواق على جهة القبلة ثلاث أبواب، حيث يوجد الإيوان المسقف بالخشب والمكسُّو بالمرايا[1]، والباب الموجودة في وسط الإيوان المفضية إلى الرواق فيها بعض الخراب. أمّا جدار الرواق فقد تم إنشاؤه من أموال الهند، وقد طلاه بالذهب المرحوم السيد إبراهيم، أمّا الباب فهي من الفضة وهي من عمل الحاج حسين خان الصدر الإصفهاني.

وتنتشر الحجرات حول الجهات الأربعة للصحن الشريف. أمّا الأشياء الباقية في الصحن من البناء السابق قبل بناء آقا محمد خان، فهي شيئان: الأول، الإيوان الكبير خلف الرأس بإتجاه القبلة المعروفة بـ (صُفّة الصفا)، والأخرى هي المنارة العالية المكسوّة بالكاشي بإتجاه ما تحت القدمين، وهي متصلة بجدار الصحن[2]، وما عدا هذين، فكل البناء هو من عهد القاجارية[3]، ويقع في طرفي الحرم بإتجاه الإيوان منارتان

(١) يقصد بها (الطارمة) الأمامية. والمنتصبة على أعمدة خشبية تطل على الصحن امام باب القبلة.
(٢) يقصد بالأول (المسجد خلف الضريح)، والثاني (منارة العبد).
(٣) مبالغة أخرى وكلام غير دقيق، بل كانت ترميمات وليست عمارة جديدة.

تم طلاء كل واحدة منهما بالذهب من قبل إثنين (الأصح إثنتين) من زوجات الخاقان المرحوم (فتح علي شاه).

قبّة وضريح سيد الشهداء

طلى القبّة المطهرة بالذهب الخاقان المرحوم (فتح علي شاه)، وأمّا الضريح المطهّر لقبر سيد الشهداء، وهو ضريح كبير فهو من الفضة، وقد أمر بصنعه الخاقان (فتح علي شاه)، وتم صنع الصندوق الفضي المبارك في الهند، أمّا الأبواب الثلاثة الفضية من الرواق إلى داخل الحرم فهي مصنوعة من الفضة، وفي الحرم إثنتين (الأصح إثنين) من القناديل الذهبية الكبيرة جداً، وهما من موقوفات السلطان العُثماني عبد المجيد خان.

وهناك قناديل ومعلقات من المجوهرات والذهب أهديت إلى الحرم من العجم والهند وأماكن أخرى، وقد تم نهب هذه الأشياء مرتّين أو ثلاثة من قبل الوهابيين، أمّا الأشياء التي نُهبت من قبل السدنة والخدم فالله وحده هو العالم[1].

مدرسة

بنى حسين خان سردار حاكم إيروان في عهد الخاقان المرحوم (فتح علي شاه) مدرسة حسنة في الجهة الشرقية[2] من الصحن الشريف حيث تنفتح باب المدرسة على إحدى زوايا الصحن، أمّا في الجهة الغربية من الصحن فقد بنى مسجداً.

---

(١) ليس دفاعاً عن السدنة أو الخدم في زمان صاحب الرحلة أو قبله، ومن ثم بعده.. فأقول إن ما تحويه خزانة الحسين حالياً من مواد نفيسة وقد ثبتت تواريخها قبل زمن صاحب الرحلة وبعده، فكيف ينهبها السدنة والخدام. فهي مسؤولية شرعية وأخلاقية، وما يقوله صاحب الرحلة إفتراءاً كما إفترى على أهل المدينة عندما قال: (إنهم لادين لهم) فهل هو كان صاحب دين عندما سجّل التاريخ الكثير عن ظلمه للفقراء في المقاطعات التي حكمها وتم عزله وإعتقاله حسب تاريخ إيران.

(٢) المدرسة هي مدرسة (حسن خان) السردار وليس (حسين)، وتقع خارج الصحن في الزاوية الشمالية الشرقية، وكان لها باب على الصحن، وقد بنيت سنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م.

عمليات الإعمار

تعرضت بناية الحرم المطهر في هذه الأيام إلى بعض الخراب، فقام الشيخ عبد الحسين الطهراني بأمر من ناصر الدين شاه بإجراء عمليات الإعمار لبعض الأجزاء، ومن ذلك قيامه بإزالة القبّة المطهرة وإعادة بناؤها من جديد، كما تم إعمار الحرم من داخله، وتم توسيع الجهة الغربية من الصحن الشريف، وبناء إيوان كبير في وسط الحرم، وفُتحتْ باب جديدة للصحن من الجهة الغربية من قبل الدولة العثمانية، وذلك لتقليل الزحام عند الدخول والخروج من الصحن الشريف.

صحن العبّاس

يقع صحن العباس عليه السلام في الجهة الشرقية من صحن سيد الشهداء على بعد حوالي خمسمائة قدم بخط مستقيم.

أمّا تفاصيل البناء، فقد قام المرحوم الحاج محمد حسين خان الصدر الإصفهاني وبأمر من الخاقان المرحوم ببناء الحرم والرواق والصحن بناء جيّد. أمّا أصل الحرم فهو عبارة عن بقعة مربّعة له أربعة أواوين وقبّة، وسعة الحرم لا بأس بها، الجهة المقابلة للوجه لها إيوان (يعني به الطارمة) سقفه مكسُو بالخشب، والمنارتان تقعان على جهتي الإيوان، أمّا سعة الصحن فهي أقل من مساحة صحن سيد الشهداء، وداخل القبة التي تعلوالمرقد الشريف فقد تم إكساؤها بالمرايا بواسطة المرحوم السيد إبراهيم القزويني عن طريق أموال تم إرسالها من لكنهو الهند.

أمّا الباب التي تفضي من الرواق إلى الإيوان فقد كساها الحاج حسين خان الصدر الإصفهاني بالفضة وهي باب جيّدة.

أمّا الضريح المقدّس فقد شيّده من الفضة الخاقان المرحوم، وقد توفيَ قبل إرساله، وقد تم حمل الضريح من دار الخلافة بأمر المرحوم محمد شاه ونُصب في مكانه.

وقامت الدولة العثمانية بعد أحداث اليرمازية (أي بعد واقعة نجيب باشا)، وعمليات الإبادة الجماعية في كربلاء ببناء قلعة وقشلة (أي سراي الحكومة) على جهة السور المفضي إلى النجف الأشرف لتكون داراً للحكومة ومحلاً لإستقرار العسكر هناك.

المحاصيل الزراعية

توجد في كربلاء الكثير من البساتين والنخيل، ولو أراد الأهالي لإمتلكوا كل شيء، وما هو موجود، هو التمر، والحمضيات، وأمّا الرمان فهو من النوع الجيد جداً، حتى يمكن القول أن من النادر الحصول على رمّان نظير له، أما بقية الفواكه حتى إذا كانت موجودة فليس لها خصوصية تذكر.

أمّا البقوليات فهي جيدة، وتتوفر عندهم بكثرة الحنطة والشعير والرز، وينبت عندهم الترياك والقطن والتبغ، وكلها من النوع الجيد، والرقي والبطيخ والخيار لا بأس به، وأكثر فلاحي هذه المدينة هم من إصفهان ويزد.

إن هذه المدينة إذا لم تمانع الدولة العثمانية ستتطور وتتوسع بسرعة بواسطة الدول الخارجية.

وبعد المكوث والزيارة ورؤية بعض الأصدقاء والأحباء، قررنا السفر إلى عتبة الولاية المباركة لأمير المؤمنين عليه السلام.

من كربلاء إلى النجف

هناك طريقان من كربلاء إلى النجف الأشرف: طريق عبر البر من كربلاء إلى النجف مسافته أربعة عشر ساعة، وهو كلّه طريق ممهد، والساعتين الأوليين من الطريق تمر عبر الأراضي الزراعية لكربلاء، أما بقية الطريق فهو كلّه صحراء واسعة، وعلى جهة يسار هذا الطريق يقع طريق الهندية وماء الهور، وأما جهة اليمين فلا يوجد شيء.

وفي منتصف الطريق يقع خانان للمسافرين متصلين ببعضهما، أحدهما موجود من السابق والثاني بناه الشيخ مرتضى[1]، ولا يسكن في الخانين أحدٌ سوى بعض العشائر العربية التي تنزل أحياناً في أطرافها حين تمر بالمنطقة، وهو يأخذ مائه من هور الهندية، وفيه بئر لكنه مالح، وقد بتنا ليلتنا في ذلك الخان، وفي اليوم التالي تحركنا نحو النجف، وفي وسط الطريق بين هذا الخان والنجف الأشرف يوجد خان آخر، لا يسكنه أحدٌ خوفاً من غارات العشائر وخصوصاً عشيرة عنزة، وكذلك النزول فيه قليل إلاّ إذا كان العدد كبيراً ومعهم مسلحين كثيرين، وتكثر الغزلان في هذه الصحراء، وأمأ في طرف الماء فيكثر وجود الدرّاج والأسود والخنازير، وفي أيام الربيع تتحول هذه الصحراء إلى بساط أخضر من الحشائش والزهور فتشكل لوحة جميلة.

طويريج

وأمّا طريق الماء، فالطريق إلى طويريج يستغرق أربعة ساعات، وفيها مقر الحكومة الهندية (يقصد ممثل حكومة بريطانيا في الهند وهي أشبه بالقنصلية)، ومع انها مدينة مبنية على الطراز العربي لكنها جميلة جداً وهواؤها لطيف جداً، وينتشر بناء المدينة على طرفي نهر الهندية الذي ينفصل عن الفرات. وعدد سكان المدينة كبير وفيها جسر ومقاهي وسوق، وكلها على الطراز العربي، وكلُّ سُكان المدينة ونهر الهندية هم من أهل القرى، وأصلهم من عرب الحويزة، وقد جاءوا إلى هذه المنطقة قبل ما يقرب من

(١) العلامة الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري: وهو مرتضى بن محمد امين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين بن احمد بن نور الدين بن محمد صادق الأنصاري، المولود سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٨م في ديزفول، وهو نادر دهره ووحيد عصره، برع في الفقه والأصول، وكان زاهداً ورعاً، لازالت كتبه إلى الآن تدرّس في الحوزات العلمية في العراق وإيران، هاجر إلى النجف وهو في العشرين من عمره ومنها إلى كربلاء حيث درس عل يد السيد محمد المجاهد بن السيد علي صاحب الرياض الطباطبائي، وشريف العلماء المازندراني، وعندما حاصر الوالي العثماني نجيب باشا كربلاء سنة ١٢٤١هـ خرج مع بعض العلماء إلى الكاظمية ومنها إلى موطنه ديزفول، وبعد سنتين عاد إلى كربلاء ومن ثم هاجر إلى النجف وتوفي فيها سنة ١٢٨١هـ.

ستين عاماً، وجوههم جميلة، وكلهم مسلحون ويعملون بزراعة الرز وصيد السمك، ويسكنون بيوتاً من القصب، أو الخيام السوداء، زراعتهم الرز وهو من النوع الجيد جداً، ويكثر وجود الدراج والخنازير والغزلان والديوك الجميلة، وكل ملاّحي المراكب الشرعية من هؤلاء.

مسير السفر

ركبنا المركب الشراعي من هذه المدينة بإتجاه النجف...»[1].

لقد ذكر صاحب الرحلة طريقان إلى النجف، فوصف طريق البّر كاملاً، ثم ذكر ذهابه إلى طويريج وركوبه مركباً شراعياً إلى الكوفة، وتحدث عن ذي الكفل، وعن تل نمرود، ونشاط المنقبين فيه، إلى أن وصل إلى شريعة الكوفة.

ونعتقد بأنه ذهب إلى النجف عن طريق النهر، وعاد إلى كربلاء ونواحيها عن طريق البر، بدليل ذكره إلى قصر الإخيضر، ووصفه لبلدة شفاثة، ومن كربلاء سافر إلى الحلّة حيث وصف مشاهداته عنها. وعلى كل حال فمن المؤكد انه عاد من النجف إلى كربلاء عن طريق البر حيث يذكر عن بعض الغرائب ما نصّه:

قلعة الإخيضر

«في المسافة التي تقع وسط كربلاء والنجف وشفاثا، ومن جهة الجنوب، توجد قلعة مبنية بالصخر المنحوت تعرف بإسم الإخيضر، تبعد عن كل واحدة من المدن الثلاثة بست ساعات، وهي تقع على مرتفع من الأرض، وفي مقابل القلعة هناك عين ماء أغلقت بالقير والصخور فجفّ ماؤها، ويبدو من الآثار الباقية على الأرض في تلك الصحراء، ومن مجرى الماء والأراضي الزراعية وأماكن البساتين أن ماء تلك العين كان

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه/ من ص٩٥ إلى ص١٠١.

كثيراً، وأنها كانت عبارة عن مكان عامر وكبير، وهذه القلعة الخربة الموجودة كانت المقر الخاص لكبير هذه القرية، وللقلعة مدخل وباب كبيرة.

إن كل بناء الأماكن المتعلقة بهذه القلعة هو من الصخر المنحوت، وتحت القلعة يوجد سراديب مظلمة لا تُعرف مداخلها، ولم يدخل أحد إلى تلك السراديب خوفاً من وجود الأفاعي والحيوانات المؤذية. ومن جملة الغرائب وجود كهوف منحوتة في الصخر مرتفعة جداً، بحيث يصعب ان يصل إليها رأس البعير، وكانوا في السابق يستخرجون من تحت التراب أشياء عجيبة وفي هذه الأوقات أيضاً لولا وجود الخوف من عرب عنزة لذهبوا إلى هناك وقاموا بالتنقيب، فهم يجدون الصخور المكتوب عليها أو المرسوم عليها. في السابق وجدوا خشب الرمح مصنوعاً من الحديد المملوء بدلاً من القصب، وهي أكثر طولاً من الرماح المتعارف عليها هذه الأيام.

هذا البناء محكم ولم يلحق به الخراب لحد الآن، وهواء هذه المنطقة أكثر برودة من كل مناطق العراق، ويكثر فيها وجود الغزلان، ويوجد فيها أنواع الأفاعي الكبيرة. إن فتح عين الماء ممكن ولكنه يحتاج إلى أموال كثيرة، ويقال إن هذه القلعة هي من جملة القصور التي بناها النعمان بن المنذر[1].

شفاثة

شفاثة[2] هي تقع على بُعد أربع عشر (الأصح أربع عشرة) ساعة عن كربلاء من مابين المغرب والجنوب، وهي على حدّ قول العرب إسم قصر، وهي ستة أو سبعة

(١) في تعليق للمترجم في هامش ص١٠٩ يقول فيه «يبدو ان المؤلف يتحدث هنا عن الطارات الممتدة من النجف إلى كربلاء صعوداً إلى الشمال.. إلخ»، ونقول بأن ما يذكره صاحب الرحلة عن وجود كهوف منحوته لازالت آثارها قرب الإخيضر، فهو لم يقصد (كهوف الطار) لأنه كان متسلسلاً في وصف قصر الإخيضر الذي يسميه (قلعة) ولم يخرج عن نطاقه إلى منطقة أخرى، فبين الإخيضر وكهوف الطار مسافة طويلة تقارب ١٢كم. كما أن الإخيضر ليست له علاقة بقصور النعمان، فمواقع قصور النعمان معروفة ومثبتة جغرافياً وتاريخياً.

(٢) قال ياقوت الحموي في عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، بقربها موقع يقال له=

قصور، ولكل قصر من القصور عين ماء يسكن حولها جماعة من الناس، وفيها نخل كثير، كما يكثر فيها التين والرمّان الجيّد، حيث ينقل تمرها إلى كربلاء والنجف لبيعه هناك، والنخل المحيط بالقصور متصل بعضه بالبعض الآخر، وماء كل العيون حار وطعمه سيء، وكل الأهالي هناك مسلحون بالبنادق، وهذه المجموعة القليلة من الناس إستطاعت في تلك الصحراء أن تصمد في مواجهة قبائل عنزة وشمّر، وهواؤها حار»[1].

= (شفاثا) منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً، وهي على طرف البرية، وهي قديمة إفتتحها المسلمون في أيام أبي بكرعلى يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة» .

و(شفاثا) أو شثاثا بلدة تتوزع في أنحائها عيون الماء وكانت سابقا متصلة بعين التمر وهي جزء منها، والتي تسمى الآن بقضاء عين التمر، وشفاثا واحة جميلة جداً في الصحراء خضراء يانعة تشتهر بنوعية خاصة من التمور والزيتون والرمان وعيون الماء المعدنية فيها، وفيها عيون الماء رائعة وغريبة، ففي الصيف مياهها باردة، وفي الشتاء دافئة. وبقرب شفاثة يقع (حصن الأخيضر) الذي يقع الآن على طريق شفاثا كربلاء . وتسمية شفاثا الآن بعين التمر أو بالعكس أخذت هذا الالتصاق والتقارب منذ القدم وهي اليوم قضاءاً ادارياً تابعاً إلى محافظة كربلاء .

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه/ ص١٠٩وص١١٠ .

رحلة (المستر جون أشر) إلى كربلاء

المستر جون أشر رحّالة إنكليزي وهو عضو الجمعية الجغرافية الملكية بلندن. قام في صيف عام ١٨٦٤م برحلات عديدة إلى عدة بلدان يتوق إلى التعرف على الآثار وأحوال البلدان التي زارها وكان منها العراق الذي زاره وصله في خريف سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م. وقد زار مدينة كربلاء متوجهاً إليها من بغداد.

وعند زيارته إلى كربلاء يبدو أنها قد أعجبته فأطال في وصفها ونقل عنها مشاهداته الكثيرة التي تعطينا تصوراً واضحاً عن أحوال المدينة في زمن زيارته.

مغادرة بغداد إلى كربلاء:

في يوم ٢٨ كانون الأول ١٨٦٤م/ ١٢٨١هـ، غادر (**المستر أشر**) بغداد متوجهاً إلى كربلاء والنجف وأطلال بابل، يصحبه وحاشيته قوّاس المقيمية البريطانية (**والقواس هو الحرس الخاص لمرافقة القناصل في بغداد**)، بعد أن عبر جسر الزوارق عن طريق المدينة القديمة على حد قوله.. وذكر مشاهداته في طريقه من بغداد إلى كربلاء وهي في غاية اللطافة، فيذكر الأنهار المندرسة التي عبرها ومنها نهر صرصر ونهر ملكا وهما نهران كانا يتفرعان من الفرات ويصبان في دجلة، والبراري الشاسعة بعد أن إجتاز البساتين القريبة من بغداد، وأن هذه البراري المغطاة في الكثير من بقاعها بالعاقول الذي كان ملاذاً آمناً للطيور مثل القطا، وكانت أسراب القطا عندما تطير تحجب الشمس المائلة للمغيب. وأهم ما ذكر عن الطريق هو أن الطريق إلى كربلاء يوجد فيه خان لإستراحة القوافل بين كل خمسة أو ستة أميال.

وعن الطريق وسالكيه فقد أشارالمستر أشر بوصف مفصل عن القوافل والمسافرين، فذكر إثناء عودته في طريقه إلى بغداد بقوله:

«.. رأيت قافلة لا يقل عدد المسافرين فيها عن مئة شخص، وكان قسم منهم يمتطي الخيول وقسم آخر يمتطي الإبل، وكانت النساء يُحملن في التخت روان الذي يحمل على البغال. على أن قسماً كبيراً منهم كان يسافر راجلاً خلال سفرته الطويلة المتعبة».

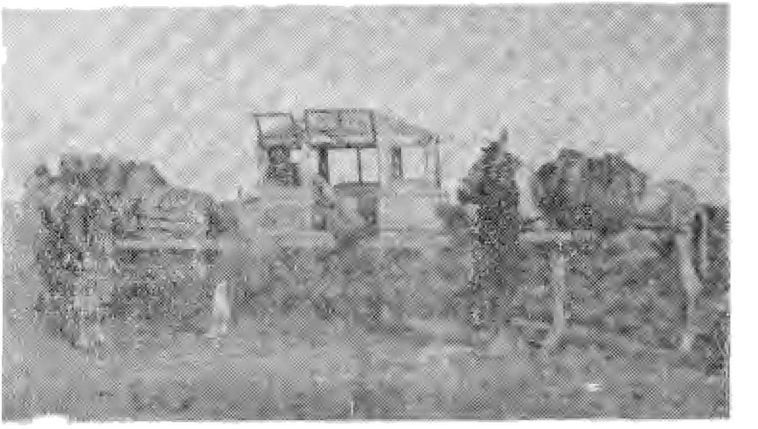

تخت روان

وفي يوم ٢٩ كانون الأول ١٨٦٤م وصل مدينة كربلاء عن طريق المسيب، وعن المسيب يقول بأنه عبر الفرات من فوق جسرها المصنوع من الزوارق. فوجد المسيب ذات سوق صغيرة يتيسر فيها الكثير ممّا يحتاجه الزوّار والمسافرون، وبخاصة الماكولات التي تناول منها اللبن الخاثر الذي سمّاه (**اليوغورت**) والزبد والخبز الحار.

ويذكر بأنه وقبل وصوله إلى المدينة المقدسة مرَّ ما بين البساتين الممتدة على جانبي جدول الحسينية. ويذكر أنه شاهد عدداً من الكرود[1] منصوبة على طول هذا الجدول من الجانبين.

(١) الكرود .. هي الآلة التي يرفع فيها الماء من النهر لري المزارع والبساتين، وقبل أن توجد المكائن الآلية كانت النواعير هي التي تقوم بالمهمة، ونعتقد بأنه يقصد بالكرود (النواعير) التي تتحرك بقوة مجرى الماء في النهر.

وقبل وصوله إلى المدينة بعث (**المستر أشر**) رسولاً يحمل كُتب التوصية إلى قائمقام كربلاء[1]، ولذلك فعندما وصل وقافلته إلى باب السور بعد مغيب الشمس تم فتح الباب له[2].

ويذكر في أول مشاهداته أن قافلته عندما دخلت من الباب مرّت ما بين أزقة البلدة الضيّقة التي كانت تضيء ظلمتها الفوانيس المعتمة التي بعثها القائمقام لتُحْمل أمامه.

ويبدو أن المستر أشر نزل ضيفاً في دار القائمقام حيث يقول:

«**حينما وصلنا إلى دار القائمقام إستقبلنا بحفاوة وإستضافنا في بيته وأنزلنا في غرفة خربة تقع في إحدى زوايا البيت..**».

جولة المستر أشر في المدينة:

في اليوم الثاني قام (**المستر أشر**) بجولة في المدينة وسجل فيها إنطباعاته، ولا بد من الإشارة في هذا الصدد بأن أشر قد إستقى بعض المعلومات عن المدينة وما فيها من بعض مرافقيه وقد نقلها عنهم في رحلته.

يقول المرحوم جعفر الخياط الذي ترجم رحلة المستر أشر عن رحلته إلى كربلاء عندما تجول أشر فيها في اليوم الثاني:

«**وقد ألفى البلدة عندما تجوّل فيها خلال اليوم الثاني بلدة ذات حركة غير يسيرة ونشاط ملموس برغم عدم إتساعها، لأن أسواقها كانت تزدحم بالزوار الذين أتوا لزيارة ضريح الإمام الحسين عليه السلام. وهنا نجده يورد في الرحلة قصة الإمام مع يزيد، وكيفية**

---

(١) كان القائمقام في سنة ١٢٨١هـ هو (محمد بك) حسب ما جاء بالملحق الأول عن متصرفي وقائمقامي كربلاء في كتاب كربلاء في الأرشيف العثماني/ تأليف ديلك قايا ص٣٨١.

(٢) كان سور المدينة حينها يتكون من ستة أبواب، وهذه الأبواب تغلق عند مغيب الشمس ولا يسمح بالدخول او الخروج منها إلاّ في الحالات الطارئة وبأمر من حاكم المدينة، والغرض من ذلك هو حفظ الأمن. ونعتقد ان الباب التي دخل منها هي باب العلوة (باب بغداد) لأنها الباب المقابلة إلى (جادة) طريق بغداد وهي قريبة من نهر الحسينية الذي يستمر الطريق على جانبه.

مجيئه إلى كربلاء، وقتله ظلماً وعدواناً من قبل عبيد الله بن زياد وأتباعه، ويأتي على ذكر الكثير من الحوادث التاريخية المعروفة بشيء غير قليل من الدقة والإنصاف نقلاً عمّا كتبه المؤرخ (غيبون) في تاريخ الإسلام»[1].

والظاهر أنَّ كربلاء قد أعجبت **(المستر أشر)**، إذ يقول إنه لم يجد فيها علامات الركود والإنحطاط التي شاهدها في البلاد التي مرّ بها خلال رحلته. وقد كان كل شبر متيسر فيها من الأرض مشغولاً بالبيوت المتراصة بعضها بجانب بعض، والتي كان بعضها في مرحلة التشييد.

ووجد في كربلاء عدداً من مسلمي الهند مقيماً في بيوت قريبة من الضريح المقدس، ولاحظ بين الزوّار كثيراً من الإيرانيين والأفغان الذين تحملوا مشاق السفر البعيد للتبرك بزيارة الإمام الشهيد.

ويذكر أشر أن البلدة لقدسيتها ووضعها الخاص هذا فلا يمكن أن يسمح للمسيحيين بالإقامة داخل أسوارها. ولذلك كان من الصعب أن يسمح له ولحاشيته بالدخول في بعض الأماكن رغم وجود الحماية له من القائمقام. كما أنه لم يسلم من النظرات الشزرة المخيفة حينما كان يمر بالأسواق والطرق في كثير من المناسبات.

وحينما تجول في الأسواق الضيقة وجدها مكتظة بالناس إلى أقصى الحدود، ووجد السلع المعروضة للبيع فيها لا تتجاوز حاجات الأعراب المحيطين بالبلدة ولوازمهم مثل الكفافي والأعقلة والعبي وما شابه ذلك. إلى جانب الأطعمة والمؤن. ولذلك كان الزوار يشترون ما يحتاجون إليه من أسواق بغداد عادة. على أنهم وجدوا أنواعاً عدّة من الأحجية والتعاويذ يصنعها الجوهريون في البلدة ويعرضونها للبيع إلى الزوار. وعندما إشترى القواس الذي كان بصحبة **(المستر أشر)** واحدة منها له إنزعج البائع وإسترجعها من القواس بغضب لإعتقاده بان المسيحي لا ينبغي أن يحملها وفي داخلها بعض آيات القرآن الكريم.

---

(١) رحّالة أوربيون في العراق/ من العناوين (مشاهدات جون أشر في العراق)/ جعفر الخياط ص١٥٤. دار الوراق ط٢ سنة ٢٠١٠م.

وصفه للمرقدين الشريفين

توجه (**المستر أشر**) للإطلاع على أهم معلمين في مدينة كربلاء وهما مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، ولأنه من الصعب على غير المسلم الدخول إلى العتبات المقدسة، فآثر التقرب من باب القبلة الذي يسميه الباب الكبير، وحين وصل إلى الفناء الممتد بين يدي الباب الكبير للصحن الحسيني للتفرج من بعيد إستعجله حراسه من القواسين خوفاً من تجمع الناس والمتعصبين من حولهم، ووقوع ما لا تحمد عقباه. ولكن أحد القواسين أخذهم إلى دار تاجر من التجار كان قد سكن في بغداد ردحاً من الزمن وإتصل بالمقيم البريطاني في قضاء حاجة له. فرحب بهم في بيته حينما علم بأنهم إنگليز، وأخذهم إلى شباك من شبابيك البيت يطل على الصحن الشريف[1] ويتسنى لهم منه أن يلقوا نظرات مطمئنة على المرقد بأكمله.

ويصف الروضة المقدسة فيقول:

«**إنَّ ساحة الصحن المحيط بالضريح المقدس، والمحاطة هي نفسها بالبيوت، لم تكن مبلطة. وأن جنائز المتنفذين من الشيعة والموسرين الذين كان بوسعهم دفع الرسوم والمصاريف المطلوبة كانت تدفن فيه**».

كما وصف قبة مرقد الحسين والمنائر المذهبة، والجدران والأفاريز المزينة بالقاشاني الجميل وغيره بالوصف المألوف المعروف.

وذهب لمشاهدة مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام كذلك، فشاهده من سطح أحد المنازل القريبة من الصحن، وهو يقول: إنه كثير الشبه بمرقد الحسين عليه السلام. إلاّ أن صحنه الضيّق المحيط بالحضرة كان غير مبلط، وكان

(١) كانت البيوت ملاصقة إلى سور المرقدين الشريفين، وكانت تعلو عن سور الصحنين، وعندها كان يتمكن ساكنوا تلك البيوت الإشراف على الصحن، وكثيراً ما كانت هذه البيوت معدّة لنزول الزائرين الذين يتمكنون من دفع إجور الإقامة في مثل هذه الأماكن، وبقيت الدور هذه التي أصبح معظمها فنادق وتحتها المحلات إلى سبعينات القرن الماضي. عندما تم إستملاكها وضمها إلى الصحن.

يستعمل للدفن كذلك. على أنه وجد صحن العباس مكتظاً بالمعممين الذين كانوا يجلسون للتسكع وتزجية الوقت، أو لأداء الصلاة على حد قوله. ولم يستطع في كلتا الحالتين معرفة شيء عن داخل الحرم.

حديثه عن الجنائز القادمة إلى المدينة:

عند مشاهدته الجنائز التي كانت تُدخل إلى الروضة الحسينية ويدفن بعضها في الصحن أو داخل الحرم فيقول:

«.. أن جنائز المتنفذين من الشيعة والموسرين الذين كان بوسعهم دفع الرسوم والمصاريف المطلوبة كانت تدفن فيه. فإن ثمن هذا الإمتياز يمكن أن يكلف مبلغاً كبيراً جداً في بعض الأحيان، ومن الممكن في بعض الحالات دفن بعض الناس بالقرب من الضريح المطهر كذلك بعد دفع مبالغ باهظة. لكن المألوف ان تزور الجنائز التي يؤتى بها إلى كربلاء ويطاف بها حول الضريح المقدس، ثم تؤخذ للدفن في أي مكان آخر في المقابر المعروفة. وتجبي الحكومة التركية ضريبة قليلة على الجنائز في باب البلدة، لكن محاولات كثيرة كانت تجري بين حين وآخر للتهرب من دفع الضريبة هذه بطرق شتى... وأن الجهات المسؤولة في باب المدينة لا تسمح بإدخال عدد كبير من الجنائز إلى البلدة مرَّة واحدة، لأنها تصل بأعداد كبيرة في بعض المواسم بحيث يؤدي دخولها إلى إنتشار الأمراض وإزدحام الطرق والأزقة في داخل البلدة بها. فقد تصل في قافلة واحدة من إيران ألف جنازة في وقت واحد، وكل واحدة منها يكون بصحبتها شخص أو أكثر من أقارب المتوفى».

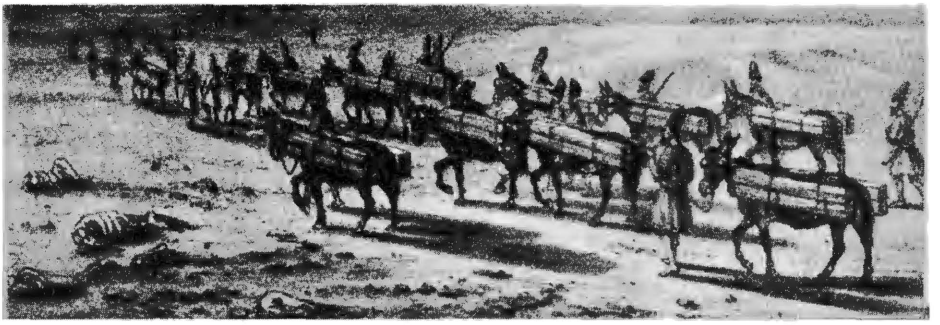

قافلة الجنائز في طريقها إلى كربلاء منقولة من رحلة المستر جون أشر

تجوله في البساتين والمزارع المحيطة بالمدينة:

وقد تسنى للرحالة وجماعته أن يتجولوا بعد الظهر في البساتين الكائنة خارج أسوار المدينة المقدسة فوجد فيها سواقي المياه تخترق تربتها الخصبة بكثرة. وهو يقول:

«إن هذه البساتين تعتبر منتجعات مؤنسة لأهالي كربلاء في أيام الصيف، فهم يخرجون إليها ليجلسوا في ظلها الوارف ويتمتعوا بالـ (كيف) (المقصود به المتعة على ما هو متعارف عليه لدى العامة) على حد قوله، الذي يميل إليه الشرقيون بوجه عام، ويشربون القهوة والشربت بين حين وآخر».

مغادرة كربلاء:

غادر (**المستر أشر**) كربلاء بعد أن لم يجد موجباً للبقاء فيها، وتوجه إلى النجف الأشرف عن طريق (**طويريج**) الهندية ليأخذ منها مركباً يوصله إلى الكوفة.

وصفه لـ (طويريج) الهندية:

وجدها كما يقول:

تقع على فرع الهندية من نهر الفرات، وعلى مقربة منها تل أثري قديم. وعن فرع الهندية يذكر (أشر): بأنه ظلّ ردحاً طويلاً من الزمن يفيد الأراضي الممتدة على جانبيه بمياه الري والغرْين الذي تحمله. لكن الإهمال وسوء الحكم قد أدّيا به إلى أن يفيض فيغرق مساحات كبيرة من الأرض، فتكونت من ذلك بمرور الزمن مستنقعات لا يعيش حولها أو في الجزر الصغيرة الموجودة في وسطها إلاّ بعض الأعراب الذين يزرعون الرز.

وقد كانت تراقب فرع الهندية وتعنى بالمحافظة على صدوره وسدوده قبيلة عربية صغيرة تتعيش بالزراعة، غير أن التعسف الذي لاقته من والي بغداد قبل نصف قرن من زيارته قد أدّى بهذه القبيلة إلى أن ينفذ صبرها فترحل عن المكان وتتخلى عن القيام بهذا الواجب الحيوي. ويبلغ طول البحيرة المتكونة من هذه المستنقعات حوالي ستين إلى سبعين ميلاً.

ومن طويريج إستأجر المستر أشر سفينة شراعية تقله وجماعته إلى الكوفة، وكانت سفينة متسعة متينة الصنع فيها دقل واحد وشراع كبير. غير أن ذلك كله لم يجدهم نفعاً لأن حركة الهواء كانت غير كافية لتسيير السفينة، مما إضطر الملاحون إلى سحبها بالحبال خلال مسافات طويلة. ثم وجد المستر أشر وجماعته من المناسب أن يستأنفوا الرحلة إلى الكفل على ظهور الجياد. وقد سارت بهم الجياد على ضفاف الهور الممتد إلى ما يقرب من الحلة[1].

زار في طريقه مدينة **(الكفل)**، ومن ثم واصل سفرته إلى الكوفة ومنها إلى النجف، وعاد إلى بغداد عن طريق الحلة.

---

(١) راجع رحّالة اربيون في العراق/ من ص١٥٢ ١٥٩. وموسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء/ جعفر الخليلي من ص ٢٩٦ ٣٠١، وتم النقل من المصدرين بتصرف.

الرحالة آينهولت الهولندي في كربلاء

الرحّالة آينهولت هو الهولندي (**تنكو مارتينوس ليكلاما آينهولت**) المولود في (**بيستروا غ**) بهولندا في ٩ تموز ١٨٣٧م (**١٢٥٣هـ**)، وفي عام ١٨٧٥م تزوج في فرنسا حيث إستقر فيها خمسة وعشرين عاماً إلى أن توفى سنة ١٩٠٠م (**١٣١٨هـ**).

آينهولت من الرحّالين الذين زاروا العراق في ستينات القرن التاسع عشر الميلادي، ودخله عن طريق البصرة يوم الأربعاء ٢٨ تشرين الثاني ١٨٦٦م (**١٢٨٣هـ**)، وغادره يوم الثلاثاء ٤ حزيران ١٨٦٧م (**١٢٨٤هـ**) إلى إيران عن طريق خانقين وقصر شيرين إلى كرمنشاه.

إرتحل من هولندا إلى ألمانيا وإيطاليا وشمال أفريقيا ومالطة، ودرس اللغة العربية في باريس، ثم قام برحلة إلى الشرق عن طريق برلين وبطرسبورغ (**لينينغراد**)، وتوقف في (**تفليس**) عاصمة جورجيا الحالية حيث تعلم فيها اللغة الفارسية، وزار روسيا والقفقاس وإيران والعراق وسوريا وفلسطين ومصر. ودامت رحلاته من عام ١٨٦٥م إلى عام ١٨٧٠م (**١٢٨٢هـ ١٢٨٧هـ**).

وكتب تفاصيل جولاته هذه في أربعة اجزاء باللغة الفرنسية التي كان يجيدها جيداً، وخصص الجزء الثالث المطبوع سنة ١٨٧٣م عن العراق.

وقد ترجم رحلته إلى العراق الأستاذ مير صبري ونشرها في مجلة الأقلام العراقية على شكل مقالة بعنوان (**رحالة هولندي في العراق**)[1].

(١) مجلة الأقلام/ الجزء السادس، السنة السادسة، آذار ١٩٧٠ من ص ٩٢ إلى ص٩٥.

وفي العراق ومنذ أن وطئت أقدام هذا الرحّالة فيه كتب عن البصرة وإتجه إلى بغداد بباخرة نهرية حيث وصلها في الرابع من كانون الأول ١٨٦٦م، بقي في بغداد ستة أشهر وقابل الوالي **(نامق باشا)**[١] الذي كانت زيارة آينهولت في زمنه، كما زار الحلة والكوفة والنجف وكربلاء وسلمان باك وسامراء وبعقوبة[٢].

رغم أننا لم نجد في رحلة آينهولت هذه تفاصيل كاملة عن زيارته إلى كربلاء، ولكن سنذكر كل ما ورد فيها عن كربلاء التي زارها بالتأكيد كما هو مثبت في كتاب الرحلة.

ولكن الأهم من ذلك كلّه هو أننا وجدنا في رحلته التي تخص كربلاء معلومة في غاية الأهمية لم يتم ذكرها من قِبَل الرحالة الذين زاروا كربلاء قبله وبعده، وقد تكون غريبة على الكثير ممن يهتم بمدينة كربلاء جعلتنا نبحث ونتقصى عنها ألا وهي الوصول إلى مدينة كربلاء بواسطة مائية ترسو على مشارفها، أو بمسافة قريبة جداً منها، ومن ثم توصّلنا إلى أن الكثير من زوار العتبات المقدسة وخاصة من مناطق جنوب العراق الذين كانوا يأتون في الزيارات الدينية المخصوصة لقبر الإمام الحسين عليه السلام، وتحديداً في زيارة الأربعين **(٢٠ صفر)** من كل سنة، وزيارة عرفة في **(٩ ذي الحجة)** من كل سنة[٣]، قبل ان تتوفر وسائل

(١) نامق باشا .. من الولاة المصلحين القلائل الذين تسلّموا ولاية بغداد في العهد العثماني الأخير في العراق، فقد إستلم ولاية بغداد سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م إلى سنة ١٢٨٥هـ/ نهاية ١٨٦٨م، وقد قام بإصلاحات عديدة منها حفظ الأمن، وبعده إستلم المصلح الكبير الوالي مدحت باشا الذي كانت له أيادي حميدة في كربلاء خاصة.

(٢) رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق سنة ١٨٦٦ ١٨٦٧/ ترجمة مير صبري تحقيق وتقديم طارق نافع الحمداني، ص٣٣ . وسيتم إعتمادنا على هذا الكتاب كمصدر رئيسي لهذه الرحلة.

(٣) لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مناسبات خاصة لزيارة قبره الشريف يأتي إليه عشرات الآلاف من الزوار حتى وصلت الأعداد في بعض هذه الزيارات بالملايين، منها زيارة العاشر من محرم (ذكرى إستشهاده عليه السلام) وزيارة الأربعين والنصف من رجب والنصف من شعبان وزيارة عرفة وغيرها، وبالنسبة إلى زيارة عرفة فهي أطول الزيارات مدة حيث تستمر من ليلة عرفات التي يتوجه بها الحجيج إلى مشعر جبل عرفة ومن بعدها عيد الأضحى الذي يستمر أربعة أيام، ثم يتوجه الزائرون على الأغلب لزيارة قبر الإمام علي عليه السلام في عيد الغدير الذي يصادف ١٨ ذي الحجة من كل عام.

النقل الحديثة (**القطار والسيارة**) يأتون بهذه الواسطة في سفن صغيرة تمخر نهر الفرات قادمة من الجنوب.

في نهاية شهر شباط ١٨٦٧م قابل الرحالة آينهولت والي بغداد نامق باشا الذي رحّب به وسأله عن تفاصيل رحلاته السابقة ومشاريعه اللاحقة، ويقول آينهولت:

«... **شرحت له النقطة الأولى وأعربت له عن رغبتي في القيام برحلة أوائل شهر آذار إلى سامراء عاصمة الخلفاء القديمة على شواطئ دجلة وأطلال سلوقية وطيسفون**[١]، **ثم زيارة جهات الفرات ومشاهدة بقايا بابل والعتبات المقدسة في الكوفة والنجف وكربلاء..**»[٢].

توجه آينهولت إلى زيارة الحلة والنجف والكوفة وكربلاء في وقت كان فيضان نهر دجلة في بغداد على أشدّه، فغادر بغداد في يوم الإثنين ٨ نيسان ١٨٦٧م مصطحباً معه خادمين والقواص[٣] الذي أرسله الوالي ليرافقه ومعه كتاب إلى قائمقام الحلة سليمان أفندي، ورافقه السيد حبيب[٤] لمعرفته بالطريق

(١) سلوقية.. مدينة بناها القائد (سلوقس) وهو أحد قادة الإسكندر المقدوني الثلاثة الذين تنازعوا على الحكم بعده، والذي منح حكم أرض العراق بعد أن قُسّمت ممالك الإسكندر بعد وفاته بين قادته الثلاث، وأسس سلوقس في العراق الدولة السلوقية وقد بنى عاصمته التي سمّاها (سلوقية) بدلاً من بابل، وتقع آثار سلوقية في جنوب منطقة (الدورة) الحالية ببغداد على ضفة نهر دجلة. أما طيسفون فهي (المدائن) ذاتها، عرفت عند الآراميين بإسم كسفون، وسماها اليونان كتيسفون ثم عربت بصورة قسطفون وطيسفون. وصارت منذ نحو سنة ١٥٠ ق.م مقراً للفرثيين، ثم إتخذها الساسانيون عاصمة شتوية لدولتهم، وفيها بنى كسرى طاقه المشهور وآثاره الحالية في ناحية سلمان باك. وكانت قريبة من سلوقية ولكن على الضفة المقابلة من نهر دجلة، حيث لم يشأ الساسانيون عندما أسسوا دولتهم أن يتخذوا سلوقية عاصمة لهم، أو بابل التي أصابها الخراب والإهمال، بل بنوا طيسفون بدلاً عنهما.

(٢) رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق/ ص١٦٧ وص١٦٨.

(٣) القوّاص.. من فصائل العسكر، ويقول عباس العزاوي في ج٧ص٩٩ أن رئيسهم يسمى (قواص باشي) والقواص أو القواس هو من يعمل في حماية الأجانب وخاصة القناصل، وهي من الخدمات الخاصة ويرتدي القواص ملابس خاصة.

(٤) هو حبيب شيحا الذي كان يعمل كاتباً لدى المسيو ويبر التاجر السويسري المقيم في بغداد، وقد ذكره الرحالة آينهولت كثيراً في رحلته وأثنى عليه وكان يعتمد عليه في الكثير من المعلومات، كما ان حبيب شيحا هو بغدادي الأصل وكان يتقن الفرنسية وألّف فيما بعد كتاباً عن بغداد باللغة الفرنسية.

والأماكن التي يمر بها وإتقانه اللغة الفرنسية التي يتكلم بها آينهولت فضلاً عن لغته الأم (العربية).

ذكر آينهولت الخانات التي نزل بها في طريقه إلى الحلة، منها خان الكهية الذي يقع جنوبي بغداد على الطريق بينها وبين كربلاء والنجف.

وفي زيـارةٍ له إلى الكفل ومرقد النبي حزقيال يرافقه مضيّفه الشيخ حمزة شقيق الشيخ ذرب بن عباس شيخ عشيرة آل علي، وعند عودته إلى منزل الشيخ حمزة يقول آينهولت:

«ولما عدنا إلى منزل الشيخ تناولنا غدائنا دجاجاً وسمكاً وتمراً طريّاً قدمها لنا، ثم صعدت إلى السطح وقضيت ألطف أمسية، إن الحرارة لم تكن شديدة كما هي في شهر نيسان في هذه البقعة المجاورة للصحراء. وجلس معي الشيخ حمزة وأبناؤه، فرأيت الأفق يمتد إلى ما لا نهاية لأنه في جميع الجهات، ولا يقع البصر إلاّ على السهل الشاسع، فمن الجهة الواحدة بادية الشام الكبرى، وهذا البحر الرملي الذي يصل بابل بسورية، وإلى الجهة الأخرى مياه الفرات الفائضة.. وأشار الشيخ حمزة بإصبعه إلى المشاهد المقدسة المختلفة، وهي كالنقاط البارزة في الفضاء والتي عزمت على زيارتها. الكوفة والنجف، وفي الشمال البعيد كربلاء، ورسم لي خطوط السفر التي عليَّ إتباعها تقريباً للمسافات وتخفيفاً للتعب والعناء، ونصحني بإرسال خيولي وأمتعتي إلى الحلة بنفس الطريق التي جئت منها، ومن هناك يذهب رجالي عن طريق المسيب متبعين خطاً منحرفاً لإتقاء مياه الفيضان، لإنتظاري في كربلاء محط رحالي الأخير.

أمّا أنا فيحسن بي أن أواصل معظم رحلتي على الماء، أركب سفينة في الكفل على فرع النهر الذي ضخّمه الفيضان إلى الكوفة وهي أدنى إلى الفرات. والطريق من الكوفة إلى مشهد علي يتجه إلى الشرق مبتعداً عن النهر، ويمكنني قطعه على دواب يهيئها لي حمزة نفسه. ثم أعود إلى الكوفة لأخذ السفينة كرة أخرى إلى كربلاء.

وكربلاء تبعد عن الفرات مسافة مقاربة (إثني عشر كيلومتراً) للكوفة على مبعدة نحو عشرين فرسخاً إلى الشمال. وقد كانت المسافة بين هذين البلدين مغمورة جميعها

بالماء، فقال الشيخ حمزة: إن الإنتقال بينهما على متن السفينة ممكن ميسور ولا يدوم إلاّ يومين، فأصل بوصول رجالي دون أن أعرّض نفسي لتعب ركوب الخيل مثلهم.. وقد أقررت هذا المنهاج وأرسلت جماعتي في مساء ذلك اليوم، ولم أسْتَبْقِ سوى قوّاص نامق باشا، وكان ساعدي الأمين ورضا قلي خادمي العجمي الشيخ ليهيئ الطعام للسيد حبيب ولي. وإختتمت العشية بحفلة طرب شاء مضيفي أن يفاجئني بها، ولم تكن إلاّ مشهد رقص غريب مضحك قام بتأديته صبيّان من الزنج متنكران تنكراً ساخراً بهيئة الديكة.

وفي يوم السبت ١٣ نيسان عند الفجر ركبت في السفينة ومعي السيد حبيب وخادمي والقواص، وقد سبقنا إلى الركوب أربعة أعراب من المعدان أحضرهم الشيخ لمرافقتي إلى كربلاء..»[١].

ذهب آينهولت إلى الكوفة أولاً ومن ثم إلى النجف وسجل ملاحظاته عنها وعن المرقد العلوي الشريف، ولكنه في كتاب رحلته بعد أن زار كربلاء يقول عن النجف:

«وقد إجتذب ضريح الإمام علي منذ عهد سحيق، حشود الزوّار ولا تزال الزيارة حتى اليوم موصولة بالوفود، ولو أنها لا تضاهي ما هو مشهود في مرقد الإمام الحسين ثاني أبناء الإمام علي في كربلاء»[٢].

وعن مغادرته الكوفة إلى كربلاء بسفرة مائية وهي الأغرب والأهم في موضوع الرحلة هذه يقول آينهولت:

«... وعند المغرب الوقت المعيّن لسفري ودعني صاحباي الشابان[٣] **بعد أن وضعاني في نفس السفينة التي نقلتني لمواصلة سفري بأمر أبيهما، بقيادة المعدان الأربعة الذين أحسنوا تسييري حتى الآن.**

---

(١) رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق/ ص٢٣٣ ٢٣٥.

(٢) نفس المصدر/ ص٢٤٠.

(٣) هما ولدا الشيخ حمزة اللذان رافقاه إلى النجف والكوفة بأمر أبيهما.

وصعد الشابان إلى بغلة[1] أخرى، من السفن الكثيرة المرابطة في شريعة الكوفة فإفترقنا وأنا أحمل أطيب تمنياتنا التي عبَّرا عنها بكل لطف. وإن الود الخالص على رعاية أبيهما والحصافة الكريمة ليعجز حقاً عن التقدير والسمو المقرون بالسذاجة التي يمتاز بها شيوخ الصحراء الذين يجهلون عاداتنا، ولكنهم بالرغم من ذلك لا يفعلون ولا يقولون إلاّ ما يجب أن يُفعل ويقال.

ولم يعجبني في خلال رحلتي الطويلة شيء أكثر من هذه السفرة المائية التي دامت ٣٦ ساعة من الكوفة إلى كربلاء.

وقبل شهر واحد وبعد شهرين كان في وسعي أن أقطع ثلثي هذه المسافة برّاً متبعاً نفس الطريق! ففي الأوقات الإعتيادية تلقى بقايا الترع المندرسة والغدران والبحيرات الصغيرة التي تحفظ مياه الفرات الفائضة بين الحين والحين متباعدة بعداً كبيراً أو صغيراً. ولكني في شهر نيسان ١٨٦٧ بلغ من فيضان النهر الهائل أن غدا كل السهل الواقع على الجانب الأيمن قطعة عظيمة من الماء يغمر الأرض والقنوات والنهر والبحيرات والمستنقعات.

ويمكنني القول إنني أبحرت في عرض الصحراء، وذلك أمر لا يصدقه إلاّ من يرى بعد إنحسار المياه سهلاً منبطحاً من الرمل والطمي المكسوّ بالخضرة حيث لقيت أنا، كما أسلفت القول، بحراً حقيقياً.

وكان النسيم الذي يهب من الشرق ملائماً لنا، وهو يرطب ويعتدل ساعة بعد ساعة، فقطعنا في سفينتنا مسافة ستة فراسخ[2] بلا توقف ووصلنا نحو الساعة الحادية عشرة

---

(١) البغلة.. هو إسم لسفينة كبيرة تجري غالباً في الخليج العربي والمحيط الهندي، حيث جاء في موضوع «السفن في أنهار العراق» لكاظم الدجيلي المنشور في العدد ٣ من مجلة لغة العرب في أيلول سنة ١٩١٢، ص٩٧، البغلة من السفن الكبيرة التي تمخر عباب البحار، ومنها ما يجري إستخدامه في الأنهار. ومن أسماء السفن الأخرى التي تمخر عباب البحار والأنهار غير (بغلة) هي (ماشوه) و(مهيلة) وغيرها.

(٢) الفرسخ تقريباً ثلاثة أميال أو خمسة أميال، والميل ١,٦ كيلومتر، أي ١٦٠٠ متر، فعلى حساب الفرسخ ثلاثة أميال يكون الفرسخ كيلومتر تقريباً.

مساء إلى مرتفع (أُمّ نعجة) القائم كالجزيرة والذي حططنا فيه الرحال. وكان هبوب الريح وعمق الماء غير المتساوي قد أرغمنا على الإنحراف في طريقنا إنحرافاً كبيراً فمررنا ببحيرة النبي يونس وهي تكاد تنشف في فصل الصيف، و(علوة الفحل) التي تزرع بالذرة صيفاً و(خان أبي فشيحة)، الذي إرتفعت رؤوس خرائبه القديمة فوق الماء، و(أبي مسالة) وهي في موسم الجفاف صحراء قاحلة.

وقد حملتني حركة (البغلة) على النوم، فوصلنا (أم نعجة) وأنا مستغرق في الرقاد، وإسترحنا هناك أنا والسيد حبيب بضع ساعات تحت خيمة بدائية صنعها لنا الملاحون المعدان من شراع إضافي.

وأقلعنا عند الفجر، وقد إشتد النسيم فأصبح ريحاً عاتية، فلم يقدم المعدان مع ذلك على إنزال قلوعهم. فهم لا يطوون أشرعة السفينة إلاّ إذا عصفت عاصفة هوجاء، وهم يحسنون الإفادة من أقل نفس من أنفاس الهواء لنفورهم الغريزي من المجاذيف التي لا يستعملونها إلاّ إذا لم يجدوا مندوحة عن ذلك.

وإنقضى النهار كله في الجري ذات اليمين وذات الشمال بحثاً في المياه ذات العمق الكافي عن طريق لسفينتنا وسط الأقصاب العظيمة، التي تسد علينا المنافذ أحياناً فلا نشق سبيلنا بينها إلاّ بجهد جهيد. ولم أرَ شيئاً سوى نقاط قليلة تعلو على المياه وليس فيها آثار تدل على السنوات (التواريخ). وأعراب هذه الجهات وهم نفس المعدان الذين يقودون سفينتنا يقحمون جميعهم في ظل الخيام ويحملونها مبعدين كلَّما طردهم الفيضان ليعيدوا نصبها بعد إنحسار الماء في الأرض نفسها التي تحصل على خصب وقتي.

وليس لي أن أكتب هنا سوى أسماء المواقع في طريقنا كما ذُكِرَت لي واحداً بعد آخر: فقد إتجهنا أولاً إلى السهل (صناجر) وهي أرض مجدبة حين لا تغمرها المياه، ثم مضينا إلى (العرقوب) المواجه للكفل، ومررنا (بأبي نقاس والكومي وأمّ الراجه والعكيدة وأم هلال) حتى دخلنا بركة (الكنزاع). وعبور هذه البحيرة الذي يدوم نصف ساعة شديد الخطر على ما يقال، حين تهب الريح بقوة من الغرب. وكانت الريح التي

تدفع سفينتنا تهب من الجهة الشرقية وذات قوة غير قليلة، فلم تبعث قلقاً في نفس ملاحينا المعدان، وكذلك خرجنا بسلام وبلا حادث خطير.

ثم مررنا بـ (أبي روية) دون أي ذكر عن هذه البركة المشهورة والملحية، ونزلنا إلى الأرض في (أبي وزيلة) وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم نكن قد أكلنا في السفينة طول النهار سوى شيء من الخبز واللحم البارد. وقد أتاح لنا موقع (أبي وزيلة) أرضاً صلدة لنصب خيمتنا، فقررت المكوث بضع ساعات لتحضير الطعام ولأجل الراحة التي لا بد من القول إنني كنت في أشد الحاجة إليها.

مجاميع من الزوّار كانوا يأتون إلى كربلاء من جنوب العراق
عن طريق نهر الفرات والبطائح شرق كربلاء

وكان ذلك النهار شاقاً بخلاف ما توقعه شيخ الكفل الطيب، ولم يكن ذلك من جراء حركة (البغلة) ولو أن هياج المياه ونشر الشراع قد سبّبا لها هزات مزعجة، ولكن لأنه لم يكن فوق رؤوسنا أي نوع من الوقاء فبقينا معرضين لوهج الشمس اللافح بينما كانت الرياح المشبعة بالرطوبة تحمل إلينا نفحات من البرودة تكاد تثلجنا أحياناً، وهذه الفترات المتعاقبة والمتكررة من تبدل المناخ قد أحدثت لي صداعاً عصبياً من الجانب

الأيسر من رأسي. وكانت الآلام خفيفة أول الأمر، ثم صارت بعد الظهر شديدة لا تطاق، ولم يخفف عني قليلاً سوى وضع منديلي المبلل بالماء حول رأسي مجدداً تبليله بين حين وآخر بحسب إشارة أحد ملاحينا. ولما دخلنا بركة الكنزاع التي تحدها من جهة الصحراء أرض مكسوة بالأقصاب العالية، وقع حادث غريب صرفني حيناً عن آلامي»[1].

ومن آخر نقطة مائية رست فيها سفينتهم، إتخذ طريقه براً نحو كربلاء، وكانت المسافة ليست ببعيدة، ووصل كربلاء وإلتقى برجاله الذين أرسلهم مع الخيول والأمتعة من الحلة إلى المسيب لتفادي مياه الفيضان، وقد كانوا ينتظرونه في كربلاء، وبقي في المدينة المقدسة عدة أيام وغادرها إلى بغداد عن طريق المسيّب.

(١) رحلة آينهولت إلى العراق/ ص٢٤٥ ـ ٢٤٨.

الرسّام البريطاني (روبرت كلايف) والمرقد الحسيني

من الرسامين الإنكليز الذين زاروا كربلاء هو الرسام البريطاني (روبرت كلايف) الذي قام برسم لوحة ملونة للمرقد الحسني الشريف، وعدّت لوحته تعبيراً عن المظهر الذي كان عليه مرقد الإمام الحسين بكل تفاصيله، فقد نُشرت الصورة التي رسمها للمرقد سنة ١٨٦٢م (١٢٧٩هـ) وهي ذاتها السنة التي زار بها كربلاء، وبعض المصادر تذكر بأنه زار كربلاء سنة ١٨٥٠م ورسم فيها الصورة، ونظهر للقارئ الكريم الصورة التي رسمها، وهي لا تحتاج إلى تعليق.

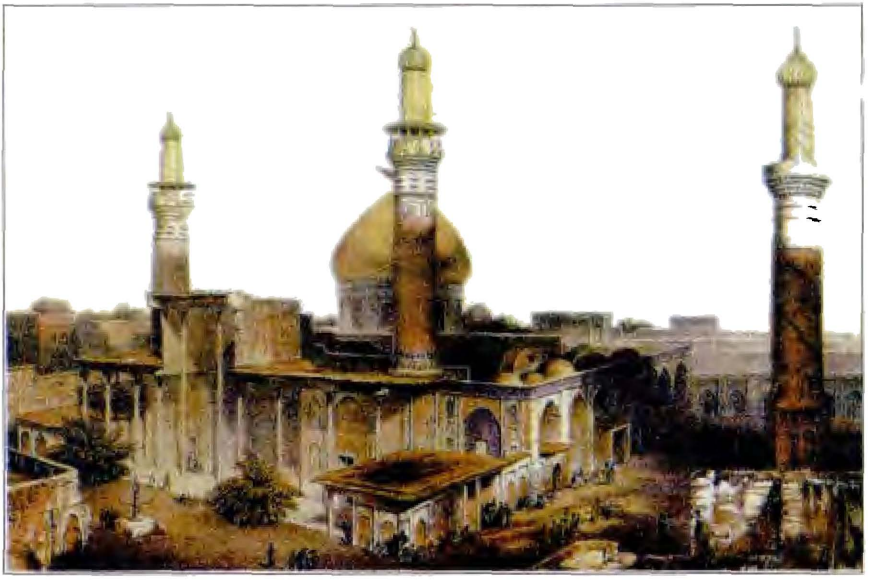

الروضة الحسينية بريشة الرسام روبرت كلايف

ناصر الدين شاه[1] وزيارته إلى كربلاء

ناصر الدين شاه القاجاري (**ملك إيران**) بدأ برحلته من إيران إلى العراق والتي إنطلق بها من (**طهران**) في ٢٠ جمادي الثاني ١٢٨٧هـ/ ١٧ أيلول ١٨٧٠م. ورحلته هذه إستمرت عدة شهور قضى منها قرابة الشهرين وهو يتنقل من طهران إلى أن وصل خانقين وهي أول مدينة عراقية حدودية في ٢٣ شعبان/ ١٢٨٧هـ الموافق ٢٩ تشرين الثاني ١٨٧٠م.

كان ناصر الدين شاه قد وثّق رحلته بالتفصيل، وذكر فيها مشاهداته وتصوراته عن المدن والمناطق العراقية التي زارها، فقد تكون عملية التوثيق كانت بخطّهِ أو من قبل أحد كتّابه، ولكننا وجدنا في المصدر الذي نقلنا عنه الرحله بأنه يتكلّم عن كل ما دار في الرحلة على لغة (**الأنا**) أي إنه هو الذي يتحدث.

وعندما زار العراق كان والي بغداد هو المصلح (**مدحت باشا**) الذي تكفل بجميع الإستعدادات لزيارة الشاه بل رافقه بنفسه في حلّه وترحاله، وقطعاً كانت

(١) ناصر الدين هو إبن الشاه محمد بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه بن حسين قلي خان جهانسور (وهذا شقيق) آغا محمد خان (مؤسس) الدولة القاجارية. إعتلى ناصر الدين العرش وهو في السادسة عشرة من عمره في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م بعد وفاة أبيه بعدة أشهر، حيث تولّت والدته (مهد عليا) ام ولي العهد ناصرالدين إدارة الحكم، وبمفاوضات مع روسيا وإنكلترا ساعدها في الأمر إعتضاد الدولة قلي ميرزا، فتم إستدعاء ولي العهد من تبريز إلى طهران وتم تتويجه فيها. وهو الذي قضى على البهائية. توفي ناصر الدين شاه أثر طلقة نارية تلقاها إثناء زيارته لضريح الشاه عبد العظيم، من قبل ميرزا رضا الكرماني وفي مصدر آخر من قبل (ميرزا صادق) سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م، بعد أن حكم ٤٩ سنة.

ويبدو ان ناصر الدين شاه كان يُحب أن يوثّق زيارته ورحلته هذه حيث إستصحب مصّوره الخاص والذي إلتقط الكثير من الصور التي تمكنا الحصول على بعضها وسوف ندرجها ضمن الحديث عن رحلته.

جاء في تاريخ العراق بين إحتلالين عن زيارة ناصر الدين شاه مايلي:

«صدرت الإرادة الملكية (سلطة الدولة العثمانية) في قبول هذه الزيارة، وجاءت الأوامر للإهتمام بواجب الضيافة وأن تتخذ له حديقة البلدية، ويبنى له قصر خاص فيها لإقامته[1]. رحّبت الحكومة به، وعدّت ذلك دليل على الألفة والصداقة وحسن الجوار. إهتمت الدولة، وقامت بأمر الإحتفاء به، وجُل أملها تأسيس تعاون بين الدولتين في منع ما كان ولا يزال يجري في الحدود من حوادث وأن تتفاهم على مطالبها، وصادف ورود مدحت باشا، فكان الوضع ملائماً، وحكمة هذا الوالي جعلته يلهج بهذا الإحتفاء، وصار يراعي حسن الجوار، وإتخذ هذه الزيارة فرصة لتأمين العلاقات.

ورد بغداد في ٢٨ شعبان ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م ومدحت باشا عرفت أيامه حوادث عديدة كان لها مكانها وتستحق الذكر... وكذلك من أيامه ورود ناصر الدين شاه لزيارة العتبات فكان الإهتمام به عظيماً، وأن السلطان عبد العزيز أرسل كمال باشا نائباً عنه في إستقباله والترحيب به...

وهذه الزيارة بيّنها ناصر الدين شاه في سياحة خاصة، طُبعت وفيها تفصيل لما أجري له من الإحتفالات والتكريمات.

وكان الإحتفال بالشاه باهراً، إستقبله الجند من خانقين بأبّهة فائقة وأتخذت له الحديقة النجيبية مسكناً، وهي المعروفة (بالمجيدية) كانت بستان نجيب باشا، فصارت (حديقة الأمة) أو كما يقولون (حديقة البلدية). جعلها مدحت باشا (حديقة عامة). ثم صارت مستشفى أيام رجب باشا[2]...

---

(١) سمي القصر بعد ذلك بـ (القصر الناصري) في النجيبية، وأصبح مكانه مستشفى (المجيدية) في منطقة باب المعظم.

(٢) هو ذات المكان الذي فيه الأن الطب العدلي، ومبنى وزارة الصحة الحالية ومدينة الطب في باب المعظم.

دامت سياحة الشاه نحو ثلاثة أشهر في خلالها زار العتبات في النجف وكربلاء وسامراء[1]، وكانت إرادة السلطان عبد العزيز أن يكون مدحت باشا في صحبته. وكان في هذه السنة قحط وغلاء، فحدثت صعوبات جمّة وكان في خدمة الشاه جماعة كبيرة ذكوراً وإناثاً، ومعهم أكثر من ١٥ ألف دابة. فكانت الحكومة تقوم بتدارك ما يلزم للكل... وبلغت جميع المصاريف لسياحة الشاه ولما أتخذ له من إنشاءات ومفروشات لقصره ما يزيد على ثلاثين ألف ليرة عثمانية. بذلت الدولة ما يليق من إحترام عظيم، وأبّهة لائقة بمقامه[2].

وما يهمنا هنا هو رحلته وزيارته إلى مدينة كربلاء، موضوع بحث كتابنا هذا، ولم نتوسع بباقي مراحل الرحلة إلاّ لماماً لغرض إستكمال الفائدة من جهة، ولعدم الإطالة من جهة أخرى.

توجه ناصر الدين شاه من الكاظمية إلى كربلاء

في يوم الإثنين الرابع من شهر رمضان سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م غادر ناصر الدين شاه الكاظمية إلى كربلاء بعد أن ودّع المسؤولين في الصحن الكاظمي، والعلماء في مدينة الكاظمية وغيرهم من الأعيان، ووزع عليهم الهدايا.

حيث مرّ أولاً بـ **(عقرقوف)** وشاهد آثارها وعاد منها إلى جسر الخِر خارج بغداد على الطريق المؤدي إلى مدن الفرات الأوسط، فبات مع من معه في معسكر قرب جسر الخر، ومنه واصلوا المسير صباح يوم الخامس من رمضان إلى المسيّب، ومرّوا بخان زاد والمحمودية وبئر النص وخان المزراقجي، وباتوا ليلتهم على شاطئ الفرات في المسيّب.

(١) بل زار أيضاً الكاظمية، والأعظمية، وقبر أبي حنيفة النعمان، وقبر سلمان، والتفرج على طاق كسرى، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وبعض الأماكن الاثارية والجولات السياحية في البر والنهر.
(٢) تاريخ العراق بين إحتلالين/ عباس العزاوي ج٧ ص٢٤٢ وص٢٤٣ وص٢٤٤.

وفي يوم الأربعاء السادس من رمضان جاء من كربلاء للترحيب بالشاه كل من السيد علي نقي الطباطبائي، والشيخ زين العابدين المازندراني، والسيد حسين ضياء الدين **(الوصي على كليدار العباس السيد حسين بن السيد سعيد آل ثابت)**[1]، والسيد صادق **(مشير الدولة)** وبعض العلماء سويّة، بينما جاء السيد أحمد وفي بن السيد كاظم الرشتي لوحده. ووصل والي بغداد مدحت باشا ليرافق الشاه إلى سياحته وزيارته لمدن العتبات المقدسة حسب أوامر السلطان العثماني عبد العزيز.

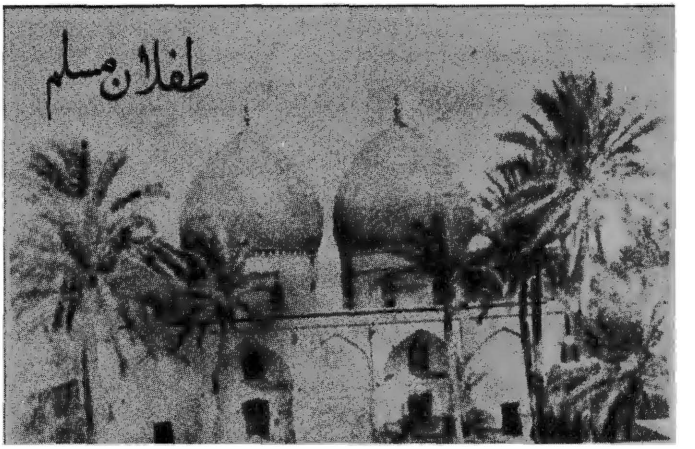

مرقد أولاد مسلم تم تصويره من قبل مصوره الخاص الذي يرافقه في رحلته

وفي نفس اليوم زار الشاه مرقد أولاد مسلم، وشاهد الشاه بأن المرقد يحتاج إلى بعض الترميمات فقد كلّف معير الممالك بإصلاح ما يحتاج المرقد من إصلاحات. وكان بعض الحاشية قد سبقوا الشاه إلى كربلاء، وبعضهم كان قد نذر أن يذهب مشياً على الأقدام.

(١) كان سادن العباس السيد سعيد الكليدار آل ثابت قد توفي، ولكون ولده الذي يجب أن يخلفه في السدانة وإسمه السيد حسين الملقب فيما بعد بـ (صاحب التولية) لم يبلغ سن الرشد، فتم تعيين السيد حسين ضياء الدين وصيّاً عنه لحين بلوغه السن القانونية لإستلام السدانة، حسب العرف المعمول به في نظام العتبات حينه.

وفي يوم الخميس السابع من شهر رمضان توجه الشاه ومن معه إلى كربلاء، وعبر الفرات بسفينة بخارية صغيره، ومرّوا من أمام خان كان على البر الثاني من النهر وإتجهوا نحو الغرب وقطعوا جسر على نهر الحسينية، وبعد مسير عدة ساعات ترائت لهم من بعيد بساتين ونخيل كربلاء.

يقول ناصر الدين شاه في سياحته الخاصة التي وردت في الكتاب:

«وعلى الطريق تقع مقبرة عون بن السيدة زينب[1] حيث إستشهد هناك، توقفنا هناك وترجلنا وأدّينا الزيارة، وهذا الطريق الذي سلكناه ليس للزوار، فهم لا يسلكونه أبداً خوفاً من البدو، وتبلغ المسافة من هنا إلى كربلاء فرسخين، توغلت إلى داخل الصحراء، وجلست على الرمل، ثم جددت الوضوء، وتقلدت السيف المرصعة قبضته بالألماس، وذهبت مرة أخرى وجلست داخل العربة وتحركنا.

إثناء الطريق جاء الميرزا حسن كليدار[2] سيد الشهداء عليه السلام، ومعه خدم الحضرة، كان الميرزا حسن ذو لحية بيضاء كثّة وذو وجه جميل وهو إنسان طيّب كما يقولون، إستمرينا بالحركة وأمطرت السماء لمدة ربع ساعة كرات ثلجية بيضاء (حالوب) فتبلل الناس بالمطر، وكان الجو غائماً هذا اليوم، ثم توقف المطر، ووصلنا إلى بداية بساتين كربلاء، وكان معنا مشيرالدولة ومدحت باشا وكمال باشا وآخرون.

وعبرنا الجسر المعروف بالجسر الأبيض (القنطرة البيضة) الموضوع على نهر الحسينية، ثم ركبنا الحصان، يقع نهر الحسينية على اليمين، وعلى نحو مسافة خمسين قدماً يتفرع من نهر الحسينية رافد يسقي الزروع من النخيل وغيرها الموجودة على جهة اليسار، كان هذا الطريق في السابق مليء بالأحجار والترع وكان من الصعب جداً

---

(١) هذا خطأ شائع، فهو ليس عون بن السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام، وإنما هو عون بن عبدالله بن جعفر بن مرعي الحسني، كان عالماً وله ضيعة تبعد ثلاثة فراسخ شمال مدينة كربلاء، وعندما كان في ضيعته وافته المنية ودفن فيها وذلك في سنة ٧١١هـ/١٣١١م. أما عون بن السيدة زينب فقد أستشهد مع خاله الحسين عليه السلام في عرصة كربلاء ودفن في مقبرة الشهداء، راجع التفصيل في الجزء الأول من كتابنا (كربلاء .. التاريخ والقداسة).

(٢) هو الميرزا محمد حسن كمونة الذي تولى السدانة بعد شقيقه الحاج مهدي كمونة.

عبوره، وقد مهّدوه بمناسبة قدومنا للمرور عبره، وعرض الطريق الآن عشرة أذرع وجعلوا الأنهار تمرّ من تحت هذا الطريق، وأصبحت العربات وغيرها تمر بسهولة عبره وتنتشر على جانبي الطريق البساتين والنخيل الجيد.

وتبلغ المسافة من هذا الطريق أي من الجسر الأبيض إلى بوابة النجف أكثر من فرسخ واحد، وكان الناس ينتشرون من الجسر الأبيض إلى بوابة النجف، حتى بدا الأمر وكأننا ندخل مدينة مثل إصفهان أو كاشان، وكانوا يصيحون بأصوات عالية، وبدا عليهم الفرح الغامر، وقد جاءوا بعَلَم الحضرة العباسية ووضعوه أمامهم، فإنتابتني حالة غريبة، حتى صرت حائراً لا ادري أين أذهب، لقد كانوا من العرب والعجم والهنود والعثمانيين، ومن كل الطوائف ومن كل طبقات الناس، والخلاصة فقد دخلنا من بوابة النجف.

لكربلاء قلعة (سور) مبنية من الاجر الصلب، وقد بناها حسين خان سردار الإيراني أي القزويني حاكم إيروان.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

كان هناك زقاق واسع نوعاًمّا، ولكنه كان مكتظّاً بالمتفرجين، أمّا البيوت فكانت مبنيّة كيفما إتفق، وهناك أزقة ضيّقة بشكل يدعو إلى الإستغراب، وعندما وصلنا الصحن ترجلنا، ودخلنا إلى الصحن وإنتابتنا حالة غريبة، ودخلنا إلى الرواق والروضة والضريح تحت القبّة.

شكرنا الله تعالى، وقام الميرزا حسن الكليدار بقراءة الزيارة وكانت قرائته غير مفهومة لأنه رجل كبير في السن، علي الأكبر مدفون داخل الضريح تحت قدمي الإمام، وزرنا الجميع، الشهداء الإثنان والسبعون مدفونون تحت قدمي علي الأكبر في ضريح تحت القبّة، وبعدها عدنا وركبنا الحصان، وذهبنا إلى زيارة العباس عليه السلام، وبينهما

سوق[1] ضيّق سيء، وسرنا إلى بوابة الصحن، وهناك دخلنا وكان الصحن واسعاً، والقبة مكسوّة بالكاشي وهي من تشييد أمين الدولة الصدر الإصفهاني، وهناك زرنا أيضاً وقرأ الزيارة الميرزا حسين كليدار الحضرة العباسية[2]، وكانت قرائته غير جيدة.

وعدنا عن طريق نفس الزقاق، وكانت أعداد كبيرة من الحمير تسد الطريق ولا أدري لمن تعود، وعربات الحرم أيضاً كانت تسد الطريق، فتوقفنا مدّة من الوقت في

---

(١) السوق المعني هو سوق التجار الكبير، والذي كان يطلق عليه العامة (سوق العجم)، وهو من اوسع الممرات والطرق في ذلك الزمان بين مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام. وكان يبتدا السوق من الباب الشمالية للصحن الصغير ويستمر إلى الشمال ويرتبط بسوق باب السلالمة، ولكن بعد مسافة ١٠٠م وعلى اليمين يبدأ سوق بيع الأقمشة والذي يمتد إلى صحن العباس عليه السلام، وقبل نهايته يتواجد الصاغة وأصحاب محلات المغازة (بيع الملابس الجاهزة والإكسسوارات) وبيع الجلود ثم ينعطف يساراً حيث ينتهي إلى فرعين الاول يذهب إلى باب القبلة، والثاني إلى باب الحسن عليه السلام، وهي المواجهة الآن إلى مرقد الحسين.

(٢) هو السيد حسين ضياء الدين ليس الكليدار وإنما نائبه والوصي عنه، وعن الكثير من معمري المدينة وخاصة من السادة ننقل مايلي: «كان هذا السيد يطمح بالسدانة (الكليدارية)، فعندما خرج الشاه من حرم العباس إلى الصحن وبحركة (معيبة) أسرع هذا السيد بتقديم حذاء الشاه بنفسه أمام قدمي الشاه، فوجدها الشاه كبيرة عنده، الذي يحسبه كليدار وللكليدار مقام عالٍ لدى الملوك والأمراء، فقال له الشاه أطلب أي شيء فسيجاب طلبك، فقال له أريد السدانة (الكليدارية)، فقال له الشاه هي لك من اليوم وسوف أسعى لك لدى السلطان بتثبيتك، وقد فعل ذلك فقد طلب من والي بغداد أن يفاتح دولته بالموضوع ووافق السلطان». اما الكليدار الذي لم يبلغ سن الرشد وهو السيد حسين بن السيد سعيد آل ثابت، والملقب (بصاحب التولية) فقد قدّم إعتراضاً في إسطنبول لإعادة السدانة له، عندها إستدعاه ناصر الدين شاه وعائلته إلى إيران وسلّمه سدانة الإمام الرضا عليه السلام وأقطعه الأملاك وإستمرت السدانة بيده وإبنه وحفيده لحين سقوط الدولة القاجارية، فقد إعتبر رضا شاه بهلوي إن سدانة الرضا شرف كبير فهو احرى بها مع انه الشاه الجديد، فنقل السادن من آل ثابت إلى طهران وأقطعه أراضي كثيرة وأملاك فيها، وبقي أولاده وأحفاده إلى الان في إيران ويلقبون بـ (بيت حاجي عرب)، ولم تنقطع صلتهم مع عمومتهم في كربلاء، وحتى املاكهم فيها ومنها (مقاطعة الصنكَر) في باب طويريج ولحين موضوع تسوية الأراضي كانت بإسمهم وآلت بعد ذلك إلى أسرة آل ثابت.

الزقاق، بعدها ذهبنا إلى مقر الإستراحة وهي تقع على مقربة من المدينة بإتجاه الطريق إلى النجف الأشرف.

وكان (عرفانجي)[1] و.. موجودين، ووصلت النساء متأخرات جداً، فتناولنا طعام العشاء ليلاً، وقام عرفانجي بقراءة الجريدة، ثم جاءت الحرم ونمنا في الليل، أمّا زعفران باجي خورشيد، والنساء العجائز فقد ذهبن إلى كربلاء وبقين هناك[2].

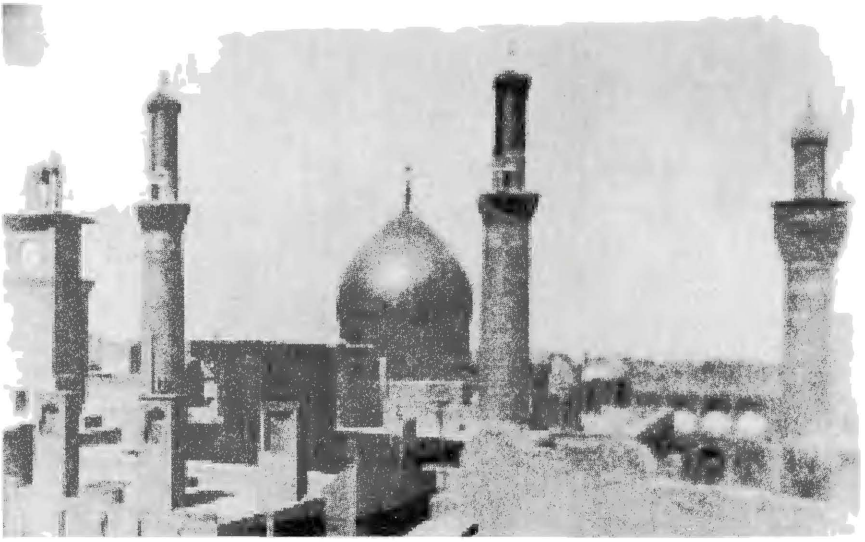

صورة للروضة الحسينية صوّرها المصور الخاص للشاه ناصر الدين القاجاري عندما زار كربلاء سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م وتظهر فيها من جهة اليمين منارة العبد

(١) (عرفانجي): هو شخص يشابه عمله المرافق الصحفي للملوك والرؤساء، وكان واجبه اليومي إستلام الجريدة (الصحيفة) من إيران ليستعلم الشاه أخبار مملكته يومياً وهو غائب عنها.

(٢) ذكر الشاه اسماء النساء اللواتي صاحبنه في رحلته هذه، سواءاً من حريمه أو من حريم الأسرة القاجارية او حريم كبار المرافقين له حيث ذكر منهن: زعفران باجي خورشيد، كُلي سياه، بي بي العجوز،الجدّة شيرازي، وبنت الشيخ التي ضرب قدمها الحصان، ننه غلام رضا، زينب باجي، كلبن خانم، ميرزا باجي، كلين خانم، انيس الدولة المرأة الهندية التي جاءت معهم من كركان، وننه غلام الكرمنشاهي.

زيارة الإمام الحسين والشهداء عليهم السلام

يقول ناصر الدين شاه في سياحته عن يوم الجمعة الثامن من رمضان:

«..وقبل الغروب بأربع ساعات ذهبنا إلى الزيارة وكان الطريق مزدحماً جداً، فوصلنا إلى الصحن المقدّس وأدّينا الزيارة.. ثم تجولنا في رواق الحضرة المقدسة، وهو خرب وسنقوم بتعميره وتجديده إن شاء الله، ونجدد فرشه وسجّاده.

مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام صورها المصور الخاص لناصر الدين شاه

أمّا القبة المطهرة فهي أيضا لحقها بعض التلف، ويجب تجديدها إن شاء الله، ثم ذهبت إلى التجول في غرف الصحن الشريف وقد جدد بناؤها بأموالنا المرحوم الشيخ عبد الحسين (الطهراني) وقد أجاد فيما عمل من تجديد، ولكن يجب إستبدال الإزارة المبنية بالكاشي إلى المرمر، فقد كانت الرطوبة عالية إلى درجة ألحقت الضرر بالإزارة

وأدّت إلى تساقطها، وكانت مقبرة الشيخ المرحوم[1] تقع في إحدى الحجرات، أمّا مقبرة الميرزا موسى وزير طهران فهي تقع في إيوان كبير[2] من جهة الحجرات المقابلة للجنوب وللمقبرة حارس وقارئ للقرآن وفيها أيضاً الشمعدانات والمصابيح.

ويقع قبر المرحوم معيّر الممالك في رواق الحضرة في غرفة صغيرة مكسوّة بالمرايا بصورة جميلة[3]، أمّا قبر المرحوم الميرزا تقي خان، ساعد المُلك، وإبنه الميرزا حسن وأخيه، فهي تقع في غرفة واحدة داخل الرواق. وفي الرواق أيضاً تقع قبور الأمير المرحوم محمد خان، ومحمد علي ميرزا، والحاج ميرزا آقاسي، و..و..وكثيرون آخرون، ولم نر قبر المرحوم آقا خان.

ويسترسل الشاه بوصفه ما موجود داخل حرم الحسين والصحن الشريف فيقول:

ذهبنا اليوم إلى مكان المقتل (قتلگاه)، ويقع في الطرف الاخر من مرقد حبيب بن مظاهر، والنزول إلى مكان المقتل يتم عبر سلالم عميقة، وهو عبارة عن غرفة صغيرة

---

(١) يقصد به الشيخ عبد الحسين الطهراني الذي كان يكلّفه بالأعمال التي يتبرع بها الشاه.

(٢) هذا الإيوان يقع في الضلع الشمالي من الصحن الشريف بل في منتصفه، وكان يسمى بإيوان الوزير، إلى وقت قريب، وتسميته جاءت في روايتين، الأولى أن وزير طهران مدفون فيه، والثانية أن الوزير العثماني (باشا بغداد) قد قام بتعميره وسمي بإيوان الوزير، وفيما بعد تم فتح باب كبيرة منه تطل على الشارع الذي يدور حول صحن الحسين عليه السلام، وسميّت الباب بـ (باب السلام)، والعامة يطلقون عليها لحد الآن باب الوزير، وهي آخر باب فتحت في صحن الحسين وأصبح عدد الأبواب عشرة فقط متوزعة على الجهات الأربعة لأضلع الصحن الشريف.

(٣) هذه الغرفة تقع على يسار الداخل من كشوانية رقم في خلف قاعدة المنارة الشرقية، فيها شباك على الصحن، وأبعادها ٤م×٢م وجدرانها مكسوة بالمرايا على صورة (العينة كار) وفي جوانبها العليا خطين من المقرنصات بالمرايا أيضاً، وهي من أجمل غرف أروقة الحرم الشريف. وعند إستلامنا سدانة الروضة الحسينية قمنا بتجديد وترميم جدرانها ولم نغيّر في تصميمها الأصلي لأن عمل المرايا فيها قديم وجميل النقش والتصميم، وتم فرشها بالسجاد الثمين، ليس لأن المدفون فيها هو الشخص المذكور، ولكن إعتبرناها من الحجرات التراثية داخل الحرم.

ایوان
کربلا

وتحت أرجل حبيب بن مظاهر توجد باب كبيرة تفتح من الرواق على حجرة صغيرة يقع فيها قبر المرحوم الحاج يوسف آقا باشي، وقال شيخ ضرير حافظ للقرآن كان يجلس على القبر أن الحاج يوسف لم يعطني شيئاً، وإنني هنا أقرأ القرآن للثواب.

عدنا وتجولنا مرّة أخرى في الصحن، وشاهدنا السقّاخانة التي شيدتها والدة السلطان عبد المجيد، وكان لها خادم يعتني بها، ويوزع (الشربت) الحلو، وقد بنيت السقاخانة بشكل جيّد ولطيف.

وهناك أيضاً شاهدنا تكية للدراويش وكانت جيّدة البناء، وهي عبارة عن صالة كبيرة ونظيفة، يستقرُّ فيها الدراويش، ولهم كبير يقال له إلـ (ددة)، وهم من البكتاشية، وتتصل طريقتهم بسلمان الفارسي وأمير المؤمنين وهم من مذهب السنّة. ولكن لا مذهب لهم سوى الأكل والنوم والكسل.

ومن غرائب مذكرات الشاه ناصر الدين شاه إنه ذكر في أكثر من موضع في تفصيل رحلته عن **(القطط)** التي جلبها معه وكان قد أعدّ لها أقفاصاً خاصة وتتنقل معه دائماً، ويظهر أنه كان مولعاً بها، حيث يقول عندما عاد من زيارته للإمام الحسين إلى مقر ضيافته **(المنزل الذي أعدّ له خارج سور المدينة)** حيث يقول: «... **وعدنا إلى المنزل، وكانت القطة بيري خان قد إختفت منذ ليلة البارحة داخل المعسكر، ويبدو انها ذهبت إلى خيمة والدة الشاه، ونامت فوق الأغطية، ومنذ الصباح إلى وقت ذهابنا إلى الزيارة لم يستطيعوا إيجادها مع كثرة البحث عنها، ثم ظهرت فيما بعد!!!**».

زيارة الشاه إلى الحُرْ

في يوم السبت التاسع من رمضان تحرك موكب ناصر الدين شاه إلى مرقد الحُر بن يزيد الرياحي، وقد إتخذ الموكب طريق الصحراء[1]، وقد ذكر الشاه

(١) للذهاب إلى الحُر طريقان، احدهما صحراوي وهو ذات الطريق الذاهب بإتجاه عين التمر (شفاثا) حيث إنه بعد مسافة أربعة كيلومترات يتفرع الطريق إلى فرعين، اليمين يوصل إلى الحر، والطريق=

في سياحته الأشخاص الذين رافقوه، ويقول عن الطريق إنه في أرض صحراء منبسطة، تناسب سباق الخيول، ويكثر الغربان في هذا الطريق وتحدث كذلك عن موضوع صيده للغربان هو ومرافقيه بإطلاق النار عليها من البنادق، والخلاصة أنه وصل إلى الحر، ثم وصف المرقد حيث قال:

... مرقد الحُرّ محاط بسور مربع، وفي وسط الصحن توجد قبّة مشيّدة من الآجر والطين، ويتولى الخدمة فيه شخصان عربيان، ولداخل القبة والمنطقة خارج الصحن منظر غير مناسب، فهي ليست نظيفة، ويبدو أن الناس هنا يتعاملون مع المرقد وكأنه خان للمسافرين يربطون فيه كل حيواناتهم... وفضلات الحيوانات كثيرة هنا، وقرأنا الزيارة لكنها كانت طويلة، كان القبر محاطاً بضريح من النحاس، وقد تم توصية الباشا[1] بمنع الناس من ربط حيواناتهم في هذا المكان، وأن يعيّن حارساً أميناً هنا.

ثم تحركنا صعوداً في الصحراء حتى وصلنا إلى رأس نهر الحر الذي تم شقه من نهر الحسينية، وهناك تناولنا طعام الغداء، وإنتشرت في الضفة الثانية من النهر الكثير من العشائر العربية، وقد جيء إلينا بأحد أفراد العشيرة، فتحدث تيمور معه بالعربية، وفهمنا أن هذه العشيرة[2] هي عبارة عن خمسمائة عائلة وهم يعتاشون على الزراعة ورعي الأغنام.

=الأيسر يستمر في عمق الصحراء حتى يصل إلى عين التمر (شفاثا) بمسافة ٧٥كم تقريباً. أما طريق الحُر الثاني فهو الطريق المحاذي إلى نهر الرشدية المتفرع من نهر الحسينية، وهذا النهر تصل مياهه إلى الحر ويستمر بالجريان إلى اطراف قرية الشريعة الحالية ومنها تصل ذنائبه إلى منخفض الرزازة. وطريق نهر الرشدية تحف به البساتين من الجانبين إلى أن يصل إلى الحر.

(١) الباشا هو والي بغداد (مدحت باشا) الذي كان يرافق الشاه في زيارته هذه.

(٢) هذه العشيرة هي عشيرة (اليسار) الطائية، فهي العشيرة الأكبر على الإطلاق في تلك المناطق، وعددهم كبير، وكان لهذه العشيرة مواقف جيدة مع أهالي كربلاء، ولازالت تشكل تجمعاً عربياً أصيلاً غرب كربلاء، وفيما بعد سكن بعض من أفراد هذه العشيرة في المدينة وأسسوا لهم فيها أسر معروفة.

ثم يقول أيضاً عن زيارته إلى الحر وطريق عودته ما يلي: ... **يأتي إلى قبر الحر عددٌ قليل جداً من الزوّار، إن هذا المكان مخيف فهو مكمنٌ للصوص، وأهالي كربلاء يجتمعون على شكل هيئة كبيرة يأتون في العام مرّة واحدة إلى الحُر**[1].

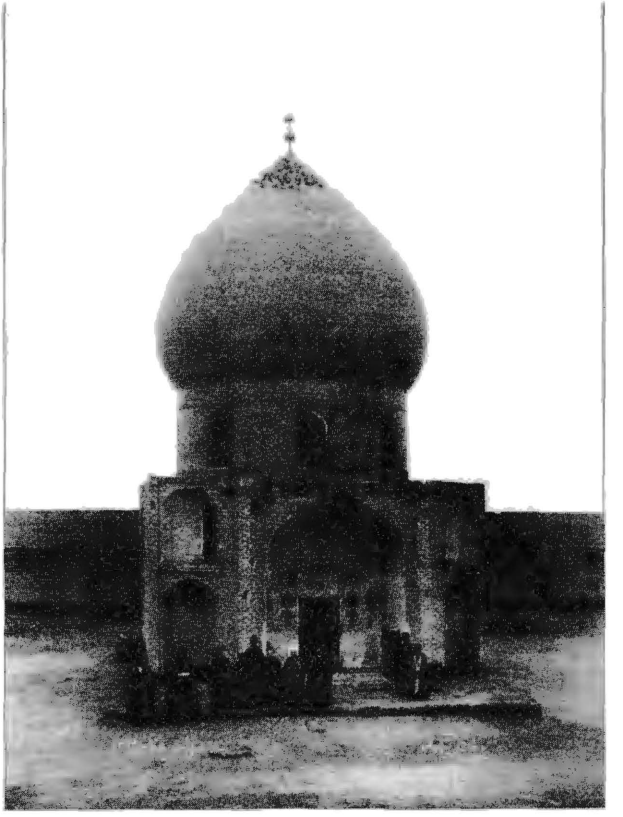

مرقد الحر بن يزيد الرياحي، تم تصويره من قبل المصور الخاص لناصر الدين شاه

(١) نعتقد أن في هذا الكلام مبالغة، ويمكن أن نقل للشاه على غير علم ودراية، لأن الزوّار لم ينقطعوا عن كربلاء على مدار السنة، والغالبية تروم زيارة مرقد الحر، فالطرق إليه سالكة وقد تكون على شكل مجموعات. أمّا أهالي كربلاء فكانت من عاداتهم الذهاب إلى الحر في أيّام الأعياد فيذهبون بمجاميع كبيرة، أما الزيارة لأهل كربلاء على شكل هيئة كبيرة وفي العام مرّة واحدة، فهي زيارة (السيد أحمد بن هاشم) وهو السيد أحمد شمس الدين بن السيد أبي الفائز محمد وقبره بين الرحالية وعين التمر، وإعتاد اهل المدينة زيارته في الخريف من كل عام.

وبعد تناول طعام الغداء ركبنا، إن كل الأراضي الواقعة جوار نهر الحر من باب الحر بإتجاه المدينة هي كلها ملكٌ للدولة، والباشا يقوم ببيعها بأسعار رخيصة إلى الناس ليقوم تدريجياً بتحويلها إلى بساتين للزرع والنخيل، وقال لي إن قيمة الأراضي التي تم بيعها هذه السنة في كربلاء مع رخص الأسعار بلغت خمسون ألف تومان.

وما أن تحركنا قليلاً حتى وصلنا إلى أول البساتين، إن نهر الحر يصل إلى البساتين عبر ممر عريض، تنتشر على جانبيه بساتين النخيل، وكانت أراضي خضراء ونخيل كثيرة، وفيها تكثر أشجار الرمان والتين والتوت وتوت الحرير.

كان الطريق طويل جداً والبساتين كثيرة، وبعد عبورنا لجسر صغير[1] إنعطفنا ودخلنا إلى طريق آخر حتى وصلنا إلى باب الحُرّ[2]، وثم دخلنا إلى المدينة حيث الأزقّة ضيّقة، والبيوت من عدة طبقات.

ومن وقت رجوعه إلى المدينة ذهب للزيارة وشرح بعدها الطريق المؤدي من مرقد الحسين إلى مرقد العباس، وفي نهايته بعض الحُجَر تضم قبور بعض العلماء.

وفي يوم الأحد العاشر من رمضان، إستقبل ناصر الدين شاه في محل إقامته العلماء والمجتهدين مجتمعين وجميعهم من الإيرانيين المقيمين في كربلاء، ولكن الأغرب في الموضوع أنه إستقبل على إنفراد السيد أحمد بن السيد كاظم الرشتي (**والذي يلقبّه الشاه بالسيد أحمد الشيخي**)، ويقول الشاه أن أديب الملك كان قد خصص لكل علماء الشيخية في العراق مبالغ من المال على سبيل المجاملة،

---

(١) هذا الجسر الصغير هو الواقع على الناظم الذي يوزع نهر الحسينية إلى فرعين، الفرع الكبير هو نهر الرشدية والذي يسميّه نهر الحر، والفرع الأصغر هو نهر الهنيدية الذي يلتف حول كربلاء من غربها حتى جنوبها الشرقي (راجع انهار كربلاء في الجزء الأول من هذا الكتاب)، والجسر الصغير المشار إليه يسمى الآن بـ (البوبيات).

(٢) باب الحر، هي أحد أبواب السور والتي تفضي من الداخل إلى محلة (باب الطاق) الحالية. وتسمية الباب الشائعة هي باب الطاق، حيث يمر الداخل والخارج منها بطاق مشهور في كربلاء، أو عدة طيقان منها طاق كبيسة وطاق الزعفراني وغيرها.

وكتب ذلك في ورقة وسلمها إلى (**دولجة**) الذي أوصلها بالطريقة التي أوصاه بها اديب الملك.

وبعد هذه المقابلات ذهب لزيارة مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام ويقول:

... وصليّت داخل الضريح المقدّس، ووُضعت فوق الضريح مخطوطة لمولانا أمير المؤمنين، وقرآناً بخط الإمام زين العابدين عليه السلام[1]، وكان حجمه صغيراً وهو موجود داخل الضريح.... وهناك شاهدت قرآناً كبيراً وضخماً تم إنجازه في الهند وقد جاء به محمد علي إفتخار الدولة الهندي، وهو أحد الراجات أو الأمراء الهنود، الذي إختار السكن في كربلاء في أواخر عمره، وهو شيء عجيب حيث لا يوجد مثل هذا القرآن في الدنيا، وهو مزدان بالتذهيب والنقوش، وربما صرف عليه مبلغ خمسة عشر ألف تومان[2].

ويستمر في وصف ما شاهده داخل ضريح الحسين عليه السلام، حيث يذكر بأن:

... هناك ستارة معلقة مطعّمة باللؤلؤ أرسلتها قبل هذا الوقت أنيس الدولة (إمرأة من العائلة المالكة)، وهناك أيضاً تيجان مرصّعة بعث بها سلاطين الهند، وكفٌّ ذهبيٌّ، وفضّة وسيوف ودروع كثيرة معلقة هناك[3].

ويصف مقام مريم داخل الحرم فيقول:

---

(١) لازال هذا المصحف موجوداً في الخزنة وهو مكتوب بالخط الكوفي ومنسوب إلى الإمام زين العابدين، ويمكن للقارئ مشاهدة صورته مع صور خزنة الحسين التي كانت بعهدتنا عند إستلامنا السدانة.

(٢) هو بالفعل من أجمل وأعظم المصاحف الموجودة في خزنة الروضة الحسينية، وأبعاده وأوصافه وعدد صفحاته فوق المألوف، وأغرب ما في هذا المصحف هو أن بين كل صفحة وصفحة منه ورق رقيق يشبه (السيليفون) وبنفس أبعاد أوراق المصحف، وهذا الورق الرقيق الشفاف هو جلد الأفعى الكبيرة جداً الذي تنزعه سنوياً، فيالروعته، فكم أفعى تم إستخدام جلودها لتكون بين طيات هذا المصحف التي تزيد عدد صفحاته عن ٣٥٢ صفحة.

(٣) يبدو أن بعض المواد المهداة للمرقد المقدس كانت توضع وتعلق داخل الضريح، ويراها الناس من خلف الشباك، ومسؤول عنها السادن (الكليدار)، كما يبدو مما ذكره الشاه فإن معظم الهدايا الثمينة كانت ترد من ملوك وأمراء الهند، وهذا ما وجدناه في الخزنة التي كان يتم جردها على الدوام.

... الجهة التي تقع فوق الرأس الشريف يوجد فيها مكان فيه عمودين قصيرين من المرمر ينتهيان برأس مدوّر، طول كل منهما أقل من ذراع، يقال للمكان مقام مريم، وهو المكان الذي ولدت فيه عيسى عليه السلام، وفوق هذا المكان هناك صخرة سوداء يميل لونها إلى الأحمر، وقيل أن هذه الصخرة جاءت قبل خمسة عشرعاماً تتدحرج بنفسها مع الزوّار من خراسان إلى هنا[1].

وبعد زيارته للحسين ذهب لزيارة العباس، وبعد الزيارة دخل إلى داخل الضريح ووصف مافيه من كنوز وخرج إلى الصحن وإلتقط صوراً تذكارية، وكان يرتدي رداءاً مرصّعاً بالألماس الكبير حسب قوله، وطلب النزول داخل السرداب فثبّت هذه المشاهدات حيث قال:

.... في داخل قُبّة ضريح العباس هناك عدد كبير من السيوف والدروع معلقةٌ، وكف من الذهب والفضة، وهناك رأس من الفضة كأنه رأس عبد أسود يتدلّى من سقف القبّة واللون الأسود يغطّي فضته، وقيل لنا أن الأشخاص السود (هكذا في النص والصحيح الشخص الأسود) نذر ولكنه لم يفِ بنذره، فأصيب رأسه ويديه بالفلج (الفالج)، فأسرع إلى الوفاء بنذره.

وعن نزوله إلى سرداب العباس فيذكر أسماء من نزل معه ومعهم الكليدار وإبنه، ويصف الحالة التي رآها فيقول: **والحَجَر المتميز الموجود في حرم الحسين هو الحجر الأحمر النيزكي وعلى شكل قطعتين رصفتا مع أرضية الحرم عند الرأس خارج الضريح، ويقال بأن حجر نيزك إصطدم بالأرض وجلبت قطعتان منه إلى حرم الحسين. ولا نعتقد بصحة الصخرة التي تدحرجت من خراسان مع الزوار.**

... وبعد أداء الزيارة دخلنا إلى داخل الضريح، وهناك قال تيمور ميرزا إن قبر العباس يقع في سرداب تحت الضريح ولكن من الصعب جداً الوصول إليه، وقال السادن أيضاً

(١) لم يثبت سابقاً عن هذه الصخرة، وإنما كان في الموضع المسمى بمقام مريم وعلى الجدار المقابل للرأس وتحديداً على يسار الشباك الذي يطل من رواق الرأس على الرواق الغربي الذي يقع بين المذبح والسيد إبراهيم المجاب، كانت قطعة من المرمر نقشت عليها بالحفر ثلاث نخلات وسميت هذه النخلات بنخلات مريم.

لا يمكن الوصول إليه ولكني قلت لنذهب.... ذهبنا من خلال باب الرواق حيث توجد باب أرضية مقفلة، فتحوا الباب، بعدها توجد سلالم كثيرة تنتهي إلى الإرضية، وهي عميقة جداً ومظلمة، كان كل واحد منا يمسك بشمعة مضاءة، ذهبنا إلى الأسفل داخل السرداب وممره الضيّق، وبعد أن مشينا خطوات رأينا ثقباً طويلاً في الجدار وهو ثقب صغير القطر وطويل وسقفه منخفض بحيث لا يستطيع المرور منه إلاّ شخص واحد وبصعوبة بالغة، داخلني الخوف الشديد وترددت قليلاً من الدخول فيه، ولكني دخلت في نهاية الأمر، وبعد نهاية الثقب وصلت إلى ساحة مغلقة ليس فيها منفذ وكدت اختنق، وكانت هناك سلالم تقود إلى ساحة أخرى، يقع فيها القبر المطهر للعباس عليه السلام وهو ظاهر فوق الأرض يغطيه التراب، فقلت ليحيى خان أن يجمع مقداراً من ذلك التراب، فوضع مقداراً منه في منديل وخرجنا بسرعة من المكان، أمّا علي رضا خان فقد بقي في مكانه ولم يأتي معنا من الثقب للوصول إلى القبر المطهّر، وجلب أمين الملك معه طابوقة من الآجر.

وفي سياحته التي كتبها ناصر الدين شاه يقول بعد موضوع زيارته للمرقدين ووصوله محل إقامته ما يلي:

إن بناء قبة الحسين تمت في البداية على يد حكّام آل بويه بعد حكم العباسيين[1]، وهو بناء بسيط وعادي، وقام المرحوم الأغا محمد خان بتجديد البناء وتوسيعه كما قام بتذهيب القبة، وكذلك بنصب ضريح من الفضة، لقد تم تغليف القبة من نصفها إلى الأعلى بالذهب من قبل زوجة الخان المرحوم وهي بنت مصطفى خان عمو، وأمّا المرايا فقد عُملت عن طريق تبرعات الناس، أمّا الفضة حول ضريح العباس فهي تبرع والدة المرحوم محمد شاه ولكنها فضة خفيفة رقيقة السُمك جداً وبعضها متساقط.

(١) لم تكن اول قبة بنيت على يد البويهيين (راجع فصل تاريخ عمارة الروضة الحسينية في كتابنا/ كربلاء التاريخ والقداسة)، كما أن البويهيوين حكموا العراق ولم تنتهِ الدولة العباسية بعد، لأن سقوط الدولة العباسية كان على يد هولاكو.

في يوم الإثنين الحادي عشر من رمضان ذهب الشاه عصراً لزيارة المرقدين، وهنا يشرح كيف دخل إلى داخل الضريح ومن ثم إلى داخل القفص الخشبي الموضوع على حافة القبر المطهّر، وهذه حالة نادرة الحصول، فيقول الشاه:

صلّينا فوق الرأس، وبعد الصلاة بقينا في مكاننا، فأغلقوا الأبواب، فدخلنا في الضريح ومعنا الميرزا حسين الكليدار (الصحيح هو ميرزا محمد حسن كمونة)، وفي داخل الضريح فتح الميرزا حسين باباً صغيراً دلفنا منه إلى الضريح المقدّس وكان مبنيٌّ حول القبر المطهّر صف من الطابوق، ودخلنا بمشقّة، وكان الميرزا حسين قد أضاع كتاب الزيارة ثم وجده بعد عناء، وكان الرجل يُعاني من ضيق النَفَس، وبمشقة كبيرة إستطعت الجلوس فوق الآجر لضيق المكان، وكان رأسي ملتصقاً بخشب الضريح فقد كان الجلوس صعباً جداً ولكني كنت كالمجنون لا أدري ماذا أفعل، أخذت كتاب الزيارة بيدي ومضيتُ أقرأ، قام الميرزا حسين برفع الغطاء الخشبي عن القبر، فأخذت ثلاثة أكفّ من التراب الذي على القبر ووضعتها في داخل منديل أبيض، فاغلقه الميرزا حسين وختمه في نفس المكان ثم خرجنا، وسلّمني الميرزا حسين عباءة بيضاء هدية من الإمام الحسين عليه السلام، فإرتديتها وإنتابني شعور غريب، وضعت المنديل الحاوي على التربة في جيبي، وفي المنزل أعطيتها لأمين السلطان وختمتها أنا أيضاً، وأمّا الملابس التي كنت ارتديها وهي قميص من الجلد المطرّز بالزمرّد ورداءاً أبيضاً مذهّباً وبنطالاً أبيضاً وغطاء رأس ماهوتي وجوارب بيضاء، فقد خلعتها في المنزل ووضعتها في صُرّةٍ وسلّمتها إلى مسؤول الملابس للإحتفاظ بها، أمّا العباءة البيضاء فقد سلمتها إلى أمين السلطان[1].

في يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر رمضان، غادر الشاه كربلاء متوجهاً إلى النجف الأشرف عن طريق البر بإتجاه خان المالح (**خان النص**) حيث بات فيه ليلته ووصف الطريق وإصطاد البط، وسار على حافة الفرات ليرى الكفل وبرس نمرود إلى أن وصل النجف، وزار الروضة الحيدرية وإلتقى العلماء هناك وزار بحر

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه/ من ص١٤٧ إلى ص١٦٢.

النجف ومسجد الكوفة، وحضر جرد الخزانة العلوية وتسجيل محتوياتها وليتم مهرها بمهر الحكومتين الإيرانية والعثمانية[1] لكي لا تتعرض للسرقة والعبث. كما ذكر أسماء العلماء الذين إلتقوا به، ولم ينسى ذكر **(قططه)** إثناء سرده لهذه السياحة في النجف، وزار المقامات الموجودة في مسجدي الكوفة والسهلة.

وفي يوم الأربعاء العشرين من شهر رمضان توجه الشاه إلى كربلاء مرّة ثانية وعن طريق البر، وكان الجو بارداً جداً، وقبل الوصول إلى كربلاء في نفس اليوم فقد توضأ ولبس ملابسه المطرزة بالكلبدون الأصفر **(الخيوط المذّهبة)**، وعند الوصول توجهوا للزيارة مباشرة وقرر الشاه أن يبقى في كربلاء إلى اليوم الثالث والعشرين من رمضان ويسافر يوم الرابع والعشرين منه.

وبقي الشاه في كربلاء إلى حلول اليوم الرابع والعشرين من رمضان، ولم نجد في الأيام التي بقي فيها بكربلاء شيئاً يستحق الذكر في سياحته عدا أنه ذكر الأخبار التي كانت تصل إليه من مملكته ويجيب على الرسائل، وكذلك لقائه بالأمير الهندي الذي سجل الشاه كامل لقائه به والذي سوف نذكره نصاً بعد قليل لظرافته وتبيان سلوك الشاه في هذا الموضوع، ومن أهم ما ثبتّه في نظرنا هو إستقباله للشيخ **(عبد المحسن بن هذّال)** شيخ **(عنزة)** حيث يقول الشاه عند تدوينه ليوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان ما يلي:

«... **وذهبنا من هناك إلى زيارة العباس، ومنه عدنا إلى المنزل وكان ينتظرنا عند البوّابة كل من الشيخ عبد المحسن بن هـذّال شيخ عنيزة (عنزة) وهو من السنّة، والشيخ جلّوب وهو من الشيعة وكلاهما من الشخصيات المعتبرة، فإستقبلناهما في المنزل...**»[2].

---

(١) لا نعتقد بأن الحكومة الإيرانية لها علاقة بخزانة العتبات بوجود الدولة العثمانية التي كانت في ذلك الوقت وقبله ترفض تدخل إيران بشؤون العتبات المقدسة، وربما كان موعد جرد الخزانة قد تزامن مع وجود الشاه ناصر الدين الذي تواجد ليرى ما تحتويه الخزانة على سبيل الإطلاع، وإلاّ كان قد حصل مثل هذا الأمر في كربلاء، ولكنه لم يحصل ولم يذكر الشاه أي تفصيل عنه، ونعتقد ما ورد في المذكرات هو من قبل المترجم ليزيد شيئاً من قبله على أهمية الزيارة.

(٢) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه/ ص١٨٦.

أمّا لقائه بالأمير الهندي في يوم الخميس الواحد والعشرين من شهر رمضان في صحن الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يدخل للزيارة داخل الحرم، وكان تثبيت هذا الحادث من قبل الشاه لا يخلو من غرابة وهو يقول:

«... والخلاصة ذهبنا إلى الزيارة، وعند عتبة محل نزع الأحذية (الكيشوانية)، رأيت الأمير الهندي شقيق محمد نجف، وإسمه زاهد الدين شاه، وكان يقف عند الكيشوانية فقد جاء به يحيى خان (أحد خدّام الشاه) إلى هنا، وكان الجميع موجودين كالباشا وحسام السلطنة، وعندما شاهدت الأمير الهندي شاهدت شيئاً عجيباً غريباً حيث يدفع الإنسان الذي يراه إلى الضحك للوهلة الأولى وبدون إرادة منه، وحتى الإنسان الذي يرى عزيزه يموت أمامه ثم يرى هذا الشخص في تلك الساعة بهذه الهيئة فمن المستحيل أن لا ينفجر من الضحك.

كان يرتدي جُبّةً صفراء مطرزة بالكالبدون وهي قديمة وضيّقة متهرئة وقصيرة، وعلى رأسه طاقية عجيبة غريبة لا يمكن وصفها بالكتابة، فلا هي بالعمامة ولا هي بالعقال والكوفية العربية، ولا هي بالعجمية ولا هي بالرومية، ولا هي بالفرنجية ولا هي بالهندية، إذ تتدلّى من أطراف الطاقيّة قطعة قماش تغطي أُذن ورأس الأمير، كانت الطاقية واسعة مترهلة قذرة، صفّ حولها أحجاراً غير حقيقية ثبتها على طوق من النحاس، لحيته ليست سوداء ولا بيضاء، لاطويلة ولا قصيرة، لا قهوائية ولا زرقاء ولا صفراء، يرتدي جورابين سميكين قذرين وعتيقين من الصوف، لقد بدا لنا هذا الأمير بصورة لا يستطيع الناظر إليه أن يمسك نفسه من الضحك، لقد ضحكت إلى درجة خفت على نفسي من الإختناق، وقدّم لي بعد أداء التحية والتعظيم إنائين قديمين عافيين من الذهب الإفرنجي مخصصان لوضع العطور، فلم أستطع النظر إلى وجهه، تحركنا إلى باب الحضرة فقد قرأ القارئ إذن الدخول وكان عدداً كبيراً من الخدم يقفون حولنا، كما كان عدداً كبيراً من الناس والأمـراء يقفون هناك، وكان هذا الأمير يقف خلفي، وفجأة إستولى عليّ الضحك إلى درجة سالت دموعي من عيوني وكدت أنفجر من الضحك، وكان قارئ الزيارة يطيل في الكلام وكادت أن تقع الفضيحة، ولكنني سيْطَرْت على نفسي ودخلنا داخل الحرم، فجاء الأمير ووقف خلفي أيضاً، وعاودتني

نوبة الضحك من جديد، وحتى عند الصلاة عاودتني نوبة الضحك، وبعد الصلاة ذهبنا إلى العباس عليه السلام، وكان الأمير موجود هناك أيضاً وكان مدعاة للضحك أيضاً، لقد أضحك هذا الأمير الجميع اليوم، ولم يتركنا لحالنا أبداً، والخلاصة عدنا من ضريح العباس عليه السلام إلى المنزل عند الغروب...»[1].

وفي يوم سفر الشاه مغادراً كربلاء يقول الشاه: «**... كما جاء لتوديعنا الأمير الهندي وهو يضع على رأسه غطاء ويرتدي جوارب بدون حذاء...**»[2].

وغادر الشاه كربلاء من الجهة الشرقية لمدينة كربلاء وسلك طريقاً غير الذي دخل فيه إلى كربلاء، حيث كان يعبر الكثير من الأنهر المتفرعة من نهر الحسينية ويقول الشاه «**وكانت الأرض كلما إبتعدنا عن بساتين كربلاء عبارة عن صحراء لكنها مزروعة... وبعد أن قطعنا فرسخين وصلنا إلى نهر الحسينية وعبرنا النهر العريض من خلال جسر صغير... وتحركنا على الطريق وكان هناك خاناً يسمّى (خان آتاشي)**[3].

ومن هذا الخان سلك الموكب طريق الزائرين وهو الطريق الأصلي إلى ان وصلوا إلى بلدة المسيب حيث باتوا ليلتهم، وفي اليوم التالي جاء **(مشير الدولة)** من كربلاء وأخبر الشاه بأن اليهود فتحوا محلّين لبيع الخمور في كربلاء، ولكن تم تخريبها وحبس اليهوديين.

كما حدث وهم في المسيب وحسب ما يذكر الشاه أنه عند إعداد القافلة للرحيل إلى بغداد كانت هناك ضوضاء عجيبة حيث تحركت الأحمال من الصناديق والمجوهرات و.. بشكل متفرق وكانت أصوات البنادق تسمع بين حين وآخر، فقد كان عرب عنزة كمنوا للقافلة وكان عددهم كبيراً.

وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان تمت الحركة إلى بغداد في جو غائم ممطر وتوجهوا إلى القصر الناصري في بغداد المعد لضيافتهم.

---

(١) نفس المصدر السابق/ ص١٨٤ وص١٨٥.

(٢) نفس المصدر/ ص١٨٧.

(٣) هو (خان العطيشي) الموجود حالياً في مركز ناحية الحسينية.

لقد كانت مذكرات ناصر الدين شاه عن سياحته وزيارته إلى كربلاء مطوّلة وقد حاولنا ذكر الأمور المهمة فيها، مما يجعلنا نوصل إلى القارئ الكريم شيئاً عن كربلاء وواقعها في زمن زيارته.

صورة ناصر الدين شاه عند زيارته إلى كربلاء

وقد إستغربنا لعدم ذكره في مشاهداته وزيارته أي أمر أو عمل قام به إتجاه العتبات المقدسة أو مدينة كربلاء بالذات، رغم ان بعض المؤرخين كتبوا عن أعمال قام بها وتناقلته الكتب. ومن قرائتنا لمشاهداته في سياحته نجد بأن الزيارة كانت لها أغراض سياسية بالدرجة الأولى لتحسين العلاقة بين الدولتين العثمانية والإيرانية، كما وجدنا الشاه قد جاء للزيارة والسياحة، ونقصد بالسياحة هنا التعرف على المعالم التاريخية والدينية في العراق، وممارسة الصيد، وغيرها.

رشيد بن سيد داود السعدي وكربلاء

هو محمد رشيد بن العالم العامل السيد داود إبن الورع الزاهد السيد سعدي، تربى في بيت علم وأدب فقد رأى بأن بلده الأصلي العراق لابد أن يُفتخر به لما يحمل من تاريخ عريق موغل بالقدم، فيقول بأنه لم يجد كتاباً جامعاً كافياً يتصدى لتاريخه، فباشر هو بالكتابة عنه معتمداً على معلومات جمعها من كتب التاريخ المختلفة، ومن مشاهداته وزياراته الشخصية لمناطق العراق المختلفة، وجمع ما كتبه في كتاب سمّاه «**كتاب قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين**»، الذي طُبع فيما بعد في (بومبي) بالهند سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، حيث يقول في بدايته:

«**ومن المعلوم أن كل إنسان يرغب في تاريخ وطنه وبلاده ويميل إلى أخبار آبائه وأجداده وحيث ان أجدادي الأقدمين من سكنة العراق ثم إنتقلوا إلى الموصل ثم إنتقلوا إلى العراق، لم أزل أتشوق إلى أخبار أوطاني فلم أجد كتاباً جامعاً لما رمته ولا تاريخاً لأحد من المتقدمين أو المتأخرين كافياً فيما قصدته، فإن بعض المؤرخين وإن ذكروا أخبار الجزيرة والعراق إلاّ أنهم قد أهملوا أشياء كثيرة مما يحتاج إليها المطالع وعلاوة على ذلك فإن بعض البلاد القديمة قد إندثرت ومحيت آثارها، وحدث بلاد وقرى يجب ذكرها وقد تغيرت الدول والأمم، فلهذا أجمعت هذا الكتاب من عدة تواريخ.... وأضفت إليه أموراً شاهدتها ورأيتها وسميته (قرة العين)..**»[1].

وعن كربلاء والمدن المجاورة إليها فذكرها بكتابه عن رحلته إليها، ويبدو أنه زار كربلاء قبل سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م أو فيها، لأنه يذكر في نهاية كتابه أنه فرغ

(١) قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين/ محمد رشيد بن السيد داود إبن السيد سعدي ص٣ـ٤ مطبعة الرشيد بشارع بابلاتنك رود (بومبي) سنة ١٣٢٥ هـ.

من تأليفه في سنة ١٢٩٣هـ. ومن خلال سرده يتضح لنا أنه قدم إلى كربلاء من بغداد بعد أن مرّ بالمسيب، ومن كربلاء ذهب إلى طويريج (الهندية) ومنها إلى الكفل فبابل ثم الحلة فالكوفة فالنجف.

وعند وصوله المسيب متوجهاً إلى كربلاء يقول:

«**المسيب بلدة صغيرة على جانبي نهر الفرات شرقاً وغرباً، والفرات تشق بينهما وهي بين الفلوجة والحلة، وحدائق النخل محيط بها، ولها جسر معقود على سفن متصلة منتظمة فيما بين الجانبين، وأهلها إسلام وأكثرهم إمامية إثنا عشرية وقليل فيها من أهل السنة والجماعة**»[١].

ويقول عن كربلاء:

«**كربلاء مشهد الحسين إبن علي عليه السلام، مدينة كبيرة ولها أسواق كثيرة، وتحفها حدائق النخل، ويسقيها ماء الفرات من نهر يقال له نهر الحسينية، والروضة المقدسة في وسط المدينة، وفي وسط الروضة قبر سيد الشهداء، وفي تلك المدينة مشهد العباس إبن علي عليه السلام، وقبور جميع من إستشهد من آل بيت النبوّة في تلك الواقعة المهولة. وأهل تلك المدينة إسلام، وأكثرهم إمامية إثنا عشرية، وقليل فيها من أهل السنة والجماعة**»[٢].

وعند مغادرته كربلاء سلك طريق طويريج الحلة، فقد ذكر طويريج حيث قال:

«**طويريج على حافة نهر الفرات من جانبه الغربي بين المسيب والكوفة، حدثت في القرن الثالث عشر هجري، وهي بلدة حسنة مستطيلة مع الفرات، وهو بشرقيها، ولها أسواق حسنة، ولها جسر معقود على سفن منتظمة فيما بين الشطين، وأهلها شيعة وفيها قليل من أهل السنة**»[٣].

(١) المصدر السابق/ ص٣٧.

(٢) نفس المصدر/ ص٣٧.

(٣) نفس المصدر/ ص٣٧ ٣٨.

رحلة مدام ديولافوا إلى كربلاء

من الرحلات المهمة التي سجلت الكثير عن كربلاء بتفاصيل غاية في الدقة والتشويق ونقل الواقع كما هو في مدينة كربلاء، هو ما تضمنته رحلة مدام **(ديولافوا)** إلى مدينة كربلاء سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م.

ومدام ديولافوا هي زوجة مهندس معماري معروف وعالم أثري كبير عاش في فرنسا بين سنتي ١٨٤٣م إلى ١٩٢٠م يدعى **(مارسل ديولافوا)**، الذي كانت له بحوث وتحقيقات قيّمة في فن العمارة والريازة في الحضارات الشرقية المختلفة. وكان همّ هذا المهندس والآثاري هو معرفة حقيقة مفادها: **(هل كان للحضارة الساسانية تأثير في الفن المعماري الإسلامي أم لا)**.

يقول الأستاذ علي البصري الذي قام بترجمة رحلة مدام ديولافوا من الفارسية إلى العربية فيما يخص زيارتها إلى العراق فقط، والذي إعتمدنا كتابه الذي أصدره سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م عن رحلتها مصدرنا في هذا البحث، وكان المرحوم العلاّمة الدكتور مصطفى جواد هو الذي قدّم لكتاب الرحلة هذا.. فيقول البصري عن زوج (مارسل) زوج مدام ديولافوا:

«ولقد كلفت (مارسل ديولافوا) الإجابة عن هذا السؤال تكليفاً كثيراً، إذ لم يشفِ غليله كل ما وقع في يديه من كتب تعني بمثل هذه الموضوعات في أوربا كلّها. ولم يرَ باحثنا المحقق في الأخير بدّاً من شد رحله إلى الشرق نفسه، ليستقي منه معلوماته ويلقى طِلبَتَه في الإجابة عن السؤال الذي عنَّ له.

يمم وجهه شطر الشرق أول مـرّة عام ١٨٨١م على حسابه الخاص، وأمضى ما يقرب من سنة في تركيا والقفقاز وإيران والعراق، يدقق النظر ويطّلع على الأبنية التاريخية العتيقة فيها حتى فتح الله عليه الجواب وإطمأن له!.

وفي هذه السفرة الأولـى التي قام بها مارسل كانت زوجته معه وهي معروفة بإسلوبها الرقيق وبموهبتها الفنية في الرسم ولم تدع الفرصة تفوتها فأخذت على نفسها تسجيل يومياتها وخواطرها منذ إقلاعها من مرسيليا حتى عودتها ثانية إلى فرنسا في كتاب سمّته (رحلة ديولافوا إلى إيران وشوش وكلدة)، ولقد كان لصدور هذا السفر الجليل في باريس صداه البالغ وأثره البعيد في يومه لا لما تضمن من طرائف مستملحة وأخبار غريبة عن تلك المناطق التاريخية حسب، بل لما إحتوى عليه مما توصل إليه زوجها من حقائق وإستكشافات، وإن كان قد خانه التوفيق في بعضها فبالغ في أهمية الفن الساساني وأثره في فن العمارة الإسلامية. والكتاب في نحو سبعمائة صفحة من القطع الكبير ومزيّن بـ ٣٣٦ صورة عن مظاهر الحياة المختلفة في إيران والعراق في البرهة التي قامت بها المؤلفة برحلتها وهذه الصور كلها بريشتها مراعية التدقيق والأمانة. ومزيّة هذا الكتاب اليوم على ما نعتقد هو تصويره للحياة العامة في البلدين اللذين كتب لمدام ديولافوا زيارتهما...»[1].

بـدأت رحلة مـدام ديـولافـوا إلـى العراق في ١ أيلول سنة ١٨٨١م بدأتها من المحمرة التي كانت تابعة إلى العراق يومها، ومنها بعد أيام إلى البصرة ومنها إلى بغداد في إحدى سفن شركة (لنج لندن). ومن بغداد إرتحلت إلى آثار بابل ومن ثم إلى مدينة الحلة حيث قضت فيها عدة أيام، وكان يرافقهم كولونيل إسمه (جيرالد) وبعض المرافقين والأدلاء وكان من بينهم احد الإيرانيين الذي رافقهم من إيران إلى العراق.

في يوم ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨١م توجهت قافلة مـدام ديولافوا من الحلة بإتجاه كربلاء حيث تقول في مذكراتها:

(١) رحلة مدام ديولافوا/ علي البصري ص٥وص٦.

«وهنا ودعنا الكولونيل جيرارد وإستودعنا الله أياه، إتجه هو نحو (كردستان) وتوجهنا نحن نحو مدينة كربلاء التي تعد من مراكز الشيعة المهمّة وفيها مدارس كبيرة مذهبية، وبعض الأحيان يقضي طلاب هذه المدارس عشرين سنة أو أكثر في تحصيلاتهم الدينية.

صورة مدام ديولافوا

وفي موقع خروجنا من بابل أخذنا الأدلة وعبروا بنا قناة تتوسط مدينتي الحلة وكربلاء[1] وذلك بواسطة زوارق شراعية صغيرة. وعندما بلغنا اليابسة طفقنا نمرّ خلال

(١) تقصد ديولافوا بهذه القناة (نهر الهندية) الذي يتوسط الطريق بين مدينتي كربلاء والحلة.

أرض صفراء منبسطة ليس فيها زرع ولا نبت لأن المحصول الربيعي كان قد حُصِد ونقل إلى المدن للبيع.. كما أنّا لم نَرَ في طريقنا قرية ولا قصبة.

وبعد ساعتين من المسير لاحت لنا عن كثب خيم جماعة من الأعراب الكبيرة مرتفعة بين الأشجار والنباتات وأمامها برك ومستنقعات. وكانت بين هذه الخيم خيمة أكبر وأوسع من سائرها وأمامها فسحة من الأرض خالية وكان يعلوها علم يخفق في الأعالي.

والواقع أن خيمة رئيس القبيلة وحدها تكون لها مثل هذه الميزات فقط. كما يكون له هو ميزات بين أفراد القبيلة خاصة به. ومن المعلوم أن ناصر الدين شاه[1] الإيراني أخذ بهذه الرسوم والصلاحيات أيضاً. إذ كانت تضرب له خيمة في مكان مستقل بعيد نوعاً ما عن مضارب الآخرين ويرفع عليها علماً عندما كان يخرج للصيد مع حاشيته أو للقيام بنزهة في البادية.

والخلاصة ان القافلة أخذت تحث السير إلاّ أن الشمس كانت تجنح إلى المغيب، وكان ينبغي لنا نحن أن نقطع مسافة كبيرة لكي نصل إلى غابات النخيل التي تبدو أمامنا عن بعيد وهي موضع الإتصال بين طريق الحلة وكربلا على حسب أقوال الأدلة لنا.

اخذت السماء رويداً رويداً يملؤها الظلام والسحب تتراكم فوق رؤوسنا، وفي الأخير شرع المطر في الهطول وتعذرت علينا متابعة السير في ذلك الطريق الموحش الذي تختفي تحت نباتاته ومزروعاته مجاري المياه والآبار. ولا سيما إن أدلتنا لم تكن لهم المهارة والشجاعة الكافية إذ رأيناهم يقولون لنا إنه ينبغي لنا أن نتقدم القافلة لأننا نحمل السلاح دونهم لا لشيء آخر.

---

(١) ناصر الدين شاه (جاءت ترجمته سابقاً) إعتلى عرش إيران من سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م إلى أن أغتيل سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م. ومن ذلك يتضح بأن مدام ديولافوا عندما كانت في إيران قبل قدومها إلى العراق سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، كان ناصر الدين شاه هو الذي يعتلي عرش القاجاريين في إيران، ولابد أنها إستقت ملاحظاتها التي ذكرتها أعلاه من المرافقين لها هناك، أو قد رأته هي في إحدى جولاتها في إيران والشاه في نزهة أو رحلة صيد، وجاءت بهذا التشبيه عن رئيس القبيلة.

ولولا أن إتفق أن رأينا في طريقنا أربعة أشباح ضخمة لم يكن في مكنتنا متابعة السير للوصول إلى غابة النخل. والواقع أن هذا الإتفاق أثار في نفوسنا الخوف والوحشة، ودفع أدلتنا ومن كان معنا في هذه القافلة المنحوسة إلى أن يختفوا خلف الأشجار، وإضطررنا نحن في هذه الحالة إلى تجريد سلاحنا والتهيؤ لإطلاق النار، ولكن الله سلّم إذ ما كدنا نقترب بضع خطوات حتى وجدنا أن هذه الأشباح التي حسبناها حيوانات مفترسة ضخمة لم تكن سوى جماعة من الحطابين يحملون فوق ظهورهم حزماً من الشوك وأغصان الأشجار؟!.

وبعد أن إستعدنا إطمئناننا وإلتقطنا أنفاسنا اللاهثة أجبر أحد أفراد قافلتنا هؤلاء الحطابين أو بالأحرى جامعي الشوك أن يرافقنا إلى محل نطمئن إليه وتأمن فيه القافلة في ظلام هذا الليل الموحش. وفي الأخير بلغنا قرية صغيرة كانت تبعد كيلومترين من هذه الأهوار[1] ووقفنا أمام باب هشمت خشبها النمل ودام وقوفنا ربع ساعة لكي يسمح لنا في الدخول إلى هذا المنزل الذي لا ندري ماذا ينتظرنا فيه.

وبعد لاي وصبر فتحت الباب ودخلنا فإذا هو خان بين بين لا بالواسع ولا الصغير تحيط به من الجوانب عدة دكاكين. وكان يضاء هذا الخان بفوانيس نفطية وكذلك الدكاكين الصغيرة القذرة. ولقد أمضينا ليلتنا هنا مضطرين لهطول الأمطار بغزارة في ذلك الوهن الأخير من الليل.

٢٧ ديسمبر (كانون الأول):

أفقنا اليوم قبل أن تبزغ الشمس وتابعنا سفرنا إلى كربلا، وبعد أن عبرنا جسراً صغيراً يقع على شط الفرات[2] بلغنا الطريق الموصل إلى هذه المدينة الدينية.

---

(١) تقصد مدام ديولافوا بهذه الأهوار والتي ذكرت قبلها برك المياه والمستنقعات، هي البطائح الموجودة بين الهندية وكربلاء، وهي بقايا أهوار (السيب) و(اللايح) القديمة والتي لازالت بقاياها إلى يومنا الحاضر، وهي مناطق منخفضة تتجمع فيها مياه الأمطار، والمياه الزائدة من الانهر في أيام الفيضانات.

(٢) يحتمل أن هذا الجسر الصغير هو (قنطرة السلام) المشهورة، التي تقع على أحد الأنهر في الطريق.

ولقد تغيرت المناظر منذ وطئت أقدامنا هذه الطرق فبدل تلك الصحراء القاحلة الكئيبة أخذت تطالعنا بساتين وحدائق مزدهرة يانعة مكتظة بأشجار الليمون وبالنخل والأزهار البديعة المختلفة الألوان.

صورة للخان الذي نزلت به مدام ديولافوا وردت في كتابها

وفي الطريق كنا نرى حركة المرور نشيطة ودائبة وقسم من هؤلاء كان من النسوة إمّا ممتيات ظهور الدواب وإمّا ماشيات على أرجلهن، وكُنَّ يسمعننا بعض العبارات الجارحة والسباب الذي لا ندري علّته وسببه[1] بيد أن الرجال منهم لم يقولوا شيئاً على ما كان يظهر لنا.

(١) يمكن أن تكون تلك النسوة قد شاهدن مدام ديولافوا متبرجة، ومسترجلة بين مجموعة تدل وجوههم على أنهم أجانب، ولم يتم في العادة مشاهدتهم بصورة مستمرة.

ولقد وضح لدينا أن هاته النسوة كن ينفعلن من رؤيتنا بحيث لا يستطعن إخفاء شعورهن المعادي لنا أو إسماعنا الكلمات الجارحة. ولعل مرد ذلك تحديقنا في وجوههن أو الكراهية المتأصلة في قلوبهن ضد الأوربيين.

وعلى أي حال لم يمنعنا ذلك من التطلع إليهن وإن كانت وجوههن دميمة تبعث على القرف والإشمئزاز وأجسامهن قذرة تقذي العين. كان إشمئزازهن لنظراتنا عظيماً لدرجة أنهن كن يتمنين لو إتصفن بمزايا وخصائص (مدوز)[1] حتى يستطعن تجميد نظراتنا والتخلص منها.

وقبل أن تتحقق أمنية هاته القرويات لفت نظرنا منظر غابات النخيل والليمون المتناثرة على جانبي الطريق وغمرنا جوها الرائع الجميل[2] بحيث نسينا السائرين جميعاً النساء والرجال على حد سواء، إلاّ أنه لم يطل تمتعنا كثيراً بهذه المناظر المزدهرة فسرعان ما رأينا أنفسنا على عتبة باب المدينة.

وأمام هذه الباب الذي يقال إنه من المباني العتيقة ساحة واسعة كان يشغلها عدد من الحجارين المنهمكين في قطع وصقل الأحجار والصخور المستعملة في تشييد المقابر

---

(١) يقول الأستاذ علي البصري مترجم الرحلة في هامش ص١٥١ ما يلي: مدوز شخصية خرافية تمثل عذراء كانت على جانب كبير من الجاذبية والجمال إلاّ أنها أهانت آله العقل فغضب عليها غضباً شديداً وقلب خيوط شعرها الجميل الرائع الذهبي إلى أفاعي خطرة موحشة ووضع في عينيها قوة تحول كل من تنظر إليه إلى أحجار وصخور جامدة؟!.

(٢) الحقيقة ان مدينة كربلاء تحيطها من جميع جوانبها مزارع النخيل والبساتين العامرة المشهورة بزراعة الحمضيات بكل أنواعها مثل البرتقال والليمون والرارنج واللالنكي والليمون الحلو والسندي، ومن النخيل عشرات الأنواع من التمور المختلفة عظيمة الجودة، وعليه فإن محافظة كربلاء تُعدُّ من أشهر مدن العراق في إنتاج التمور والحمضيات، بالإضافة إلى بقية الأشجار المثمرة التي يسميها الأهالي (الميوة) مثل أشجار المشمش والرمان والكوجة والتفاح المحلي والسدر والإجاص وغيرها، بالإضافة إلى المحاصيل الموسمية من الحبوب وانواع الخضروات. كما أن جو المدينة جميل جداً وخاصة في الفصول الثلاثة الخريف والشتاء والربيع بسبب موقعها القريب من البادية، وأنها محيطة بالبساتين كما ذكرنا، فكان وصف مدام ديولافوا في محله من هذا الجانب.

وما شابه ذلك[1]. وكان قسم من هذه الصخور مصقولة ومهيأة للبيع والقسم الآخر في طريق إكمالها وعرضها على الطالبين.

ولقد علمت أن هؤلاء الحجارين إتخذوا هذا المكان لإستقبال القادمين من أفراد القوافل الذين كثيراً ما يقدمون هذه المدينة لدفن موتاهم فيها. وبمجرد أن يطأ هؤلاء الغرباء أرض هذه الساحة يحيط بهم أولئك الحجارون من كل جانب فيعرضون عليهم بضاعتهم بإلحاح وإلحاف مملين ومزعجين. وبعد مساومة تطول في أكثر الأحيان يتفق الجانبان على الثمن وعلى الأثر يأخذ الحجار في تدوين إسم الميّت وأبيه وجدّه على الصخرة.

وبعد أن قطعنا هذا الميدان الواسع وصلنا إلى الباب، بيد ان الحراس رفضوا دخولنا منه وطلبوا من أدلتنا أن يأخذونا من طريق آخر ويدخلونا المدينة من خلف سور المدينة وينزلونا في المواضع السفلى الأخيرة من المدينة.

وعلى هذا الأساس إنعطفنا من هذا الطريق إلى آخر، ومررنا بجماعات كبيرة من الناس كانوا قد أقاموا معسكرات. ولقد علمنا أن هؤلاء كانوا من الزوار الذين وفدوا على المدينة المقدسة، ولضعف حالتهم المادية لم يستطيعوا الإقامة في الخانات والمنازل التي في الداخل. لذلك إضطروا إلى الإقامة في الخارج على شكل معسكرات أو مضارب من الخيم. ولقد رأيت كلاً من هؤلاء الزوار المساكين يقيم بجانب أثاثه الساذج وأمام دابته الواهنة وهو في حالة تعبد وتهجد. وفريق منهم منهمك في مضغ التمر الذي نواته أكبر من شحمه ومواده.

وبعد مدة إجتزنا باباً إلى شارع كان يبدو انه شق حديثاً. ولقد توقف أدلتنا في وسط هذا الشارع ودخلوا منزلاً قذراً مظلماً يحوي حجراً ضيقة!.

(١) الباب المقصودة هي القريبة من المقبرة القديمة في باب طويريج، وكان ينتشر سابقاً فيها حفاري القبور وعمال الحجر الذين يصنعون لوحات أسماء الموتى التي توضع على القبور لتعليمها. وموقع الباب القديم عند قبر إبن الحمزة الحالي.

ولم نر نحن بدأ من قبول النزول في هذا البيت على علاّته الكثيرة وقذارته، ذلك لأن مدينة كربلا تعد اكبر وأهم العتبات المقدسة لدى جمهور كبير من المسلمين، ويؤمها سنوياً عدد ضخم لا قبل لها بإستيعابه على رغم كثرة خاناتها ومنازلها ودورها المخصصة بإقامة الزوار. ثم إنه كان ينبغي لنا أن نبعد عن الزوار ما إستطعنا؟!.

وبعد أن إطمأن بنا المكان الذي وضع في تصرفنا وهو الطبقة التحتانية الرطبة، إرتقيت الدرج إلى السطح وأخذت من هناك التطلع إلى منظر المدينة الرائق ومشاهدة قبة ومنائر مرقد الإمام الحسين المذهبة على الجهة اليسرى، أمّا الجهة الأخرى فكانت فيها قبة صنعت من الكاشي الأزرق يغلب الظن أنها في أواخر العهد الصفوي.

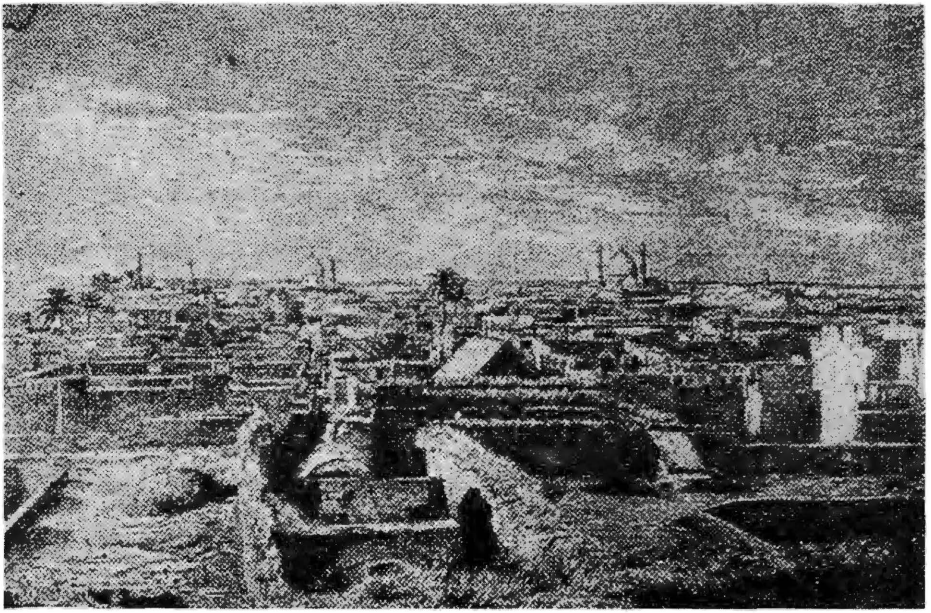

الصورة التي رسمتها مدام ديولافوا بريشتها لمدينة كربلاء ويلاحظ فيها الدقة والتفاصيل

ينبغي لنا الآن أن نحسن التصرف والحكمة كالسياسيين لأنه نريد أن نزور المرقد الشريف هذا الذي لا يقل إحترامه لدى الإيرانيين عن الكعبة بيت الله الحرام من دون

أن يكون لنا ما يجيز لنا هذه الزيارة الخطرة. ولأجل هذه الغاية نفسها تحملنا كل هذه المصاعب والمشاق في سفرتنا وفضلنا أن نسكن في هذا المكان الرطب القذر الذي يكاد يشبه الزريبة، إلاّ أن زوجي (مارسل) كان قد إعتبر بواقعة الكاظمين[1] وهيأ لكل ما يلزم زيارتنا هذه، فأخذ من بغداد عدة توصيات لرجال الدين ووجوه البلد والمسؤولين في كربلا لمساعدتنا وتسهيل أمرنا.

في البداية ذهبنا لمقابلة القنصل الإيراني، ووجدناه رجلاً لطيفاً يبلغ عمره أربعاً وثمانين سنة متغضن الوجه حلو اللقاء. ووجدنا حوله عدداً من رجال الدين والقراء والمراجعين. وما إن رآنا حتى صرف جماعة من زائريه ومراجعيه وأجّل مقابلة الآخرين إلى اليوم الثاني ليتفرغ لمقابلتنا، وبعد أن ترك الجميع المنزل ولم يبق فيه إلاّ أفراد عياله أصغى إلى ما كنا قد أتينا من أجله، ولقد أجاب عن ذلك بقوله: (أنه لم يتفق قبل الآن أن إستطاع شخص نصراني من زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام إلاّ أنني برغم ذلك سأبذل جهدي لتحقيق رغبتكم هذه ولي أمل بأن أنجح في هذا، وعلى أي حال ينبغي لكم أن تعتمدوا على ممثل أكبر وأليق سلاطين الإسلام..وعلى الفور أرسل أحد خدمه إلى كليدار الصحن الشريف يخبره بوصولنا ويطلب منه الحضور إلى هنا لعرض رغبتنا عليه في هذا المجلس.

وفي فترة غياب الخادم إشتغلنا بحركات طفل كان على جانب من الذكاء والجمال وملاعبته للشيخ ومداعبته إياه، ولقد هنأت القنصل الإيراني لحظوته بمثل هذا الطفل الذكي لأمتلك قلبه ليهيء لنا سبيل زيارتنا للمرقد الشريف؟!. وسمعته يقول رداً على ذلك بقوله: «أجل إنه طفل جميل وذكي، وليس من احفادي من هو في قوته وسرعة خاطره، ذلك لأنه ولد وترعرع في ظل الإمام الحسين عليه السلام في كربلا». ولقد أيّد أفراد عياله من النساء قوله ومن ثم أخذنا في تجاذب أطراف الحديث حتى عاد الخادم وقال:

(١) تذكر صاحبة الرحلة بأنها وزوجها عندما زاروا الكاظمية منعوا بشدة من الوصول إل المرقد وكاد أن يحدث نزاع كبير بين المحتشدين وخادم القنصلية الذي كان يرافقهم مما تسبب إلى محاولة قتلهم.

(إن الكليدار قد ترك المدينة منذ مدة لتغيير الهواء والنزهة وإنه بعد إسبوع واحد سيعود في أغلب الظن من قصبته التي ذهب إليها).

إلاّ أن قولة الخادم هذه لم تبعث في نفوسنا اليأس كما أننا لم نتفائل به خيراً في نفس الوقت. لأن غياب الكليدار عن المدينة يمكن تأويله وتفسيره كل حسب خياله وفكره.

أمّا القنصل الشيخ فإنه من دون أن يغيّر من حاله أخذ يسرد لنا ما يلاقيه من صعوبات ومتاعب في أداء مهمته، وأبدى شكواه من سطوة الموظفين الترك وتجبرهم وعدم إستطاعته أن لا يفي رغباتهم عن التدخل في شؤونهم.. أخذ يحدثنا بأمثال هذا الحديث لكي يوحي إلينا في خلاله أنه ليس في مكنته مساعدتنا كما ليس في مكنة من سواه ما عدا الموظفين الترك.

ولقد صدق مارسل أقوال القنصل وأخرج من جيبه كتاباً من والي بغداد إلى نائب الحكومة في كربلا يطلب منه مساعدتنا وتلبية طلباتنا وحاجاتنا ووضعه بين يد القنصل.

وبعد أن حدّج الرجل الشيخ بعينيه في الكتاب قال: (إنه لا يستطيع أحد أن يقف في طريقكم ما دمتم تحملون مثل هذا الكتاب)، وهنا صاح بخدمه ليهيؤا له جواده المطهم ويذهب بنفسه إلى الكليدار وعرض القضية عليه وقال لنا إنه سوف يعود بعد مداولته ليخبرنا بالنتيجة..

وفي العصر دخل حجرتنا جماعة من القراء والشيوخ المعممين، وأخذ كل منهم في تقديم التهنئة بوصولنا في سلامة وقراءة التحية والترحيب بنا، ثم تركوا الكلام لأحدهم فأخذ يخطب وبعد أن أفاض بمقدمة أدبية طويلة قال إنه من دواعي سرور القنصل أن نحل في منزله وأن نطلب مساعدته وإنه من دواعي الشرف للكليدار أن يتلقى مثل هذه التوصية من والي بغداد، ثم راح يشرح لنا عظمة وجلال المرقد المطهر الذي زاره شاه إيران مشياً على قدمه عندما كان في هذه المدينة، وفي الأخير قال أنه ينبغي لنا أن نكون في غاية الشكر والإعتراف لأنه لم يسمح لقبلنا من الأجانب بزيارة الضريح الشريف، وأن نعد هذه الزيارة فرصة ذهبية قيّمة)..

هذه الزيارة التي لا تتم إلاّ من سطح أحد الدور القريبة من المرقد وبعد أن نضع فوق رؤوسنا طرابيش الترك الحُمر كيلا نكون موضع ريبة وشك؟!.

وبعد أن سكت الخطيب الذلق اللسان تكلم مارسل فقال: (إنه يسرّه إبداء الشكر الجزيل للعطف الذي قوبل به من زيارة المرقد المطهر من سطح أحد الدور؟!! إلاّ أنه يبدي أسفه على إنه لا يستطيع في حال من الأحوال تبديل ملابسه. ولا سيما تبديلها بملابس تركية وإرتداء شعار الترك الذين لا يكره أحداً بقدر كرهه إيّاهم).

وعلى خلاف ما كنت أنتظر، ترك قول مارسل هذا أثراً حسناً في نفوس القوم لأنه نال به من الترك وحط من أقدارهم.. وبعد تبادل الإبتسام والهمس بينهم ضربوا لنا موعداً في الصباح الباكر من اليوم الثاني وذلك بأن يأتوا فيأخذونا إلى دار قريبة نشاهد من سطحها مرافق وأنحاء المرقد الشريف، وذلك قبل فتح أبوابه ومن دون أن نغيّر ملابسنا وكان ذلك حسب طلبنا.

٢٨ ديسمبر (كانون الأول):

جلست أنتظر قدوم القوم قبل أن تبزغ الشمس وتمحو أشعتها ظلمة الليل البهيم، إلاّ أن إنتظاري طال وملأ النور قبة السماء وتلألأت المنائر المذهبة بالضياء ولا أثر لهؤلاء المعممين، أي مضت ساعتان على الموعد المضروب ولم يأتوا ليأخذونا إلى المنزل القريب من المرقد المطهر لزيارته من السطح؟!.. وعيل صبر مارسل فأرسل مندوب حكومة بغداد الذي كان يرافقنا إلى دار القنصل الإيراني ليستوضحه سبب تأخر القوم عن الحضور. وبعد خروج هذا خرجنا نحن أيضاً لنتفرج على مرافق المدينة ومررنا بمقابر وسيعة. وإلى جانب مقابر المتمولين والسراة الواقعة على أطراف الصحن وضريح الإمام، مقابر واسعة خارج المدينة وهي خاصة بعامة الناس والفقراء منهم. وتظلل هذه المقابر أشجار كثيرة مزدهرة ولها منظر جذاب جميل في هذا المكان الموحش. وأينما سرنا في هذه المدينة نلتق برجال دين متعممين بعضهم شيوخ لهم وجوه متغضنة معطبة، وبعض الآخر في مقتبل العمر يموج من وجناتهم ماء الشباب.

تعد هذه المدينة بمثابة جامعة كبيرة يؤمها الطلاب من مختلف أصقاع البلاد الإسلامية لتلقي علوم الدين، ويقضون فيها لهذا الغرض أكثر سني حياتهم.

ويعيش هؤلاء الطلاب جميعاً الصغير والكبير الشاب والهرم على التبرعات التي يتبرع بها الزوار ووجوه المسلمين الذين يعيشون خارج هذه المدينة. ويقدم الزوار لهذه الغاية أموالاً طائلة عن طيب نفس وفي بعض الأحيان يتبرعون بأثاث وسجاجيد ثمينة وأوانٍ من الفضة التي يجلبونها معهم وذلك للحصول على ثواب الآخرة.

وبعد ان رجعنا إلى المنزل رأينا في إنتظارنا رسولاً جاء ليبحث معنا مسألة تبديل شعار الرأس عوداً على بدء؟!. بيد أن مارسل ضاق ذرعاً بهذه السياسة وكان متعباً لهذه المعاملة، فلم يصغ إلى حديث الرسول وصاح بالخدم أن يهيئوا الجياد لترك هذه المدينة في أسرع ما يمكن.

والخلاصة أننا خرجنا من كربلاء ويممنا وجهنا شطر بغداد...

صورة للمنطقة التي وصفتها مدام ديولافوا عند وصولها إلى أسوار مدينة كربلاء

رحلة (جون بيترز) لكربلاء

جون بيترز هو رئيس بعثة بنسلفانيا (**إحدى الولايات الأمريكية**) للتنقيب عن الآثار القديمة في (**نفّر**) وهي منطقة (**عفج**) الحالية. وهو يعمل في بعثته التنقيبية فقد تسنى له أن يزور عدة مدن في العراق منها (**السماوة**) الذي زار بعدها (**النجف**) ومن النجف إتجه لزيارة مدينة كربلاء. وكانت زيارته لكربلاء في صيف سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

وعن الطريق الذي قطعه (**بيترز**) مع مرافقيه يذكر بأنه مرَّ بـ (**خان**) كان يجري بناؤه على نفقة رجل من المحسنين يدعى مرزا[١]، وكان قد إنتقل مؤخراً إلى دار البقاء فدفن في النجف.

ويذكر جون بيترز بأنه حوالي الظهر وصلت قافلته إلى خان الحماد[٢]، وكان حينها عبارة عن خمسة خانات في خان كبير واحد. ومن موقع هذا الخان

---

(١) يقصد به (خان المصلى) الذي يبعد عن النجف بإتجاه كربلاء قرابة ١٨ كم، والميرزا هو المرحوم الحاج سليمان ميرزا، وهو من الأسر النجفية القديمة التي تعود بنسبها إلى بني أسد، وكان كثير المبرّات، وعندما توفي أكملت أسرته بناء الخان. ونُقِل بأن السيد جعفر الحلي أشار إلى خان المصلّى بإعتبار أن بانيه هو المرحوم الحاج حسن بن الحاج أحمد بن مرزة الأسدي، فقد نظم السيد جعفر الحلي شعراً مؤرخاً تاريخ البناء وطالباً الدعاء للحاج حسن في آخر بيت من قصيدته:

يـازائـر السبط مهما بثثت دعا أرّخ (بحق حسين أذكر الحسنا)

ويعني أن التاريخ هو سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م. ومن ذلك يمكن أن يكون المرحوم الحاج حسن هوالذي أكمل بناء أحد الخانين بعد وفاة الحاج سليمان ميرزا. وقيل أن الخان كان يحتوي بجواره على ثلاثة خانات بل قيل خمسة! ولا يوجد أثر لمثل هذا العدد الآن.

(٢) خان الحماد (أو خان النص) كما يسميه العامة، يقع في منتصف الطريق بين النجف وكربلاء، =

كان بوسعه ومن معه أن يشاهدوا من بعيد عبر أهوار الهندية بلدة الكفل، وبرس نمرود[1].

وبعد إستراحة في خان الحماد وحين مالت الشمس إلى الغروب تابعوا السير إلى كربلاء، وكان سيرهم على ضوء القمر، وصادفوا في الطريق عدداً كبيراً من الزوّار يركبون الحمير مثلهم، لأن البغال والخيول كانت قد جمعتها الحكومة لأسباب لم يعرفها بيترز. ولم يصلوا إلى كربلاء إلاّ قبيل الفجر وعند دخولهم المدينة كان المؤذن يؤذن لصلاة الصبح، وكان مع بيترز خادم إسمه (**عباس**) يقول عنه بيترز أنه أصبح متديناً فجأة وعندما سمع الآذان خفَّ مسرعاً إلى الحضرة ليؤدي الفريضة. فإضطر خادمه الآخر وهو (**أرمني**) وإسمه (**نوريّان**) إلى أن يرافق (**عباس**) ويدخل الحضرة، لأنه كان قد دخل معه الحضرة في النجف.

وصف بيترز لمرقد الحسين عليه السلام

وصف بيترز مرقد الإمام الحسين عليه السلام كما نقله إليه خادمه الأرمني (**نوريان**) لما شاهده داخل الحرم الشريف، حيث يعتقد أن مشهد الحسين أكبر

= وكانت حوله وحول بقية الخانات المجاورة له أو التي بداخله قد آنشئت عدة بيوت للمقيمين في الموقع وكان أصحابها يقومون ببيع بعض الحاجيات والمأكولات للزائرين والمسافرين. علماً بأن الطريق بين كربلاء والنجف يحوي على ثلاثة خانات، أولها من النجف بإتجاه كربلاء هو خان المصلى الذي يقع في ربع الطريق، ثم خان الحماد ويليه خان النخيلة الذي يبعد عن كربلاء قرابة ١٩ كم، والمسافة بين خان وآخر متساوية تقريباً، واعدّت الخانات لراحة الزائرين وأمنهم في طريق تحفه بعض المخاطر.

(١) بلدة الكفل هي مدينة (بانيقيا) القديمة، وهي مدينة كان يسكنها اليهود عند السبي، وفي الكفل قبر (حزقيال) ويقال أنه النبي ذي الكفل. وبرس نمرود هو في بارسيبا أو برس وهي من المدن القديمة جداً وفيها التل المشهور بتل برس نمرود الذي يقال بأن نمرود أمر بإحراق النبي إبراهيم عليه السلام فيه، وبرس نمرود من المناطق التابعة إلى بابل القديمة، ومن المفيد أن نذكر أن المنطقة التي كان فيها خان الحماد والخانات التي بداخله والمجاورة له والتي تكونت فيها قرية وتوسعت إلى ان أصبحت الآن ناحية تسمى بـ (ناحية الحيدرية) تابعة إلى محافظة النجف. وموقع خان الحماد يفصله عن الكفل وبرس نمرود نهر الهندية (الفرات)، فالمسافة بينهما قريبة.

هنا وقع بيترز بجملة أخطاء ثبتها في رحلته، فهو لا يعرف بأن الحسين قتل في زمن يزيد بن معاوية، كما كان يجهل مكان قبر الإمام الحسن عليه السلام، كذلك وقع في أكبر الأغلاط عندما جهل مكانة ونسب (العباس) الذي وصفه بأنه شيخ عربي قاسي وسريع الغضب والشدة، ولم يعرف بأنه أخو الحسين عليه السلام وإستشهد معه في العاشر من محرم سنة ٦١هـ/ ٦٨١م.

فمثل جون بيترز العالم الآثاري والتاريخي كان يجب عليه معرفة المكان الذي قصده لمشاهدته والتعرف على كل ما يخصّه، وما بنيت كربلاء إلاّ لوجود مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام في ثرى أرضها، وأن فيها حدثت واقعة إهتز لها ضمير الإنسانية وظلّت الأجيال تتناقلها في جميع الأمم على المعمورة.

ملاحظات عن الرحلة:

إن الكثير من المعلومات الخاطئة التي نقلها جون بيترز في رحلته والتي قد يكون إستقاها من مرافقيه، وخاصة من خادمه الأرمني الذي كان يرافقه في رحلته، كان عليه عندما يذكر معلومات تأريخية أن يحصل عليها من مصادر تاريخية موثوقة وضليعة ببعض المواضيع التي ذكرها وكانت خاطئة، فيلام على ذلك كونه باحث آثاري وتأريخي. وبهذا الصدد جاء في موسوعة العتبات المقدسة عن رحلة جون بيترز ما نصّه:

«.. لكن الغريب في ما لاحظناه عن جون بيترز هذا أنه مع كونه رئيساً للبعثة الآثارية التي جاءت للتنقيب، وبرغم ما يؤمل منه ثقافة وإطلاع واسع في الشؤون التاريخية، فقد وقع في عدد كبير من الأغلاط الفظيعة بالنسبة لما كتبه في الرحلة. فهو يجهل أن العباس عليه السلام هو أخو الحسين عليه السلام، ويقول أنه شيخ من شيوخ العرب القساة يشتهر بسرعة الغضب والشدة!! ويقول كذلك أن الحسين قتل من قبل جنود (معاوية) المنافس له على الخلافة!! وإن الجامع الكبير أو المشهد الحسيني يوجد في داخله ضريح آخر

يقال أنه لأخيه (الحسن)!! الذي هو مدفون في الحقيقة في البقيع في المدينة. ولا شك أن مثل هذا الخلط والخبط قد إعتمد فيه على أقوال خادمه الأرمني نوريان!!»[1].

بيترز يصف كربلاء:

وصف جون بيترز كربلاء بقوله:

«.. ان كربلا تقع على حافة السهل الرسوبي الخصب الذي يتصل بهضبة الجزيرة العربية. ويبلغ عدد نفوسها حوالي ستين ألف نسمة، ويبدو أنها بلدة مزدهرة. أما القسم الجديد منها أنشئ خارج السور القديم ففيه شوارع واسعة وأرصفة منتظمة بحيث تبدو ولها مظهر أوربي حديث[2].

ومع أن أسوارها مهدمّة قديمة فإن أبوابها كانت لا تزال قائمة تجبى فيها المكوس ورسوم الدخولية.

وصادفتنا في كربلاء موجة حر شديدة من موجات منتصف الصيف بحيث بلغت درجة الحرارة فيها ١١٠ إلى ١٢٠ فهرنهايتية في الظل. ولم نستطع مغادرة كربلا والفرار من حرّها لأن شاؤول الصرّاف (الذي يدير شؤونه المالية في الحلة) لم يستطع تحويل المبالغ اللازمة لنا بالسرعة المطلوبة منذ ان فارقناه في النجف من قبل. ونظراً لشدة الحرارة كانت تعلق على الشبابيك في البيوت العامرة طبقات من العاقول المنقع بالماء، لكن الليالي كانت طيّبة بالنسبة لنا».

ويذكر بيترز بالنسبة لتحويل المبالغ في تلك الأيام أنه حينما كان في السماوة صرف جميع ما عنده من مال، ولما كانت السماوة تخلو من وجود اليهود فيها

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء)/ ص٣٠٦ ص٣٠٧.

(٢) يقصد بالقسم الجديد هي المحلة الجديدة التي أنشأها والي بغداد المصلح مدحت باشا في القسم الجنوبي من المدينة خارج السور وسميت بـ (العباسية)، وقد خططها على طراز حديث وفيها شوارع عريضة ومنسقة، وكانت المنطقة قبل ذلك واطئة عن مستوى المدينة القديمة وتتجمع فيها المياه في الشتاء.

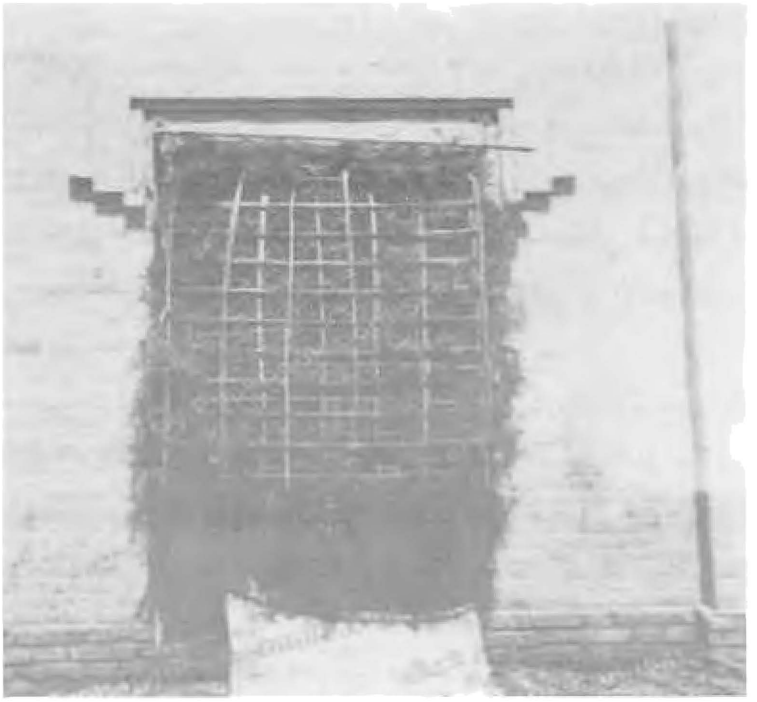

هذا ويشير بيترز أيضاً إلى أن الصناعات الخاصة بكربلا صناعة تزوير الآثار القديمة. وهو لا يتورع الإشارة في هذا المجال إلى أن الذي لم يستطع شراءه أو الحصول عليه في كربلا او النجف (**المشروبات الكحولية**) التي قيل له أن بائعها يعاقب بقطع يده اليمنى. على أنه يقول أن الموظفين الأتراك كان يوجد عندهم شيء كثير من العرق المحلي الذي يتناولونه برغم تعصّب الأهلين، لأن الأتراك يتبعون حرفية التحريم الشرعي فقط الذي يحرم النبيذ المخمّر لا المشروبات المقطرة!! يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يلتذون بإغاظة الشيعة المتعصبين وكان الشيعة في مقابل ذلك يكرهون الأتـراك على حد قوله ويمقتونهم، ويرحبون بأية دولة (**كافرة**) تستطيع إخراجهم من البلاد لأنهم يعتقدون أن الأوربيين برغم (**كفرهم**) يحكمون بشيء أكثر من العدل ويحسبون الحساب لتعصب الأهلين[1].

وقد وجد بيترز الأغنام النجدية لأول مرّة في كربلا، وهي الأغنام التي يكون لها صوف طويل جداً حريري الملمس. وهذه تكاد تشبه في شكلها الماعز مع الإحتفاظ بسيماء الخرفان البليدة، وذنبها الدهني الضخم أي الألية التي تتميز بها الأغنام الآسيوية.

وعند نهاية توثيقه لزيارته لكربلاء يذكر بيترز أن الزوار الإيرانيين يأتون عادةً إلى بغداد أولاً، ومنها يزورون الإمام موسى الكاظم القريب منها، ثم يقصدون كربلاء والنجف. ومن ثم يتوجهون إلى الرحبة التي يذهبون منها بحماية الأمير وكيل إبن رشيد في نجد، إلى مكة المكرمة فيصلون إليها في الوقت المعيّن

(١) نعتقد بأن هذا الكلام الذي ذكره بيترز هو بعيد عن الصحة بدليل أن مدن العتبات المقدسة خاصة والشيعة في الوسط والجنوب عامة، وبالرغم من إساءة الحكومات التركية (العثمانية) لهم نجدهم عندما إحتل الإنكليز البصرة عام ١٩١٤م وبدأوا بالتقدم نحو بغداد فقد أفتت المرجعية الدينية الشيعية بوجوب قتال الإنكليز بإعتبارهم كفّار ومحتلين، وقد ساندوا السلطات التركية رغم مواقفها السيئة، لا لشيء إلاّ لكونهم مسلمين، وقاد رجال الدين الجهاد ضد الإنكليز وشاركوا بأنفسهم في المعارك، وذهب منهم شهداء منهم العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي وغيره، وما ثورة العشرين إلاّ دليل دامغ على ذلك.

للحج، فيؤدون فريضته خلال عيد الأضحى (**ويسميه بيترز قربان بيرم**). ومن يعود حيّاً منهم إلى بلده يطلق عليه لقب (**حاج**)، أمّا الذين يقضون نحبهم خلال أيام الحج فمثواهم الجنة.

يذكر بيترز أنه كان ينتظر المبالغ التي طلبها من شاؤول ليتمكن من مغادرة كربلاء، وعندما وصل العامل حمزة أحمد من الحلة ومعه المال الذي دبّره له شاؤول الصراف، تحركوا نحو الحلة بواسطة الزوارق بعد أن أرسلوا خيولهم لتقطع الطريق خوضاً فتنتظرهم في قرية الجمجمة الواقعة في موقع بابل نفسها. وقد إستقلوا الزوارق من ساحل هور السليمانية[1] التي وصلوها بعد ساعة ركوب واحدة على ظهور الحمير. وهناك وجدوا صعوبة في إستكراء الزوارق لأن الرجال هربوا وإختفوا عن الأنظار حينما شاهدوهم من بعيد خوفاً من أن يكونوا من رجال الحكومة الممقوتة[2].

(١) هور السليمانية.. يقع شرق مدينة كربلاء، ويتصل بمجموعة الهوار والمستنقعات الممتدة إلى طويريج منها هور اللايح وفريحة والسيب، وكنا قد أشرنا سابقاً إلى ان بعض الرحالة قدموا من الكوفة أو من الحلة إلى كربلاء بالزوارق.

(٢) رحلة جون بيترز/ الجزء الثاني ص٣١٣ ٣٢٧، الصادرة في لندن ونيويورك سنة ١٨٩٧م.

بتلر ورفيقه إيلمر في كربلاء وباديتها

شهدت بدايات القرن العشرين الميلادي حتى إكتمال عملية تجزئة المشرق العربي في عشرينات القرن نفسه، هجمة إستخبارية، أبطالها رجال ونساء يعملون لصالح الإستخبارات الألمانية والبريطانية والفرنسية في مناطق نفوذ الإمبراطورية العثمانية في محاولة لتهيئة الأوضاع لخلافتها. ومن هؤلاء الرجال كان (**اس. اس. بتلر**) ورفيقه (ل. **إيلمر**) اللذان يعملان في الإستخبارات البريطانية، وكانا مكلفين بمهمات خاصة في شرق إفريقيا.

لم نتمكن من الحصول على معلومات كافية عن شخصيتهما، وكل ما ورد عن رحلتهما جاء في محاضرة قدمها الكابتن بتلر بعنوان (**من بغداد إلى دمشق عبر الجوف، شمالي الجزيرة العربية**) في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن يوم ٢٢ فبراير ١٩٠٩م.

ويبدو أن بغداد كانت محطتهم الأخيرة، حيث قرّرا إذا أمكنهما ذلك محاولة الرجوع إلى إنكَلترا عبر الخليج العربي أو طريق بغداد دمشق الموازي لنهر الفرات. ولكنهما عقدا النية على تغيير إتجاه رحلتهما من بغداد إلى (**الجوف**) الواقعة شمال وسط الجزيرة العربية على الحد الشمالي، ومن هناك يذهبان شمال غرب إلى دمشق عن طريق جبل حوران.

الصعوبة التي واجهتهما في البداية هي صعوبة وجود أحد ليكون رفيقاً ودليلاً وصديقاً، والذي بدونه سيكون من المستحيل السفر في الجزيرة العربية غير الآمنة. إبتسم لهما الحظ كما يقول بتلر عندما علما بأن بدوياً سيعود إلى مضارب

قبيلته وهو من قبيلة عُنِزَة وإسمه محمد بن ماضي. كان هذا البدوي يرافق تجار الملابس وبائعي الإبل، وقد إستعد لمرافقتهما إلى مضارب قبيلته لقاء ثمن، وإذا دفعا له مبلغاً آخر سيساعدهما للوصول إلى الجوف.

وفي المحاضرة ذكر بتلر رحلته التي بدأت من شرق أفريقيا في خريف ١٩٠٧م. ويبدو أن بتلر ورفيقه إيلمر زارا بغداد، وذكرا بأنهما زارا كربلاء في نفس السنة إلاّ أنهما لم يتطرقا إلى أية تفاصيل تخص كربلاء عدا ذكر بتلر أنهما زارا المدينة حيث يقول في محاضرته:

«بعد فترة قصيرة من وصولنا إلى بغداد بعد زيارتنا لكربلاء تبسم لنا الحظ فسمعنا أن بدوياً سيعود إلى قبيلته في الحال، وهو ينتسب إلى فرع إبن مجلاد من قبيلة بشر العنزية، التي تقطن في الصحراء جنوب غرب كبيسة»[١].

وقد شرح بتلر في رحلته الكثيرعن قبيلة الدليم عند مغادرته كبيسة متجهين إلى الجوف حيث قال:

«إن قبيلة الدليم تستوطن المنطقة المحاذية لشط الفرات والممتدة من كربلاء إلى هيت..»[٢].

ثم تطرق بشكل موسع عن قبيلة عنزة وعشائرها وتفرعاتها التي تقطن بادية كربلاء وهي التجمع الأكبر للقبيلة، وتحدّث عن معاملة البدو معه بلطف وطرق معيشتهم وإبلهم ونسائهم وشيوخهم بشيء من التفصيل. ثم تطرق إلى البدو **(الصْلبَة)** وطرق معيشتهم، كما ذكر طبيعة أرض الصحراء ووديانها وآبار الماء ومناطق السيول فيها إلى أن وصل إلى الجوف.

---

(١) الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية، منطقة الجوف ووادي سرحان ١٨٤٥ ١٩٢٢م/ الدكتور عوض البادي ص٣٤٦.

(٢) نفس المصدر/ ص٣٤٨.

رحلة الدكتور المهندس الألماني (أوسكار رويتر)

هو المهندس الألماني (**أوسكار رويتر**) باحث معماري إهتم بدراسة (**البيت الشرقي**)، فقد زار العراق في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي، وأقام فيه ثلاث سنوات يدرس ويبحث عن طراز البيت العراقي في مدن محددة وهي بغداد والحلة وكربلاء، وسمّاها بـ (**العراق الغربي**)، ومن بعد ذلك رجع إلى بلده وألّف كتاباً كان بمثابة رسالة (**دكتوراه**) حصل عليها من الأكاديمية الملكية السكسونية في درسدن بألمانيا، وقد نُشر الكتاب أو (**رسالة الدكتوراه**) سنة ١٩٠٩م، ومن ذلك يتضح أنه قد أقام في العراق ثلاث سنوات بدأت من عام ١٩٠٦م، قضى معظمها متنقلاً بين بغداد والحلة وكربلاء، وكان نصيب كربلاء من دراسته وافراً، حيث قدّم معلومات قيّمة عن طراز الدور السكنية في كربلاء، ومحتوياتها، وقد صوّر بكامرته الخاصة الكثير منها، وفي بعض الأحيان كان يتعذر عليه التصوير فيقوم برسم الدور أو أجزاء البيت الكربلائي ووضع خرائط هندسية لنوعية وأشكال الدور في المدينة والريف، ووصل إهتمامه بأدق التفاصيل، ونوعية التصاميم لدور الأغنياء من الناس، والبسطاء منهم.

وفي زياراته لمدينة كربلاء، قدّم لنا ما كانت عليه الدور في ذلك الوقت، وبعض شوارع المدينة وأزقتها، كانت بحق رائعة وسابقة قام بها دون بقية الرحّالة الذين زاروا كربلاء، وذلك شيء طبيعي من خلال المهمة التي كان يقوم بها في مجال إختصاصه ودراسته.

وبين أيدينا نسختين من كتابه الموسوم (**البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية أخرى**)، الأول باللغة الألمانية وهو من القطع الكبير(٤٣سم × ٢٩سم)، والثاني

مترجم إلى اللغة العربية، ويحوي جميع الصور والرسومات والشروحات التي وردت في النسخة الألمانية، وقد ترجمه للعربية (**محمود كبيبو**)، وتم طبعه ونشره من قبل دار الورّاق في لندن بطبعة جميلة عام ٢٠٠٥_٢٠٠٦، وسيكون هو مصدرنا في هذا البحث فيما يخص مدينة كربلاء في رحلة اوسكار رويتر ودراساته.

وسوف نقوم بنقل بعض معلوماته عن بيوت كربلاء بشكل ملخّص، وننشر الصور والرسومات التي وردت في كتابه عن كربلاء فقط، فهي تغني القارئ اللبيب عن التفصيل، وتبعدنا عن الإطالة.

فإن رحلة أوسكار هذه لها نكهة خاصة في البحث، من خلال إختصاصها، وهي تنقلنا إلى زمن يزيد على القرن من الزمان نحن في شوق لمعرفة العمارة الكربلائية وروعة الفن المعماري فيها.

يقول أوسكار رويتر في مقدمة كتابه:

«لم يدرس بناء البيوت السكنية في فن العمارة الإسلامية بشكل جدي حتى بداية القرن العشرين... ففي غالبية البلدان الإسلامية، لا يوجد سوى بعض التقادير والأخبار المنفردة التي وضعها بعض المستكشفين أو الرحّالة. الدراسات الموسعة والدقيقة معدومة في كل مكان تقريباً. وحتى في الكتاب الضخم للمؤلف كوست «المباني الضخمة الحديثة في فارس» لا يوجد سوى نموذجين للبيت السكني. وهذه الحقيقة تثير فينا كثيراً من الأسف لأن البيوت السكنية، وخاصة في الشرق، تبنى بشكل أقل متانة وبالتالي معرضة للسقوط والإندثار أكثر من المباني الضخمة. وفي كثير من المواقع نلاحظ اليوم أن التقاليد القديمة تختفي شيئاً فشيئاً وتحل محلها طرز البناء (الفرنجية) المستوردة. وما علينا للتأكد من ذلك إلاّ أن نلقي نظرة على مدن البحر المتوسط والهند. وخلال أعوام قليلة ستطغى الحضارة الأوربية على مختلف جوانب الحياة وتقضي على كل ما هو قديم. وقد يبدو هذا مؤسفاً ولكنه لا يمكن إيقافه تماماً كما لم يكن من الممكن إيقاف زحف الحضارة الهيلينية قبل ألفي عام، حيث فرضت، بدرجات متفاوتة، طابعها الخاص على مدن العالم المعروف آنذاك.

لقد جمعت بنفسي المواد التي إحتجتها لكتابة هذا العرض عن البيت السكني في العراق الغربي، وخاصة في بغداد، وذلك خلال إقامة في العراق دامت ثلاث سنوات. يعود جزء من المواد أعددتها بنفسي ويعود جزء آخر إلى إتصالاتي مع معلمي البناء المحليين الذين قدّموا لي معارفهم وآراءهم حول البناء شفوياً وخطيّاً بتسليمي العديد من المخططات النموذجية. وأخص منهم بالذكر المعلّمين (الأسطاوات) أمين وعبود من الحلة، والمعلم الأسطا حجي عباس من كربلاء»[1].

ذكر أوسكار جميع التفاصيل عن البيوت السكنية في كربلاء بشكل دقيق، فقد تحدّث عن نوعية **الأبواب، والحوش، والشناشيل، واللوجنتي (وهو الشرفة البارزة نحو الشارع)**، والطالار **(الطرار)، والليوان، والأرسي، والأوضة أو الگبّة وهي الغرفة، والسرداب، والتختبوش (وهو مكان في السرداب مرتفع قليلاً يشبه المصطبة)، والكبشكان (وهو بناء صغير بين السقفين يصل إليه من السلّم لحفظ الأحذية، كما يسميه البعض بيتونة في المدخل)**.

ويقول أوسكار رويتر إن طراز البيوت الكربلائية المؤلفة من طابقين مع طارمة وسطية عالية من طابق واحد هو إلى حد ما تطبيق لنظام الكبشكان على جميع الغرف مع زيادة إرتفاع الطابق إلى ٣ أمتار على الأقل. وفي بعض البيوت في كربلاء يوجد أرضيات مغطاة بالبلاط.

«كما ويستخدم الجبس على نطاق واسع في كربلاء بسبب وجود المقالع الجبسية بالقرب منها، وفي الأساسات وغيرها من الأماكن المعرضة للرطوبة تستخدم المونة المائية العربية المؤلفة من ٣ أجزاء رماد وجزء واحد كلس»[2].

ونعتقد بأنه إهتم بالقسم الجديد من المدينة حينها وهو ما سمي بمحلة العباسية، وذلك يظهر جلياً للمتتبع الكربلائي، لأن قسم من هياكل هذه الدور لازالت باقية لحد الآن.

---

(١) البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية أخرى/ أوسكار رويتر ص٩، ترجمة محمود كبيبو.
(٢) نفس المصدر/ ص١٢١.

شكل ٣٢ بيت التاجر محمد الإصفهاني في كربلاء

شكل ٣٦ نفس البيت والصورة لواجهة مبنى الحرم

شكل ٣٩ باب تاج درباهو من الداخل

شكل ٣٨ بيت دار البهو (تاج درباهو) الهندي . شارع السدرة بكربلاء

شكل ٨٣: بيت في كربلاء

شكل ٨٢: بيت في كربلاء

شكل ٨٥: بيت في كربلاء

شكل ٨٤: بيت في كربلاء

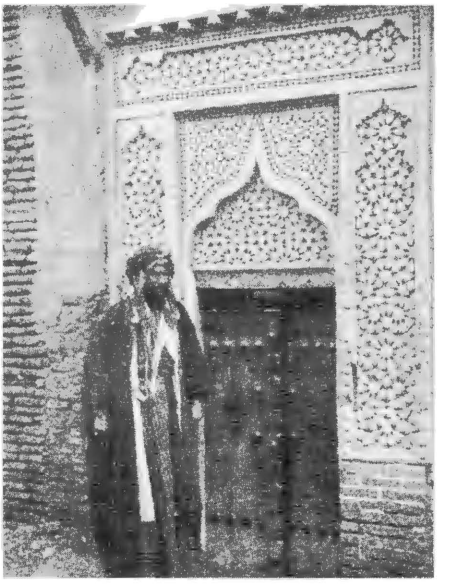

شكل ١١٢: بوابة في كربلاء

شكل ١١١: بوابة في كربلاء

شكل ١١٥: بوابة في كربلاء

شكل ٢٣٢: رسوم فوق مدخل أحد الحمامات في كربلاء

شكل ١٥٣: وضع الأعمدة في بيت في كربلاء

شكل ١٥٠: تاج عمود في أحد البيوت في كربلاء

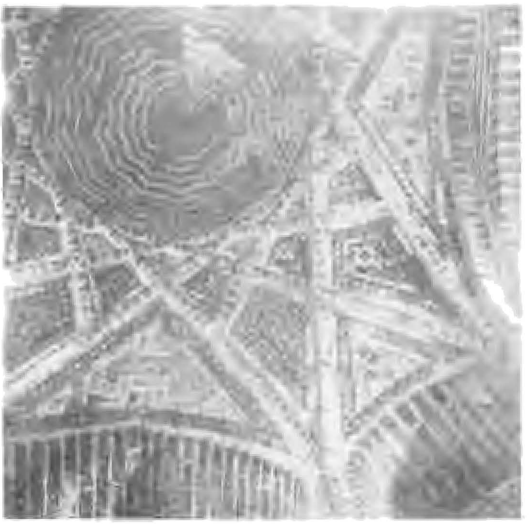

شكل ١٣٢: بيت محمد التاجر ـ صينية في الدولان

شكل ٢٣٧: جدار ملبّس ببلاط غير مزجج في كربلاء

شكل ٢٤٩: شارع في كربلاء

الصور وأرقام الأشكال نُقلت كما وردت في كتاب أوسكار رويتر، مع ذات التعليقات المثبتة تحت كل صورة من الصور. وقد تجنبنا الرسوم التخطيطية للبيوت وخرائط تصاميمها، وأنواع الأعمدة (**رؤوسها وقواعدها**) إختصاراً لعدم الإطالة.

رحلة (المس بيل) الأولى لكربلاء

المس غيرترود بيل هي مستشرقة ورحّالة بريطانية مشهورة، وقامت برحلاتها إلى الشام والعراق قبل الحرب العالمية الأولى، وكانت رحلاتها هي في الحقيقة إستخبارية لمصلحة الحكومة البريطانية التي كانت ومنذ زمن تعد العدة ليكون لها شأن في المنطقة، لأن الشام وبلاد الرافدين لهما موقعان إستراتيجيان مهمان، وبريطانيا كونها دولة إستعمارية، فقد أعدت الخطط منذ القرن الثامن عشر الميلادي للتدخل في العراق. وكان قناصلها المعتمدون في بغداد قد بدأوا منذ ذلك الوقت التدخل بشؤون العراق بوجود السلطة العثمانية التي لم تكن بعيدة عن تحركات الإنكليز في العراق.

والمس بيل هي عميلة وكالة الإستخبارات البريطانية التي كانت ترفع رسائل رحلاتها إلى لندن لتُدرَس هناك وتكون إحدى قنوات المعلومات في غرف العمليات الإستخبارية. وهذه الآنسة (بيل) التي لعبت أدواراً مهمة في العراق لما تحمله من معلومات عنه بحيث أصبحت فيما بعد سكرتيرة دار الإعتماد البريطاني منذ إحتلال بغداد من قبل الإنكليز في عام ١٩١٧م وبقيت لسنوات عديدة، وكانت لها علاقات وطيدة مع الساسة العراقيين حينها، وكانت إستشاراتها لرؤسائها مهمة للغاية ويُعتمد عليها. فقد زارت مدينة كربلاء وضواحيها قبل الإحتلال الإنكليزي للعراق مرتين.

ففي زيارتها الأولى عام ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ زارت المس بيل مدينة كربلاء قادمة من (حلب) عن طريق البادية، بعد أنْ مرّت بحلب ومنها سارت بجانب مجرى نهر الفرات إلى تل الأحمر، فالبصيرة، فـ (هيت)، ومن ثم إلى الإخيضر.

وصلت المس بيل إلى مدينة كربلاء في ٣٠ آذار ١٩٠٩م. وبقيت في كربلاء حوالي إثني عشر يوماً، ثم غادرتها إلى (بابل) عن طريق (المسيّب).

وعن رحلتها فقد كتبت مشاهداتها في جميع المناطق التي زارتها ونشرتها في كتابها الذي أطلقت عليه إسم (مراد إلى مراد) الذي أصدرته في لندن عام ١٩١١م.

وعن زيارتها إلى كربلاء تبدأ بالقول عن شؤون السفر في تلك الأيام وهي تقارن بين البادية والبحر في هذا الشأن.. وعندما وصلت كربلاء كتبت تقول:

«أنها وصلت إلى عالم جديد عليها من أوجه كثيرة. فقد إنتقلت من الجو المعروف في شمال سورية إلى بلدةً عريقة في التقاليد الشرقية المتصلة بالأماكن المقدسة، التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالإنقسام والإنشقاق الكبير الذي حصل في الإسلام. فقد كانت البقعة مسرحاً للمأساة الأليمة التي وقعت فيها فأسفرت عن قتل الحسين بن علي عليه السلام. ثم نشأت حول الجامع الذي يضم قبر الحسين في داخله. البلدة التي أصبحت بالنسبة لنصف المسلمين محجاً لا يقل عن مكة في أهميته.

وليس الذي يتحدى المخيلة ويلح عليها بشدة هنا القبة المذهبة، ولا وجود الكثير من الإيرانيين بألبستهم الخضراء، وأوجههم العبوسة الكالحة، ولا ثروة هذه العتبة الشيعية التي سارت بذكرها الركبان. وإنما يفعل ذلك الشعور بالوصول إلى هذه المناطق والربوع التي شهدت تأسيس الإمبراطورية الإسلامية، فبقيت ردحاً طويلاً من الزمن مقراً لعاهلها الأكبر، خليفة المسلمين وظل الله في أرضه. فعلى مسيرة يومين من هنا يقع ميدان القادسية الذي حطم فيه خالد بن الوليد (الصحيح هو سعد بن أبي وقاص) الدولة الساسانية حال إشتباكه بها وقضى عليها إلى الأبد. وبذلك تخطى بقدومه إلى هذه الجهات كسرى بأتباعه، وأفياله، وحلفائه العرب إلى ظل الماضي المعتم، وإختفت من الوجود المدن، والقصور التي إشتهرت يومذاك مثل الحيرة والخورنق وطيسفون وغيرها من الأماكن التي نسي ذكرها وعفي حتى رسمها. وسقط ما شهدته الأزمنة القديمة من عظمة وأبهة وأمجاد كما تسقط جيوش الأحلام عند اول إصطدامها بجيوش الحقيقة

والإيمان، التي تسيطر في الميدان حتى هذه الساعة. وحلّ بعد ذلك يوم البأس والحيوية فأضيفت به الأصقاع والممالك واحدة بعد أخرى، ومصرت المدن الإسلامية العظمى مثل الكوفة، وواسط، والبصرة، وآخرها وأعظمها بغداد مدينة السلام»[1].

ثم تذكر المس بيل في كتابها (**مراد إلى مراد**) في الفصل الخامس منه مشاهداتها عن كربلاء ومنها عندما كانت واقفة فوق سطح إحدى الدور المجاورة والمشرفة على الروضة الحسينية المقدسة فتقول:

«حينما كنت أقف فوق سطح دارٍ من الدور المجاورة لأتفرج على الساحة المزينة بالقاشاني الجميل الفخم، التي يقوم في وسطها الضريح المقدس، ولا يسمح بالدخول فيها إلاّ للمسلمين. وحينما رفعت ناظري وسرحت الطرف نحو الغرب لمحت من بعيد البادية التي كانت جيوش النبي الكريم قد عبرتها لتقضي بعزمها الشديد وإيمانها الأكيد على المدينة القديمة وتدك عروشها المشيدة. وألفيت إلى الشرق من ذلك الطريق الممتدة إلى بغداد عاصمة الإسلام الكبرى، التي قام فيها أحفاد أولئك الفاتحين بتنمية الفنون الإسلامية وتهذيبها تهذيباً مقروناً بما لا يقل عما سبق من الشهرة والصيت الحسن. وهكذا زحفت روحية الإسلام وشعلته الخالدة من أوعار البادية لتستولي على الأرض المثمرة».

الفواكه والورود في كربلاء

وعن أحوال مدينة كربلاء في ذلك الوقت تذكر المس بيل أن كربلاء تحيط بها البساتين المثمرة، وهذه البساتين تتميز بكثرة أشجار النخيل وتزرع معها أشجار الحمضيات التي تشتهر بها كربلاء، فأنواع التمور كثيرة وهي من أجود الأنواع على إختلافها، أما الحمضيات فكانت متميزة فإن جو المدينة يساعد جداً على زراعتها وخاصة (**البرتقال**)، وتقول بأن أسواق المدينة كانت تتكدس

(١) موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء)/ ص٣١٠ ٣١١.

في دكاكينها أكوام من البرتقال الجيد، وكذلك أكوام الليمون الحلو الأصفر[1] وكانت تشتري الكثير منه هنا وهناك، وتأكله وهي تمشي في الطريق لتروي غليلها الصدئ الذي إلتهب سعيره حينما عبرت البادية إلى كربلاء وهي قادمة من حلب.

وكانت تتكوم مع أكوام البرتقال والليمون أكوام الورد الإرجواني[2]، الذي كان يأخذ منه المارة بين آن وآخر حفنات يشمّونها في سيرهم.

دعوة على العشاء وأحاديث في السياسة

دُعِيَت المس بيل إلى وليمة عشاء في كربلاء، وكان الحاضرون معها يتحدثون لها أحاديث في السياسة وأن الكثير من مناطق العراق لا تستسيغ الحكومة العثمانية، وعن الملاكين المسنودين من الحكومة الذين تزداد ثرواتهم بالقوة وإستغلال تعب الفقراء من الذين يعملون عندهم، وعن موظفي الحكومة الذين كانوا على نفس الشاكلة. فتقول المس بيل:

«عندما خيّم الليل بظلامه في يوم من الأيام دُعيتُ إلى وليمة عشاء فاخرة، أكلْت فيها القوزي المحشي بالفستق، وشَربْتُ الشربت بالملاعق الخشبية الكبيرة. ثُمَّ

(١) هذا النوع من الليمون يزرع في كربلاء بشكل خاص وتندر زراعته في مناطق أخرى من العراق ويسميه العامة (نومي حلو)، وبرتقال كربلاء تكون أسعاره دائماً أغلى من أسعار برتقال المناطق الأخرى التي يزرع فيها ومنها (بعقوبة)، وذلك لجودته، وسبب هذه الجودة أن أشجار البرتقال في كربلاء تُركب من أشجار الليمون الحلو وعندما تثمر يكون البرتقال حلو المذاق وكثير الماء وقشره خفيف غير سميك، أما في المناطق الأخرى فتركّب أشجار البرتقال من أشجار (الرارنج) فيكون البرتقال ذو مذاق حامضي وقشرة سميكة.

(٢) هو الورد (الجوري) الذي يزرع بكثرة في بساتين كربلاء ومزارعها وحتى في بيوت الأهالي داخل المدينة حيث توضع شتلاته في (سنادين) من الفخار، وللورد الجوري رائحة زكية عطرة. وكانت مدينة كربلاء تشتهر بصناعة (ماء الورد)، حيث توجد معامل بسيطة في المدينة تقوم بعصر أوراق الورد هذا وخلاصة الماء المستخلص منه يوضع في زجاجات تباع كمطيبات، ويعمل منه نوع من الشربت يسمى (شربت ماء الورد).

إستمعت إلى ما قصّه عليَّ الحاضرون من حديث السياسة وأحوالها في تلك الأيام. وكان الحديث يمت بصلة إلى الروحية الجديدة التي إنبعثت في أطراف الإمبراطورية العثمانية والبلدان الخاضعة لها على أثر حصول الإنقلاب العثماني سنة (١٩٠٨م) وإعلان المشروطية[1].

وقال لي أحد الحاضرين: أن الولايات العراقية لا يستسيغ فيها الناس وجود حكومة دستورية، لأن الملاكين رجعيون في قلوبهم كلهم، وقد جمعوا ما حصلوا عليه من ثروة ومال بالقوة والغصب. ولذلك لا يمكن أن يتحملوا من يحاسبهم على ما إمتلكوه بتلك الكيفية، ويكرهون ما يُوجه إليهم من نقد وملاحظات صريحة على صفحات الجرائد. يضاف إلى ذلك أن أكثرية موظفي الحكومة كانوا على شاكلة هؤلاء أيضاً. ولا يخفى أن القضاء على الفساد بين هؤلاء كان يعني جوعهم بطبيعة الحال، ما لم تتخذ التدابير لزيادة رواتبهم في مقابل ذلك.

فحاكم المدينة مثلاً كان يُعَيّن لمدة سنتين ونصف فقط، وكان يتقاضى خلال هذه المدة راتباً قدره خمس عشرة ليرة تركية في الشهر، وهذا المبلغ لم يكن من الممكن له

(١) تم إعلان الدستور العثماني في ٢٤ تموز ١٩٠٨م، والذي سميت بعده (المشروطية) حيث تعرّف فيها المجتمع على مفاهيم مثل الديمقراطية والبرلمانية والإنتخابات والحزب السياسي، وتشكل (مجلس المبعوثان) عقب الإنتخابات في ١٧ كانون أول ١٩٠٨، وعندها كان يدير حزب الإتحاد والترقي الدولة من خلف الستار. وفي الثالث والعشرين من نيسان ١٩٠٩م حدث إنقلاب في بعض الوحدات العسكرية في تركيا، نتيجته فوضى عارمة عرفت بالحركة الانقلابية بأحداث ٣١ آذار. وقد حمّل المجلس الذي إنعقد في ٢٧ نيسان السلطان عبد الحميد الثاني المسؤولية عما حدث من فوضى، وأسقطه من العرش ونصّب الشيخ المسن (محمد رشاد) على العرش بإسم (السلطان رشاد)، وأن الدستور قلّص صلاحيات السلطان إلى مستوى (الرمز). ومن خلال هذه التغييرات تكون الدولة قد خطت أولى خطوات النظام البرلماني. بالإضافة إلى أنه أضيف للدستور بعض مبادئ الحق والحرية مثل حرية المجتمع. لكن تم إسقاط السلطان عبد الحميد على يد الكتلة السياسية أصحاب المشروطية والضباط في الجيش. والسلطان الجديد (رشاد) ليس له من الصلاحيات في الحكم شيء. وبعدها عاش المجتمع إثنين من أكبر الحروب هما: (حرب البلقان والحرب العالمية الأولى)، وشهد إنهيار الإمبراطورية العثمانية التي عمّرت ٦٠٠ سنة.

أن يتعيّش به هو وأسرته في ظروفٍ ينبغي له أن يحافظ فيها على مركزه ومنزلته. وكذلك كان يتحتم عليه أن يداري مرؤوسيه ليستفيد منهم في تجديد تعيينه حينما تنتهي المدة المضروبة له.. ولذلك فإن (أحد عشر رجلاً) من كل عشرة كانوا يقدمون على أخذ الرشوة!! وعلى كل فإن إعلان الدستور لم يأت لنا إلاّ بلبس الطربوش الأسود[1]، وحرية الكلام، وإنشاء ثكنتين متينتين في بنائهما: واحدة في كربلاء وأخرى في النجف، تخليداً لحلول عهد الحرية».

متصرف كربلاء[2]:

تذكر المس بيل أحاديث عن متصرف كربلاء حين زيارتها وقد سمعت المعلومات التي أوردتها من أحد متحدثيها[3] إثناء دعوة العشاء التي ذكرت عن ما ورد فيها من أحاديث في السياسة وأحوال الناس في المدينة. وعن متصرف كربلاء كتبت المس بيل ما سمعته إثناء الجلسة فقالت:

«**فقد حصلت مدينة كربلاء بحلول العهد الجديد على متصرف له قصص غير مشرّفة لسمعته، وذات تأثير سيء على مقدرته في العمل في المدينة. فقد كان الرجل من المنتمين إلى جماعة الأحرار، وكان قد بدأ حياته في الوظيفة بتعيينه سكرتيراً للوالي في بغداد. لكن أهالي بغداد كانوا قد إشتكوا منه خلال إشتغاله فيها لأنه شوهد في يوم من أيام رمضان يجاهر بالإفطار ويُدخّن على ملأ من الناس في السوق فأقصي عن**

(١) كان الطربوش باللون الأحمر هو السائد، وكان يصنع في النمسا، وفي تلك الأيام حصلت إضرابات أدت إلى تعطيل معامله، فقد إنقطع وروده من النمسا، فتم لبس الطربوش الأسود.

(٢) كان متصرف كربلاء حينها هو (جلال باشا) الذي عُيّن متصرفاً لكربلاء عام ١٩٠٩م وبقي فيها سنة واحدة تقريباً.

(٣) يبدو ان الجلسة التي شملت وليمة العشاء التي دُعيت إليها المس بيل قد حضرها أناس كانوا يأخذون من الحكومة التركية موقفاً سلبياً، وقد أعطوا للمس بيل المعلومات التي ذكرتها في رحلتها وهم يعرفون على اغلب الظن بنوايا الإنكليز وتحركاتهم الإستخبارية في العراق، وكذلك عن سبب رحلة المس بيل إلى العراق. محاولين نقل صورة الفوضى إثناء حكم الأتراك في تلك الفترة.

منصبه. ولمّا كان ينتمي إلى جماعة الأحرار كان لابد أن يحظى بمساعدة الكثيرين من الشخصيات المرموقة في إستانبول، ولذلك أعيد تعيينه متصرفاً في كربلاء مؤخراً. على أن سمعته السابقة لم تفسح له المجال للإشتغال المثمر في هذه المدينة المتعصبة، برغم أهمية الأعمال والإصلاحات[1] التي شرع في تنفيذها. فبالنظر للجور الأعمى الذي كانت تمارسه الحكومة في كربلاء، وإهمال شؤون الري فيها، أخذت الأمور تتدهور فيها يوماً بعد يوم وساءت أحوالها المالية بحيث أصبح من المتعذر جباية أي نوع من الضرائب منها. وكانت خزانة البلدة من جهة أخرى مرهقة برواتب المستخدمين الكثيرين، والمبالغ التقاعدية وغيرها التي كانت تدفع إلى الكثيرين من الناس على إختلاف طبقاتهم، ومعظمهم من طبقات رجال الدين. لذلك جوبه هذا المتصرف بمقاومة غير يسيرة حينما عمد إلى الإقتصاد بالنفقات، وقطع الرواتب عن مثل هؤلاء ليجد المال اللازم إلى تنفيذ بعض الإصلاحات والقيام ببعض الأعمال العمرانية».

الأهوار بين كربلاء والهندية:

من المعلومات المهمة التي وردت في رحلة المس بيل هذه، هي تأكيدها على وجود المسطحات المائية (الأهـوار) بين كربلاء والهندية، والتي ذكرها بعض الرحالة الذين قدِموا إلى كربلاء بواسطة السفن حيث كانت ترسو بالقرب من كربلاء لوجود هذه الأهوار.

(١) من الأعمال التي قام بها المتصرف جلال باشا هي: فتح سوق باب قبلة الحسين والذي سمي بـ (سوق الحسين) وكان قد أنشأ من الفسحة أمام باب القبلة بإتجاه المخيم الحسيني الحالي. وبقي هذا السوق إلى عام ١٩٧٥م عندما تم مشروع توسيع شارع باب قبلة الحسين أصبح موقع السوق ساحة لوقوف السيارات. وكذلك قام المتصرف بتوسيع (سوق مابين الحرمين) وهو سوق البزازين والذي سمي فيما بعد (سوق التجار الكبير). وعندما تم توسيع هذا السوق كان شارع علي الأكبر لم يفتح بعد (وقد فتح شارع علي الأكبر من الفسحة التي أنشأت أمام باب الشهداء لصحن الحسين عليه السلام إلى باب قبلة العباس) وبعد ذلك تم فتح شارع الأمام علي من باب بغداد إلى ساحة البلوش (ساحة الإمام علي) فقطع هذا الشارع الجديد سوق التجار وشارع علي الأكبر إلى قسمين.

وعندما بقيت المس بيل عدة أيام في كربلاء رغبت بمغادرتها إلى (بابل) لمشاهدتها والتعرف على أطلالها، وكانت في نيتها السفر عن طريق طويريج (الهندية)، وكانت تجهل صعوبة ذلك الطريق لأن المسافة بين كربلاء وطويريج كان يشغل معظمها هور الهندية الذي كانت تغذيه مياه الفيضان و(الكسرات) من فرع الحلة[1] حسب قولها. فتقول:

«**فإن المنطقة الكائنة في غرب هذا الفرع، والتي تقع فيها مدينة كربلاء نفسها، ينخفض مستواها عن مستوى النهر، كما أن قاع النهر كانت ترتفع سنة بعد أخرى بتراكم الغرين المترسب فيه. ولذلك فكثيراً ما كانت المياه تفيض إلى هور الهندية الذي تتوسع رقعته في بعض السنين فيهدد كربلاء بالذات، حتى أن مياهه قد تسربت إلى شوارعها فعلاً في بعض السنين**[2]. **فكان يترتب على الملاكين وأصحاب الأراضي في هذه الحالة السهر على إنشاء الروف الواقي والسداد القوية لإتقاء خطر المياه، غير أنهم كثيراً ما كانوا يهملون هذا الواجب فيشتد الخطر**».

وعن موضوع الأراضي التي تتعرض للفيضان، فقد ذكرت المس بيل في رحلتها أن أحد المسلمين الهنود إشترى مساحات كبيرة من الأراضي التي تتعرض للفيضان، وكان في نيته أن يحافظ عليها بالسداد ويستثمرها كما يريد. فصرف مبالغ طائلة على ذلك وأوقف الخطر الزاحف على البلدة عند حده مدة من الزمن. لكنه عجز في النهاية وترك المشروع المرهق، فتجدد الخطر ولا

(١) الصحيح هو نهر الهندية وهو فرع الفرات الأكبر من نهر نهر الحلة، فإن نهر الحلة يبعد عن نهر الهندية شرقاً حوالي ١٩كم.

(٢) في الحقيقة ان مدينة كربلاء القديمة لا يمكن أن ترتفع عليها المياه لكونها تقع على هضبة ترتفع عن ما جاورها من الأراضي، وهذه الهضبة تنحدر نحو الشرق. ويمكن أن تصل مياه الفيضانات والمياه الزائدة إلى منطقة العباسية وهي المحلة الجديدة التي أنشاها الوالي مدحت باشا والواقعة جنوب شرق وجنوب المدينة القديمة والتي كانت هي أصلاً أراضي منخفضة تركبها المياه أكثر أيام السنة. كما ان الشوارع التي قصدتها المس بيل هي الطرق المؤدية إلى أبواب المدينة بين البساتين المحيطة بالمدينة القديمة.

سيما حينما وجد نفسه وحيداً في الميدان من دون أن تتعاون معه الحكومة أو الجهات الأخرى وعلى الأخص العشائر المجاورة التي كانت تبذر تبذيراً مسرفاً في إستخدام الماء للسقي فيؤثر سوء تصرفها على توسع الهور. غير أن المتصرف أراد إجباره على الإستمرار في العمل، لكنه لم يتمكن من ذلك نظراً لأن الرجل الهندي المسلم ذاك كان يتمتع بالحماية البريطانية[1].

المس بيل تغادر كربلاء عن طريق المسيب:

وعلى كل ذلك فقد إرتـأت المس بيل أن تغادر كربلاء متوجهة إلى بابل لمشاهدة آثارها عن طريق آخر هو طريق (**المسيب**). وتقول عن طريقها هذا بأنها وصلت إلى المسيب الواقعة على نهر الفرات، والتي كان فيها جسراً من الزوارق فعبرته إلى الضفة الأخرى متوجهة إلى بابل وهي تقول:

«**إنه أول جسر حصل لي شرف عبور نهر الفرات عليه**»[2].

(١) المقصود بالرجل الهندي المسلم هو : (النواب ناصر علي خان اللاهوري) الذي إشترى أراضي في مقاطعة البهادلية وبنى في الأرض قصراً سمي بـ (قصر الهندي). فقد إبتاع من الحكومة العثمانية هذه الأراضي التي كانت تتصل بـ (هو السليمانية)، وبإتصالها بهذا الهور فقد كان يتكرر ركوب الماء على هذه الأراضي وقد حاول مراراً أن يمنع عنها الماء فلم يفلح. وهور السليمانية كان يتصل بهور اللايح وهو السيب وهذه الأهوار تتصل بمستنقعات طويريج التي كانت تسمى هذه المستنقعات بـ (هور الهندية).

(٢) تم الإعتماد على ترجمة المرحوم الأستاذ جعفر الخياط لرحلة المس بيل المنشورة في موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء، وتم النقل بتصرف عنه.

رحلة (محمد هارون الحسيني الزنكي بوري) لكربلاء

في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م زار الرحّالة الهندي محمد هارون الزنكي بوري العراق قادماً إليه من بومباي في الهند عن طريق البحر ووصل إلى البصرة، ومنها بواسطة مركب نهري وصل إلى بغداد، وحال وصوله إليها توجه إلى الكاظمية لزيارة الإمامين الكاظميين عليهما السلام، ومنها توجه إلى سامراء حيث زار المراقد المقدسة فيها، ورجع إلى الكاظمية، ومنها هيأ نفسه للسفر إلى كربلاء الذي قرر أن يبقى فيها أطول مدة في رحلته ومنها يتوجه إلى النجف، ويعود بعد أيام إلى كربلاء حيث يتهيأ بعدها لإنهاء رحلته ويعود إلى وطنه الهند.

وقد شرع في تحرير رحلته وتدوينها بالكامل في أواخر شوال سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) وفرغ من عمله في السادس والعشرين من ذي القعدة من نفس السنة، وأسماه «**الرحلة العراقية**».

و**محمد هارون الزنكي بوري الهندي** هو علاّمة فاضل وأديب ومؤرخ ومؤلف بارع. ولد في الهند في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م)، في أسرة دينية معروفة ونشأ نشأة طيّبة.. درس الأوليات والمقدمات على أعلام بلده، وعندما زار كربلاء في رحلته العراقية وبقى فيها أربعة أشهر حضر على أعلامها البارزين كما يَذكر في رحلته وأخذ الإجازة من العديد منهم في رواية الحديث ورجع إلى بلده بعد أن زار مشاهد أهل البيت عليهم السلام، وفي بلده (**الهند**) نزل في قرية حسين آباد وإشتغل بالوظائف الشرعية من الإمامة والتدريس والتأليف والإفادة. وترك مؤلفات

ممتعة وآثاراً قيّمة منها الرحلة العراقية وغيرها الكثير.. إنتقل إلى رحمة الله في يوم ١٤ جمادي الأولى سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م)[1].

وعن رحلته إلى كربلاء فقد دوّن محمد هارون مشاهداته وملاحظاته عنها حيث إستقر فيها لمدة أربعة أشهر، وقد إستعرض ذلك في كتابه الموسوم **(الرحلة العراقية)** بإسلوب أدبي رائع، وذكر عن كربلاء وفضلها والمشاهد المقدسة فيها وعن أهلها وأسواقها وأمنها، وأعداد الزائرين الذين يفدون إليها والعلماء الأعلام الذي حضر عندهم وأجازوه بالرواية في الحديث، وعن إهتمام الممثلين الإنگليز من السفير في بغداد أو ممثله في كربلاء وغير ذلك من الأمور... ولأنه كتب الكثير عن كربلاء وغلب على إسلوبه الأدبي البديع طابع الإنشاء المطوّل، فإرتأينا أن نأخذ مما دوّن في كتابه عن رحلته إلى كربلاء الزبدة من النصوص التي أوردها بعيداً عن الإطالة لينسجم موضوع رحلته مع ما ورد من نصوص بقية الرحلات في هذا الكتاب.

الطريق إلى كربلاء

في العشر الأواخر من شهر جمادي الثانية سنة ١٣٢٨هـ توجه محمد هارون إلى المشهد الحسيني (كربلاء) حيث يقول: «**إستأجرت عربانة فرنسية وهي خير مركب للسفر إلى تلك النواحي ولم تكن قبل ذلك من القرون، بل حدثت في هذا القرن، وثمن البطاقة إلى الأرض المباركة كربلاء روبيتان وكسره، ومن الحوادث اليومية ما ظهر من السفير الإنگليزي المقيم في بغداد تعيين عدة رجال لمراعاة أحوال الزوار، السائرين إلى تلك الأقطار، على كل منزل كالكاظمين والمسيب وكربلاء والنجف وغيرها من المنازل الوسطية يتعاهدون أحوالهم، ويحفظون أموالهم، ويراعون فيما يحتاج إليه**

(١) تم الإعتماد في ترجمته على كتاب (الرحلة العراقية) وصف أدبي وتاريخي للعتبات المشرقة في العراق قبل أكثر من مائة عام/ محمد هارون إعداد سماحة الشيخ أحمد محمد رضا الحائري الأسدي (وفّقه الله) ص١٠ ١٢، ط١ بيروت، سنة ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م الصادر من مؤسسة الفكر الإسلامي.

المسافر الغريب، ولا يتركون أن يتطاولوا عليهم من بعيد أو قريب وإلاّ كان الطريق العراقي لا يخلو غالباً من نهب أو سلب، وقتل أو حرب... وأما الآن بحمد الله كل من المنازل وما بينها آمن من كل روع»[1]...

ومما ينبغي أن يذكر أن كل منزل من تلك المنازل، جامع لجميع ما يفتقر إليه الراحل من الماء البارد والقهوة والخبز والبيض والدجاجة المشوية والبطيخ والخيار والرمان وغيرها. مما يساعده الزمان ويطلب كلها بثمن أرخص وسعر عادل لا يحيف أحد في البيع والشراء ولا يخادعون بالتدليس الغرباء، ولا يحتاج أحد إلى التقية في أداء المفترض عليه بل الناس سواسية في قضاء حقوقهم. وهذا من بركات السلطنة الإنگليزية... وسارت المركبة الفرنسية ولازالت تجوب السباسب والفلوات، وتقطع الحزون والعقبات، منزلاً منزلاً وبلداً بلداً إلى أن طلع أبن ذكاء، وأفاضت أشعتها على جميع الأرجاء والأنحاء، وترائى أي سور البلد وحصاره، وقبة المشهد ومناره، والوجد هزّ منّا الأكتاف، والطرب حرّك الأعناق والأعطاف، وكادت النفس تطير شوقاً إلى الحضور وأشرفت الروح تزهق من فرط النشاط والسرور.[2]..

الوصول إلى كربلاء

يذكر الرحّالة محمد هارون لحظة وصوله المدينة وقد أستقبل بحفاوة وكان من المستقبلين الخدّام المكرمين للمشهد الذين إلتمسوا النزول في بيوتهم

(١) نعتقد بما يخص عمل السفير الإنكليزي مبالغٌ فيه، لأن الحكومة العثمانية الذي كان العراق تابع لها وقتها لاتسمح لغيرها بمثل هذا العمل. والطرق كانت مؤمنة بالعسكر الحكومي كما تدل الوثائق والمصادر.

(٢) الرحلة العراقية/ محمد هارون ص٨٩ ٩٢.

وفيهم السيد عبد الحسين الحائري[1] والشيخ هادي حسين الجوينوري وكيل السفير الإنكليزي[2].

ويقول بأنه عزم النزول في بيت (**السيد عبد الحسين**)، وذهب معه وإستراح ساعة، ثم قام مع السيد لزيارة مشهد الحسين عليه السلام، ويذكر ذلك في حديث مسهب عن شرف وفضل زيارة الحسين عليه السلام إلى أن يصف وقوفه في حرمه الشريف فيقول:

«.. **وأنا بتلك الحالة ولا أدري أنائم أم يقظان، وصاحٍ أم سكران، وما أراه طيف أم حقيقة وخيال موهوم، أم واقع معلوم، فراجعت نفسي، وسكنت وجلي، فإذا أنا بروضة أريضة، وجنّة عريضة، وحديقة رائعة، وبقعة لامعة، وفلك مكوكب، ورقيم مذهّب، نزلت الفردوس مع ما بها على الفلاة أم هي تاسع الجنّات، دار وأيّة دار، وحصار وأي حصار، صرح ممرد، وبناء مشيد، بيت الأمن والأمان ومحل نزول الغفران، منه السبيل الواضح إلى الله الكريم، وفيه المصعد إلى المقام المحمود وجنات النعيم، به تحط الأوزار، وعلى أرضه تُقبل التوبة والإستغفار، تشخص فيه الأبصار وتحار فيه الأنظار... هيبة لمن تضمنته تلك الثرى، وعظمة لمن أوته تلك القرى وإجلالاً لمن أجلّه الله فإرتفع، وأغرّه الله فإرتقى، وتفخيماً لشأن من باع نفسه، وبذل مهجته، وفدى بروحه في سبيل الله، وإشترى به رضاه ودار الخلود، ونال به منزلة الشافعة يوم الورود..**»[3].

---

(١) ذكر سماحة الشيخ أحمد الحائري الذي أعدّ الكتاب في هامش ص٩٣ منه أن السيد عبد الحسين المذكور هو المرحوم السيد عبدالحسين آل طعمة الكليدار (سادن الروضة الحسينية)، ولا يوجد ما يؤكد ويشير صراحة انه هو الذي إستقبله وأنزله في بيته، لأن المرحوم السيد السادن وكل سادن كان بمقتضى مهامه إستقبال الملوك والأمراء وكبار رجال الدول وإقامة الزيارة لهم، ولم يكن يتلقب يوماً بالحائري ولم نجد وثيقة له بهذا اللقب. كما ان محمد هارون لم يذكره بصفته، وأن المرحوم الكليدار لم يذكره في كتابه بغية النبلاء. وأعتقد المعني هو السيد عبدالحسين شاه الإشيقر لأنه الأكثر من الخدّام ذو صلة بالهنود.

(٢) هو القنصل الإنكليزي في كربلاء الذي يرعى مصالح المقيمين والزوار الهنود بإعتبارهم رعايا بريطانيين لأن بريطانيا تحتل الهند.

(٣) الرحلة العراقية/ ص٩٥ ٩٦.

ويتحث محمد هارون عن أعداد وجنسيات الزائرين، وعن **(ليلة الجمعة)**[1] حيث يقول بأن الحرم والرواق والإيوان والطاق لا يبقى شبر إلاّ وفيه زائر، وتبقى الأبواب تمام الليل مفتوحة. أمّا في غيرها من الليالي فتغلق وتخمد الشموع بعد مضي ثلث الليل. كما يعدد الزيارات المخصوصة[2] لقبرالحسين عليه السلام حيث يغص البلد بالناس.

ويذكر محمد هارون صوت المناجي في المنارة حيث يقوم بتلاوة أبيات من شعر المناجاة والدعاء إلى طلوع الفجر حيث يؤذن لصلاة الصبح، فما أرتفع صوت المؤذن وقرع الأسماع يقوم أهل البلد من مضاجعهم ويسرعون زرافات وجماعات وفرقاناً إلى الحرمين الشريفين **(الحسين والعباس)** عليهما السلام ويؤدون فريضة الصلاة خلف أحد الفقهاء والمجتهدين.. ويقول بأن جميع أهل كربلاء يحضرون وقتي العشي والأبكار إلى المشهد المبارك فلا تمضي لهم ساعة إلاّ وهم في عبادة الله..

وصف أهالي كربلاء

يقول محمد هارون في وصف أهل كربلاء مايلي:

«**أهل كربلاء كما وجدتهم عند الإعتبار، ورأيتهم لدى الإختبار، والله يعلم بحقائق السرائر والأسرار، أناس أشربوا أفاويق حسن الأخلاق، وأفرغو في قوالب الصدق ولا غراق، متواضعون غير مستكبرين، خافضون أجنحتهم غير مستنكفين، صادقون في**

(١) ليلة الجمعة من كل أسبوع هي الليلة التي يتزاحم الناس فيها لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فغالبية أهل المدينة يؤمون القبر الشريف للزيارة، ويأتي الكثير من الزوار الذين إعتادوا الحضور في ليالي الجمع إلى كربلاء للزيارة من مختلف المدن في العراق.

(٢) الزيارات المخصوصة هي الزيارات المتفق عليها بالإجماع على ثواب الوصول إلى قبر الحسين وتتم الإستعدادات في المدينة لإستقبال الآلاف من الزائرين بل وصلت الآن إلى الملايين، وتكون أوقاتها معروفة والزيارات هي: العاشر من محرم والأربعين (٢٠ صفر) والأول من رجب ومنتصفه و٢٧ منه وزيارة النصف من شعبان وزيارة عرفة، وزيارة العيدين.

المواعيد، عادلون بين القريب والبعيد، سيما أهل السوق من كل صنف وطبقة، من أولي التجارة والصفقة، إذا كالوا المبتاعين يوفون، وإذا إكتالوا عليهم لا يَخسِرون ولا يُخسَرون، يقبلون على الغريب بوجه طلق، ولسان ذلق، وكلام ليّن، وخُلق هيّن، لا يخادعون في المعاملة، ولا يقاطعون في المواصلة، إذا أتيتهم في بيوتهم قاموا إليك ورحبّوا، وقبلوا الرأس والعين ثم قدموك وتأخروا، أكرموا مقدمك، وإغتنموا لديهم مجتمعك... وأكثرهم أهل الصناعة والحرفة، محترزين فيها من الخدعة والقرفة، وأهل الزراعة والتجارة، من دون فرق بين البداوة والحضارة، معايشهم بكسب الحلال، وهو يغنيهم عن الطلب والسؤال، مع تمام المحافظة على الأحكام الشرعية، ومراعاة القواعد الإسلامية، بارك الله في إكتسابهم، وكان لهم في مبدئهم ومآبهم»[1].

ويظن محمد هارون: «**أن عمرانات كربلاء تحيط بها أربعة أميال مرتفعة، وتجمع بين نيّفاً ومئة ألف من العرب والعجم وأهل الهند والسند وغيرهم**».

رواية عن أحد الأولياء والسلطان العثماني

ينقل محمد هارون رواية غير صحيحة كان البكتاشيون من المتصوفة ينقلونها وهي بعيدة عن الحقيقة بأن قبر الحسين كان في الفلاة لا يسكنه أحد غير أحد الأولياء وكان إسمه (**كداء شاه**) الذي كان يسرج الشموع على القبر كل مساء ويختبئ في مكان مجاور للقبر، وجاء سلطان الروم (**الأتـراك**)[2] ووجده من الأولياء وطلب منه الدعاء لإبنته المريضة، وجاء إليه بتراب من القبر فأعطاها لإبنته التي ما إن أكلته شفيت من مرضها، وسأله عن حاجته وهو وحيد في هذا

(١) الرحلة العراقية/ ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) يقصد به السلطان سليمان القانوني، لأن السلطان سليمان هو الذي حفر نهر الحسينية، فإن هذه الرواية غير صحيحة وكانت من بناة أفكار المتصوفة البكتاشيين الذين كانوا يتناقلوها، مع العلم أن اول سلطان رومي (عثماني) إحتل العراق وزار كربلاء وحفر نهراً فيها هو سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، بينما كانت كربلاء قد مُصّرت قبله بعدة قرون وكانت حينها حاضرة والتاريخ يذكر ذلك بالتفصيل.

المكان، فقال للسلطان لاحاجة لي بل المنطقة تحتاج إلى الماء، فإستجاب السلطان له وأمر بحفر النهر، ولما سمع الناس بذلك قاموا بمجاورة المشهد الحسيني وبنوا البيوت وغرسوا البساتين وعمّروا الأسواق حتى صار الموضع بلداً عظيماً كما هو الان!!.

بناء الضريح المقدس

يقول محمد هارون: «**أن القبة المشرفة الحسينية شرّفها الله وعظمها، ورفع إلى السماء بنائها وأدعمها، طالما دارت عليها الرحى، من أيدي العدى، وكثيراً ما تعاوره الإنمحاء، من تعسف الأدعياء، ولكن دار رفع الله سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها..**»[1].

ويذكر محمد هارون الحالات التي مرّت على قبر الحسين من تعمير بدأ سنة ٦٤هـ وسنة ٦٦ هـ على يد محمد بن إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي[2]، كما ذكر الهدم الذي قام به المتوكل العباسي سنة ٢٤٧هـ وإعادة بناءه بعد مقتل المتوكل، وذكر تعميرات بني بويه والصحن الصغير، وما قام به إسماعيل الصفوي وكذلك ناصر الدين شاه من ملوك الدولة القاجارية[3].

---

(١) الرحلة العراقية/ ص١١٢.

(٢) في الحقيقة أن بناء أول عمارة على القبر الشريف كانت سنة ٦٥هـ وقد أختلف عن إسم الشخص الذي قام بها، ولاصحة لما نقله محمد هارون عما قام به محمد بن إبراهيم المذكور، ولهذا الموضوع مكان آخر يمكن بحثه.

(٣) ركّز محمد هارون في التعميرات على البويهيين وإسماعيل الصفوي وناصر الدين شاه، وفي الحقيقة أن عمارة المشهد الحسيني مرّت بعدة أدوار لم يذكرها محمد هارون في رحلته وقد جاء وصفه عن تعميرات المرقد الشريف بصورة موجزة تدل على عدم درايته الكاملة في هذا الموضوع من جانب، ومن الجانب الآخر تغافل بسبب مذهبي عن الأعمال التي قام بها غير ملوك إيران، ولزيادة الإطلاع يمكن الرجوع إلى كتابنا (كربلاء.. التاريخ والقداسة) ففيه شرح مفصل عن تاريخ عمارة المشهد الحسيني الشريف.

إنارة المرقد الشريف

وعن إنارة المرقد الطاهر للإمام الحسين عليه السلام يعطي الرحالة محمد هارون وصفاً جميلاً في وقت لا يوجد (الكهرباء) فيه وإنما كانت الإنارة بالشموع فيقول:

«وفي كل ليلة توقد الشموع والزجاجات والمصابيح وسط الحرم وحوله ما ينيف على خمسمائة وفيها الفتائل الشمعية الطويلة في طول ذراعين أو أزيد على مشامع كبيرة أنه يرتفع حيناًعلى قامة الإنسان ولعلها في العداد عشرون أو ورائه.

ولا ينقص ثمن كل واحد منها من نصف روبية إنكَليزية وأما ما سواها من الشموع الصغار فأزيد على أن تقيسه الأفكار، وأعجب حالة وأشدها أثراً في النفوس ساعة الإيقاد عند الغروب، وهو مما يأخذ بمجامع القلوب، فإن عدة رجال مخصوصين، وبعضهم من خلفاء ددا شاه (البكتاشيين) قدوة الموقدين المسرجين، يأتون أولاً إلى مرقده الشريف، الواقع خارج القبلة من المشهد المنيف، ويوقدون الشمع عند رأسه، ثم يغمرون أن ينبو على أساسه، فيخرجون من عنده وهم جماعة تشتمل على صفين، حتى ينتهون إلى قبال ضريح الإمام الحسين عليه السلام ليه صلوات رب المشرقين فيصفون بكمال التعظيم والإجلال، ويقومون بغاية الخضوع كما يقوم الخدمة بين يدي الإقبال، وفي أيديهم شموع طويلة موقدة، وفتائل كبيرة مصطحبة، ويتكلمون بكلام خفي لم أفهمه لعدم سماعها ولعلهم يستأذنون المولى في إشماعها، ثم يتقدم كبيرهم على سكون ووقار، وذل وصغار بين يد الإمام البار، ويتبعه الآخرون، وظنّي أن عددهم عشرون، فيضع الكبير أولاً شمعة بيده في المشمعة، وبعده أصحابه ثم يأخذ الخدام في إصطباح القناديل المعلقة، وإسراج المصابيح المؤتلقة، ومصرفها بالظن والتخمين ما يبلغ في كل شهر مئتين، ولا يعرف صاحبه بالعين، إلاّ أن يقال: أنه من خزانة مشرقين، بضياء النيّرين...»[1].

(١) الرحلة العراقية/ ص١١٦ ـ ١١٧.

إدارة الحرم

وعن إدارة الحرم الشريف الشريف يقول محمد هارون في رحلته:

«الضريح المقدس كأنه عرش ملك قوي نافذ الأحكام، والملك متمكن عليه في وجوه المملكة من الأعيان والأشراف والحشدة والخدام، يأمر وينهى، ويدني ويقصي، ويحكم ويقضي، ويمنع ويسدي ويعذّب ويجزي ويؤاخذ ويغضي. وعساكره محيطة به من كل جانب، والخول والغلمان والعبيد والقيان، والفراش والبوّاب والكنّاس والحجّاب، وحفظة الخزائن وناظورة الديوان، والوزراء والأركان، والكليدار[1] والكفشدار[2]، كلهم في تأدية فرائضهم حاضرون، وعلى محالهم قائمون، بأعمالهم مشتغلون، بأورادهم ماضون في وظائفهم ساكتون لا يتكلمون... وأمّا الكليدار أي صاحب المفاتيح فلا يكون أبداً إلاّ رجل عابد زاهد، خاشع خاضع ورع مجاهد، وبيده فتح الأبواب وغلقها فإذا مضى ثلث الليل نادى: يا الله، يا الله هو وبعض حواشيه وهو كلمة الإخبار بأن ساعة الرخصة قد حانت فروّحوا يا زوار إلى منازلكم، وإنهضوا إلى معاقلكم، ثم إذا بقى ثلث الليل ودخل وقت المناجاة، إلى ذلك الشريف المعتمد، وإستأذن الإمام المؤيد، المولى صاحب المرقد، عليه سلام الله الأحد الصمد.

ثم فتح الأبواب كلها من:

١. باب الصافي[3]،

٢. باب الزينبية،

٣. باب السدرة

٤. باب القبلة

---

(١) الكليدار: كلمة غير عربية ومعناها صاحب المفتاح، وهو ذاته (السادن) الذي يدير المرقد المقدس.

(٢) الكفشدار: كلمة فارسية تعني (الكشوان) وهو المسؤول عن حفظ أحذية الزائرين في مدخل الحرم، وفي الروضة المطهرة عدة كشوانيات تقع في مداخل الحرم العديدة.

(٣) باب الصافي: هي باب الشهداء التي تقع أمام جامع الصافي الذي سميت به وهي المدخل من الصحن الصغير (مقابر البويهيين) إلى الصحن الشريف.

٥ باب قاضي الحاجات،

٦ باب الرحمة[١]،

٧ باب السلطاني وغيرها[٢]»[٣].

وعن خزينة الحسين عليه السلام وتسمى بالخزانة التي تحفظ فيها النفائس الموقوفة للحرم الشريف، يقول:

«.. **وخزينته تحتوي على أغلى الجواهر والإعلاق، ويشتمل على التيجان المكللة بيواقيت وزبرجد وغيرها ذوات لمعان وإئتلاق، وفيها سيوف مرصعة، وأستار مزرقشة، ومصاحف مذهبة، وقناديل إبريزية، وحقاق فضية، وغيرها مما لا يعلم حالها إلاّ هذا الديوان، ولا يمكن أن يدخلها إلاّ سلطان أو مقرّب من سلطان**»[٤].

ويصف محمد هارون عمل الكشوان وأهميته في الروضة، حيث يقول أنه بمنزلة الحاجب على أبواب الملوك، يراعي نعال كل غني أو مفلوك.. وانه لا يشتبه عليه أمر النعال مهما كان عدد الداخلين والخارجين للحرم..

وصف البقعة

وبعد ذلك يصف البقعة (أي كربلاء) بقوله:

«**ولا غرو فإن البقعة التي قانونها غير قوانين الأراضي الأخر، وأمرها غير أمر الأصقاع المسكونة للبشر، وأهلها غير أهل البلاد أحوالاً، وعبادها غير عباد الأمصار أطواراً أو مالاً شأنها أرفع، ومكانها أعزّ مكان، أهويتها غير أهوية الأمصار، ووديها فوق**

(١) باب الرحمة: هي ذاتها باب الرجاء الواقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من الصحن الحسيني.

(٢) هناك ثلاثة أبواب اخرى لصحن الحسين وهي: باب الكرامة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من الصحن، وباب السلام الواقعة في منتصف الضلع الشمالي للصحن الحسيني وقد فتحت من (إيوان الوزير) وتسمى في بعض الأحيان بباب الوزير، والباب الثالثة هي (باب الرأس) الواقعة في منتصف الضلع الغربي من الصحن بين بابي السلطانية والزينبية.

(٣) الرحلة العراقية/ ص١١٩ ـ ١٢١.

(٤) نفس المصدر ص ١٢٠، والخزانة تُسجل بذمة السادن أو من يتولى السدانة بعده بجرد رسمي دوري للحفاظ عليها من التلاعب والتلف، وتسلّم إلى السادن بمحضر رسمي ليكون مسؤلاً عنها.

أودية الأقطار، ولو ظهرت عليها مثل تلك الآثار، وأودعت فيها أمثال هاتيك الأسرار، لا يستبعده من أشرب من كأس اللب جرعة، ولا يستنكره من خرج بإسمه في ديوان العرفاء قرعة»[1].

أسواق كربلاء

وعن أسواق كربلاء فقد سرد محمد هارون بشكل مسهب طبيعة الأسواق وتعامل الناس ونوعية البضائع المتوفرة والعملات المتداولة وندعه يقول:

«أسواق البلد قائمة على قسطاس مستقيم، ومتوازنة على ميزان عادل قويم، عامرة بكل ما يفتاق إليه باد أو حاضر، أو مقيم أو مسافر، من جميع الحبوب المأكولة المطلوبة، والثمار الجنية المجلوبة، وفواكه مقتطفة، للقلوب مختطفة، من التمر بجميع أقسلمه المختلفة، والأعناب بكل ألوانها المتشابهة الموتلفة، والخوخ والرمان، المزرى عقده على عقد المرجان، والتين والزيتون والتفاح والسفرجل والكمثرى والنارنج والأترج المجتلبة من الغصون، وغيرها من أنواع ما تخرجها من الثمار الآخذة بالقلوب الجالبة للعيون.

وأصناف البقول والعقاقير الطرية والخيار، والبطيخ والهندوانج وما شاكلها من الأثمار، والأعجب وجدناها في كل فصل وشهر، وجميع أوقات أيام الدهر، وهكذا أنواع اللحوم من الشاة والبقر والكبش والجاموس والدجاجة والفروج، والقبج والتيهوج، والبيض المشوي وغير المشوي وخبز الخبيز والفطير ولحوم السمك المقلية والخيلن الطرية.

وهكذا أنواع الثياب الفاخرة من الخز والسنجاب والحرير والديباج، والأطلس المطرزة وغير المطرزة والبرود اليمنية، والأكسية العراقية، والقمص الحجازية، والسراويل الهندية، ما يقي من البرد والحر، ويحفظ من القيظ والقر، وما يناسب أحوال

(١) الرحلة العراقية/ ص ١٢٤.

جميع الناس من الفقراء والأمراء، والأقوياء والضعفاء، والكسبة والمثرين، وأهل المسكنة والمترفين.

والأبواب للبيع والشراء مفتوحة غالب الأوقات، والشوارع مسلوكة في جميع الأزمان والآنات، مأمونة عن النهب وشن الغارات، مصونة من الآخذ والسرقات، وفي غير شهر الصيام تسد الأبواب بعد مضي الثلث من الليل وأمّا فيه فلا في الليل ولا في النهار، بل الناس مختارون في المعاملة من دون إكراه ولا إضجار، فهل تجد أيها الناظر في كتابي، المصغي إلى خطابي، مثل ذلك في قطر من الأقطار، أو تظن أن ترى ما يضاهيه في مصر من الأمصار، لا بل تتوهم، فأعتبر ياأخي وتفهم وأذن، فهو من خصائص تلك الأرض الطاهرة، وعجائب هاتيك الساهرة، فأسرع إليها بالعجل، وإسع في المشي وترهول، وإضرب أبساط الآبال، ونادي بالترحال، وإغتنم المهل، ولا تلقى أمرك في أيدي الأمل وتطع الليت واللعلّ.

فإنك إنما تسافر حيّاً إلى الجنان، وتقيم في رياض الرضوان، تسمى في الخلد وأنت مشهود في الأعيان، وتغدو وتروح في نعم الله وأنت حي يقظان، فوالله لو جبت البلاد، وأتيت التلال والوهاد، وقطعت الفلوات، قاسيت العقبات، وسرت شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وبلاداً وقرى، وسهولاً وحزوناً، وجزيرة ومِصْراً، وركبت ظهر المحيط الأعظم، وطفت حول العالم، لا ترى والله ما يشاكلها من منزل، ولا تبصر ما يماثلها من موئل، في جميع ما يناسب الحياة الدنيوية، والإحتواء على ما يلزم للمراحل الأخروية، ومع ذلك كلّه فهي سهلة المآخذ، متيسرة المنهج، لا عُسر في طريقها ولا حرج، ولا أمت في شرعتها ولا عِوج، بل قدر المساعي إليها الفوز والفرج، وثواب حج بل الحج، فطوبى للمقبل إليها ثم طوباه، وما أولاه»[1].

وعن أسماء النقود المسكوكة والمتداولة في أيام رحلته وكذلك الأوزان فيذكرها محمد هارون ويعددها كما يلي:

(١) المصدر السابق/ ص١٢٥ ـ ١٢٨.

النقود المسكوكة المتداولة: (**ليرة**) وهي سكة عثمانية توازي العملة الإنكليزية. (**مجيدي**) عملة عثمانية مسكوكة بإسم السلطان العثماني عبد المجيد. (**بِشلُق**)، عملة عثمانية. (**منكة**) وهي سكة إيرانية توازي من ٨٩ ليرة إنكليزية. (**قِران**)، عملة إيرانية توازي ٤ إنكليزية. (**قران عثماني**)، توازي ٣ إنكليزية. (**قمري**) عثمانية توازي ١ إنكليزية. (**قمري إيراني**) توازي ١ إنكليزية أيضاً. (**نصف قران عثماني**)، و(**شش فلوس**) إيرانية، و(**قروش**) ورقة شاهي متليك سكة نحاسية، واخيراً (**بول**) سكة إيرانية قد يوازي منها الثمانية للقمري وقد يوازي إثنا عشر منها، الشذوذ يرقى إلى ثمانية عشر.

أمّا الأوزان السوقية التجارية فهي كما يذكر: شش نخود، درهم، مثقال، أوقية[١] نيم اوقية[٢]، حقة[٣]، مَنْ[٤]، وزنة[٥]، تغار[٦] وتساوي عشرين مَنْ على ما سمعناه من بعض أهل المعرفة بها والله أعلم[٧].

اللغات واللهجة الدارجة في كربلاء

يقول محمد هارون عن كربلاء بأن: «**أهلها في الأغلب يعرفون جميع الألسن من العربية والفارسية والتركية والهندية وغيرها، ويتكلمون عند الحاجة إليها، ولذلك يسهل الأمر على أهل جميع الأقطار البعيدة النازلين بها، ولكن الغالب على أهل نينوى**[٨]

(١) أوقية: تعادل كيلوغرام واحد.

(٢) نيم أوقية: نصف كيلوغرام.

(٣) حقة: تعادل ٤ كغم.

(٤) مَنْ: تعادل ٢٥ كغم.

(٥) وزنة: تعادل ١٠٠ كغم.

(٦) تغار: أو كما يطلق عليه العامة (طغار) يعادل ٥٠٠ كغم، أو نصف طن، وفي بعض المناطق يتعامل التجار بالتغار على أنه ٢ طن أي ٢٠٠٠ كغم.

(٧) الرحلة العراقية/ ص١٢٨ ١٢٩.

(٨) أهل نينوى يقصد بهم أهل كربلاء، لأن إحدى تسميات كربلاء كانت (نِينَوى) وهي من قرى كربلاء القديمة، مثل ما كانت تسمى (الغاضرية) أو (شاطئ الفرات) وغيرها.

لسان الفرس... ومع ذلك فلسان العرب المتداول في العراق، المتدائر على ألسن أهل الأسواق، مغشوشة غاية الإغتشاش، للحسن الواقع في الألفاظ من التغيّر والتبديل والتحريف، والنقص والزيادة والتخفيف، ولذلك يتعسر الفهم على الأجانب»[1]....

ومن أظرف ما ذكره في موضوع اللهجات حيث أورد أمثلة عن بعض الكلمات التي تتداول بالعربية العامية في المدينة ومنها:

(جِبتْ) أي جئت به، (أگل لَك) أي أقول لك، (شْگلت) أي شيء تقول، (جاب) جاء به، (روح) إمضي، (فوگ) أي فوق، يقول أحد منهم: (إصعد فوگ) أي إصعد فوق السطح، (أگعد) أي أقعد، (جاسم) أي قاسم، (كبر) أي كبر تكبيراً، (چبير) أي كبير، (شنْهُ) أي شيء هو، (شِسْمَك) أي ما إسمك، (گوم) أي قُمْ، (سوگ) أي سوق، (أبو فاضل) أي أبو الفضل العباس، (مِنّا) أي من هنا، وقد يقول القائل: (إنْطاك) أي أعطاك، وهكذا من محاسن لسانهم تركوا الإعراب الصحيح المرة، فكلما لحنت في القول يستأنسون بك، ويأوون إليك، وإن أعربت بالفصيح هربوا منك ويضحكون عليك، فالعارف باللسان العربي الفصيح لو عاشرهم شهر أو شهرين، متأملاً في مستعملاتهم يتمهر بين اللسانين، أما المتوحش منهم والهارب عنهم فلا يعر لسانهم، وإني وجدت أكثر أهل الهند يتكلمون مثل الأعراب، ويحاورونهم في لسانهم بلا إرتياب، في العرب عرب وفي العجم عجم كأحد منهم ولا ريب أنه أحسن لتسهيل الوصول إلى المرام وإزالة البينونة بين الأقوام[2].

يذكر بعد ذلك الرحالة محمد هارون في عجائب كربلاء ويعدّها بخمس وهي: سعر البضائع والأشياء متساوٍ في كل الأوقات، في أيام الزيارات

(١) الرحلة العراقية/ ص١٣٠ ١٣١.

(٢) المصدر السابق/ ص١٣١ ١٣٢، وعلى ضوء ذلك لا بد من القول بأن مدن العتبات المقدسة يفدها الزائرين من مختلف الأقطار، فتجد أهلها وخاصة العاملين في المراقد المقدسة أو أصحاب المحلات يتكلمون عدة لغات، ومن حديث محمد هارون عن اللهجة العربية العامية نستدل على أن اللغة العربية هي السائدة في المدينة بعكس ما يتناقله البعض.

المخصوصة وفي الأيام العادية، فهي لاتعتمد مبدأ كمية العرض وزيادة أو نقصان الطلب عليها.

وكفاية ما في البلد على حسب الضرورة البلدية من الطعام والشراب وغيرها، حيث أن المواد موجودة دائماً.

وأن الماء العذب متوفر دائماً حتى إذا جف نهر الحسينية في الصيف، ففي كربلاء الآبار التي لا تنضب وتكفي أهل البلدة والأعداد الغفيرة من الزائرين. وهذا البلد الذي يزوره الآلاف في المواسم، فليس هناك عسكر فيه ولا ناظم ولا زاجر وآمر، ولا رادع ولا كالئ، ولا عين ولا راصد ولا حارس وجار، ولا داع ولا طارد.. أي أن المدينة تعيش في أمن تام والكل مشتغلون بشأنهم.

وأخيراً فإن مشهد الحسين ومرقده قد يراه الإنسان يتسع إلى ألف أو ألفان، ولكن تجده في بعض الأوقات يتسع إلى مائة ألف أو يزيد، فيقدر محمد هارون إن تلك الحالة هي معجزة، وما هي إلاّ من قبيل الشرافة والجلالة..

ويصف محمد هارون موضوع المراثي الحسينية والمجالس التي تعقد في الصحن الحسيني الشريف فيقول:

«ولكني ما حضرت في ساعة من ساعات اليوم إلاّ ورأيت ذاكراً بين القوم، بل وعدة ذاكرين بين أقوام، متفرقين فبعض يذكره بالفارسية، وبعضهم يرثيه في العربية والآخر يصف أحوال شهادته بالتركية، ومثله بكلمات حجازية وأناشيد عانية، والخامس بأبيات أعرابية في بحور إختراعية، والسادس بأغاني مصرية، أو أصوات سوقية وعلى هذا القياس في كل زاوية من زواياه، ذاكر مشتغل بذكره عليه السلام على مقتضى رضاه، ثم بعد كل صلاة من الفجر والزوال والعشاء، إذا فرغ الإمام (إمام الجماعة) عن الأوراد والدعاء، قام ذاكراً بين يدي الصفوف، وأخذ يذكر أحوال الشهيد عليه السلام الملهوف، وأبكى الحاضرين، بكلامه الرقيق وصوته الحزين»[1].

(١) الرحلة العراقية/ ص١٤٠ـ ١٤١.

ويذكر أيضاً كثرة الوعّاظ وهم على أصناف ويسميهم (**مسئلة كو**)، فمنهم يختص بالنساء فيعظهن بما فيه صلاحهن، ومنهم من يعض الرجال بعد صلاة الجماعات، ويخبروهم بالفرائض والمندوبات، وبما فيه صلاح الدنيا والدين.

حوزة كربلاء

وعن حوزة كربلاء في أيام رحلته فقد ذكر بأن مدينة كربلاء كانت محطاً لفحول الفقهاء وموطناً لخيار العلماء ومورداً للطالبين الأذكياء، وهي منزلاً للتعلم والتعليم، ومحلاً للدراسة والتفهيم.. وذكر من علماءها السيد محمد باقر الطباطبائي والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ محمد حسين المازندراني، والسيد حسن الكشميري الحائري، والشيخ محمد المهدي الكشميري الحائري، والسيد مرتضى الهندي، والميرزا محمد الهندي الحائري، والسيد باقر الهندي الحائري، والملا محمد باقر الإصفهاني[1].

(١) نفس المصدر/ ص١٤٥ ـ ١٥٦. ونجده قد ركّز في الغالب على العلماء الهنود في كربلاء، وقد أخذ من بعضهم الإجازة، مثل ما ركّز على إثنين من الخطباء الهنود في موضوع حديثه عن المراثي الحسينية، ولم يتطرق إلى الكثير من الأعلام الذين كانوا يتصدرون الساحة وقتئذٍ.

الرحلة الثانية للمس بيل إلى أطراف كربلاء

في أوائل سنة ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ زارت (**المس بيل**) الضواحي القريبة من مدينة كربلاء من جهة البادية. فكان مقدمها من سوريا أيضاً بمحاذاة الفرات، فمرّت بكبيسة وهيت والرمادي، ومن هناك قصدت الرحالية وشفاثة (**عين التمر**) ومنه وصلت إلى قصر الإخيضر في ٢٨ شباط ١٩١١م.

وكانت ترسل رسائلها عن مشاهداتها في رحلتها هذه بشكل منتظم إلى مراجعها في لندن، ونعتقد بأن زيارتها الثانية التي نُشرت رسائلها فيما بعد في لندن سنة ١٩٤٧م كانت تخص المعلومات عن مواقع البادية والعشائر البدوية المتواجدة فيها.

وزيارتها هذه كانت في فترة حكم والي بغداد (**ناظم باشا**)، والغريب أنها كانت تحمل رسائل توصية إلى بعض شيوخ العشائر البدوية لمساعدتها في مهامها الإستخبارية المشبوهة تلك.

فعندما وصلت إلى (**قصر الإخيضر**) كانت تحمل رسالة توصية إلى (**الشيخ صخيل**) شيخ عشيرة الزگاريط[1] التي هي إحدى عشائر قبيلة (**شمّر**)، فخفَّ

(١) عشيرة الزگاريط هي من عشائر قبيلة (شمّر) القحطانية ومن (عبدة) أصلاً. وهم بدو رحّل يتمركزون بالقرب من مدينة كربلاء منذ زمن طويل. ومناطقهم بالقرب من قصر الإخيضر بين كربلاء وعين التمر. وقد إستقر الكثير منهم في منطقة (الشعيب) الواقعة بين الإخيضر ومنطقة منحدر (الطار)، ولقربهم من كربلاء فإن إرتباطهم بها كبير. وكثيراً منهم الآن قد إنتقلوا من طور البداوة إلى إمتهان الزراعة في البساتين التي عمّروها قرب كربلاء. كان شيخهم الذي إستقبل المس بيل هو (صخيل بن طلاع)، وإنتقلت المشيخة بعده إلى ولده (طلاع) ومن ثم إلى حفيده (برع) المتوفى=

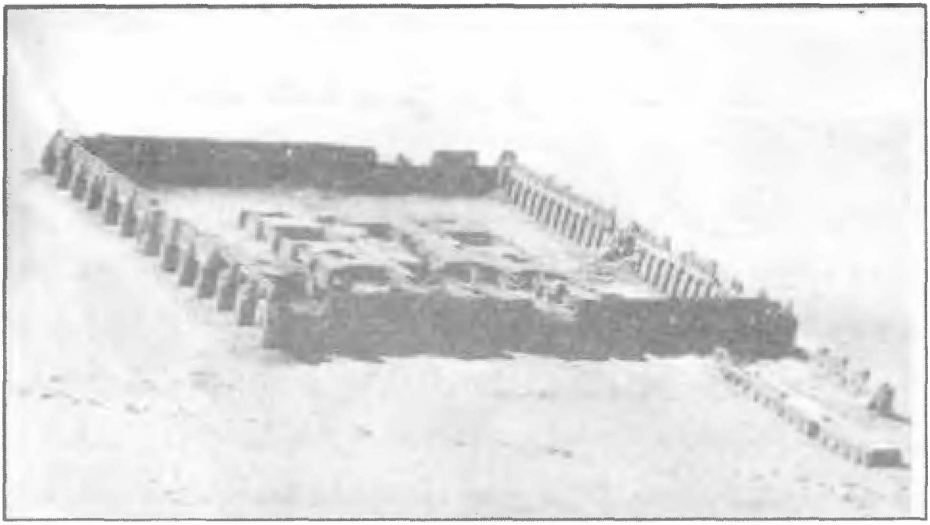

الإخيضر[1]. فقد بادرت برسمه وتخطيطه قبل أن تعود إلى مخيمها. كما تقول بأن مقلع الأحجار التي شُيّد بها الإخيضر فيقع على مسيرة ساعة في الجهة المقابلة. وقد رسمت خارطة دقيقة للإخيضر وتقول عنها أنها أول خارطة للحصن **(القصر)** رُسمت، ونعتقد عدم صحة ذلك، لأن الإخيضر حضي بإهتمام الكثير من علماء الآثار قبلها.

وعندما غادرت موقع الإخيضر كانت وجهتها إلى بابل ومنها إلى بغداد، فسلكت طريق البادية نحو الشرق فتقول بأنها وبعد مسيرة أربع ساعات، مرّت بأول أثر من الآثار القديمة يقال له **(مجده)**[2]، وهو برج مدور مشيّد بالآجر تشييداً دقيقاً.

---

(١) الأراضي القريبة من حصن الإخيضر هي أراضي كلسية، يستخرج منها حجر الكلس الذي يستخدم للبناء، ويدخل هذا الحجر في عدة صناعات إنشائية مثل صناعة الجص والنورة والإسمنت فيما بعد ويستخرج من المنطقة أيضاً الحصى والرمل المستخدم لأغراض البناء.

(٢) هي منارة (الموجدة) من المواقع الأثرية التي لازالت قائمة لحد الآن بالقرب من مدينة كربلاء هي منارة الموجدة. تقع هذه المنارة في الجنوب الغربي من كربلاء بمسافة ٤٠ كم، والوصول إليها يكون على يسار طريق كربلاء ـ عين التمر، وتبعد عن كهوف الطار حوالي ١٤ كم.

سميت هذه المنارة بالموجدة (موقدة) وهي كلمة تعني إيقاد النار في أعاليها ليلاً لإرشاد الضالين في الصحراء المترامية الأطراف، وعند رؤيتهم للنار المستعرة والتي ترى من مسافات بعيدة ليلاً يتجه إليها المسافرون والقوافل. كما إنها تقع على هضبة عالية في منتصف الطريق بين خان العطشان الذي يبعد عنها ١٠ كم جنوباً، وبين حصن الإخيضر الذي يبعد عنها ١٥ كم شمالاً، وهي مرتبطة تاريخياً مع هذين الصرحين فالواصل إليها أيقن بالوصول إلى أحدهما. ويُعتقد بأن تاريخ بناءها يعود إلى الفترة التي بني فيها خان العطشان لإرشاد القوافل والحجاج، وتأكيد ذلك هو من تشابه مواد البناء المتكون من الطابوق الفرشي والنورة.

أمّا وصف المنارة فهي عبارة عن شكل إسطواني يقوم على قاعدة مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها ١٠م. وقاعدتها مزينة بمنحنيات زخرفية تنتهي بعقود نصف دائرية من الآجر بواقع ثلاثة حنايا في كل ضلع. بعد القاعدة المربعة يبدأ الشكل الإسطواني حيث يمتد إلى أعلى المنارة، ولكنه مختلف في الزخارف الآجرية التي نزيّن كل قسم.

جمال الربيع في البادية. وفي اليوم التالي غادرت المس بيل خان العطشان مستمرة بطريقها إلى بابل.

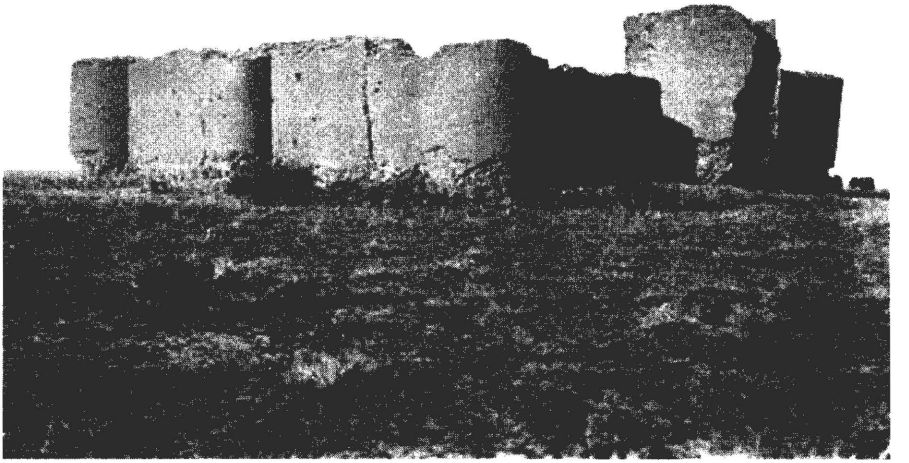

صورة (خان العطشان)

يذكر المرحوم جعفر الخياط الذي ترجم رسائلها المنشورة سنة ١٩٤٧م ما يلي:

«وبعد أن تركت الخان في اليوم التالي مرَّ ركبها بالمخيمات المتروكة التي كان الوفر المتساقط قبل شهر من ذلك الوقت قد خلف آثاره فيها. فقد شاهدت الكثير من جثث الأغنام والحمير منتشرة حولها. وهي تقول إن الوفر يعد شيئاً غير مألوف في تلك الجهات، وأن مدير ناحية شفاثة كان قد قال لها حينما زارها في الإخيضر بأن الناس حينما إستيقظوا في الصباح هناك ووجدوا الأرض مكتسية به ظنّوا أنه طحين منثور.

وبعد أن أكملت رسم خارطة الخان وموقعه توجهت مع الركب نحو نقطة تقارب منتصف الطريق بين كربلاء والنجف بعد أن رخّصت حراسها الزقاريط وإستصحبت حراساً من رجال بني حِسن. وبعد ساعات قليلة من المسير بان للركب برج بابل من

بعيد، ثم إتضح لهم بعد ذلك فصار كأنه قائم في وسط بحر من النخيل المنتشر، وشاهدوا بعد قليل خان الحماد محاطاً بالنخيل من بعيد، غير أنهم إتجهوا نحو خان المصلى فخيموا على مقربة منه. وهي تقول إنه كان محاطاً بعدد قليل من الدور والآبار، وأنهم وجدوا هناك عدداً من الجنود، وأمكنهم شراء الدجاج ومعظم (وسائل الترف) الأخرى على حد قولها الذي تستدركه فتقول أن ذلك ينطبق على القادمين من البادية على الأقل»[1].

(١) كربلاء في المراجع الغربية/ لجعفر الخياط، في موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ص٣١٦.

رحلة (عمانوئيل فتح الله) لكربلاء

هو **عمانوئيل فتح الله عمانوئيل مضبوط**، أديب ورحّالة وتاجر نصراني بغدادي، قام برحلة إلى مدينتي كربلاء والحلة في شهر نيسان عام ١٩١١م (**١٣٢٩هـ**)، ودوّن رحلته هذه ونشرها في مجلة لغة العرب بعنوان (**سفرة إلى كربلاء والحلة ونواحيها**) نُشرت بقسمين، كان القسم الأول منها نشر في الجزء الثالث من السنة الأولى للمجلة الصادر في رمضان سنة ١٣٢٩هـ/ أيلول سنة ١٩١١م، والقسم الثاني نشرته المجلة في شوال ١٣٢٩هـ/ تشرين أول ١٩١١م.

وللحقيقة فإن عمانوئيل فتح الله ذكر في رحلته أموراً مهمة من خلال مشاهداته أولاً عن الطريق وواسطة النقل التي إستخدمها والمناطق التي إستراح فيها في سفره، والقصبات التي مرّ بها للوصول إلى مبتغاه، وفيما يخص كربلاء فقد قدّم شرحاً مفصلاً عن طبيعة المدينة وأسواقها وشوارعها وأزقتها وزراعتها وطبيعة سكانها ومصادر المياه وجوّها ولم ينسى ذكر المنشآت الحكومية والخدمية فيها، وعن المراقد المقدسة المشهورة فيها وعن الوحدات الإدارية التابعة لها من أقضية ونواحي، وبذلك فقد أعطى صورة كاملة تقريباً عن مدينة كربلاء في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي، كانت غاية في الأهمية من زائر غرضه نقل مشاهداته للتعريف بالأماكن التي حل بها ويستفاد من المعلومات التي نشرها كل من قرأ ما نشره ممن لم يعرف عن المدينة الكثير من خصوصياتها.

وفي مقدمة رحلته كتب يقول:

«سافرت في شهر نيسان من هذه السنة (يقصد سنة ١٩١١م) إلى نواحي كربلاء والحلة فوقفت في طريقي على بعض الأمور لا تخلو من فوائد أحببت أن أدونها في لغة العرب لكي يطلع عليها من لم يعرف هذه النواحي من عراقنا فأقول:

نحو عشرين سنة كان السفر إلى الحلة من الأمور الشاقة لما يتكلف المسافر من تحميل الأثقال وركوب البغال وإعداد الزاد وإتخاذ المبذرقة[1] لتخفره من الاعراب المبثوثة في بوادي هذه الأرجاء، أمّا اليوم فتوثير الطريق الواصل بغداد بالحلة وتمهيده أثار في أهل الوطن الغيرة على خير العموم، فأنشأوا شركات عجلات متعددة سهّلت اعظم التسهيل قطع السهول والحزون بدون أن يحصل ما يكدر صفو رحلتهم، اللهم إلاّ في النادر، والنادر لا يقاس عليه».

يبدو أنه غادر بغداد صباح يوم الأول من نيسان سنة ١٩١١م وتحدث عن مشاهداته في الطريق، وما يهمنا هنا هو ما يتعلق بكربلاء منذ وصوله إلى قصبة المسيب، وندعه يصف ما شاهده فيقول:

«.. ثم أتممنا المسير نحو الساعة السابعة فهبطنا (المُسيَّب) فنزلنا من العجلات وعبرنا الجسر، وهذه القرية مبنيّة على ضفتي الفرات، فيها مساكن كثيرة وجامع فيه منارة ثم حجر صحي ودار برق (تلغرافخانة) إلى غير ذلك. وسُميّت هذه البليدة بإسم المسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي بن أبي طالب وخيارهم.. المقتول في عين الوردة سنة ٦٥هـ[2] ولم يدفن فيها وإنما بني له فيها مزار فسمي بإسم المزار. وفي

---

(١) البذرقة والبدرقة: هي الخفارة، أو الجماعة تتقدم القافلة فتحرسها من العدو، والمبذرق: هو الخفير.

(٢) المسيب بن نجبة الفزاري هو أحد الخمسة الذين قادوا (ثورة التوابين) والخمسة هم: سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وعبدالله بن وائل التميمي ورفاعة بن شداد البجلي وعبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي. فقد إجتمع هؤلاء الخمسة وتباحثوا فيما بينهم وذكروا ما دعاهم إليه الحسين عليه السلام من النصرة فلم ينصروه لا بأيديهم ولا بأموالهم ولا بإستنهاض عشائرهم، وقد لاموا أنفسهم لأنهم كانوا قد إستصرخوه وحثوه للقدوم إليهم في الكوفة ولكنهم لم يفوا بما وعدوه، فقد كان إجتماعهم سنة ٦٥هـ وتحادثهم رغبة في رضا الله عنهم ورسوله، وتكفيراً عن عدم نصرته وإتفقوا أن يقتلوا قاتليه ليأخذوا بالثار حتى يرضى الله عنهم حتى لو ضحوا بأنفسهم في سبيل ذلك، وبدأوا بحث الناس سراً للطلب بدم الحسين حتى وفاة يزيد بن معاوية، وعندها جاهروا بشراء السلاح =

المسيب حركة عظيمة لما يختلف إليها من الناس، إذ يُرى فيها كل سنة أكثر من مائتي ألف زائر يأتونها من جميع البلاد عن طريق بغداد ليذهبوا إلى كربلاء. أمّا عدد سكانها فيقدر بستة آلاف نسمة، وكان في نيّة مدحت باشا أن يجعل ممر السكة الحديدية على جسر يركب الفرات.

برحنا المسيب في الساعة السابعة وعشر دقائق، ونحو الساعة الحادية عشرة وصلنا إلى الإمام (عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب) وهو الذي قال عنه في أسد الغابة هو عون بن عبدالله، وإنما عبدالله هو أخوه على الذي نقلناه هو ما سمعناه[1]. وهناك ضريح تظلله قبة معقودة من الحجر القاشاني، فوقفنا هنيهة لنريح دوابنا ثم أسرعنا في السير نحو الساعة الواحدة وكنا نمر ببساتين كربلاء، فإجتازت عجلاتنا تلك الخمائل إلى أن إنتهينا إلى المدينة»[2].

ووصل عمانوئيل كربلاء في يوم الجمعة ٢ نيسان ١٩١١م وكان بصحبته بعض أصدقاءه الذين رافقوه من بغداد، ونتركه يصف ما شاهده فيقول:

= والتجهيزات لحركتهم. وتعاهدوا عند قبر الحسين عليه السلام وإنظم إليهم أربعة آلاف شخص من الكوفة، ومئة وسبعون رجلاً من المدائن وثلاثمئة رجل من البصرة، وتوجهوا إلى الشام للأخذ بالثأر فلاقاهم جيش الأمويين في (عين الوردة) سنة ٦٥هـ وفي معركة غير متكافئة من ناحية العدة والعدد فإستشهد القادة الخمسة ومعهم خلق كثير من أصحابهم.

(١) في الحقيقة هناك إلتباس كبير حول مرقد الإمام عون، فالمرقد يعود إلى شخص تشابه إسمه مع الشهيد عون بن عبدالله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب، الذي أستشهد مع خاله الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء في العاشر من محرم سنة ٦١هـ مع أخيه (محمد) وهما ولدا الحوراء زينب عليها السلام، ومن الذين إستشهدوا يوم كربلاء من آل جعفر بن أبي طالب عمهما عبيدالله بن جعفر الطيار (أخ عبدالله بن جعفر زوج الحوراء زينب) والثلاثة مدفونون في حفرة الشهداء في الحرم الحسيني الشريف. أمّا الإمام عون المقصود والذي قبره بين المسيب وكربلاء هو لأحد العلماء الذي كان يسكن كربلاء وإسمه العلامة السيد (عون بن عبدالله بن جعفر بن مرعي الحسني)، كانت له ضيعة في شمال مدينة كربلاء تبعد عنها ثلاثة فراسخ، وعندما كان في ضيعته وافته المنيّة ودفن فيها، وكان ذلك سنة ٧١١هـ/ ١٣١٢م.

(٢) مجلة لغة العرب (سفرة إلى كربلاء والحلة ونواحيها)/ السنة الأولى ـ الجزء الثالث ـ عن رمضان سنة ١٣٢٩هـ/ أيلول سنة ١٩١١م، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

«وقد سرّنا منظر(كربلا) أعظم السرور، لاسيما (كربلاء الجديدة)[1] أو شهرنو[2] فإن طرقها منارة كلها تنيرها القناديل والمصابيح ذات الزيت الحجري. والقادم من بغداد إذا كان لم يتعود مشاهدة الطرق الواسعة والجادات العريضة أو إذا كان لم يخرج من مدينة الزوراء، يدهش أعظم الدهش عند رؤيته لأول مرّة هذه الشوارع الفسيحة التي تجري فيها الرياح والأهوية جرياً مطلقاً لا حائل يحول دونها كالتعاريج التي تُرى في أزقة بغداد، وأغلب مدن بلادنا العثمانية.

صورة قديمة لشارع العباس (محلة العباسية) أو (الجديدة) في كربلاء، تعود لبداية القرن العشرين الميلادي ويظهر مرقد العباس عليه السلام في نهاية الشارع

(١) كربلاء الجديدة: يقصد بها محلة العباسية التي إختطها وأمر بإنشاءها الوالي المصلح مدحت باشا سنة ١٨٦٩م خارج سور المدينة الجنوبي، بعد أن رأى عدم إستيعاب المدينة لساكنيها وكثرة الزائرين إليها.

(٢) شهر نو: كلمة فارسية من مقطعين، (شهر) تعني (مدينة) و(نو) معناها (الجديد أو الجديدة).

خارطة مدينة كربلاء كما تبدو في أوائل القرن العشرين الميلادي، بقسميها القديم المحاط بسور، والقسم الجديد في جنوبها الذي أمر بإنشاءه الوالي المصلح (مدحت باشا) سنة ١٨٦٩م وفق تخطيط حضري حديث، وحول المدينة البساتين والمناطق الزراعية، ويظهر موقع مجرى نهر الحسينية وفرعيه (نهر الرشدية) و(الهنيدية).

وعند دخولنا المدينة، نزلنا ضيفاً على أحد تجار المدينة هو السيد صالح السيد مهدي الذي كان قد أعدَّ لنا منزلاً نقيم فيه، فأقمنا فيه نهاراً وليلتين. وفي الليلة الأولى خرجنا لمشارفة ما في المدينة مع السيد أحمد (أحد مرافقيه). وأخذنا نطوف ونجول في الطرق فمررنا على عدة قهوات (مقاهي) حسنة الترتيب والتنسيق، ورأينا فيها جوامع فيحاء ومساجد حسناء وتكايا بديعة البناء وفنادق تأوي عدداً عديداً من الغرباء، وقصوراً شاهقة، ودوراً قوراء، وأنهاراً جارية، ورياضاً غنّاء، وأشجاراً غيّاء. والخلاصة وجدنا كربلا من أمهات مدن ديار العراق، إذ أن ثروتها واسعة، وتجارتها نافعة، وزراعتها متقدمة، وصناعتها رائجة شهيرة، حتى أن بعض الصنّاع يفوقون مهرة صنّاع بغداد بكثير، لا سيما في الوشي والتطريز والنقش والحفر على المعادن والتصوير وحسن الخط والصياغة والترصيع وتلبيس الخشب خشباً أثمن وأنفس على أشكال ورسوم بديعة عربية وهندية وفارسية وهندسية.

ولما كان الغد وكان يوم السبت رأينا ما لم نره في الليل فسبقنا وصفه. وكنا نقف عند التجار زملائنا وحرفائنا ومعاملينا الذين نتعاطى معهم بالبيع والشراء.

وفي خارج المدينة نهر إسمه (الحسينية) (بالتصغير) وماؤه عذب فرات ومنه يشرب السكان، إلاّ أن ماءه ينضب في القيظ فتحرج الصدور، وتضيق النفوس ويغلو ثمن الماء، فيضطر أغلبهم إلى حفر الآبار وشرب مياهها وهي دون ماء الحسينية عذوبة، فتتولد الأمراض وتفشو بينهم فشواً ذريعاً كالحميّات والأدواء الوافدة. والأمل أن الحكومة تسعى في حفر النهر وحفظ مياهه طول السنة.

وفي كربلاء مستشفى عسكري ودار حكومة (سراي) وثكنة للجند وصيدلية وحمّامات كثيرة، ودار برق وبريد، وبلدية وقيسريات[1] عديدة. وفيها قنصلية إنكَليزية

(١) قيسريات جمع قيسرية أو كما يطلق عليها العامة (قيصرية)، وهي عبارة عن مجموعة من الدكاكين في موقع واحد يشبه الخان له باب رئيسي واحد كبير، يضم دكاكين يبيع أصحابها سلع ومواد متشابه، مثل العطارين، أو الصاغة، أو الخياطين أو صنّاع الأحذية ومهن أخرى.

والوكيل مسلم، وأغلب رعيّة الإنگليز من الهنود[1]، وفيها أيضاً قنصل روسي وهو مسلم أيضاً من كوه قاف (قوقاسي)، وهيئة كربلاء الجديدة ترتقي إلى مدحت باشا الشهير.

ويبلغ عدد سكانها نحو ٠٠٠ ر ١٠٥ نسمة، منها ٢٥ ألفاً من العثمانيين، و٦٠ ألفاً من الإيرانيين وبعض الأجانب المختلفي العناصر[2]، و٢٠ ألفاً من الزوار والغرباء الوافدين إليها من الديار البعيدة. وليس فيها نصارى لكن فيها عدد من اليهود.

أمّا هواء كربلاء فمعتدل في الشتاء وردي في الصيف لرطوبته، وأمّا في سائر أيام السنة فيشبه هواء سائر مدن العراق بدون فرق يعتد به.

والذي يجلب المسلمين إلى كربلاء هو زيارة الحسين إبن بنت رسول المسلمين، وقبور جماعة من شهداء آل البيت، والحسين مدفون في جامع فاخر حسن البناء فيه ثلاث مآذن وقبتان كلها مبنية بالآجر القاشاني ومغشاة بصفيحة من الذهب الإبريز. وهناك أيضاً ساعتان كبيرتان دقاقتان وكل ساعة مبنية على برج شاهق.

وفي كربلاء جامع آخر لا يقل عن السابق حسناً في البناء وهو جامع العباس وفيه أيضاً مئذنتان وقبتان، وساعتان كبيرتان على الصورة المتقدم ذكرها ووصفها.

وفي هذه المدينة قسم قديم البناء والطرز، ضيق الأزقة والشوارع والأسواق إلاّ أن ما يباع في تلك الأسواق بديع الصنع وأغلب بضائعها تشاكل بضائع بلاد فارس، لاسيما يشاهد الناظر من الطوس من كبيرة وصغيرة من النحاس الأصفر (الصفر)، وهناك سلعة لا تراها تباع في غير كربلاء وهي التُرب (جمع تربة وزان غرفة) وهي عبارة عن قطعة من الفخار أخذ ترابها من أرض كربلاء وجبلت على صورة مستديرة أو مربعة أو

(١) وإلى وقت قريب، بل وإلى الآن يوجد في كربلاء عوائل تحمل الجنسية العراقية وشهادة الجنسية تسجل فيها تبعيتهم الهندية البريطانية.

(٢) يقصد بالعثمانيين هم العرب الذين يتجنسون بالجنسية العثمانية بإعتبار البلد يخضع للدولة العثماني، ومن غير المعقول أن يكون عدد الإيرانيين هو أكثر من عدد سكانها العرب!!، فنعتقد أن ما أورده الرحالة في هذا التقسيم السكاني هو بعيد جداً عن الحقيقة، فكيف أحصى هذا العدد في يومين من بقاءه في المدينة، وقد يكون النقل جاء إليه مقصوداً من مضيفيّه أو مرافقيه.

مستطيلة أو نحو ذلك يتخذها الشيعة وقت الصلاة فيجعلونها في جهة القبلة ويصلون متجهين نحوها.

ومما يكثر في أسواقها الأحذية المختلفة الشكل الفارسية الطرز. وترى في الحوانيت الزعفران الفاخر الخالص من كل شائبة وغش مما لا تجد مثله في بغداد. ولغة أغلب أهل كربلاء الفارسية لكثرة العجم فيها، إلاّ أن كثيرين منهم تعلموا العربية ويحسنون التكلم بها.

ويقسم لواء كربلاء إلى ثلاثة أقضية وهي مركز قضاء كربلاء والهندية والنجف، وإلى سبع نواحٍ وهي ثلاث منها في مركز القضاء وأسماؤها: المسيب والرحالية وشفاثة، وواحدة في الهندية وهي الكفل، وثلاث في النجف وهي: الكوفة والرحبة والناجية.

ولمّا كان نهار الأحد ٤ نيسان نهضنا صباحاً وفطرنا ثم ركبنا العجلات وبرحنا كربلاء في نحو الساعة العاشرة فرجعنا إلى الإمام عون بن عبدالله نحو الساعة الثانية عشرة إلاّ ربعاً، ثم المسيّب، ووقفنا فيها إلى الساعة الثالثة إلاّ ثلثاً، ثم سرنا من المسيّب في الساعة الرابعة إلاّ ثلثاً طالبين الحلة..»[1].

(١) لغة العرب/ ج٤ عن شوال سنة ١٣٢٩/ تشرين أول سنة ١٩١١، ص١٥٦ ـ ١٦٠.

الرحّالة الچيكسلوفاكي (الوا موسيل)[1] وكربلاء

قام الرحالة (**الوا موسيل**) برحلته الثانية سنة ١٩١٢م، وقد إهتم برحلته الثانية هذه على مناطق إلفرات الأوسط، ومنها مدينة كربلاء وما حولها، وكان لوصفه الذي أورده في رحلته هذه عن كربلاء وضواحيها غاية في الأهمية، فقد قدّم دراسة طوبغرافية لحقيقة الحال الذي وجده وذكر مناطق بأسماءها التي لازالت تذكر لحد الآن، مما يعطي إنطباعاً للقارئ الكريم ونحن ننقلها له عمّا كانت عليه كربلاء في أوائل القرن العشرين الميلادي. وسنحاول إقتطاف ما له الأهمية في معرفته عن كربلاء ومشاهداته عن المناطق المحيطة بها.

كان الوا موسيل قد زار النجف في ٢٧ نيسان ١٩١٢م، وسنبدأ بنقل مقتطفات عن زيارته بما يخدم البحث ويستفاد منه القارئ الكريم والمتتبع للبحث، والبداية من مغادرته النجف وإنطلاقاً من (**خان المصلى**) بإتجاه مدينة كربلاء عن طريق البرّ، وقد غادر النجف يوم ٢٩ نيسان وهو يقول:

«**في الساعة التاسعة كان خان المصلى على يميننا. وهو بناء كبير ومستطيل تحيط به جدران عالية من الآجر. ويدعم كل جدار في وسطه برج نصف دائري وينفتح على**

(١) الوا موسيل وهو بحاثة جيكوسلوفاكي ولد في سنة ١٨٦٨م ومارس الحياة الأكاديمية دراسة وتدريساً وأجاد لغات أهل البلاد العربية القديمة وأتقن اللغة العربية قراءة وحديثاً، وفي رحلته حاول العمل على فحص دقيق للمناطق التي عني بدراستها، محاولاً بذلك تحديد موقع المعالم التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية وإقتضاء تحقيق ذلك بعدد من الرحلات إمتدت قرابة عشرين سنة، بدأها سنة ١٨٩٦ إلى رحلته الأخيرة التي قام بها سنة ١٩١٥ التي إرتاد بها بادية السماوة والأطراف الشمالية من نجد، وكانت رحلته إلى كربلاء سنة ١٩١٢م.

الشرق. وقد بنيت اروقة على إمتداد جدران باحته. وتوجد إلى الشرق ثلاثة خانات أصغر مساحة، وبعض المقاهي وأبنية أخرى وقبر...

ورأينا على الضفة اليمنى قرية أم العجه التي تحيط بها مياه (هور بني حسن) وفيما وراءها شرقاً: قرية (الكفل) الكبيرة. وكان عرض الفرات هنا يبلغ نحو كيلومتر واحد تنتشر فيه عدة جزر صغيرة.... وفي الساعة ١٢ر٢٠ بعد الظهر كان الغرب منا (خان جدعان) المهجور وإلى الشرق قرية (المجر) وفيما وراءها الملوية...

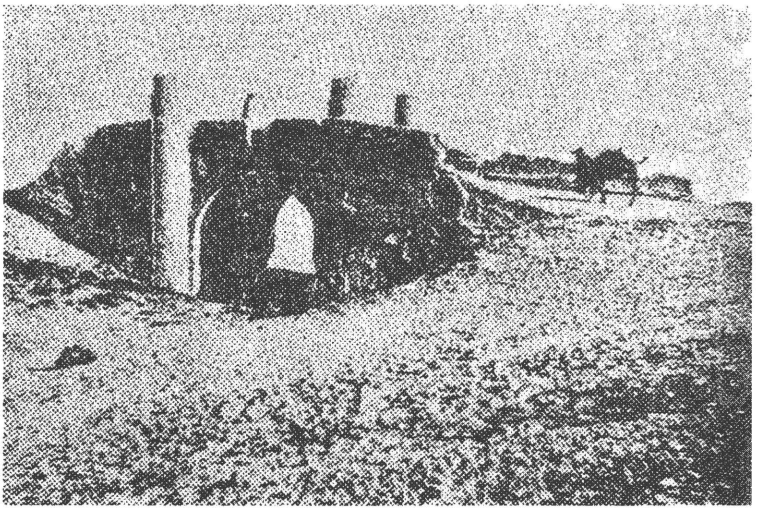

قنطرة فوق نهر كري سعدة المندثر صوّره الوا موسيل

في موضع مقابل لقريتيْ: فليفل وأم الرجي ثم ظهرت للعيان فوق أشجار النخيل من الناحية الشمالية (خرائب البرس)[1]. وعلى يسارنا إمتد من جهة الغرب سهل متموج هو سهل (مرور المحيميد) كما ظهرت بقايا حصن قديم يعرف بـ (إيشان المحيميد)، ورأينا عدداً من أفران كُوَرالآجر المهدّمة.. وشاهدنا مقابل قرية الأجدع مدخل (كري

(١) البرس وهي ذاتها مدينة برس القديمة أو بارسيبا، وفي برس صرح برسي نمرود، وفيها يقال بأن نمرود ألقى إبراهيم الخليل في النار ونجّاه الله منها. (راجع مدينة برس ومدينة كوثى) في كتابنا (كربلاء.. التاريخ والقداسة).

سعدة) وعلى مسافة غير بعيدة شمالاً يقوم (خان زبّار)[1] وهو بناء واسع بأبراج نصف دائرية. تحيط به من ناحية الشرق ثلاثة خانات صغيرة، وعدة مقاهي وأكواخ وبعض البيوت الخربة. وعلى الشمال الشرقي تراءَت أشجار نخيل قرى: المنيضر، أم الهلال، الخميسانية وأَعيلة، وكلها سوداء اللون.

وتبرز (قرية) البرس بصورة واضحة بين نخيل القريتين الأخيرتين، تمثل حين نظرنا إليها من هذا الجانب هرماً منتظم الشكل مع ملحقه... وقد نصبنا خيامنا في الساعة ٥٥ر٤ غربيَّ (البرس) بالقرب من أحد فروع الفرات.

في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٢ بدأنا الرحلة في الساعة ١٥ر٥ صباحاً. فقد أخذت الشمس في الشروق وراء قرية البرس تضرب الخرائب بأشعتها مرساة أعمدة لاتحصى من (النور). ورأينا في سهل (عمو شويج) الأجرد الواقع إلى الغرب، ربوة خرائب (عطشان)[2]، وعندها يتجه الطريق إلى (نيشان السحر) و(خربة الموجدة)[3] مؤدياً إلى (قصر الإخيضر) وإلى شمال نيشان السحر يقع (سهل الزيدي)، وإلى الشرق من هذا السهل تقع مزارع قصر نور والرخيطة، ثم يلي ذلك شمالاً مزرعة الثمانية. وإلى الشمال الشرقي منها توجد قرية أبو رويّة.

وفي الساعة السابعة كانت شرقنا أكواخ (الرجيبة) و(الزبدية)، وما وراءَهما قرية (طويريج) ـ أو كما تسمى رسمياً الهندية ـ وإلى الشمال الغربي منهما قرية أبو عبد عونيّات. وبينما كنّا نسير راكبين في سهل (المجاهيل) صادفنا الكثير

من الزوّار مسافرين على ظهور الحمير في طريقهم إلى النجف. ويكتري الزوّار هذه الحيوانات من رجال بغداد: ينقلونهم إلى كربلاء، ثم يعودون إلى محل سكناهم وهم يحملون مسافرين جدداً، بينما ينقل أهل كربلاء الزوّار إلى النجف، ويعودون إلى

(١) يقصد به (خان الحماد) أو ما يسمّى بـ (خان النص)، والذي يقع في منتصف الطريق بين كربلاء والنجف، وبقربه أنشأت فيما بعد قرية كبيرة، تحولت إلى ناحية تتبع الآن إلى محافظة النجف.

(٢) هو (خان العطشان) الأثري الذي يقع في الجنوب الغربي من كربلاء بمسافة ٣٠كم، وعن المكان الذي يتحدث عنه الواموسيل بعدة كيلومترات غرباً.

(٣) يقصد بها (منارة الموجدة) التي تقع بين خان الطشان وحصن الإخيضر.

مدينتهم ثانية. وفي نظير كراء الحمار يدفع الزائر من ١٥ إلى ٢٠ قرشاً (٧٣ إلى ٩٠سنتاً) لرحلة واحدة.

وفي الساعة الثامنة ظهرت للعيان من ناحية الغرب أجراف سديرة صبخان. وفي ١٠ر٨ بلغنا خان (نزل) إبن نخيلة[١]. وبجانب الخان الكبير توجد ثلاثة خانات أصغر منه.

وفيما وراء خان إبن نخيلة تبدأ بحيرة (هور براز)، وتقع إلى الشرق منه قرى التعبوري، الهنيدية، الزبيلية، والسليمانية. وتمتد إلى الغرب سهول جرداء متموجة، وتعرف بسهول المليحة، والطفحات.

وإلى الشمال ـ الشمال الغربي ظهرت لنا الخطوط العامة السوداء لبساتين كربلاء. وتألّقت القبة الذهبية لجامع سيدنا الحسين. وإسترحنا من الساعة العاشرة إلى الحادية عشرة. وفي ٤٥ر١١ رأينا في الغرب ربوة يقطعها صدع إلى قسمين تسمّى (أبو راسين)، كما شاهدنا أمامنا عدة كُوَر (أفران) لصنع الجص. وفي الساعة ٣٥ر١٢ بعد الظهر دخلنا بساتين كربلاء عند قصر الهندي[٢].

---

(١) هذا الخان هو خان النخيلة والذي يسميه الكربلائيين (خان الربع) وهو أول الخانات الثلاث من كربلاء إلى النجف. وخان المصلّى هو أول خان للقادمين من النجف إلى كربلاء ويسمى عند النجفيين (خان الربع) أيضاً، وموقعه قريب من منطقة النخيلة التابعة للكوفة والتي كانت تتجمع فيها الجيوش خارج الكوفة للتحرك إلى الحرب أيام خلافة الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام.

(٢) قصر الهندي.. يقع في أراضي مقاطعة البهادلية وكان يطلق عليها لفظة (كربله) بتضخيم اللام، ويصلها فرع من نهر الحسينية يسمى كربله، والمنطقة تقع في أقصى الجنوب الشرقي من المدينة، وقصر الهندي، هو القلعة التي بناها «النواب ناصر (نوازش) علي خان اللاهوري» عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م وهو أصلاً من (القزلباش). وكان بناءها ضخماً وسكن فيها أحفاده وهم (آل النواب في كربلاء)، فقد إشترى النواب ناصر علي خان الأرض من الحكومة العثمانية وعمّرها وزرع فيها أشجار النخيل وأنواع أخرى من أشجار الفاكهة. وهذه القلعة لازالت تسمى بـ (قصر الهندي) لأن النوّاب قدم من كربلاء من مدينة (لاهور) وهي عاصمة البنجاب في الهند، وبعد تقسيم الهند فكانت من ضمن أراضي باكستان الحالية، وجاء لقب الهندي على ذلك، كما إن القلعة ظاهرة للعيان إلى يومنا هذا، بينما احفاده سكنوا مدينة كربلاء وهم معروفون بأسرة آل النواب، وظهرت منهم شخصيات لها دور في الحياة الإجتماعية في المدينة.

وبعد مسيرة قصيرة على سهل الملح المسمّى (الحجيمة) وصلنا في ١ر٠٥ إلى المدينة نفسها. ولمّا كان سَدُّ جدول الحسينية قد تهدّم في موضع واحد وغمرت المياه كثيراً من الشوارع، لذا واجهنا بعض المشقة في قيادة جمالنا خلال المدينة لبلوغ بساتين الشمال حيث خيّمنا[١]، في الساعة ٢ر٢٤، بجانب خرائب (أمّ تلّ).

تضم كربلاء نحو ثلاثين ألف نسمة، نصفهم من الفرس[٢]. وأبرز القبائل بين السكان هم: بني سعد، سلالمة، الوزوم[٣]، التهامزة[٤]، والناصرية[٥]. وأغنى الأُسر فيها أسرة دَدَه. فهم حفروا نهر الحسينية، وكافأهم السلطان سليم على ذلك بمنحهم مساحات واسعة من الأراضي[٦].

(١) يقصد الرحّالة الواموسيل بأن المياه غمرت كثيراً من الشوارع... والمقصود بهذه الشوارع هي محلة العباسية التي بناها وأسسها الوالي مدحت باشا، وهذه المنطقة تقع في الجانب الجنوبي لمدينة كربلاء خارج سورها القديم، وهذه الأرض هي بالأصل منخفظة وكانت تشكل مستنقعات وما يشبه الهور قديماً، ويمكن ان تصعدها المياه أيام الشتاء أو أيام الفيضان، وكما أورده الرحالة صحيح في هذا الجانب. وقد إستغلها اهالي كربلاء إثناء محاصرتهم من قبل الأتراك أو من قبل العشائر التي كانت تغزوها لتأخير تقدمهم عليها. والتاكيد الاخر هو أن المدينة القديمة ليست فيها شوارع وإنما جميع طرقاتها أزقة، وأن المدينة القديمة أصلاً ترتفع عن ما جاورها من مناطق خارج السور.

(٢) نعتقد بأن هذه مبالغة من هذا الرحالة، فقد يكون قد وجد الفرس من الزائرين والساكنين فيها ولكن ذلك لا يعني أن نصفها من الفرس!.

(٣) الصحيح هم (الوزون)، وهم بطن من خفاجة، وكانوا يسكنون بكثرة في مدينة كربلاء ولهم شأن كبير فيها. وكان رؤساءهم من أعيان البلد وقادته.

(٤) الصحيح هم (الطهامزة) وهم بطن من خفاجة أيضاً، وذلك لنزوحهم من قرية الطهمازية التابعة للحلة منذ سنوات طوال، وكانت لهم مختارية محلة باب السلالمة وإلى الان، وبرز منهم رجال علم وسياسة وادب.

(٥) الناصرية، يقصد بهم عشيرة النصاروة وهم من قبيلة (عبادة) وتسميتهم من ناصرية الشط في المسيّب.

(٦) نعتقد بأن ذلك غير صحيح رغم إن آل الددة من الأسر العلوية القديمة في مدينة كربلاء، وكانوا متسلمي التكية البكتاشية، ولهم أملاك في كربلاء، ولكنهم ليسوا هم الذين حفروا نهر الحسينية، وقد ساهم أتباعهم بكري النهر قد يكون أصح، كما أن السلطان سليمان القانوني هو الذي حفر نهر الحسينية وليس والده (سليم)، أما إذا كان المعني بسليم هذا هو سليم الثاني أو الثالث، فلم يذكر التاريخ أنهم قاموا بعمل يخص النهر المعني.

وأعظمها وجاهة أسرة البويع[1]، لأنهم قاموا بدفن الإمام الحسين.

والمشهد الرئيسي يقوم في القسم الغربي من المدينة ويعرف بالصحن، أو الإمام سيدنا الحسين، وتعلوه قبّة ذهبية. أمّا الجامع الذي في القسم الشرقي فيسمى سيدنا العباس.

وكان العمل قد بدأ بمبنى الحكومة سنة ١٨٧١ عند الطرف الجنوبي من المدينة بأمر من الوالي مدحت باشا، ولكنه لم يكتمل بعد. وقد وسّع هذا الوالي سوق المدينة ويبدأ عند مبنى الحكومة.

وكان يطلق إسم كربلاء للدلالة على القسم الشرقي من البساتين فقط. أمّا المدينة الرئيسية فكانت تسمى المشهد أو مشهد الحسين. وإلى شمال بساتين كربلاء تقع ضواحي البقيرة[2] وبساتينها وحقولها، وإلى الشمال الغربي: بساتين قُرّة[3]، وإلى الجنوب بساتين الغاضرية. وإلى الغرب من هذه الأخيرة تقع غزة ثم غلطاوية، نهر (الحُر)[4]، نهر العيساوي، وأخيراً الحيدرية في الغرب، ومن هذا الموقع إلى الجنوب الشرقي تقع قرى البازول، البديوانية، الشريفية، الهندي، البليبل وكربلاء»[5].

(١) لا توجد في كربلاء أسرة بإسم البويع. وقد يقصد الرحالة (بني أسد) لأنهم أقدم من سكن المدينة وهم الذين دفنوا الأجداث الطاهرة بعد وقعة الطف لأنهم سكان القرى المجاورة لموقع الحادثة. أمّا عن وجاهتهم التي ذكرها، فيمكن أنه كان يعني (بيت كمونة) وهم من بني أسد حيث كانت لهم في تلك الأيام سطوة على المدينة وقد ترأسوها في بعض الأحايين.

(٢)البقيرة يقصد بها مقاطعة (البكيرة).

(٣) بساتين قُرّة، يقصد بها منطقة (الكَرّة) وهي البساتين المحيطة بحي العباس حالياً، حيث ان حي العباس تأسس على مستنقع يجف في الصيف ويسمى (الكرّة). كما أن الغاضرية وهي أراضي الجعفريات كانت في الشمال الغربي من الكَرّة، وهي حالياً القرية التي فيها كور الطابوق الفرشي وكور الفحم وفيها مدرسة السادة الإبتدائية.

(٤) الغلطاوية مقاطعة زراعية تقع شمال شرق المدينة القديمة وعلى نهر الحسينية ويمر بها طريق بغداد القديم. أمّا نهر (الحُر) فهو نهر (الرشدية) الحالي الذي يصل إلى ضريح الحر ويستمر حتى يصل قري قرية الشريعة وتصب بزايزه في بحيرة الرزازة، وهو الفرع الكبر الذي يتفرع من منطقة (البوبيات) غريب المدينة القديمة، والنهر الآخر هو الأصغر ويسمى (نهر الهنيدية) الذي يلتف حول المدينة من غربها ثم ينحرف إلى جنوبها الشرقي حتى تصل بزايزه البهادلية وقسم من الزبيلية.

(٥) عن المناطق التي يتحدث عنها الوا موسيل هذه معروفة لدى العامة من اهل المدينة القدماء=

ويسترسل الرحالة الوا موسيل حيث يقول:

«زارنا بعض الفلاحين العاملين في البساتين المجاورة ورسموا لي على الرمل خريطة المنطقة المحيطة بنا. وهكذا تمكنت من إكمال مذكراتي الطوبغرافية عن المنطقة الواقعة بين كربلاء وشفاثة، والرمادي.

وكان أحد الفلاحين مخيّماً غربي الإمام الحُر: وهو مرقد صغير بني في الطرف الجنوبي الغربي من البساتين، بجانب بئر (الخنيفس) وإلى جنوب هذا الموضع تقع قرية (شريعة السّليب)[1]، وإلى جنوب هذه القرية (الرزازة)، وفي الغرب الراشدية والضُحنَه. أمّا نهر القاضي فينتهي بعد أن يزوّد هذه القرى جميعاً بالماء، إلى هور أبي دبس جنوبيّ تل حصّانه. وفي المساء تأكدنا من خطّ العرض، وقد أمضينا ليلة مزعجة جداً بسبب البعوض.

في أيار سنة ١٩١٢ غادرنا الساعة ١٦ر٥ صباحاً فتراءتْ لنا ناحية الغرب أشجار قرية القرطة الخضراء، وإلى الجنوب الشرقي من هذه القرية تألق مشهد الإمام الحر بقبّته الزرقاء. وفي ٢٢ر٥ عبرنا نهر القاضي، وفي ٤٥ر٥ عبرنا نهر الحُر... وفي ٢٠ر٦ عبرنا ركوباً نهر الجمالية، وإرتفع إلى الشمال، على نتوء الجنوب الغربي من مرتفع واسع مشهد الإمام عون. وفي ١٠ر٧ شاهدنا بعض الخرائب إلى الشمال الغربي، وإلى اليمين بساتين القرّة. وتقع إلى الجنوب الغربي من الأخيرة بساتين الغاضرية.

وفي ٤٥ر٧ إخترقنا أرضاً رملية غير مزروعة مارّين بمشهد عون بقبته الخضراء وبابه الأخضر المطعم. وإلى شمالنا الغربي رأينا مرتفع أم الهوا، وفي الشمال الشرقي مرتفع المرقدة، وفي الساعة الثامنة كنّا في نهر العلقمي القديم الذي كان ينقل الماء من الفرات خلال تلال الدعالج إلى كربلاء، وكان يرتبط بالجدول الذي يمتد إلى هور رايد.

=والبليبل نهر معروف في الشمال الشرقي من المدينة القديمة وهو واحد من ثلاثة انهار تتفرع من نهر الحسينية متقاربة وتجري مياهها نحو شرق المدينة إلى جنوبها الشرقي وهي (نهر بُغَداد)، (نهر كرْبَلَه) وهو الذي يصل إلى قلعة الهندي، و(نهر بليبل).

(١) هي قرية الشريعة الحالية التي تقع غرب (الحُر) بمسافة ٥ كم ومنها وعن الرزازة مثلها تقريباً.

وفي ١٨ر٨ رأينا في الشرق بعض الخرائب الصغيرة نوعاً ما، وقرية الأونـد[١]، وإلى الشمال مرتفع مرقدَة. ويسد الجانب الغربي من مستنقعات العنب والبحيرة طار عويد وتلال (المغراغير)[٢]. وهنا نحن أولاء نتقدم بين روابي الدعالج وبين سهول الملح التي تسمّى سهول الجازية[٣] والسوارج. وتقطع هذه جـداول كثيرة نصف غائرة. وفي ٥٨ر٩ رأينا خرائب أخرى إلى اليمين، ونزلنا للإستراحة... وفي ٢٠ر١١ كنا في سهل البوبهاني، وتحمي هذه المنطقة من الفيضان سدود ترابية، وقد زُرعت فيها بساتين القثاء (الخيار) على نطاق واسع بصورة خاصة»[٤].

---

(١) قرية الأوند .. يقصد بها قرية (الوند) بين المسيب وكربلاء الآن ويمر بها نهر الوند المتفرع من نهر الحسينية وتبعد عن مدينة كربلاء الحالية ٢٠ كم. واغلب سكانها من عشيرة المسعود، ومن (الخنافس) وهم من طي، وآخرين. والوند مقاطعة معروفة وفيها قلعة (السيد قاسم بن احمد وفي بن السيد كاظم الرشتي) جد السادة آل الرشدي الحاليين في كربلاء.

(٢) المغراغير .. الصحيح هي (أم غراغر) وهي إحدى المقاطعات الزراعية حالياً في شمال كربلاء ويمر بها نهر بإسمها، وقد طمر جزء منه حالياً وتسقى الآن من نهر راشد المغلف. وبعض المصادر تؤكد بان فيها كان (دير قراقر) في زمن الساسانيين، ويوجد فيها الان بعض التلال الأثرية والمسجلة لدى الآثار العامة.

(٣) الجازية .. قرية تقع على آخر حدود الوند، بقول المرحوم السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة في كتابه (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) ص٩١ عن نهر العلقمي ما نصّه:

«فعليه قاوم العلقمي كوارث الإعفاء والدروس حتى آخر القرن السابع، ثم أصبح أثراً بعد عين. وفي خبر كان يحدثنا العلامة الحسن بن يوسف في الخلاصة ص٥٨ عند ذكر عبد الغفار يقول: (هو من اهل الجازية قرية من قرى النهرين). وقفت بنفسي على دارس رسوم القرية قبيل الحرب العامة لسنة ١٩١٤م وموقعه في الشمال الشرقي من مدينة كربلاء على آخر حدود ضيعة الوند، يشاهد بظهر طلولها خزف وبعض زجاج مبعثر..». وفي هامش نفس الصفحة لمحقق الكتاب ورد ما يلي: «ورد في مقاتل الطالبيين ط القاهرة ص٥٤٢: مضى أبو السرايا نحو القصر فلما صار بالرحب، صار هرثمة إليه، فلحقه هناك، فقاتله قتالاً شديداً، فهزم أبو السرايا وقتل أخوه. ومضى لوجهه حتى نزل (الجازية) وأتبعه هرثمة...».

(٤) الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية/ الوا موسيل ـ من ص٦٣ إلى ص٧١، ترجمة د. صدقي حمدي والأستاذ عبد المطلب عبد الرحمن داود، مراجعة الدكتور صالح احمد العلي والدكتور علي محمد المياح. من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

الوصف الجميل الذي وصفه الرحالة الجيكوسلوفاكي الواموسيل لمدينة كربلاء وضواحيها كان ذلك سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، وقد أعطى صورة عن كربلاء وضواحيها في أوائل القرن العشرين الميلادي.

رحلات الشيخ محمد رضا الشبيبي[1] لكربلاء

المرحوم العلامة الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي هو من أبرز أعلام العراق، فكان له في العمل الوطني القومي النصيب الوافر في حقبة مهمة جداً من تاريخ العراق الحديث والأمة العربية إمتدت لما يزيد على نصف قرن منذ أن كان العراق يرزح تحت الحكم العثماني جزءاً من سلطته الواسعة، مروراً بالإحتلال البريطاني، وبما سمي بالحكم الوطني. كان يدعو إلى الحرية ويناضل في سبيلها، ويرحل مندوباً عن العراقيين ليبلّغ صوتهم خارج العراق. كان العلامة المرحوم الشبيبي من أبرز شعراء العراق الحديث، وله ديوان شعري طُبع في القاهرة سنة ١٩٤٠ م.

شارك في التصدي للبريطانيين بعد دخولهم العراق سنة ١٩١٤م، وحضر معركة (الشعيبة) التي خُذل فيها العثمانيون وبعدها إنتحر قائد الجيش (سليمان عسكري).

شارك العلامة الشبيبي في الوزارات العراقية إبّان ما يسمى بالحكم الوطني بعد أن أصبح للعراق كيان وحكومة. وكان من المؤسسين للمجمع العلمي العراقي سنة ١٩٣٤م.

---

(١) هو: محمد رضا بن الشيخ محمد جواد بن محمد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر الجزائري، والجزائر من بطائح الجنوب وهي (الجبايش) الحالية قرب الناصرية في جنوب العراق. ولد في مدينة النجف من أسرة عربية عريقة يوم الإثنين ٦ رمضان سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م). يرجع نسبه إلى فخذ (المواجد) من قبيلة بني أسد، ولقب الشبيبي نسبة إلى (شبيب) جدّ أبيه. توفي ببغداد يوم الجمعة ٢ شعبان سنة ١٣٨٥هـ المصادف ٢٦/ ١١/ ١٩٦٥م ونقل جثمانه إلى مدينة النجف ودفن بها.

خلال مسيرته العلمية والأدبية والجهادية الطويلة سجل له التاريخ صفحات ناصعة بيضاء، وعُـدّ من رجـالات العـراق الوطنيين ذوو المـواقـف المشرفة على الدوام.

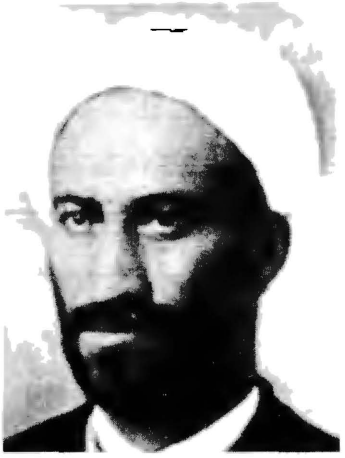

المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في شبابه وشيخوخته

كان بالإضافة إلى كل ذلك قد قام برحلات عديدة إلى مدن العراق وبلاد الشام والقاهرة والمغرب الأقصى وغيرها، وقد دونها في مذكراته التي نشرت أقسام منها في بعض المجلات، وقد تصدّى ولده الأستاذ أسعد الشبيبي بإعداد مذكراته والتعليق عليها.

وما يخص رحلاته العديدة إلى مدينة كربلاء، فقد دون المرحوم العلامة الشبيبي الكثير عنها، وذكره كربلاء كان جزءاً مهماً من تاريخ المدينة المقدسة خاصة في أوائل القرن العشرين الميلادي. ومن مذكراته خلال الأعـوام ١٣٣٢ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩١٧م، ننقل ماورد في مذكراته عن كربلاء ورحلاته إليها فيقول:

حادثة كربلاء:

«.. ما تسامع العراقيون بحادثة النجف المتقدمة[1] حتى صاروا يتوقعون أمثالها في بقية المدن العراقية لإستعداد النفوس للشر، غير أن العثمانيين حكّام العراق إضطروا إلى الإعراض عن تطلب البلط أي الفرار من الجندية وتساهلوا في أشياء غير ذلك، فأخلد الناس إلى السكينة لمّا رأوا من ضعف شأن الحكومة حتى أن أهل البلاد أصبحوا في الحقيقة حكام بلادهم، فلم يروا من حاجة إلى إبعاد العمال والمستخدمين اللهم إلاّ أهل كربلاء، فإنهم في أوائل ليلة ١٥ شعبان سنة ١٣٣٣هـ، هاجموا دار الحكومة وناجزهم الدرك وبعض الجند قليلاً، ولم يكونوا أكثر من أربعين جندياً ثم سلّموا، فأضرم الثائرون النار في دار الحكومة ودار البلدية ودار البرق والبريد وبعض المدارس السلطانية (الرسمية) كل ذلك تقليداً لأهل النجف دون أن يكون في البين باعث مشروع لإلقاح الفتنة، ولذلك إستذلّ كلّ أهل العراق فعلة الكربلائيين هذه، وطعنوا من أجلها الطعن المرّ الذي أصبح أوباشهم أهلاً له، خصوصاً وقد شاع أنهم إرتكبوا ما لم يرتكبه النجفيون من المنكرات، وقد سلبوا النجفيين أمتعتهم وأثاثهم وجميع ما يخصّهم.

ومن الغريب أنهم لم يتمكنوا من حماية بلدهم فدخلها الأعراب وأهل البادية والغرباء ونهبوا دور الكربلائيين أنفسهم، أي الفرس منهم غالباً، ما يوازي ٢٠٠ دار في (كربلاء الحديثة)[2] ولذلك أصبح هذا القسم الجميل من المدينة موحشاً صفراً من سكانه الذين هجروه إلى كربلاء العتيقة التي لا يسكنها إلاّ أشباه الأموات.

---

(١) حادثة النجف بدأت في ٨ رجب سنة ١٣٣٣هـ حيث هاجم النجفيون ثكنات الجيش العثماني بسبب رفضهم النفير العام الذي أعلنته الحكومة التركية، وإستمر القتال ثلاثة أيام حيث سيطر المهاجمون على المدينة وإستسلمت القوات الحكومية إليهم. وفي ١٣ رجب تم الصلح بعد أن تم تغيير المسؤولين فيها.

(٢) يقصد بها محلة العباسية التي أنشأها الوالي (مدحت باشا) خارج السور الجنوبي لمدينة كربلاء القديمة.

وقد دام النهب والتعرض في شوارع كربلاء أياماً، وذلك لضعف الثائرين وسوء تدبيرهم حتى أنهم ثاني يوم الحادثة فتنوا ما بينهم نزاعاً على المنهوبات، وتراموا في حرم المسجد الحسيني فجرح وقتل منهم جماعة.

ومن أهجن أفاعيل جهالتهم تعرضهم للمستشفى البلدي وتشعيثهم إيّاه ونهبهم أدواتـه وأمتعته مما لا يكاد يفعله العدو بعدوّه، ولكن الجاهل عـدوّ نفسه، وهذا المستشفى من أنفس المعـاهد الحديثة النافعة في العراق وخصوصاً في كربلاء البلدة الموبوءة الفاسدة الهواء، وقد أنشأ على الطراز الحديث، خارج البلدة من جهة الجنوب الغربي، وأنفقت عليه أموال طائلة وكان الفراغ منه سنة ١٣٣٢هـ، وعلى أثر هذه الحادثة إنقطعت المواصلة بين كربلاء وبغداد، وعُزل والي الولاية، وتحامل أهل السنّة في دار السلام على شيعتها بالكلام، وظهرت بوادر التدابر والتنابذ في وقت أكبر حاجتنا فيه التواصل والتوادد ودفن الأحقاد والأضغان.

عودة العثمانيين إلى كربلاء:

مازالت حكومة بغداد منذ يوم ١٥ شعبان تنفذ البعوث والجنود إلى المسيّب بعد حادثة كربلاء فأقلق ذلك أهلها، فعادوا إلى مفاوضة الحكومة العثمانية في العود، وتردد في ذلك نائبهم (عبد المهدي الحافظ)[1] فصدر العفو العام عنهم وعن أهل النجف مصدراً بإرادة الناحية السلطانية.

ففي ١٦ رمضان فصل عن المسيّب إلى كربلاء خمسون جندياً مع النائب الكربلائي فإستقبلهم عامة الأهلين، وقد إشترط العثمانيون في إصدار الصلح إعادة ما يمكن إعادته

(١) هو السياسي المعروف المرحوم (عبد المهدي بن صالح بن حبيب الحافظ الخفاجي)، كان عضواً في مجلس المبعوثان ممثلاً عن كربلاء في إسطنبول. وهو من مؤسسي فرع حزب الإتحاد والترقي في كربلاء. عيّن منذ سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م رئيساً لبلدية كربلاء وكالة لمدة سنة، وبعدها أصالة إلى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٧م ثم عيّن نائباً عن كربلاء في مجلس المبعوثان. كان اديباً وشاعراً إضافة لكونه سياسياً، وكان يتقن عدة لغات. توفي رحمه الله سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٥م.

من المنهوبات، وبناء ما نقض وأُحرق من دور الحكومة، وقد ورد كربلاء وكيل متصرف وشحنة وغيره من العمال والأعوان.

وفي يوم ٥ شوّال ورد إلى كربلاء المتصرف الجديد (محمد حمزة بك)[١] الذي تصرف في الناصرية إلى أن فتحها الإنكليز»[٢].

حمّى كربـلاء:

يذكر المرحوم العلامة الشبيبي في مذكراته عن كربلاء سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، بأن وبـاءاً إنتشر في كربلاء وهـو حمّى خبيثة فتكت بأهلها وسمّيت بـ (حمّى كربلاء) لإنتشارها بها، فيقول:

«فشت هذه السنة في كربلاء حمّى خبيثة فتكت بأهلها فتكاً ذريعاً وبالزوّار والمترددين حتى سرت إلى بغداد والنجف وسواد العراق، فأتت على خلق كثير ودامت طويلاً حتى سمّت (حمّى كربلاء) سببها تطامن أرض كربلاء وكثرة المستنقعات المتعفنة والبعوض فيها.

وقد أعان على فشوّها هذه السنة فشوّاً لا يُعرف له نظير كثرة تبطح المياه وقلة العقاقير الطبية وإهمال العناية بالصحة العامة لإضطراب البلدة وفقدان الأطباء.

وكانت وطأتها تخفّ وتشتدّ أحياناً، بدأت في رجب ثم هانت وإشتدت وطأتها في رمضان أيضاً، وما زالت بين قوّة وضعف إلى اليوم أي ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٣ هـ، وقلّ من سلم منها ممن دار عليه محيط كربلاء، فكنت ترى الباعة والمحترفين والفقراء يأتون إلى الحوانيت والشوارع وقد لا تمشي بضع خطوات حتى تلاقيك بضع جنائز، وبلغت الوفيات في كثير من الأيام أكثر من ٢٠٠ نسمة، وأحصى عدد الوفيات بين رجب وذي الحجة فكانت ١١٠٠٠ أكثرهم من الفقراء.

---

(١) بعد سنة من توليه منصبه ثار عليه الكربلائيون بواقعة كبيرة سميت بواقعة (حمزة بك) الشهيرة.

(٢) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ورحلاته/ تقديم وإعداد كامل سلمان الجبوري ـ ص٧٨ ـ ٧٩.

وضع يد:

في أواسط شهر ذو الحجة سنة ١٣٣٣هـ، وضع الشيخ محمد علي بن الحاج محسن كمونة[١] الشهير وهو المتغلب الوحيد في كربلاء يده على (اليوسفية)[٢] وهي ضيعة خازن المشهد الحائري السّيد عبد الحسين[٣].

وآل كمونة ذوو سابقة[٤] في الاشراف على الخزانة الحائرية والمشهد وما إليه، وتريد حكومة كربلاء العثمانية تنحية الشيخ محمد علي عنها باللّين وإلاّ فالخشونة وسنرى ما يكون.

---

(١) هو محمد علي بن محسن بن الشيخ مهدي بن محمد بن إبراهيم بن عيسى من آل مراد الأسديين، وجاء لقب كمونة من عملهم قبل هجرة جدهم (عيسى) إلى كربلاء سراكيل (وكلاء) لدى السادة آل كمونة الأشراف في النجف. ومحمد علي هو الشقيق الأكبر للشيخ فخري كمونة الأسدي.

(٢) اليوسفية.. مقاطعة زراعية تتكون من ٧٩ بستان مختلفة المساحات تقع على نهر الحسينية على الجانب الأيمن منه بالقرب من القنطرة البيضة، وهذه المقاطعة أرضها أميرية مفوضة بالطابو الأرض مملوكة للدولة وملاكتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ثلثي الملاكة موقوق على سادن الروضة الحسينية وكل من يتولى السدانة يكون هو المتولي على ثلثي الملاكة، وتصرف عائدات هذه الملاكة على مصالح الروضة المقدسة وإطعام الطعام ومساعدة فقراء المدينة وعلى المنقطعين من أبناء السبيل من زوار الحسين. أما الثلث الأخير من الملاكة فتشترك فيه عدة أسر كربلائية ومن إحدى هذه الأسر عائلة السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة السادن الأسبق للروضة الحسينية، وقد تولينا نحن وقف ملاكة ثلثي اليوسفية عندما تشرفنا بسدانة الحسين عليه السلام لمدة تزيد على ١١ سنة بقليل. فهي ليست ضيعة لخازن (سادن) المشهد الحائري السيد عبد الحسين.

(٣) هو المرحوم السيد عبدالحسين بن السيد علي بن السيد جواد بن حسن بن سليمان بن درويش بن أحمد بن يحيى بن خليفة بن نعمة الله بن طعمة الثالث (يتلقب به السادة آل طعمة الحاليين) بن علم الدين.

(٤) سابقتهم في سدانة الحسين عليه السلام عندما تولى الشيخ مهدي بن محمد بن إبراهيم بن عيسى كمونة الأسدي سدانة الروضة الحسينية بتكليف من والي بغداد محمد نجيب باشا الذي هاجم كربلاء وإستباحها ومقدساتها وقتل الآلاف من أبناءها في الواقعة المسماة (غدير دم) سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م، وكان سادن الحسين المرحوم السيد وهاب آل طعمة قد وقف مع ثوار المدينة حينها وتم عزله وتولية الشيخ مهدي كمونة الذي ساند وتعاون مع الأتراك على أبناء البلد الذي يسكنه. وبعد وفاته سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، تسلم السدانة شقيقه الميرزا حسن كمونة لحين وفاته سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م. ولم يستلمها بعده من آل كمونة عدا فترة قصيرة لم تصل مدتها شهر واحدعندما نصّب المحتلين=

متصرف كربلاء:

عصر اليوم ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٣٣هـ، قدم النجف متصرف كربلاء محمد حمزة بك، ونزل على السيد علي بن السيد محمد سعيد الحبوبي»[١].

جاء في مذكرات الشبيبي أن معركة نشبت بين آل جميل وهم من العشائر المتجمعة مع العشائر المسماة بني حسن حيث يقول:

«وفي يوم الخميس ١٧ جمادي الثانية سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) تناوش آل جميل من بني حسن مع أهل كربلاء وقُتل جماعة»[٢].

الوقائع في كربلاء:

يذكر الشبيبي عدة حوادث ووقائع حدثت في كربلاء سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، ومن خلال سرده لتلك الحوادث فهو يعطينا تفصيلاً عن الوضع غير المستقر داخل المدينة أكان بين الأهالي والحكومة التركية، أو بين الأهالي أنفسهم، ويستشف من ذلك أن النزاعات جميعها كانت إمّا رفض للحكم العثماني أو بسبب الزعامات داخل المدينة، فيقول العلامة الشبيبي عن **(فتنة كربلاء)** ما يلي:

«وقد عظمت فتنة كربلاء التي بدأت يوم الخميس١٧[٣] **بقيت إلى الإثنين، ونشبت الحرب بين المقيمين في كربلاء وبين العرب من أهلها، فصار أفراد الدرك من جهة وأهل كربلاء معهم بعض العشائر من آل المسعود وغيرهم من الجهة الأخرى.**

=الإنكليز الشيخ حميد بن محمد علي كمونة سادناً للحسين لتعاون آل كمونة معهم وسرعان ما عزل وحوكم على يد لجنة عدلية فوجد مذنباً. وفي الوقت نفسه أعيد منصب الكليدارية إلى أحد أفراد الأسرة التي كانت تتمتع به من قبل. (راجع فصول من تاريخ العراق القريب) للمس بيل ترجمة جعفر الخياط ص٤٥، طبع بيروت سنة ١٩٤٩ م، دار الكشاف.

(١) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ورحلاته/ ص١١٢ ـ ١١٣. وكان المتصرف قادماً من الناصرية لإستلام منصبه في كربلاء.

(٢) نفس المصدر/ ص٢٠٦.

(٣) حدثت في شهر جمادي الثانية سنة ١٣٣٤هـ وإستمرت خمسة أيام.

وذلك أن قائد الدرك رآهم متظاهرين يطلقون النار، فطلب من عميدهم فخري الحاج مهدي كمونة[1] منعهم وأخذ أسلحتهم فلم يفعل، وخرج فأمر الدرك بإطلاق النار عليه ففعلوا ذلك وفعل جماعته مثل ذلك، وقُتِل جماعة من الفريقين، قيل ثلاثون وقيل أكثر، وسخّر الثائرون مخفراً أسروا فيه من الجند وقتلوا بعضهم، وإنقطع الطريق بين كربلاء والنجف كما إنقطع في فتنة النجفيين وبني حِسن»[2].

وبعد فتنة كربلاء هذه يذكر الشبيبي حادثة أخرى سماها بواقعة كربلاء حيث يقول:

«قتل فيها من الكربلائيين أربعون، ومن الجند ثمانية ومثلهم جرحى ثقيلة جراحهم، ثم وردت المسيّب نجدة إلى الجند من بغداد فرضخ القوم لحكومة كربلاء وإصطلحوا على ما قيل»[3].

ويذكر المرحوم الشبيبي الفتنة الثانية التي حدثت في كربلاء ويقول بأنها إستمرت عدة أيام بدأت يوم الخميس ٨ رجب سنة ١٣٣٤هـ، ولكن للأسف كان السرد في المذكرات لم ينطبق على الواقع الذي عرف عن هذه الحادثة لدى أهالي المدينة الذين لم تنقطع أحاديثهم عن هذه الواقعة لزمن طويل، وقد نقلها لنا الكثير ممن عايشوها وإشتركوا فيها، فهي واقعة (**حمزة بك**) على إسم متصرف كربلاء الذي قصف المدينة بالمدافع وإستباح المدينة جنده مما إضطر أهلها للدفاع عنها وعن أنفسهم وأهليهم وتمكنوا من طرد الأتراك من المدينة وعلى إثرها تم نقل حمزة بك بعد هروبه وقد أصاب المدينة الدمار والكثير من القتلى حتى من النساء والشيوخ والأطفال، وحتى الذين جاءوا لمساعدة الكربلائيين قاموا بنهبها بإعتراف الشبيبي حيث يقول: «**في يوم ١٢ رجب سنة ١٣٣٤هـ، وفي يوم**

(١) فخري كمونة هو إبن محسن بن مهدي، وما ذكره الشيخ الشبيبي بأن فخري بن الحاج مهدي فهو خطأ، والحاج مهدي هو جد فخري.

(٢) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ورحلاته/ ص٢٠٦. ونعتقد بأن فتنة كربلاء هذه هي من وقائع كربلاء والتي تسمى بواقعة العجم أو (واقعة الزهاوي).

(٣) نفس المصدر السابق.

الجمعة ١٦ رجب سنة ١٣٣٤هـ، ورد المشاهدة (يقصد بهم النجفيون) ومعهم أحمالهم من المنهوبات التي نهبت من أهل كربلاء..»[1].

ومن مشاهداته الشخصية عند زيارته لمدينة كربلاء، يتحدث الشبيبي عن (حمّى كربلاء) فيقول:

«مازالت هذه الحمّى على فتكها في كربلاء، وقد زاد سواد المهاجرين من هذه البلدة، وفأل الناس لها بالخراب، وقد إشتد المرض وكثرت الوفيات في صفر سنة ١٣٣٤هـ، وقد مررنا على كربلاء واردين من بغداد في ٧ ربيع الأول فوجدنا جوّها كدراً ومناخها وبيلاً، والمستنقعات الخبيثة الرائحة محيطة بها، ورأينا وجوه أهلها حائلة كأنها وجوه الأموات، فأين يمرّ الغريب يستوحش لتلك المناظر الكاسفة، حتى البساتين لأنها إستحالت مستنقعات، وقد قال لنا أحد سكانها: أنه قد أحصينا من أصيب في الحمّى فلم يُعرف أحد سَلِم فيها إلاّ واحد فقط، أي أن إحصاء السالمين أقرب وأسهل من إحصاء المصابين لكثرتهم، وتقدر الوفيات بربع أهل البلدة أو أكثر من ذلك، وقد سدّ آنئذ نهر الحسينية خوفاً من زيادة تبطح المياه.

وقد زادت وفشا فتكها في ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ، وقد ذكر بعض ثقاتها أن مجموعة الوفيات فيها بلغ: ٤٠٠٠٠ ألفاً، أي نصف سكانها أو أكثر، لأن الإحصاء أثبت أن نفوس الكربلائيين ٧٥٠٠٠ نسمة.

وفي يوم الجمعة ١٥ ربيع الأول، إشتدت وطأة البرد إشتداداً يقلّ إتفاقه في العراق ونزل برد قليل، وكان في كربلاء أكثر، وقد مات كثيرون رفقاً»[2].

(١) المصدر السابق/ ص٢١٥.

(٢) نفس المصدر/ ص١٧٥.

رحلة السر (رونالد ستورز) إلى كربلاء

كان الإنكليز قد أسسوا في بداية القرن العشرين الميلادي في القاهرة مكتباً يسمى بـ **(المكتب العربي)**، وهذا المكتب يعنى بالشؤون الإستخبارية البريطانية. وهو عبارة عن بؤرة لما كانت تخطط له بريطانيا لإستعمار الدول العربية. وهذا المكتب هو الذي دبّر أيام الحرب العالمية الأولى الإتصال بالشريف حسين في مكة وشجعّه على الثورة ضد الدولة العثمانية، ومجموعة هذا المكتب هي التي أوفدت **(لورنس)** لمساعدة قوات الشريف حسين بعد أن أعلن ما سمّي بـ **(الثورة العربية)** على الأتراك في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ/ بداية سنة ١٩١٦م. وهذا المكتب هو المشرف على موضوع منح اليهود وطناً في فلسطين، وهو المشرف أيضاً على جميع العمليات الإستخبارية في الشرق العربي وخاصة **(العراق)**!!.

والسير رونالد ستورز هو من الإستعماريين الإنكليز الذين يتألف منهم **(المكتب العربي)** في القاهرة. وقد تقلد عدة مناصب منها **(حاكمية القدس)** في أول عهد الإحتلال البريطاني لها. و**(حاكمية قبرص)** في الفترة التي نفي الشريف حسين بن علي هناك بعد خذلانه من قبل الإنكليز. وزار ستوزر العراق بعد إحتلاله من قبل الإنكليز بفترة قصيرة، وقد ألّف كتاباً نُشر في لندن سنة ١٩٤٥م، دوّن فيه مذكراته اليومية ومنها زيارته إلى كربلاء والنجف في الأيام القلائل التي بقي فيها في العراق في شهر مايس سنة ١٩١٧م.

زار السير رونالد ستورز مدينة كربلاء في ١٧ مايس ١٩١٧م بصحبة المستر (**غولدسميث**) الذي كان من كبار موظفي الإحتلال الإنكليزي في العراق، وإستصحب معه في الطريق إلى كربلاء النواب خان صاحب (**محمد حسين خان**) الذي كان يشغل منصب معاون الحاكم السياسي في كربلاء والمعيّن من قبل الإنكليز.

يذكر ستورز في طريق رحلته إلى كربلاء أن النواب محمد حسين خان الذي كان معه في السيارة، كان يحمل معه صندوقاً كبيراً يحتوي على (٢٩٠٠٠) روبية[١].

المبيت في المسيّب:

وقد واجهتهم في الطريق عاصفة شديدة من الغبار بالقرب من الإسكندرية، وبسببها فقد إضطروا المبيت في المسيّب. وفي المسيّب يقول ستورز أن بعض شيوخ العشائر في المنطقة زاروه في محل إقامته، وكان من بينهم الشيخ (**محمد علي كمونة**) مضيّفه في كربلاء الذي قدم منها إلى المسيب لإستقباله[٢].

---

(١) كان النواب محمد حسين خان يحمل هذا المبلغ وهو من موقوفات خيريات (أوده) وهي الاموال الموقوفة من ملك أوده في الهند يصرف على طلاب العلوم الدينية والفقراء وقد أوقف سنوياً مبالغ تصرف على العتبات في كربلاء والنجف. ولأن الإنكليز يحكمون الهند فإن هذه الأموال تأتي عن طريقهم محاولين إستغلالها لمصالحهم، وكانت هناك لجنة في كربلاء تتولى صرف هذا المبلغ، ومثلها لجنة في النجف، وأعضاء اللجنتين كانوا معروفين بالولاء للإنكليز عند غالبية الناس.

(٢) كان الشيخ محمد علي كمونة وأخوه الشيخ فخري قد إتصلا بالإنكليز منذ زمن، ولعبا ادواراً غير مشرّفة من خلال تعاونهما هذا معهم فتارة نراهم مع الأتراك وأخرى مع الإنكليز، فكانت مصالحهم هي التي توجههم في هذا الإتجاه الخطير، وكان أغلب أهالي المدينة ضدهما، وقد لاقا ما يلاقيه العملاء في آخر المطاف عندما تنتهي مهمة العملاء للأجنبي دائماً. فإن محمد علي كمونة يخرج لإستقبال هذا الشخص الإستعماري ويضيّفه في داره وبستانه دون رغبة أعيان البلد وسادته ورؤساءه.

يذكر ستورز في مذكراته أنه في اليوم التالي غادر المسيب متوجهاً إلى كربلاء، وعند وصوله بالقرب من مقام (عون) ذي القبة الزرقاء إستوقفهم احد الشيوخ العرب وقدّم لهم في خيمته الأنيقة شيئاً من الشاي والقهوة الممتازة[1].

إستقباله في مدخل كربلاء:

وحينما وصل ركب السر رونالد ستورز إلى ما يقرب من البلدة إستقبله الوجهاء والأشراف ما بين صفوف النخيل المكتظة إستقبالاً حافلاً، فنزل للسلام عليهم ثم إنصرفوا، فأثار إنصرافهم في عرباتهم وعلى ظهور الجياد غباراً متعالياً حجب عن ستورز وجماعته مناظر البساتين الخضراء العامرة بالنخيل وأشجار الليمون، والكروم وشجيرات الدفلى الزاهرة. وقد كان ذلك كلّه مصحوباً بهتاف من جموع المتفرجين الزاخرة وزغاريد النساء.

في قصر آل كمونة:

وبعد الوصول إلى كربلاء إستقر بهم المطاف في قصر آل كمونة الذي كان محاطاً ببستانهم العامرة. وقد إستقبلهم في باب البستان شقيق محمد علي كمونة[2]، وساروا إلى القصر مخترقين المماشي المحفوفة بصفوف النخيل الباسقة، وشجيرات الدفلي الزاهرة، وأشجار المشمش والكَوجة. وكان جلوسهم

(١) كان هذا الشيخ هو (عبد المحسن بن سعود آل هتيمي) من رؤساء المسعود. وكان قد تعاون مع الإنكليز وأنيطت به من قبلهم بعض المهام. وجاء في كتاب العشائر والسياسة، وهو تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية ونقله للعربية الدكتور عبد الجليل الطاهر في ص١٢٤ ما نصّه: «يسيطر عبد المحسن على قسم كبير من العشيرة التي تقع بصورة رئيسية إلى غرب الفرات مباشرة بعد سقوط بغداد. وقبل إحتلال الفرات بصورة أكيدة وفعالة وأنيطت به مسؤولية المحافظة على طريق كربلاء ـ المسيب وقد برهن على كفائته»!!.

(٢) المقصود هو الشيخ (فخري كمونة) شقيق محمد علي.

في ظل الكروم التي كانت عرائشها غنية بـأوراق الأعنـاب الغضة. وبعد أن إستراحوا، قُدّم لهم الغداء في مائدة كبيرة صفت فيها صحون الطعام الكثيرة مرةً واحدة في البستان نفسها. ويقول ستورز إنه أكل البامية اللذيذة في هذا الغداء لأول مرّة في حياته، فكانت شيئاً شهياً.

صورة من الجو في سنة ١٩٢٠م يظهر فيها مرقد العباس عليه السلام والجزء الشمالي الشرقي من كربلاء

جولة في المدينة:

وفي حوالي الرابعة والنصف بعد الظهر أخذهم معاون الحاكم السياسي للتجوال في أسواق البلدة والتفرج على معالمها العامة. وصعدوا بعد ذلك فوق

سطح «**بيت اليزدي**»، فشاهد هناك قبة الحسين المذهبة، والمنارتين المذهبتين، وبرج الساعة المذهب، مع اللقالق التي كانت تسرح وتمرح فوقها بحرية. كما شاهد الصحن المزين بأفخر أنواع القاشاني وأزهاه.

إستقباله لعدد من وجوه البلد:

وقد زار ستورز في المساء عددٌ من الوجوه والأشراف، فعلم منهم إن ثورة الشريف حسين في مكة كان قد رحّب بها العالم الشيعي لأنها جاءت ضد الأتراك فضلاً عن أنها كانت مشرّفة للعرب. ويذكر في هذا الشأن أن مضيفهم محمد علي كمونة كان شخصاً مكروهاً في كربلاء، ولذلك لم يشأ أكبر عالمين مجتهدين في كربلا على ما يقول أن يزوراه وهو في منزل مضيّفه.

زيارته للعلامة حسين المازندراني:

قرر أن يذهب هو إلى زيارة العالمين المجتهدين في بيتهما في صباح اليوم التالي، أي في ١٩ مايس ١٩١٧م. فزار أولاً العلامة حسين المازندراني الذي يقول أنه أهم مجتهد في كربلاء على الإطلاق. وكان رجلاً مسناً رقيق الشمائل، يجلس عادةً في مكتبته الصغيرة التي تضم حوالي أربعمئة كتاب أكثرها مخطوط. وقد كانت براعته في العربية والفارسية والهندستانية تدهش المتحدث إليه، وعلم من تحدث إليه أنه كان معجباً بالحسين شريف مكة ومؤيداً لحركته. ولمّا رأى الشيخ إهتمام السر رونالد بكتبه ومخطوطاته طلب أن يؤتى له بمفتاح وأراه مكتبته الأخرى بفخر وإعتزاز. لكنه إعتذر عن تصويره بصورة غير مباشرة، بل قدم له نسخة جاهزة من تصويره بعد أن كتب عليها صيغة الإهداء بنفسه. وقد لاحظ السر رونالد أن بيت العلامة المازندراني مثل غيره من البيوت الأخرى كان يخلو من الكراسي، وأن الجميع كانوا يجلسون على الأرض ويتكئون بالحائط.

زيارته للمدرسة الإيرانية في كربلاء:

بعد خروجه من بيت العلامة حسين المـازنـدراني، زار ستورز المدرسة الإيـرانيـة فـي كربلا فـرأى الـطـلاب الصغار فيها يضعون أنـواع العمائم فوق رؤوسهم، ومنها العمائم الخضر على ما يقول، وبعد ان صوّر المناظر فيها عاد إلى منزله في بستان كمونة.

مغادرته كربلاء إلى النجف:

وبعد أن تناول طعام الـغـداء مع جماعته غـادر كربلاء إلـى النجف، وهو يقول أنه رأى خارج البلدة من جهة الغرب أربع قباب شذرية اللون، ومن بينها قبة الحر.

رحلة (فيلبي) لكربلاء

هو الإنكليزي (سانت جون فيلبي) الذي يُعد من أشهر وأهم رحّالة القرن العشرين الميلادي، ومن الذين جعلوا جزيرة العرب مجال علمهم وعملهم. كان الباحث والسياسي والدبلوماسي والصحافي والمؤرخ والجغرافي والآثاري والتاجر!. فكان مثار جدل ونقاش حول شخصيته وأهدافه وطموحه الشخصي والعام في موطنه الأصلي بريطانيا، وكذلك في الدول التي عمل بها.

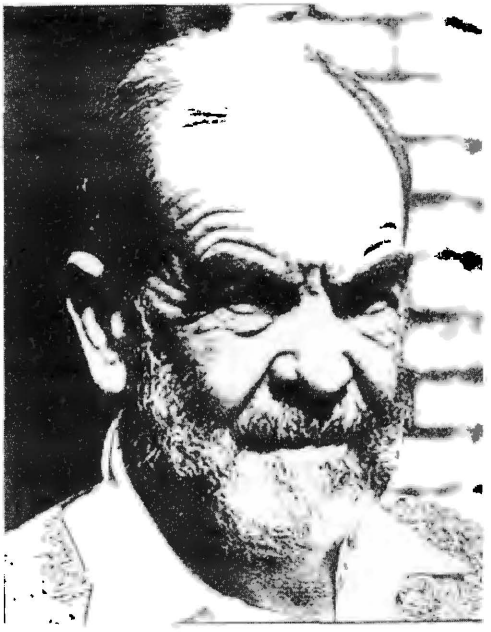

سانت جون فيلبي

ولد فيلبي عام ١٨٨٥م في مدينة بادولا في جزيرة سيلان (**سريلانكا**)، حيث كان يقيم ويعمل والده في تجارة القهوة.

عندما كان في سن السادسة من عمره إنتقل مع والدته التي تخلّت عن والده إلى لندن. درس في مدارس النخبة الإنكليزية، وأظهر نبوغاً مبكراً وتميزاً في تعليمه، حتى أكمل دراسته الجامعية في جامعة كامبرج الشهيرة عام ١٩٠٧م، وإهتم بدراسة اللغات، فتعلم الفرنسية والألمانية والعربية والأوردية والفارسية.

عُيّن في الهند وعمل بها لمدة سبعة أعوام، وفي عام ١٩١٥م تم نقله للعمل بـالإدارة البريطانية في العـراق، ومـن ثم مساعداً للمندوب السامي البريطاني في بغداد.

إختلف فيلبي مع سياسة حكومته في العراق بعد نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، وبدأ بإتخاذ مواقف عبّر عنها علانية وخاصة فيما يتعلق بإقامة حكم ملكي في العراق.

بدأ إهتمامه بعد ذلك بالجزيرة العربية وأبدى تقديراً كبيراً لعبد العزيز آل سعود عندما ذهب على رأس بعثة بريطانية للقاءه، وإعتقد بأنه الزعيم العربي الذي يجب أن تتعامل معه بريطانيا، ونُقل إلى عمّان سنة ١٩٢١م كمندوب سياسي لبريطانيا في شـرق الأردن حتى سنة ١٩٢٤م، ومـن ثـم تـرك العمل الحكومي عام ١٩٢٥م وإلتحق بالملك عبد العزيز ليعمل عنده مستشاراً حتى وفاة الملك عبد العزيز.

أعلن فيلبي إسلامه عام ١٩٣٠م ولقبّه الملك عبد العزيز بإسم (**عبدالله**) الذي عُرف به لاحقاً. كما مارس فيلبي التجارة والإستشارات التجارية، ولعب دوراً في قدوم شركات التنقيب عن النفط في السعودية.

إختلف فيلبي مع الملك سعود بن عبدالعزيز على ما يكتبه فيلبي عن السعودية في الغرب، فغادر المملكة عام ١٩٥٥م مجبراً، وتراجع الملك سعود عن

قراره فرجع فيلبي إلى الرياض عام ١٩٥٦م متفرغاً للكتابة. توفي فيلبي في بيروت عام ١٩٦٠م عن عمر ناهز الخامسة والسبعين.

خلال وجوده في السعودية قام بعدة رحلات باحثاً ومستكشفاً ودارساً، فكتب عن الربع الخالي وكُتب أخرى تناولت تاريخ الجزيرة العربية، وعن رحلاته وتجاربه.

قام فيلبي برحلة إلى منطقة الجوف حيث بدأها من عمّان في شهر آذار (مارس) عام ١٩٢٢م عندما كان في شرق الأردن، وكان هدف الرحلة دراسة وضع المنطقة السياسي، وكان برفقته الميجر هولت الذي كان يهتم بالمنطقة عدة سنوات لدراسة إمكانية إقامة سكة حديد الصحراء، أي الخط الممتد من الشرق إلى الغرب من شط الفرات عند هيت والرمادي إلى خط سكة حديد الحجاز بالقرب من عمّان.

وفي هذه الرحلة قام بزيارة مدينة كربلاء. وقبل أن يتطرق إلى زيارته للمدينة المقدسة، ذكرها في كتاب رحلته عدة مرات حيث قال:

«لقد كنت في هذا الوقت أستعد لزيارة واحة الجوف الشهيرة، كجزء من واجباتي السياسية. لقد طرحت فكرة مرافقة الميجر هولت لي فقفز فرحاً، لأن ذلك سيمكنه من دراسة إمكانات إقامة خط سكة حديد عبر وادي السرحان. وتوصلنا بدراساتنا بعد سلسلة من الإحباطات والمحاولات إلى ما وراء الجوف، عبر البراري إلى حدود الهلال الخصيب عند كربلاء»[1].

وفي مكان آخر ذكر في رحلته كربلاء عندما قال:

«بدأنا نفكر بخيار العودة عن طريق العراق. من خلال هذا الطريق غير المباشر، يظهر أننا سنصيد عصفورين بحجر واحد. فأولاً الطريق آمن، وثانياً سيستطيع الميجور هولت إغتنام الفرصة لإنهاء إستطلاعه لإمكانية إقامة خط سكة حديد. قدّم فرّاج (أحد

(١) الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية/ د. عوض البادي ـ ص٤٧٤، الدار العربية للموسوعات.

المرافقين العرب) لنا بعض الآمـال بمساعدتنا في هذا المشروع (السفر عن طريق العراق) مقابل مكافأة.

ولأختصر القصة سألني فراج عما سأدفعه بصراحة، وإجبته بصراحة أيضاً ١٠٠ جنيه عند الوصول إلى النجف أو كربلاء..»[1].

كانت رحلة فيلبي من الجزيرة العربية إلى كربلاء صحراوية المسلك، حيث سلك طريق البادية من (كاف) إلى (الجوف)، ومن ثم إلى (سكاكا)، ومنها إلى وادي (عرعر) حيث دخل العراق، ثم (النخيب) ومنه إلى (حصن الإخيضر)، فـ(الشعيب) وبموازاة (هور أبي دبس) حتى وصلوا إلى كربلاء، وقد وصف في هذا الطريق مشاهداته في بادية كربلاء، وهو يقول:

«**حسب مسارنا، فنحن الآن قد سرنا عبر منخفض وادي عرعر ما يتعدى ٢٠٠ ميل. ومن هنا سنذهب شمالاً وشمال شرق فوق قفرٍ مرتفع وموحش، الحرارة فيه تزداد كلما تقدمنا نحو تخوم العراق. مسير ١٤ ميلاً ذلك المساء وصباح يوم ٧ يونيو قادتنا لنستقي عند آبار (جديدة الحمير) في (شعيب الحمير) وهو منخفض يتجه شمال ـ شرق أو شرق ـ شمال ـ شرق موازياً لمنخفض عرعر. هنا رأينا ذئباً ضخماً ينسل خلسة من جانبنا. تقدمنا بقوة فوق صحراء واسعة بدون أية سمات خاصة، حيث خيّمنا بعد ٣٠ ميلاً. خلال رحلتنا من كاف إلى الجوف وبعدها إلى سكاكا ثم إلى كربلاء، كنا نتحرك ونحن في قلق متواصل خوفاً من مقابلة أعداء. وهذا جعلنا طيلة الرحلة لانجرؤ على إشعال النار في المخيم، لا في الليل ولا في النهار. وخلال الساعات الحارة وقت الظهر وعند القيلولة لم نكن نبني الخيمة وكان علينا الإكتفاء بإستخدام فَرْشَة صغيرة نمدها فوق رؤوسنا، وبنادقنا تشكل أعمدة لها. بعيداً عن الحوادث البسيطة، التي ذكرتها لم نقابل بشراً طوال مسيرنا، وإستمر ذلك حتى وصلنا تخوم أرض كربلاء حيث بدأنا نرى حياة بشرية مرة أخرى.**

(١) نفس المصدر/ ص٤٩٥.

مسيرة ١٧ ميلاً صباح يوم ٨ يونيو أوصلتنا إلى خط (شعيب عبيدة) الذي يبدأ عند مجمع للمياه على بعد ١٠٠ ميل في المنطقة التي خلفناها وراءنا. يسيل هذا الوادي من هنا، ماراً بالقلعة العربية الباقية منذ العصور الوسطى، أي قلعة أخيضر على حدود الهلال الخصيب، ويسيل إلى بحيرة أبو دبس الكبيرة. في قاع هذا الشعيب، قريباً من نقطة دخولنا، وصلنا عند آبار نخيب حيث قضيت ـ ورغم الحر الشديد ـ نصف ساعة سارةً في إصطياد طيور الطهيوج الصحراوية، التي تدور حول الماء بغض النظر عن أية أخطار ومهما كانت متعبة كما لاحظنا. أمّا قطعان الغزلان الكبيرة، التي تعديناها خلال الظهيرة فيبدو أنها مصابة بنفس الحالة، حيث إصطاد الصيادون معنا عدداً منها وأحضروها لنا، بينما وقف واحد منها جامداً على بُعد ٣٠٠ ياردة، رغم أن واحداً من العرب أطلق عشرة رصاصات بإتجاهه. وفي نهاية هذا العرض من عدم نجاح التصويب على الهدف، تراجع الصياد بهدوء مع تنهيدة تُعبّر عن الغضب.

لقد إتبعنا خط (شعيب عبيدة) المنفرج، متقدمين عبر مرتفعات تدعى (عبارات) وعندها خيّمنا، وكانت تبعد ١٣ ميلاً عن آبار النخيب. وفي اليوم الثاني، عبرنا منطقة ذات نفس طبيعة ورتابة ما سبقها لمسافة ٤٠ ميلاً ولكنها تزخر بالغزلان والطيور. مشينا هذه المسافة لنخيم في أرض مرتفعة، ولكن مسيرة ٢٦ ميلاً أوصلتنا منتصف نهار ١٠ يونيو إلى بقايا قصر أخيضر، وهو واحد من أروع نماذج قصور الصيد العربية الموجودة، ويقع على ضفة (شعيب عبيدة) حيث توجد المياه بكثرة.

خيمنا في تلك الليلة على بعد ٩ أميال من هذا المكان، بإتجاه أبو دبس، وفي الصباح التالي كنّا سعداء لمنظر المنارات وقباب مسجد الحسين إبن مؤسس فرع شيعة الإسلام.

أرسل الحاكم العربي لكربلاء[1]، الذي أرسلنا له مسبقاً نعلمه بوصولنا، مرافقاً ليرحب بنا، وقد عاملونا بكرمٍ بالغ.

(١) هو المرحوم عبد العزيز القصاب الذي كان (متصرفاً) لكربلاء إعتباراً من ١٦/ ٢/ ١٩٢٢م لغاية ٢٦/ ١٢/ ١٩٢٢م حيث نُقل إلى نفس منصبه في لواء المنتفك (الناصرية).

هكذا أنجزت رحلتنا، وتقدمنا إلى الرمادي يوم السابع عشر من شهر يونيو (حزيران) حيث غادرت مع الميجور هولت عائدين إلى عمّان عن طريق الجو وتركنا مرافقينا يعودون مباشرة عبر الصحراء على ظهور الإبل»[1].

(١) الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م/ الدكتور عوض البادي ـ ص٥٠٢ ـ ٥٠٤. ط٢ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، الدار العربية للموسوعات، بيروت ـ لبنان.

رحلة ليدي درَوَر إلى كربلاء

الليدي درور (دراور) سيدة إنكَليزية زارت العراق في مطلع تشكيل الحكومة العراقية في (العهد الملكي) الذي تم فيه تنصيب (فيصل بن الحسين) ملكاً على العراق. وكتبت عن العراق (بلاد الرافدين) كل مشاهداتها حيث زارت مناطق عديدة منه، وكانت مدوناتها هذه قد نُشِرت في كتاب سمته بين دجلة والفرات وصدر سنة ١٩٢٣م باللغة الإنكليزية، وقد تصدى لترجمته الأستاذ فؤاد جميل بإسم (في بلاد الرافدين.. صور وخواطر) حيث أصدره في بغداد سنة ١٩٦١م.

ويبدو من تاريخ نشرها لكتابها أنها زارت العراق سنة ١٩٢٢م. وقد كانت زيارتها إلى كربلاء في شهر شباط من تلك السنة.

كانت الليدي دراور كاتبة للقصص الخيالية فتقول عن كتابها هذا في مقدمته:

«وقد سبق لي ان كتبت شيئاً عن كثير من هذه الموضوعات قبلاً، ولكن هناك زوايا عدة يستطيع الكاتب أن يرى البلد منها. ولعلّ القُصّاص يجدون فيه وفي سكانه، مادة قيّمة تغذي إنتاجهم بوجه لم يسبق إليه أحد من قبل. لقد شغفت ببيتي العراقي حبّاً جما. وعنيت بالأساطير كثيراً، ولم أعن بالتاريخ إلاّ لماما. وإنصرفت بكليتي إلى إستقصاء عادات العراقيين والخرافات الشائعة في البلد، ولم أتناول موضوع السياسة البريطانية أو معضلات الحكومة المحلية إلاّ قليلا. وأستميح قرائي عذراً أن رأوني أسير وراء خيالي المنسرح، فلقد إعْتَدت على كتابة القصص الخيالية!».

ولليدي دراور مصنفات عدة تناولت فيها موضوعات (الصابئة) و(اليزيدية) و(مأثورات العامة) ومنها كتابها الذي نأخذ منه مادتنا عن رحلتها إلى كربلاء. وتتمتع دراور بإسلوب سلس يسير، وقصصي ممتع.

في طريقها إلى كربلاء

كانت الليدي دراور قد زارت النجف قبل كربلاء، ومن النجف توجهت إلى كربلاء عن الطريق الصحراوي، وندعها تشرح ما دونته عن الطريق هذا حتى وصولها إلى كربلاء، فتقول:

«وتلي (كربلاء) ـ عند الشيعة ـ (النجف) من حيث الأهمية، وفي مقدور المرء أن يزورها من النجف أو الحلة. ولا يسلك الطريق الصحراوي الذي يربطها بالنجف إلاّ لماما، لكن الزوّار، وعلى الرغم من ذلك، يسلكون الطريقين دوماً. ولو ترك المرء (النجف) وسلك هذا السبيل فإنه يشاهد أولاً الكثير من القبور، ومنها ما تعلوه القباب المغشاة بالقاشاني المموّه، ومنها ما تبنى على غرار المزارات الشائعة، أو بالآجر، والبقية الباقية لا تعدو أن تكون أكداساً من طين. وقد يشاهد المرء بين الفينة والفينة موكباً جنائزياً.. أو كلاب بريّة وهي حائمة بين القبور.

وبين (النجف) و(كربلاء) قاع صفصف رملي وآثار الطريق المتَيهة التي تربط المدينتين سريعة المحو، ولا سيما عند هبوب العجاج لذلك، كثيراً ما يضلّ السالكون الطريق. أن طولها ٤٠ ميلاً، وليس فيها من المعالم شيء، وقد تغور عجلات السيارة في كثيب...

وكان يوماً فاختيَ اللون من أيام شباط عندما سلكت هذا الطريق.. وقنابر[1] الصحراء، وهي ليست بذات عرف، دائبة الشدو والغناء. ولا تعدم الصحراء هذه، على الرغم من الملوحة الظاهرة عليها، شيئاً من النبت، وفيها زهرات لا عهد لي بها

(١) قنابر: جمع قنبرة أو قُبَرة، وهي نوع من الطيور الصغيرة بحجم العصفور أو البلبل. وجاء في المنجد إنها من فصيلة القُبَريّات، دائمة التغريد، تفتش عن غذائها في الحقول وعلى الطرق.

من قبل. وقطفت منها زهيرة خشاش أرجوانية اللون وعذقاً من زهيرات بريّة غريبة أخرى، إن أرضها مسطحة محصاة، ومهما بلغ تسكابُ المطر عليها من شدّة فهي باقية كبلقع مهجور. وما أن يقترب المسافر منها إلاّ وتتلاشى الخضرة التي تتراءى في الأفق (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء). وتنبت فيها الأعشاب متباعدة، لذلك تظهر الأرض وكأنها جرداء رمادية.

ومررنا في طريقنا بـ (خان المصلّى) وهو على بعد ١٢ ميلاً من (النجف). وتوجد من مثل هذا الخان ثلاثة[١]، إنها على الطريق بين كربلاء والنجف، وهي محصنة جميعاً. وفي مقدور الزوّار أن يجدوا فيها المأكل والمشرب والمأوى. ووقفت بنا السيارة عند (خان حماد) وهو في منتصف الطريق تماماً. إنه قرية ذات أسوار عالية، وفيها بيوت، ودكاكين، وإسطبلات وأجنحة خاصة للزوّار. وهؤلاء يخشون أبناء العشائر كثيراً، ولعل هذه الملاجئ المحصنة خير دريئة تقيهم أخطار مكان منعزل كهذا الطريق. وقادنا المدعو (منديل) مختار (خان المصلّى)[٢] إلى بيته، وقد فرشت أرضه الحصر، وتناثرت عليها الوسائد. وقدَّم لنا المخيض (شنينة) في آنية كبيرة، كما قُدّمت لنا الأرغفة المسطحة، والدجاج المشوي والبرتقال وعجّة البيض (البيض المخفوق). وفي سرع سريع إنطلقت السيارة بنا نحو كربلاء، ولم نزر في طريقنا إليها (خان النخيلة). وتلتقي الصحراء بالمدينة على حين غرّة، وعلى مسافة تقرب من ميل، خارج كربلاء نفسها، ومن بعيد تتراءى قباب كربلاء ومنائرها بين النخل. إن شذى زهور الباقلاء هو أول ما تستروحه في مسرى نسماتها الحلوة العليلة.. وأنت مقبل على المدينة. ويتكاثف الشجر، ويطالعك بعده منظر ساحر فتّان. هذا نَوْر كثير من أنوار اللوز والتفاح، إنه يتلألأ بين النخيل،

(١) بين النجف وكربلاء ثلاث خانات والمسافات بينها متساوية، وهي خان المصلّى الأقرب إلى النجف ومن ثم خان الحماد (خان النص) وخان النخيلة (خان الربع) الأقرب إلى كربلاء، ويجد القارئ تفصيل عنها في بعض مواضع هذا الكتاب.

(٢) نعتقد المقصود به خان الحماد (خان النص) لأنه الخان الأكبر بين الخانات ويتكون من عدة خانات وحوله قرية توفر للمسافرين والزائرين الكثير من إحتياجاتهم.

وتتدلّى أغصان شجره القائم على حفافي (الحسينية) فوف صفحة مائها الصافي الرقراق. وهذا طريق آخر بين الجنائن ويفضي إلى المدينة نفسها.

وبعد (النجف) ـ وخططها جامدة على ما رأيت ـ تطالعك (كربلاء) فتنة للناظرين. فشوارع الجزء الحديث من المدينة[1] مفتوحة مستقيمة، وكأنها هندمت بالقدّة والفادن والبركار.. وإنك لترى الحمير تمر فيها وهي محملة خضرا. لقد خلفنا الصحراء المقفرة المالحة ظهرياً، فنحن الآن في أرض رسوبية خصبة. وبيوت القسم القديم من المدينة تحيط بمساجدها. إن شوارع هذا القسم ملتوية، ولا حظّ لها من إنتظام. ولكربلاء مقبرة في (وادي الأمان)[2] وإليها تنقل أجداث الموتى من كل بلد ناء سحيق. إن كانت النجف هي الرأس المفكر عند الشيعة فالقلب كربلاء. إنها أشد قدسية من النجف، فبمجرد ذكر إسم (الحسين) الذي تضم تربتها رفاته يثير في نفوس الشيعة أقوى أحاسيس الولاء له. وتبكي نسوة العراق اليوم الحسين كما بكت بابل (تموز)[3] في الماضي القديم. وسرد قصة ما عاناه (الشهيد) يثير فيهن الأسى فتقطع منهنَّ نياط القلوب. وعلى مقربة من موقع كربلاء اليوم حاصَرَ هراطقة الخليفة[4] وجنده (الحسين بن علي) ومنعوا عنه الماء، ثم أجهزوا عليه. إنها أفجع مآسي تاريخ الإسلام طرّاً. والقُصّاص في شهر محرم، يروونها وتُمثّل وقائعها كمأساة: فهناك رجال يرتدون ملابس خاصة ليمثلوا شخصياتها الرئيسية. إنهم يسيرون في موكب يطوف بالمدينة، وبينهم (الفرنجي) ـ وقد ألبسوه قبعة شمسية وملابس أوربية ـ وتروي الأساطير إنه أسدى لـ (الحسين) معروفا.

ولا يمر شهر محرّم إلاّ ويموت فيه بعض أبناء الشيعة نتيجة ضرب «القامات» على الهامات، أو السلاسل على الظهور. إنهم يحتفلون بذكرى الفاجعة في جميع الأمكنة

(١) المقصود بها محلة العباسية التي أمر بإنشائها الوالي المصلح مدحت باشا جنوبي المدينة سنة ١٨٦٩م.

(٢) وادي الأمان: هو المقبرة الرئيسية للمدينة التي كانت تقع في الجهة الجنوبية الشرقية منها خارج السور وهي في منطقة (باب طويريج) الحالية.

(٣) دموز أو (الراعي) إله الخضرة، وقد ورد إسمه في الكتاب المقدس (تموز) و(ادونيس).

(٤) تقصد به درور (يزيد بن معاوية بن أبي سفيان).

التي يحلّون فيها، وكربلاء دوماً في المقدمة منها. ذلك إن جثمان (الشهيد) مقبور فيها تحت قبّة (الحضرة الكبيرة) ـ وهي أشد العتبات المقدسة حرمة وأكثرها ثروة. وإن شهر محرم هو الشهر المفضل في أداء الزيارات إليها.

وفي (كربلاء) مسجد آخر تعلوه قبة مغشاة بالقاشاني ومنائر ذهبية[1] ويضم رفات الإمام العباس، وهو أخ للحسين من أبيه. ولو أقسم الشيعي حانثاً بالحسين لما ناله عقاب، فالإمام وديع يصفح، لكن العباس عصبي المزاج وعسكري صارم، يؤمن بالضبط والربط، لذلك لن يجسر أحد على أن يقسم به حانثاً. ألم تر في سقف مسجد الإمام العباس رأس رجل معلق به؟! قيل أنه أقسم بإسم الإمام زوراً، فما كان من الرأس إلاّ أن يطير عن الجسد ويلتصق بالسقف. فإن أقسم إمرؤ بالعباس زوراً فلا معدى من أن يصيبه مثل هذا.

وصفها للمدينة وأسواقها

وكربلاء غنية بالأركان الملونة الجميلة، وجمالها ليس كجمال النجف، لكن الشارع العظيم المستقيم المؤدي إلى المسجد الكبير لا حظّ له من الخلابة والجدة. وتنتهي أسواقها المتعرجة دوماً بأبواب تعلوها طوق مغشاة بالقاشاني. ومن هذه الأبواب يصار إلى مرقد (الحسين) البهيج[2]. وغالبية سكان المدينة من الفرس ووجوههم سمراء شاحبة بيضوية الشكل، وأجسامهم متهدمة. إنهم لا يرمقون المار بنظرة الرضى، وهم لا يغرون أحداً على أن يشتري منهم شيئا. ولا أظن أن في مقدور المسيحي أن يجد دكاناً

(١) لم تكن المنارتان في مرقد العباس عليه السلام مطليتان بالذهب بالكامل، وإنما كانت مذهبة من (الحوض) إلى الأعلى فقط، ومن الحوض إلى الأسفل كانت مغشاة بالقاشاني، وإلى وقت قريب جداً تم تذهيبها بالكامل.

(٢) في بداية القرن العشرين الميلادي وإلى نهاية الثلث الأول منه، كانت أبواب الصحنين الشريفين هي التي تصب فيها ممرات الأزقة في المدينة في وقت لم تفتح بعد الشوارع الرئيسية فيها، وأمام كل باب كانت فسحة من الأرض تتفرع منها الأزقة والأسواق، ولا زالت آثار الأزقة موجودة إلى الان.

واحداً في المدينة يبيعه حجراً نقشت عليه سورة من القرآن، مهما أجزل له في العطاء والثمن، بَل له شراء نسخة من القرآن كله.

والدكاكين في أسواق كربلاء مغرية، وفيها كثير من العطارين، ولو سألتهم أن يسمحوا لك بشم إحدى قناني الروائح العطرية الصفراء، أو إختبار ما تريد شراءه منها لما وقفوا دون ذلك. وفيها باعة الأحجار الكريمة والمجوهرات يعرضون عليك الحلي الذهبية والصناديق التي تحفظ فيها التعاويذ، أو جزءاً من القرآن الكريم، والحجول، ذهبية وفضية، وما هو مخصص منها للأطفال ذو أجراس، وكذلك الأقراط الفارسية وهي جميلة الصنع ومموّهة. وفي مقدورك أن تشتري السِبَح من كل نوع أيضاً، ومنها ما صنع من خشب الزيتون، أو الكهرمان أو غيره... ومنها ما هو مصنوع من الزجاج الرخيص أيضاً.

وتختص كربلاء بنوعين من الحرف: إعداد الأكفان للموتى، وإنك لتجد على هذه الأكفان سوراً من القرآن، وصنع (التُرب) من طين المدينة وتزيينها بالزخرف. وفي مقدور الزائر لذلك أن يرجع إلى بلده، ومعه الكفن الذي يدّخره ليوم موته، وتربة يسجد عليها كل يوم عند صلاته.

هذا والفواكه والخضر في كربلاء موفورة، ومنها التمور على أنواعها، والبرتقال والليمون، والباذنجان، والخس، والباقلاء، وما إلى ذلك.. وشاهدت فيها السلال مليئة باللوز والجوز. وفي دكاكين الحلواتية كثير من الحلوى الإيرانية، وفطائر وولائق ذوات ألوان فاتحة، وفيها (اللقم التركي).

ويرتدي أهل المدينة الكفافي أو يعتمون بالعمائم. ولعل شوارعها اليوم هي نفس الشوارع التي شهدتها أيـام الإسـلام الأولـى. وللتعصب فوائد، ولا سيما من الوجهة الجمالية.

وهناك صناعة أخرى تجعل السوق فتنة للناظرين ـ تلك هي صناعة السلال الملوَّنة، تحاك في المدينة، ويشتريها كثير من زوّارها.

وتعني بـزوّار كربلاء، شأن باقي زوّار العتبات المقدسة، طائفة محترفة خاصة من الناس. ولدى كل فرد منها منهج مرسوم لزيارة المساجد، وإقامة الصلاة، وإرسال الدعاء، وهم يحصلون لقاء ذلك على شيء من الأجور والعطايا. وفي داخل المسجد لوحات دوّنت عليها أدعية خاصة يرددها الزائر التقي، كما أن فيه طائفة من الناس تعيش على نفحاته. وفي مقدمة ما يلتزم الزائر به الطواف حول المرقد.

ويكلف الدفن في الـرواق، أو في المزار الداخلي (١٦٠ روبية) وفي الأبنية الخارجية ٤٠ روبية.

ويقال[1] أن مرقد الحسين عليه السلام على شيء كبير من النفاسة والجمال. وعلى الرغم من أن الهبات والعطايا التي تنثال عليه لا تظاهي ما ينثال منها على مرقد النجف، فهي كثيرة نسبياً. ونفائس المرقد مخبأة ويعني بها قيِّمه (الكليدار).

المقاهي في كربلاء

وعدد المقاهي في كربلاء أكبر من عددها في النجف. إنها تكسب شوارع المدينة مسحة محببة. ولا تستنكر الشيعة، على غرار ما يفعله السنيون والوهابيون (المتطهرون) رسم الصور البشرية، لذلك فإنك تجد جدران المقاهي مزدانة بالصور. ولقد لحظت منها سلسلة تمثل قصة (رستم وسوهراب) ووقائع حربية، ومناظر في (الحريم) وما إلى ذلك. كما أني رأيت صورة طير كبير له رأس إمرأة، ولعله (سمرك) المذكور في الأساطير الفارسية. وهناك صور أخرى مستوحاة من الأساطير والتأريخ أيضاً.

وعلى مقربة من بـاب الحلة مقهى يختلف إليه كثير من «الـسـادة». إنهم يجلسون فيه بعمائمهم الخضراء الزاهية ويحتسون القهوة... وفوق رؤوسهم بلبل يشدو في قفص.. إنه منظر يمتع الناظرين.

---

(١) كبقية الرحالين الأجانب من غير المسلمين، فإن الليدي دراور لم تتمكن من دخول المرقد الشريف، وإنما تم وصفه لها، كالحالة التي وصفتها عن الحنث في اليمين عند قبر أبي الفضل العباس عليه السلام.

في البيت الذي إستضافها أهله

وإستضافتنا [كما وردت في النص والصحيح إستضافتنا] في (كربلاء) إمرأتان مسلمتان، إحداهن زوج تاجر، والأخرى أمّه. أمّا الزوجة ففتاة جميلة في عفرة العمر[1]، وهي تشد حول رأسها «عصّابة» سوداء تلامس حاجبيها، وتتدلى من رأسها جديلتان سوداوان مخضبتان بالحنّاء، وتقع كل جديلة على جنبة من جانبي وجهها. أمّا الأم فإمرأة ذكية لطيفة تُعنى بتتبع سير الرجال وأخبار السياسة، وعلى الرغم من أنها لم تغادر وصيد الباب. والمرأتان ليستا متبرمتين بسجنهما البيتي.. إنهن يرددن قائلات: «إنها التقاليد، ونحن بها راضيات وإليها مطمئنات».

مغادرة كربلاء إلى الحلة

وسلكنا لدى مغادرتنا كربلاء إلى الحلة طريقاً وعراً، وكُتب عليَّ أن أسلكه في زيارتي الأخرى. إنه جد مختلف عن الطريق الصحراوي بين النجف وكربلاء. ولا ينقطع النبت الأخضر القائم على جانبي طريق الحلة ـ كربلاء بتاتاً. وأنك لتشاهد بينه النخل باسقات وهي تطيف بيوت القرويين، والماشية ترعى، وقنوات الري بمائها الراكض. وإنك لتلحظ عليه الرعيان والـزراع وبأيديهم «المساحي»، أو الـزوّار وهم يركبون العربات أو يمتطون صهوات الخيل، أو يمشون على الأقـدام. ويكثر على جانب منه الحمام البري والغراب.

وقد تمر بك بين الفينة والفينة طائفة من الزوّار.. وقد تعجب أن رأيت المرأة تمشي والرجل يزهو راكباً[2].

---

(١) عفرة العُمر في وسطه.

(٢) في بلاد الرافدين.. صور وخواطر/ ليدي درور ـ ص٨٠ ـ ٨٧، ترجمة فؤاد جميل ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م/ مطبعة شفيق ـ بغداد.

رحلة الدكتور (دوايت دونالدسون) لكربلاء

دوايت م دونالدسون باحث إنگليزي ودكتور في اللاهوت، ودكتور في الفلسفة، جهد بكل الوسائل لدراسة تأريخ الشيعة وعقائدهم، وقرر أن يعيش سنوات بقربهم ليستطلع ما يمكن معرفته عن الشيعة، فقد عاش لمدة ١٦ عام في مدينة (**مشهد**) بخراسان يبحث وينقب لهذا الغرض، وليكون قريباً من مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ثامن الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، ومن خلاله تمكن أن يزور جميع المشاهد المقدسة لأئمة الشيعة وأن يرسم صورة جليه لأمل وإيمان الألوف من المسلمين في الهند والعراق وسوريا ومصر، الذين يقطعون المسافات الشاسعة في سبيل غفران ذنوبهم[1] حسب قوله.

وقد أخرج كتاباً ضخماً سمّاه «**عقيدة الشيعة ـ تاريخ الإسلام في إيران والعراق**» في لندن سنة ١٩٣٣م (١٣٥٢هـ)، وفي هذا الكتاب فصلاً موسعاً عن كربلاء، وفصل آخر عن الإمام الحسين عليه السلام.

وجاء في موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء: «**ومع ما في الكتاب من مبالغات وأغلاط غير متفقة مع الواقع، ومع أنه يحاول إعتبار الكثير من الخرافات والغرائب التي تعب في جمعها كأنها جزء من العقائد الإسلامية الشيعية فقد آثرت أن أورد هنا إنطباعات المؤلف عن كربلا، وبعض ما توصل إلى معرفته عن المعتقدات الإسلامية عند الشيعة**»[2].

(١) عقيدة الشيعة (تاريخ الإسلام في إيران والعراق)/ دوايت م. دونلدسن ـ تعريب ع. م، صفحة فاتحة الكتاب. طبع في مصر سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء)/ ص٣٦١، عن بحث للأستاذ المرحوم جعفر الخياط=

في صيف سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) تسنى للدكتور دونالدسون أن يزور العتبات الشيعية المقدسة في العراق كلّها، وكربلاء منها على الأخص، إتماماً لمشروعه في كتابة مؤلف خاص عن عقائد الشيعة وتأريخهم.

وفي تقديمنا لرحلة دونالدسون في هذا البحث سنعتمد على ما دوّنه دونالدسون نفسه في كتابه (**عقيدة الشيعة**) المعرّب من قبل ع. م والمطبوع في مصر سنة ١٩٤٦م.

في الباب الثامن من كتاب عقائد الشيعة وفي عنوان (**كربلا، أشهر المشاهد الشيعية**) يقول دونالدسون:

«أتذكر يوم غادرنا الفندق في بغداد بالساعة الرابعة صباحاً لزيارة كربلا، وقطعنا الصحراء بسيارة فورد من طراز (ت) القديمة وهي تسير بأقصى سرعتها، وقبيل السادسة خففنا السرعة في أرض رملية كثيفة في طريق ملتوٍ بين بساتين النخيل المحيطة بالمدينة المقدسة. كان الفصل صيفاً، فكنا نشاهد جماعات من الناس هنا وهناك باتوا ليلتهم تحت النخيل. وقد أخذوا يهيئون شاي الصباح بالسماورات، أو كانوا جالسين عند حافة ساقية[1] من الماء يستاكون.

وتقع المدينة على بعد ثلاثة أميال أو أربعة داخل البساتين لا يحميها سور[2] فبلغناها بعد دقائق معدودات، وجلسنا في مقهى أمام مشهد الحسين تقريباً نتناول فطورنا من الخبز الإيراني (يسمى خبز العجم) الحار والشاي والتمر. والغريب أن الشخص في المقهى الإيراني لا يتناول إلاّ الشاي لعدم تيسر غيره إلاّ نادرا.

=بعنوان كربلاء في المراجع الغربية، وكان الباحث قد إعتمد على كتاب دونالدسن هذا (عقيدة الشيعة) الذي ترجمه السيد عبد المطلب الأمين وطبعه في بغداد.

(١) يقصد بالساقية هي (نهر الحسينية)، لأن طريق بغداد ـ كربلاء كان يأخذ مساره بمحاذات النهر إبتداءاً من خان العطيشي إلى مدخل كربلاء قرب باب بغداد (باب العلوة) التي كانت تبعد عن النهر ٣٠٠م تقريباً.

(٢) كان يحيط بالمدينة سور تم بناءه مجدداً سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، ولتوسع المدينة إلى خارج سورها لم يعد يشاهد إلاّ من أماكن قليلة.

وتركت السيارة لألتقط صورة للشارع الرئيسي الممتد إلى الحضرة، غير أن منظر القبة الذهبية، آفسده برج الساعة الكبيرة في الزاوية.

وكنت أرى من مكاني في المقهى، النقوش الدقيقة المشتبكة على الكاشاني في مدخل الصحن وعلى المنائر. وقد ربطت سلسلة حديدية عند الباب لتؤشر الحد الذي لا ينبغي (للكافر النجس) أن يجتازه[1]. إن زيارة هذا المشهد مع الإعتقاد بنبوة محمد وإمامة الحسين المنصوص عليها من الله لمن أعظم الأعمال وأهمها، فإن الزائر يحصل على الأمان من سقوط سقف داره عليه أو الغرق أو الحرق او الوحوش الضارية. أمّا لغير المؤمن فإن إجتياز هذه السلسلة جريمة قد تؤدي إلى الموت على يد الرعاع لأن مثل هذا العمل ينجس الصحن المقدس حول القبر.

ولمّا فكّرت في السهولة التي جئت بها إلى كربلا تحققت أن المسافر الإعتيادي يختلف عن الزوار إختلافاً تاماً. وكان في المقهى عدد من هؤلاء الزوار قد خرجوا من الحمّام قبل مدة قصيرة، وجلسوا على التخوت ولفّوا حول أجسادهم العارية مئزراً أحمر وهم يتناولون الشاي. وسيلبسون ملابسهم النظيفة ويـزورون حسب طقوس دقيقة معينة[2].

(١) كان لا يسمح لغير المسلم من دخول العتبات المقدسة، ومن غير المعقول أن يطلق على (الكتابي) كونه كافراً، والكافر هو الذي لا يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى، وقد أفتى بعض علماء الإمامية ومنهم المرجع الكبير المرحوم السيد محسن الحكيم بأن الكتابي إذا تم التأكد من عدم نجاسته فلا مانع من دخوله على الأقل في الصحن ليرى معالم المرقد ويتعرف عن قدسية المكان. ونجد في موضوع السلسلة الحديدية أمراً مبالغاً فيه، أو أن بعض رجال الدين يفتون بالتشدد في هذا الموضوع يصاحبه جهل العامة بالمضمون.

(٢) في الحقيقة لا يشترط الغسل قبل الدخول لزيارة مرقد الحسين أو أي مرقد آخر للأئمة، وشرط الغسل واجب في العمرة والحج قبل لبس الإحرامات في مكة المكرمة. ويمكن أن يكون قسم من هؤلاء قد أتعبهم الطريق ولكي يتخلصوا من وعثاء السفر ووساخة ملابسهم فيقومون بالغسل الإعتيادي والوضوء فيما إذا أراد الزائر الصلاة. كما أن في زيارة الحسين لا توجد طقوس معينة غير الأمر المعتاد في قراءة الزيارة ولثم الضريح الشريف والصلاة في جامع الحرم ركعتين قربة لله تعالى إستحباباً لا وجوباً. فالذي يقوم به البعض من أعمال يعتقدها هو إحتراما للإمام وقدسيته فهي لا تدخل في باب الطقوس مطلقاً.

ورأيت شيخاً ذا وجه يقربه إلى القلب، تاركاً شايه إلى جانبه ليبرد وهو يصلي وكان كلما سجد وضع جبهته على تربة صغيرة من الطين».

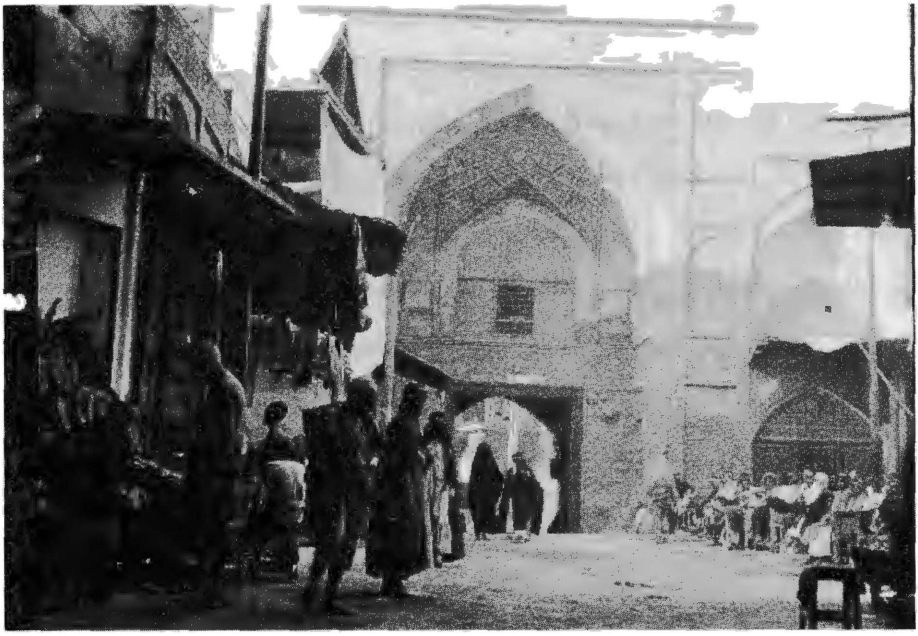

صورة قديمة لباب قبلة الحسين عليه السلام تعود إلى أوائل القرن العشرين الميلادي، وتظهر المقهى على اليمين وفي يسار الصورة بائع الخبز ويقف رجل مئتزر بإزار الحمام، وأن المكان يشابه حينه وصف دونالدسون

(التربة) الحسينية:

التربة الحسينية شيء مميز لدى الشيعة الذين يسجدون عليها في صلاتهم، وكثيراً ما كانت تلفت نظر الغربيين الذين يزورون كربلاء، أو بقية المسلمين من غير الشيعة لعدم معرفتهم بالسبب الذي يتخذها الشيعة في سجودهم.

يذكر دونالدسون ملاحظاته عن التربة الحسينية فيقول:

«رأيت عدداً من الدكاكين في الشارع الرئيسي وفي كل منها مئات من هذه الترب، لاشك وانها للبيع. وقد أخبرني بعضهم أن أحد الأئمة قال أن بيع التربة المأخوذة من الأرض المعجونة بدم الحسين كبيع لحمه. إلاّ أننا عندما غادرنا كربلا دفع السائق عشرين فلساً لشراء علبة من الكبريت وأخذ عدداً من الترب بدل الباقي، ويحمل بائعو الترب مئات منها في صينية، كهدية إسمية لمن عليه سيما الزائر، قائلين أنهم لا يعينون ثمناً لها. وأنهم سيحصلون على ثمنها يوم القيامة. ولما كانوا يحصلون ثمنها في هذه الدنيا فقد أصبحت هذه العادة إزعاجاً للزوار الأغنياء. ويشتري التجار الهنود كل مئة تربة بثلاث روبيات وفي بيوت كثيرة من كربلا سراديب مملوءة منها.

ويقال أن طين هذه الترب مأخوذة من المكان الذي قُتل فيه الحسين وتستعمل المسبحات المعمولة من هذا الطين بصورة عامة تقريباً. وتتألف المسبحة من أربع وثلاثين حبة، فيقضي المؤمن التقي أوقات فراغه بالتسبيح قائلاً (الله أكبر) أربعاً وثلاثين مرة و(الحمد لله) ثلاثاً وثلاثين مرة و(سبحان الله) ثلاثاً وثلاثين مرة[1]. وإذا مات الشيعي فهو عظيم الحظ إن وضعت قلادة من هذا الطين حول رقبته وخاتم الطين في سبابته اليمنى ومعضد من الطين حول كل من ذراعيه وصرة من التراب الذي يكنس من القبر في يده اليمنى، ويستحسن أن تكتب بعض الآيات من القرآن على كفنه بهذا الطين».

ويذكر دونالدسون أيضاً أحاديث وردت في كتب الشيعة منها (تحفة الزائرين) للعلامة المجلسي وهذه الأحاديث وردت عن أئمة أهل البيت في فضل تربة الحسين.

ويستمر دونالدسون بسرد مشاهداته عن كربلاء فيقول: «ودقت ساعة البرج ثلاثاً أي الثالثة بعد طلوع الشمس فنظرت نحو البرج فرأيت الترميم المزيف الذي أجري بصفائح الزيت.. ثم مشيت إلى السلسلة التي تحدد الصحن ونظرت إلى الداخل بكل

(١) هذه التسبيحات تسمى (تسبيح الزهراء) عليها السلام. وجرت العادة لدى غالبية الشيعة قيامهم بهذه التسبيحات بعد كل صلاة من الفروض الخمسة.

شوق. فكم إشتاقت نفسي إلى دخول هذا المكان وقضاء النهار كله في درس النقوش الكاشانية وقراءة الكتابات».

وفي كتاب رحلته هذه يذكر دونالدسون ما ذكره جغرافيو العرب مثل الأصطخري وإبن حوقل ونقله عنهم لسترينج وكذلك براون والمستوفي في نزهة القلوب، ما يخص تاريخ بناء الروضة الحسينية وما قام به المتوكل وهدمه للقبر، ومن ثم إعادة بناءه، وعن البويهيون وبنائهم المرقد وعن حريق المرقد، وإعادة بناءه. كما تطرق إلى وصف إبن بطوطة الطنجي لكربلاء والمرقد الشريف في رحلته.

وعن موضوع وصول قافلة للزائرين وهو واقف عند باب الصحن الحسيني فيقول:

«وبينا انا واقف عند الباب أفكر بأحسن وسيلة أتمكن بها من مشاهدة ما له أهمية تاريخية من البناء، إذ سمعت صوتاً يشبه غناء غير متزن. فقد وصلت قافلة من الزوار بدلالة المطوفين. ولما إقتربوا مني كانوا يرددون ما يقوله المطوف أمامهم من دعاء الزيارة للسلام، وهاهم أولاء زوار أضناهم التعب، جاءوا من بلاد بعيدة. ولم يقدموا بسيارات بل قضوا بين أربعة أسابيع وثمانية في الطريق ينهضون صباح كل يوم مع طلوع الشمس فيقضون بين ثماني وإثنى عشر ساعة على ظهور البغال وكانوا رجالاً ونساء يدل مظهرهم على أنهم من أهل القرى أو بعض العمال أو صغار البياعين. ومما يلفت النظر بينهم عدد من العجائز، رأين أحفادهن وها قد تحقق ما قد كنَّ يحلمن به طول أيام حياتهن. وكنت أدرس وجوههم وهم يمرون من أمامي في طريقهم إلى أحد الخانات القريبة. وكان مظهرهم كله يدل على الجد.

فهل لنا أن ندرك مغزى هذه الزيارة لهم، فإنهم طول حياتهم، كلما ختن طفل أو تزوج عروسان أو مات أحد، جاء رجل من رجال الدين وأخذ يعيد على مسامعهم فصلاً من مأساة كربلا، وهم يبكون. ويعلمون مقدار الثواب الذي وعدتهم الأئمة في هذه الزيارة.

أليس ذلك في الكتب؟ ألم يسمعوه من القراء كل ليلة من سفرهم؟ فقد سمعوا وهم أطفال أن ٤٠٠٠ ملك يحيطون بقبر الحسين وملائكة يبكون عليه ليلاً ونهاراً، وكلما جاء زائر حتى من أقاصي الأرض ذهبت الملائكة لإستقباله وإذا مرض عادته وإذا مات مشت وراءه إلى قبره وإستغفرت له. وقد قيل لهم أن الله نفسه ينظر في إحتياج الزوار وإنه يغفر ذنوبهم لخمسين سنة. وجاء معظمهم بمبالغ غير وافية من المال وهم يعلمون عدد الأيام التي يتمكنون بها من شراء الخبز في كربلاء ويبقى لديهم ما يكفيهم للرجوع. وعليهم أن يدفعوا بعض المال في سبيل الخير، وهذا المال هو مما إقتصدته العائلة منذ مدة طويلة، ومثل هذا المال يدفع إلى مؤسسات التأمين في البلاد التي لم تعد تهتم بأمر الزيارات ونحوها».

ويذكر دونالدسون بتفصيل كثير عن الكتب التي إطّلع عليها والتي تنقل عن الأئمة فضل زيارة الحسين ومقدار الفائدة منها للذي يؤدي الزيارة عن عقيدة وإيمان.

وينقل أيضاً ما حدث في سهل كربلاء حيث وطئت خيول جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص جسد الحسين وإختلط دمه ودم من أستشهد معه بتراب كربلاء. فأصبحت أرض مقدسة عند طائفة كبيرة من المسلمين كان ولاؤهم دوماً لآل بيت محمد ﷺ. وهم يحيون ذكرى مقتله كل عام بمواكبهم العزائية في محرم، فيعيدون تمثيل الحوادث الدامية التي جرت في كربلا جميعها.

وينقل دونالدسون عن كتب التاريخ حول الحائر الذي يقول أنه حرم الحسين في كربلاء، فقد أورد عن الطبري في تاريخه مواضيع كثيرة، ويبدو أنه تأثر في هذا المجال بكتاب تحفة الزائرين للمجلسي الذي نقل عنه الكثير من الأمور التي تخص فضل كربلاء وزيارة الحسين وموضوع معجزة الماء الذي حار حول قبر الحسين ولم يصبه بعد أن هدمه المتوكل وحرثه وأجرى الماء عليه ولذلك سمي بـ **(الحائر)**.

ويتطرق دونالدسون إلى الروايات التي قرأها عن تراب كربلاء الذي جاءت به الملائكة من بيت المقدس إلى كربلاء ليدفن فيها الحسين[1]. وأن الملائكة هيأوا قبره قبل مقتله بألف سنة، وأن مريم العذراء عليها السلام جاءت من الشام إلى كربلاء فولدت عيسى عليه السلام بالمكان الذي دفن فيه الحسين ثم عادت تلك الليلة

(١) في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام لم تذكر كربلاء ولا الطف إلاّ مرّة واحدة جاءت في روايات مختلفة وعديدة ولكن مضمونها واحد، هو أن الرسول ﷺ أخبر من قبل الأمين جبرائيل عليه السلام بأن سبطه الحسين عليه السلام يقتل في أرض تسمى (كربلاء)، وقد أعطي شيئاً من ترابها، والرواية أو الروايات عن حديث الرسول ﷺ جاءت عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ. روايات أم سلمة: عن عبد الله بن وهب بن زمعة: نقلها مستدرك الصحيحين ٣٩٨/٤، والمعجم الكبير للطبراني ح ـ ٥٥، وتاريخ إبن عساكر ح ـ ٦١٩ ـ ٦٢١، وترجمة الحسين بطبقات إبن سعد ج١ ـ ٢٦٧، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٣ص١١، وسير النبلاء ج٣ ص١٩٤وص١٩٥، ومقتل الخوارزمي ج١ص١٥٨وص١٥٩، والمحب الطبري في ذخائر العقبى ص١٤٨وص١٤٩، وتاريخ إبن كثير ج٦ص٢٣٠، وكنز العمال للمتقي ج١٦ص٢٦٦. وعن صالح بن اربد: الطبراني ج ٥٤ص١٢٤، طبقات إبن سعد ح ـ ٢٦٨، مقتل الخوارزمي ١٥٨/١، وكنز العمال ٢٢٦/١٦. وعن المطلب بن عبدالله بن حنطب، وعن شقيق بن سلمة، وعن سعيد بن أبي هند، وعن شهر بن حوشب، وعن داود. وقد وردت في كنز العمال وتاريخ بن عساكر وترجمة الحسين في معجم الطبراني وطبقات بن سعد ومقتل الخوارزمي والصواعق المحرقة لإبن حجر.

أمّا الروايات المنقولة عن أم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها زوج الرسول فكانت عن أبي سلمة بن عبد الرحمن الواردة في تاريخ إبن عساكر ومقتل الخوارزمي ومجمع الزوائد. وعن عروة بت الزبير الوارده في مجمع الطبراني وغيره. وعن المقبري في طبقات إبن سعد وتاريخ إبن عساكر. وعن عبدالله بن سعيد في طبقات إبن سعد ومعجم الطبراني.

أما رواية معاذ بن جبل: فقد وردت في معجم الطبراني ومقتل الخوارزمي وكنز العمال.

ورواية سعيد بن جمهان: الواردة في تاريخ إبن عساكر والذهبي وإبن كثير.

أما روايات عبدالله بن عباس: فقد وردت عن أبي الضحى في مقتل الخوارزمي. وعن سعيد بن جبير الواردة في تاريخ إبن عساكر.

كل هذه الروايات تؤكد صحة حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حول موضوع مقتل سبطه الحسين وتراب المكان الذي يُقتل فيه. وفي كتابنا (كربلاء.. التاريخ والقداسة) تفصيل عن الموضوع في الجزء الأول الكتاب.

إلى الشام[1]. وأن الإمام علي عليه السلام مر بأرض كربلاء وبيّن فضلها وفضل من يدفن فيها.

صورة قديمة لكربلاء من الجو في عشرينات القرن العشرين الميلادي

وردت في كتاب (عقيدة الشيعة) لدونالدسون صاحب الرحلة

وفي معرض حديثه عن المشهدين في كربلاء (مرقد الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام) يقول دونالدسون:

«وتبين الصورة المأخوذة من الجو وجود مشهدين في كربلاء وكلاهما ضمن البقعة المقدسة. ويتشابهان تشابهاً عظيماً، فلكل منهما منائر وبرج ساعة وطارمة وصحن وإيوانات وحُجر كالتي في الخانات.

(١) كانت على الجدار المقابل لرأس الحسين نقش لثلاث نخلات محفورة على المرمر إشارة للرواية.

وبناءآن مركزيان بنفس الحجم والشكل تقريباً وفسحة حول القبر للطواف. إلاّ أن هناك فروقاً ظاهرة يلاحظها الناظر لأول وهلة. فالمشهد الذي في مقدم الصورة له ثلاث منائر بدلاً من إثنتين. وهذا مشهد الحسين الذي تتلألأ فيه قبته المغشّاة بالذهب إذا طلعت عليها الشمس. أمّا المشهد الذي في مؤخر الصورة فهو للعباس أخي الحسين من أبيه، وقبته مغشّاة بالكاشاني الأخضر ولها منظر رائع أمام السماء الصافية كأنها سلحفاة هائلة الخلقة إذا نظرتها تحت الغمام.

ويقال أن العباس هذا أبدى شجاعة نادرة في المعركة، وقد نشأت الروايات في خطر اليمين الكاذبة عند قبره. وهو كما أخبرني صديق شيعي ليس بإمام تنتظر منه الرحمة بل من أصدق الرجال وأشجعهم».

ويقول دونالدسون حول إدراك أهمية المشهدين في كربلاء فلابد للمرء أن يتتبع ما كابده الإمام الحسين في نهايته مع أهل بيته وأصحابه، فينقل ما كتبه الدينوري في الأخبار الطوال وكذلك اليعقوبي في تاريخه عن بطولات أصحاب الحسين وفي مقدمتهم أخيه العباس وإبنه علي بن الحسين (**علي الأكبر**)، وكيف أن العباس قدّم إخوته عبدالله وجعفر وعثمان[1] وقال لهم «**تقدموا ـ بنفسي أنتم ـ فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه**»، فقاتلوا يدافعون عن أخيهم الحسين وإستشهدوا الواحد تلو الاخر، حتى بقي العباس قائماً أمام الحسين عليه السلام يقاتل دونه ويميل حيث مال حتى قُتل.

ويتحدث دونالدسون عن مقتل إبن الحسين (**الرضيع**)، إلى أن يصف الكيفية التي أستشهد بها الحسين عليه السلام بعد البطولة النادرة التي قاتل بها القوم

(١) أخوة الحسين عليه السلام الأربعة الذين إستشهدوا معه في كربلاء هم: قمر بني هاشم العباس وعبدالله وجعفر وعثمان، وهم أخوة الحسين من أبيه (الإمام علي عليه السلام)، وأمهم هي (أم البنين) رضوان الله عليها (فاطمة بنت حزام الكلابية)، وقد ربّت أولادها الأربعة على محبة أخويهم الحسن والحسين حيث تكفلت بتربيتهما بعد وفاة والدتهما (فاطمة الزهراء عليها السلام). وقد ضرب هؤلاء الأخوة أروع الأمثلة في الوفاء والإخلاص لأخيهم الحسين، يتقدمهم (العباس) الذي كان بطل الأبطال وحامي الحمى وساقي العطاشى عندما إلتهب وطيس المعركة في يوم عاشوراء بكربلاء.

وحده، وذكر أسماء الذين إشتركوا في هذه الجريمة البشعة النكراء إلى أن تم حز رأسه الشريف.

ويذكر أيضاً أنه وبالرغم من مرور ألف سنة على حدوث هذه المأساة في كربلاء، فلا يزال مئات الألوف من الزوار يفدون إليها كل سنة، وأكثرهم من إيران، ويكاد يكونون من أنحاء البلاد الإسلامية كافة. وهم يحملون معهم في كثير من الأحيان رفات بعض أقاربهم ممن أوصوا بدفنهم في كربلا.

دونالدسون يصف قبر العباس عليه السلام

وصف دونالدسون حرم العباس وقبره حسب ما نُقل إليه من مرافقيه المسلمين، وهو ينقل في رحلته هذا الوصف ويتأسف لعدم رؤيته للمرقدين بنفسه، فيقول:

«وعند مدخل ضريح العباس كتبت لوحة كبيرة للزوّار (أن لا تتبختر على هذه الأرض التي طالما عفّر الملائكة والملوك جباههم)، وقبة هذا المشهد غير مذهبة إذ يقال أن نادر شاه وهو الذي أمر ببنائها رأى شخصاً في المنام وهو على ما يظن أبو الفضل العباس فوبخه قائلاً (إنني أصغر سناً من الحسين وما أنا إلاّ تراب قدميه، فعليك أن تفرق في البناء بين السيد والعبد)[1].

وداخل الضريح مزيّن بالسجاد الإيراني الثمين مما قدمه التجار هدية، وقد نقشت أسماؤهم في زاوية من السجاد. وتتدلى الشمعدانات[2] من الفضة والذهب تحت القبة.

(١) حول نادر شاه ورواية الحلم الذي رآه، نقول: أن نادر شاه لم يقم بأي تعمير في العتبات المقدسة في كربلاء غير الهدايا التي قدمها والتي كانت من غنائم الهند التي إحتلها. ونادر شاه جدد بناء مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف وكسى قبته بالذهب. أمّا زوجته وهي كريمة الشاد حسين الصفوي، فقد تبرعت بمبالغ مقدارها عشرين ألف (نادري) لمرقد الحسين لإجراء بعض الأعمال التي كانت تحتاج إليها الروضة الحسنية حينها، فما ذكره الرحالة دونالدسون عن نادر شاه وحلمه هذا بعيد عن الصحة، وقد يكون قد قيل من قبل أحد كتّاب السلاطين لدى نادر شاه لتعظيم شأنه.

(٢) نعتقد أنها المعلقات من الثريات والقناديل، لأن الشمعدانات كانت توضع على الأرضية وعلى الرفوف.

وفوق الضريح نفسه مشبك من الفضة بسيط الصنع، والقبر داخل هذا المشبك، وعليه عمامة وسيف».

حلف اليمين عند قبر العباس[1]:

وعن الحلف عند ضريح أبو الفضل العباس عليه السلام يقول دونالدسون حسب ما نُقل إليه:

«ولعل أغرب ما يراه الإنسان هو بقعة سوداء مدورة في سقف القبة، وتروى قصة في أن رجلاً حلف يميناً كاذبة عند هذا الضريح فطار رأسه عن بدنه وإصطدم بالسقف. وتؤكد القصة على الأقل أن القسم الأعظم من الشيعة يترددون في القسم برأس أبي الفضل العباس كذباً. ويطوف الزوار بقبره ثلاثاً وإذا صاروا تحت البقعة السوداء إعترفوا بذنوبهم وإستغفروا الله»[2].

---

(١) ظاهرة أداء اليمين عند ضريح أبي الفضل العباس عليه السلام لا زالت لحد يومنا هذا، وخاصة عرب العراق الذين يعتقدون بشيء لا يقبل الشك أن اليمين عند ضريح العباس قطعي ويُصدَّق به الحالف مهما كانت الأسباب والظروف. وحتى عندما يتم الصلح في الجلسات العشائرية، ولكي لا يُنقض الصلح يقوم الطرفان بعَقد قطعة من القماش بيضاء يسمونها (راية العباس). ومن الغريب في الأمر أن البعض قد يحلف بالمصحف الشريف ولكنه يتردد في الحلف بالعباس (وهو عن جهالة) لأن اليمين بالمصحف الشريف وهو كتاب الله لا يعادله في اليمين والقسم الشرعي شيء آخر. أما السبب في الحلف واليمين بالعباس لأنه وكما يطلق عليه الناس باللهجة العامية أنه (أبو راس الحار)، وما تقدير الناس للعباس إلاّ لوقفته المشرّفة مع أخيه الحسين ودفاعه عنه وعن حرائر أهل بيت النبوة، وإيمانه المطلق بمبادئ نهضة وثورة الحسين عليه السلام وشدته وبطولته في ساحات الوغى، والشجاعة عند العرب لا يضاهيها شيء فهي عنوان المروءة والبسالة والكرم والجود، وكان العباس يحمل هذه الصفات التي كان عليها أبوه أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) نعتقد بعدم صحة هذه القصة رغم أننا نؤمن على وجه اليقين من خلال مشاهدات شخصية وما روي لنا وما سمعناه عن آبائنا وأجدادنا أن اليمين عند ضريح العباس حقيقة لا غبار عليها في التحقيق، وكثيراً ما حلف البعض به كذباً، فقد لاقى مصيراً ومساوئ لا يُحسد عليها. أما عن البقعة السوداء فلم نجد لها ما يثبت وجودها أصلاً فنحن من سلالة خدم المرقدين الشريفين وتشرفت شخصياً ولسنوات طوال بسدانة مرقد الحسين عليه السلام.

وعن مرقد العباس عليه السلام يقول دونالدسون بأنه: «**في داخل مشهد العباس يشير الدليل إلى خزينة الشهداء حيث دُفن أولاد الحسين وغيرهم من أهل البيت**».

وهذا كلام غير دقيق وعارٍ عن الصحة لأن ضريح الشهداء أو (**حفرة الشهداء**)[1] موجودة في حرم الحسين، أما ولداه علي الأكبر وعبدالله الرضيع فقبرهما عند رجل الحسين وجميعهم في قبر واحد.

وصفه لضريح الحسين عليه السلام:

وبعد أن تحدث دونالدسون عن المعلومات التي إستقاها عن ضريح العباس، فقد ذكر ضريح الإمام الحسين بشيء من التفصيل ومعلومات نُقلت له فيقول:«**أمّا ضريح الإمام الحسين تحت القبة الذهبية فعليه مشبكان، الداخلي منهما من الذهب**[2]

(١) الشهداء في واقعة كربلاء رضوان الله عليهم كانوا إثنان وسبعون شهيداً بضمنهم سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فقد أفرد قبر الأمام الحسين ودفن معاه ولداه علي الأكبر وعبدالله الرضيع عند الرجل. أما الصحابي الجليل الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدي فقد دفن بقبر منفرد لأن الذين قاموا بدفن الأجساد هم بنو أسد الذين كانوا يسكنون ضواحي أرض الواقعة في قرى الغاضرية ونينوى وغيرها، وكان الصحابي حبيب من شيوخ بني أسد واعمدتهم في الكوفة. ودفن أبي الفضل العباس في محل مصرعه بقبر منفرد، أمّا الشهيد الحر بن يزيد الرياحي التميمي، فكان بنو تميم يسكنون غرب أرض كربلاء من ناحية البادية، ولكونه من بني تميم فقد أخذوا جثمانه ودفنوه في موضعه الحالي. وبقية الشهداء من أبناء الحسن عليه السلام ومنهم القاسم، وأخوة الحسين وأولاد عمّه وبقية أصحابه الذين إستشهدوا مع الحسين ومنهم عشرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله فقد دفنوا جميعاً في حفرة واحدة تسمى اليوم بـ (حفرة الشهداء) وعليهم ضريح قمنا بفضل من الله بتوسيعه سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ) عندما كنت أتولى سدانة الروضة الحسينية المقدسة. ولا يفوتنا أن نذكر بأن من الشهداء إمرأة واحدة هي (أم وهب) إستشهدت في واقعة كربلاء مع ولدها رضوان الله على الشهداء السعداء جميعا.

(٢) لم يكن هناك مشبك داخلي من الذهب وإنما صندوق خاتمي من الخشب الصندل المزين بزخارف من العاج والنارنج تم وضعه على القبر الشريف سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م، وقد أصاب هذا الصندوق بعض الخراب والتكسير عندما هاجم الوهابيون كربلاء سنة ١٢١٦هـ، فتم ترميمه سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م. وكتب عليه «بعد تكسير أعداء الله له في سنة ١٢١٦ وقام بتجديده خان جان القاجار سنة ١٢٢٥ كتبه صالح الكلكاوي». ولا يزال هذا الصندوق الخاتمي البديع داخل الضريح الشريف إلى يومنا هذا.

والخارجي من الفضة البديعة الصنع. وقد أهدى هذا المشبك الفضي ناصر الدين شاه وعليه إسمه».

وعن موضوع الدفن في المرقد الشريف يذكر دونالدسون ما يخص عملية الدفن في مشهد الحسين فيقول:

«.. وإلى يمين مدخل مشهد الحسين سرداب عظيم يبلغ طوله نحو ٢٠٠ يارد[١] ينزل إليه بدرجات[٢]. ويؤتى بجنائز الزوار الأجانب محمولة بتوابيت، فيوضع من يُدفن منهم هناك في هذا السرداب. ومثل هذا في مشهد العباس وأخبرت بأنه لا يدفن أحد في هذين السردابين إلاّ بعد دفع رسم لا يقل عن خمسمائة روبية».

وصف إجراءات فتح الضريح:

يصف دونالدسون الإجراءات الخاصة بفتح ضريح الإمام الحسين، والحقيقة أن بعض ما نقله في رحلته يجانب الحقيقة، وقد يكون السبب من الشخص الذي وافاه بالمعلومات، فيقول:

«... ويأتي الزوار بمختلف الهدايا من النقود والجواهر والمصوغات ويلقونها داخل المشبك. وعلى الأخص عندما ينذرون نذوراً ثقيلة للإمام وأستجيب ما يطلبونه[٣]،

---

(١) اليارد (الياردة) قياس مساوٍ لـ ٩١ سم و٤٤ ملم، ويعني أن طول السرداب ١٨٣ متر تقريباً، حسب ما ورد في قول دونالدسون.

(٢) السرداب كان في الصحن، والصحن عبارة عن سرداب مسقف بأقواس معقودة تتكئ على اعمدة، وعندما قمنا بعملية فحص المياه الجوفية في الروضة الحسينية لغرض معالجتها بعد أن تم الحفر في منطقة معينة من الصحن وجدنا السرداب والأقواس والقود، وإلى بداية سبيعينات القرن العشرين الميلادي كانت تجرى عملية الدفن في الصحنين الحسيني والعباسي وتم منعه بعد ذلك نتيجة إرتفاع مناسيب المياه الجوفية في الصحنين.

(٣) الشيعة يؤمنون بشفاعة الأئمة من آل البيت عليهم السلام وأولياء الله الصالحين. وكثيراً ما كانوا ينذرون النذور ويجلبونها إلى المشاهد المقدسة أو قبور الأولياء، ويتم الإيفاء بالنذر عندما تتحقق أمانيهم ومطالبهم التي بسببها عقدوا النذر. وبعض العامة ممن لا يفقهون عن ما يقومون به فيطلبون من احد الأئمة تحقيق ما يصبون إليه، وفي حالة التحقيق عليهم إيفاء النذر، وهنا فإن الذي يطلب من الإمام =

فيلقون بنذورهم داخل المشبك الذهبي، ويفتح المشبك بين آن وآخر وتجمع الهدايا ويعلن عنها قبل أن تباع ويؤخذ ثمنها، جزءاً من مال المشهد. ويجري فتح المشبك بشبه إحتفال يحضره ممثلون عن السلطة المدنية.

وأخبرني شاهد عيان ممن أسعدهم الحظ بمشاهدة جمع الهدايا وكنس داخل الضريح بصورة رسمية. قال: وقع الإختيار أولاً على إثنين من السدنة فإغتسلا في حوض ماء بارد وإلتف كل منهما بأزار أبيض كالكفن شد بخيوط حول العنق والرسغين والكعبين. وليس ذلك من جهة الطهارة وحدها بل لئلا يُظن أنهما أخفيا شيئاً من الأشياء الثمينة في طيّات ملابسهما.

ولمّا دخلا عند الضريح سجدا عند القبر وزحفا على أيديهما وأرجلهما إلى داخل المشبك، وبعد أن مسحا التراب عن الأشياء الثمينة التي وجدوها دون أن ينثروه، فالتراب نفسه ثمين، وبعد دقائق معدودات خرجت فيران بيضاء وهي تركض حول القبر. وقد أخرجها الخبز الخاص الذي يضعه في المشبك من أدبرت عنه الدنيا فيدعو الإمام للتوسط له. ولما شاهد السادنان اللذان يكنسان القبر ذلك، هتفا (ها أن الملائكة تعمل معنا)، فهلل الناس وكبّروا لأن الملائكة حسب الأخبار الواردة يتخذون الصورة التي يختارونها[1]. وبعد ٣ ساعات من النفض والكنس وجمع الأشياء الثمينة

=بدون التأكيد على أن النذر لله، والله وحده الذي تُرجع إليه الأمور، فإن نذره باطل بل وحرام، لأن الله هو العاطي وهو الرازق وهو القادر على كل شيء، فما الإمام إلاّ هو ذو صاحب منزلة عند الباري ﷻ وبشفاعته لمنزلته عند الله يمكن أن يستجيب الباري سبحانه طلب السائل. فما الإمام أو الولي إلاّ وسيلة لاغير. فعندها يقوم الشخص الذي نذر نذراً يقدمه إلى مشهد الإمام أو الولي الذي توسل به وبعكسه فلا يجوز النذر. أما كيفية النذر فيقول الشخص: إلهي بحق ومنزلة هذا الإمام وبشفاعته عندك وقولك الكريم: (وإذا سألكَ عِبادي عنّي فإني قَريبٌ أجيبُ دَعْوَةَ الداعِ إذا دَعانِ) ـ سورة البقرة، آية ١٨٦ ـ فإذا تحقق مطلبي منك يا ربِّ سبحانك فإني سأقوم بتقديم نذريَ عند مرقده الشريف.

(١) من الأخطاء التي وقع بها دونالدسون نتيجة النقل الغير صحيح والمبالغ فيه والذي إعتمده وهو يكتب عن عقائد الشيعة ويصف مراقد أئمتهم. فكيف يمثل الناس الملائكة بالفئران؟!!. لأنني عشت شخصياً مثل هذه الحالة عندما كنت أتولى سدانة المشهد الحسيني، فإن بعض الناس الجهلة يقومون برمي قطع من الخبز وكذلك قطع من البطاطا أو غيرها مما يؤكل داخل ضريح الإمام الحسين ليتشفع لهم عند الله لأنهم في فاقة وضنك من العيش ويطلبون الرزق والقوت من الله، وهم لا يعلمون الضرر الذي يلتحق بالضريح الشريف من خلال تجمع الحشرات وبعض القوارض لأن ما يرمونه يبقى مدةداخل الضريح إلى يتم تنظيفه. وكم كنا نجد بعض الفئران والحشرات عندما كنا نفتح الضريح لإخراج ما بداخله ومن ثم تنظيفه. فقد قضينا على القوارض والحشرات عندما إستعملنا وضع=

وتفريقها أخرجت المجوهرات وأخرجت معها كمية من التراب المقدس الذي جمعاه بكل إعتناء.

فنقلت الأساور والقلائد الثمينة إلخ. إلى خزينة المشهد وهي تؤلف جزءاً من الدخل النظامي، وجمع السدنة التراب في صرر تباع للزوار. لأنهم يعتقدون أنها إذا دُفنت مع الإنسان غُفِرَت له ذنوبه.

وبعد أن تمت هذه العملية، أقيمت القراءة الحسينية (روضة خواني) وأعيد ذكرى مأساة كربلا. ودار السدنة حول القبر يضربون أكتافهم المكشوفة بالسلاسل التي علقت بها المسامير أو السكاكين الصغيرة وقد كشفوا القسم الأعلى من أجسادهم حتى السرّة. ويصيحون (حسين! حسين!) بإسم شهيد الشهداء[1]، والشفيع لهم يوم القيامة»[2].

=المبيدات في جميع أركان وزوايا أرضية الضريح بعد تنظيفه.

أمّا عن الأشياء التي تلقى داخل الضريح فحدث ولا حرج ولا مكان لذكرها هنا وقد تكون فيها بعض من أسرار الناس الجهلاء.

أمّا عن موضوع الملائكة، فالشيعة تعتقد بأن الملائكة يحفون بقبر الحسين وفي قبور الأئمة، وفي زيارة (وارث) للإمام الحسين جاء في أحد مقاطعها: «السلام عليك وعلى الملائكة الحافّين والمحدقين بقبرك الشريف»، وحتى عند الدخول يسلّم الزائر على النبي وأهل البيت ومن ضمن السلام يقول السلام على ملائكة الله الصالحين.

(١) نعم لفتح ضريح الإمام مراسيم في الإبتداء وعند نهاية ما تسمى بـ (الفتحة)، ومن ضمن هذه المراسيم ان سادن الروضة الذي بيده المفاتيح يصلي عند باب الضريح ركعتين، ويفتح باب الضريح أمام لجنة الفتحة المكونة من أكبر مسؤول إداري في مدينة العتبة، وقاضي الأحوال الشرعية وأعضاء آخرين، ويقوم السادن بتكليف إثنين من خدم الروضة يطمئن من طهارة ملابسهم ونظافة اليد (نزيهين) فيدخلون داخل الضريح بعد أن يقبلوا عتبة الضريح، ويقومان بتفريغ المحتويات.. وعند الإنتهاء من العمل وتنظيف داخل الضريح المقدس يدخل السادن ويصلي ركعتين داخل الضريح عند الرأس (وهذا ما كنت أقوم به) وقد سمعناه من أجدادنا، ويخرج السادن ويغلق باب الضريح، ثم يقوم الجميع بقراءة زيارة وارث ومن أحب بعدها أن يصلي ركعتين في الحرم قربة إلى الله تعالى، وتجري المراسيم بكل قدسية وإحترام. أما ما نقله دونالدسون عن القراءة الحسينية ومن ثم يدور السدنة (الخدام) حول الضريح ويضربون أكتافهم المكشوفة بالسلاسل المعلقة فيها المسامير والسكاكين ويصيحون حسين حسين، فهذا محض إفتراء ولم نسمع به من أجدادنا أبداً، وحتى أن الضرب بالسلاسل والسكاكين ينتج عنه خروج الدم من الأجساد وعندها سوف ينجس الدم أرض الحرم، وحتى في شعائر التطبير وغيرها يمنع الأشخاص الذين يقومون بها من الدخول إلى الحرم للحفاظ على طهارة المكان من الدم. فنستخلص مما ورد عن دوتالدسون أنه نقل له بعض شعائر شهر محرم ودمجه في هذه الحادثة.

(٢) عقيدة الشيعة (وهو كتاب عن تاريخ الإسلام في إيران والعراق)/ دوايت. م. دونالدسون ـ الدكتور في اللاهوت، ودكتور في الفلسفة، كتبه سنة ١٩٣٣م/ ١٣٥٢هـ. ترجمه ع. م وتم طبع الكتاب=

رحلة المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني لكربلاء

المرحوم السيد عبد الرزاق الحسني من أشهر الكتّاب والمؤرخين في القرن العشرين الميلادي، ويُعدّ الحسني موسوعة علمية ومؤرخ نزيه وصادق فيما يكتب، لا يجامل ولا يهادن وبقي قلمه نظيفاً طوال أكثر من ٥٠ سنة قضاها في البحث والتأليف والترحال. وقد بدأ بالتأليف في سن مبكرة، فقضى معظم حياته يكتب عن تأريخ العراق والأمة العربية بصدق ومنهجية وعلمية وبأمانة وإخلاص.

ولد ببغداد سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م في محلة الشورجة ـ سوق العطارين من عائلة تتعاطى الأدب وتمتهن العطارة، وقد لقبت عائلته بآل العطار.

إنتقل إلى النجف عام ١٩٢٠م إثناء ثورة العشرين، ودرس في دار المعلمين وإثناء دراسته فيها بدأ بالتأليف وإتجه إلى التأريخ ليعوم في بحره، حتى تجاوزت مؤلفاته الثلاثين كتاباً بينها عناوين مشهورة مثل: تاريخ الوزارات العراقية وتاريخ العراق السياسي الحديث، والعراق قديماً وحديثاً، والعراق في دوري الإحتلال والإنتداب، والثورة العراقية الكبرى، والأسرار الخفية في حركة سنة ١٩٤١ التحررية، وتاريخ الصحافة العراقية، واليزيديون في حاضرهم وماضيهم، والبابيون والبهائيون، وموجز البلدان العراقية، والخوارج في الإسلام، والصابئة قديماً وحديثاً، وكتاب عن رحلاته في العراق بإسم (**الرحلة العراقية**)، وغيرها الكثير.

= في مصر في ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩ تشرين الأول (إكتوبر) سنة ١٩٤٦م. وقد إعتمدنا رحلة دونالدسون إلى كربلاء الواردة في الكتاب من ص١٠٢ إلى ص١١٢.

أجاد عدة لغات، وسافر في رحلات إلى العديد من دول العالم الأوربية والآسيوية وكذلك الأقطار العربية.

توفي رحمه الله في ليلة الخميس ٢٤ كانون أول عام ١٩٩٧م في داره المتواضع في الكرادة داخل ببغداد، بعد أن عانى لمدة عشرون عاماً من مرض عضال حتى أقعده المرض عن الحركة ولكن بقي يرفد الساحة بعلمه رغم صعوبة العيش وعدم مد يد العون والمساعدة له، وعند وفاته أفاق ولاة الأمر حينها وشيعوه بجنازة تليق به وبعلمه وما أنجزه للعراق وتذكروه عند وفاته بعد أن نسوه في حياته!!.

بعد تخرجه من دار المعلمين إنصرف إلى الصحافة إنصرافاً كليّاً حتى عُيّن مديراً لإدارة جريدة (**المفيد**) ومندوباً متجولاً لها، وقد طاف العراق شماله وجنوبه بهذه الصفة ووضع رحلته المشهورة (**الرحلة العراقية**) أو (**رحلة في العراق أو خاطرات الحسني**) التي طبعت ثلاث مرّات.

وفي كتابه (**موجز تاريخ البلدان العراقية**) الذي إنتهى من كتابته في ١٥ ربيع الأول ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وطبع في نفس السنة في بغداد، فقد دوّن فيه من خلال جولاته في مدن العراق معلومات تاريخية وإجتماعية وروحية عن تلك المدن حيث قال في مقدمته: «**فقد جلت في العراق جولات كثيرة وتفقدت أحوال بلدانه مرات عديدة تمكنت في غضونها أن أقف على معلومات تاريخية وإجتماعية وروحية كثيرة قد لا يتيسر لغيري جمعها أو الحصول عليها لما يعترض ذلك من عقبات كأداء لا أعتقد أنها تخفي على القارئ الفطن، ولمّا كنت شغفاً بالبحث عن البلدان العراقية منذ صغر سني، جمعت تلك المعلومات والمشاهدات في هذا الكتيّب..**»[1].

وفي كتابه هذا دوّن مشاهداته ومعلوماته عن مدينة كربلاء في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، وفيما يلي نص ما كتبه عنها:

(١) موجز تاريخ البلدان العراقية/ عبد الرزاق الحسني ـ ص٣، ط١ مطبعة النجاح ـ بغداد ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

لواء كربلا ـ توطئة ـ من بين الألوية العراقية التي تمتاز بقدسيتها وبتاريخها الوضاء الحافل بجلال الأمور وعظام الحوادث في تاريخ هذا القطر، **(لواء كربلا)** المنحصر بين ألوية الحلة والدليم والديوانية. فقد أخبرتنا الأسفار التاريخية عن معارك خطيرة دارت رحاها في ربوع هذا اللواء، تجلت فيها الفضائل والمعجزات كما تجلى فيها النُبل والثبات على المبادئ المقدسة. وأخبرتنا أيضاً عن مدن كبيرة وحصون منيعة أنشأت في أرجائه لم يبق منها غير الإنقاض ولم يعرف من تأريخها إلاّ النزر اليسير. ولئن قضت الظروف المؤلمة أن يكون هذا اللواء في معزل عن الإصلاح الذي تتطلبه حضارة القرن العشرين وتتطلبه المدينة الحاضرة، فعلى المستقبل القريب يعلق أهلوه آمالاً جساماً للنهوض بلوائهم إلى مستوى ألوية بغداد والبصرة والموصل سواءً أكان ذلك من الوجهة العمرانية والتجارية أم من الوجهة العلمية والأدبية وما ذلك على ناشدي الإصلاح ببعيد.

قاعدة اللواء

قاعدة لواء كربلاء اليوم، **(مدينة كربلا)** الشهيرة في التاريخين: التاريخ القديم والتاريخ الحديث، وهي بلدة قديمة عرفت بهذا الإسم قبل الإسلام بزمن طويل، وإستيفاء البحث عن قدمها، يكلف الباحث كثيراً من متاعب الإستسقاء والتنقيب لعدم وجود منابع تاريخية وافية وموثوق بصحتها يصح الركون إليها.

(كربلا في التاريخ القديم): رأى بعضهم أن التوصل إلى معرفة كربلا وتاريخها القديم قد يأتي عن طريق معرفة إشتقاق هذه الكلمة فاحتمل أن تكون لفظة كربلا منحوتة من كلمة **(كوربابل)** العربية، بمعنى مجموعة قرى بابلية كثيرة منها نينوى القريبة من أراضي سدة الهندية، ومنها الغاضرية المشهورة اليوم بأراضي الحسينية، ثم كربله **(بتفخيم اللام)** وهي القريبة اليوم من مدينة كربلا جنوباً وشرقاً، ثم كربلا أو عقر بابل وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية وبأطلالها أثريات مهمة، ثم النواويس التي كانت مقبرة عامة قبل الفتح الإسلامي

ثم الحير (**ويقال لها الحائرأيضاً**) وهي اليوم موضع قبر الحسين عليه السلام إلى رواق بقعته المشرفة أو الى حدود الصحن الشريف وغير ذلك من القرى الكثيرة. وعدم تشخيص الحدود الجغرافية لهذه القرى بصورة نهائية ويقينية وهذا ما يجعله إحتمالاً مجرداً بنفسه.

ويرى البعض الآخر ان إسم كربلا مركّب من (**كرب**) أي حرم و(**ايل**) أي الله ومعناهما (**حرم الله**) وهو لفظ آشوري يدل على أن هناك كان حرم إله يُعبد. وأرى أن إطالة البحث في قدم كربلا والتوصل إلى معرفة تاريخها عن طريق الإشتقاق اللفظي، يعيي المؤرخ فيجعله يتخبط في ديجور من التوهمات والإحتمالات التاريخية ولا يصل به إلى نتيجة يقينية وربما كان في تلك الأطلال والخرائب المتفرقة ما يكشف لنا تاريخ كربلا القديم الغامض ولكن في المستقبل. لهذا فقد إكتفيت بما قدمته على أن أعود إلى البحث مرة ثانية متى إجتمعت لديّ دلائل ومصادر أخرى ومتى تهيأ للمنقبين والآثريين أن يفتحوا كنوز تاريخ العراق المجهول فيتحفونا به.

ومتى مرّت على ذاكرة الإنسان لفظة (**كربلا**)، إغرورقت عيناه بالدموع السخية وتذكر المآسي التي حدثت في هذه البقعة يوم تغلبت القوة الغاشمة على الحق ولعبت الغطرسة الأموية دورها المحزن في التاريخ العربي حتى أن الإمام عليه السلام الحسين بن علي لمّا حلّ بها سأل بعض أصحابه عن إسم البقعة التي هو فيها، فقيل له يا أبا عبدالله إنها تسمى كربلا فقال عليه السلام أرض كرب وبلاء، وهمّ بالرحيل عنها فمنعه أصحابه عن ذلك. وقد سبق أن نزلها أبوه الإمام علي عليه السلام في سفره إلى حرب صفين وشوهد فيها متأملاً في ما يحيط بها من أطلال وآثار، فسئل عن ذلك فقال عليه السلام إن لهذه الأرض شأناً عظيماً، فهاهنا محط ركابهم وهاهنا مهراق دمائهم، فسئل عن التفصيل فقال (**ثقل لآل محمد ينزلون هاهنا**).

هذا كل ما لهذه الأرض من قيمة تاريخية تحفظها لها أسفار التاريخ القديم، وقد حصل كثير من التغيير والتبديل في مجرى الفرات وتقسيمه لمدنها وقراها فلا يمكن بالضبط تعيين مواقع المدن الشهيرة التي أنشأت أيام البابليين ومن جاء من بعدهم، كما أن الإحاطة بأسماء القرى التي أسست أيام الفتح الإسلامي فيها متعذر نظراً لنقصان التاريخ.

(كربلا في التاريخ الحديث): أمّا كربلا اليوم فتبعد عن بغداد ٦٤ ميلاً ويربطها بها سكة حديد أنشأت عام ١٩٢٥م وهي مدينة واسعة جالسة على ضفة ترعة الحسينية اليسرى ويحيط بها شجر النخيل الوارف وتغرس فيها أشجار الفواكه الباسقة على إختلاف أنواعها. وجادات المدينة وأسواقها منظمة من حيث العموم، ففيها مبانٍ عامرة وفيها جادات واسعة ومؤسسات فخمة، إلاّ أن هندسة البناء فيها هندسة قديمة. وهي من حيث العمران تقسّم إلى قسمين: يسمى الأول **(كربلا القديمة)** وهو الذي أقيم على أنقاض كربلا القديمة في التاريخ. ويدعى الثاني **(كربلا الجديدة)** وهو الذي خطط في عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا عام ١٢٨٥هـ وبني بعد عام ١٣٠٠هـ على طراز يختلف عن الطراز الأول، إلاّ إنه تهدم مع الأسف بالتدريج حيث أقيم على أرض سبخة تنز فيها المياه فتأكل أسس الجدران ولهذا يحيط بكربلا اليوم مستنقع كبير كثيراً ما يهدد حياة سكانها والزائرين لها بأمراضه الكثيرة الأنواع. ومع أن الحكومة لا تزال تبذل هممأ تذكر في دفنه، فإن خطره لا يزال يفعل فعله في الأهلين الأمر الذي يجعل سكان المدينة صفر الوجوه هزيلي الأجسام معرضين للأمراض المختلفة.

ويؤم المدينة في كل عام ألوف من الزائرين لضريح سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام ولاسيما في أيام الزيارات المخصوصة، فإن معدل عدد الزوار فيها يبلغ (١٨٥٫٠٠٠) نسمة.

وقضية الإمام الشهيد مع يزيد بن معاوية قضية مشهورة لا نرغب أن نتطرق إليها في هذه العجالة لأنها أشهر من أن تذكر. ولمّا صُرع عليه السلام في العاشر

من محرم الحرام عام ٦١هـ دفن في **(الحاير)** وضريحه اليوم مُقام وسط صحن عظيم تـلألأ البدر في كبد السماء. وعلى مسافة قريبة من هـذا الصحن مدفن أخيه العباس عليه السلام المقتول معه في يـوم واحـد وهـو أيضاً وسـط صحن كبير لا يقل عن بقية صحون مراقد الأئمة عليهم السلام من حيث هندسة البناء وضخامته وقببه ومآذنه وكثرة المجوهرات والمرصعات التي إعتاد المسلمون أن يزينوا بها الأماكن المقدسة.

وعلى بعد ثمانية أميال من شرقي المدينة مرقد الإمـام عون بن عبدالله بن جعفر عليه السلام وأمه زينب بنت علي عليها السلام[1] وقيل الخوصاء، يقصده المسلمون للزيارة عندما يذهبون إلى كربلا، ولعل في هذا الوصف الموجز ما يغني القارئ عن الإزدياد منه.

(تنظيمات اللواء الإدارية): يتقوم لواء كربلا من مركز اللواء وتتبعه ناحيتان. ومن قضاء واحد هو **(قضاء النجف)** وفيه ناحية واحدة يقال لها ناحية الكوفة[2].

أما مركزه فمدينة كربلاء التي سبقت الإشارة إليها، وأمّا الناحيتان التابعتان إلى المركز فهما:

١ـ الحسينية.. ومركزها خان العطيشي **(بالتصغير)** الواقع في منتصف طريق **(كربلا ـ المسيب)** وهو مرجع للعشائر والمزارعين في الناحية المذكورة.

٢. شفاثة.. ومركزها قرية شفاثه الواقعة على بعد ٤٢ ميلاً عن كربلا، وهي بليدة كانت تعرف بإسم شفاثى ـ كحبالى ـ كما جاء في تاج العروس. وقد سميت في زمن الفتح بعين التمر وفيها نخل كثير تسقيه المياه الكبريتية الكثيرة في هذه

(١) تم التطرق إلى موضوع مرقد عون بن عبدالله سابقاً في هذا الكتاب. فهو ليس إبن زينب بنت علي عليها السلام.

(٢) التنظيمات الإدارية تتغير دائماً، فتلحق وحدات إدارية وتنقل وحدات اخرى وتكون تابعيتها إلى متصرفيات مجاورة حسب الظروف لكل مرحلة زمنية. وقد ذكر الكثير من الرحالة الذين زاروا كربلاء وحداتها الإدارية التابعة لها، وقد أوردناها في صفحات هذا الكتاب، ومن المفيد أن يطلع القارئ الكريم على هذه التغييرات لإعمام الفائدة.

القرية. وتجتمع هذه المياه في الأعين العديدة الواقعة في وسط البليدة والتي تكّون فيها برقاً عظيماً تتصاعد منه الأبخرة صباحاً فتجعل البليدة في ظلام دامس، فإذا صار وقت الظهر إنقشع ذلك الضباب الكثيف وصفا الماء فصار زلالاً، وفي شفائه وضواحيها معادن ملحية كثيرة، ونفوسها زهاء خمسة آلاف نسمة»[1].

وللمرحوم السيد عبد الرزاق الحسني كراس عن كربلاء عنوانه (**تسخير كربلاء في واقعة محمد نجيب في عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م**)، ذكر فيه شرحاً مفصلاً عن تلك الحادثة الأليمة التي هاجم بها والي بغداد محمد نجيب باشا، وقصفها بالمدافع لغرض إخضاعها بعد أن ثار أهاليها على الحكم العثماني، وفي هذه الواقعة سالت دماء الكربلائيين بعد ان إستباح الجند المدينة عدة ساعات، ولم يسلم من القتل حتى الذين لاذوا بمرقدي الحسين والعباس عليهما السلام. وقد نقل الحسني عن هذه الواقعة صورة كاملة لما حل بالمدينة وما لحق بعد ذلك من تبعات.

(١) موجز تاريخ البلدان العراقية/ السيد عبد الرزاق الحسني ـ ص٥٣ ـ ٥٩.

رحلة السائح المصري (محمد ثابت) لكربلاء

محمد ثابت المدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية في القاهرة بمصر، قام برحلة ساح بها في بلدان عديدة بين مصر وأفغانستان، إبتدأها من القاهرة وعاد إليها. وقد كان خط رحلته كما يلي: العريش. غزة. القدس. يافا. حيفا. بيروت. بعلبك. دمشق. حمص. حما. حلب. أدنا. قونية. أنقرة، وعاد إلى حلب ومنها إلى نصيبين. الموصل. كركوك. بغداد. سلمان باك. الحلة. آثار بابل. الكوفة. النجف. كربلاء. وعاد إلى بغداد ومنها توجه إلى إيران فزار. ديالى. خانقين. كرمنشاه. همدان. قزوين. رشت. بهلوي عند بحر قزوين وعاد من نفس الطريق فوصل طهران ومنها إلى سمنان. دامغان. سبزوار. نيسابور. مشهد. **(هرات. قندهار في أفغانستان)**، وعاد إلى طهران في نفس الطريق ومنها إلى قم. كاشان. اصفهان. شيراز ومنها إلى ميناء بوشهر على الخليج العربي وعندها عن طريق البحر وصل إلى الفاو. عبادان. البصرة. ومن البصرة إلى أور. السماوة. الحلة التي عاد منها إلى بغداد التي غادرها بعد ذلك إلى سوريا عن طريق الفلوجة. الرمادي. الرطبة. دمشق ومنها إلى فلسطين مرة أخرى في طريق عودته فزار طبريا. القدس غزة. العريش. حتى وصل إلى القاهرة.

وعن رحلته هذه قام بتثبيت مشاهداته في كتاب سمّاه **(جولة في ربوع الشرق الأدنى بين مصر وأفغانستان)** من مشاهدات سائح مصري. وفي كتابه لم يذكر أبداً تاريخ بداية رحلته وتاريخ إنتهاءها، ولكن ما ثبّت على عنوان الكتاب ورد سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، فإذا كان هذا التاريخ هو تاريخ طبع الكتاب فتكون رحلته

كانت قبل هذا التاريخ. وذكر البعض بدون توثيق أن رحلته كانت إلى كربلاء سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦ م بدون سند يُعتمد عليه. ومن ذلك فيمكننا أن نقول بان رحلته كانت في بداية الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي، وأن زيارته كانت في أواخر شهر تموز.

لقد دوّن محمد ثابت الكثير من المعلومات التي وردت في كتاب رحلته، وقد وجدنا فيها بعض المعلومات الخاطئة التأريخية منها أو ما نُقل إليه من أمور قد لايكون لها أساس من الصحة خاصة في جولاته في الكوفة والنجف وكربلاء والتي تهم بحثنا بالذات. وسنذكر إختصاراً ما ذكره عن الكوفة والنجف، ونص ما ذكره عن مدينة كربلاء.

غادر بغداد إلى الحلة بالقطار وتحدث عن سد أقامه الإسكندر المقدوني للسيطرة على مياه الفرات في فرعيه نهر الهندية ونهر الحلة، وتحدث عن سدة الهندية، وزار آثار بابل. وغادر الحلة إلى الكوفة بالسيارة حيث شاهد قلعة نمرود وبلدة ذي الكفل، وتحدث عن سبي اليهود، ووصل الكوفة التي يقول عنها أنها بدت قرية صغيرة وقد وقف في مسجدها الجامع الذي وصفه بإسهاب وذكر ضريح مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وذكر قصر الإمارة، ويقول بأن الكوفة في نظر الشيعة بلدة ملعونة وهي أكبر بلاد العراق بل والعالم نحساً ونكداً يرمى أهلها بالغدر والجبن وضعف النفس حسب قوله الذي يستمر ويقول: ففيها قُتِل علي عليه السلام، وأهلها هم الذين أغروا الحسين أن يخرج في عائلته وسط الصحراء تخلّوا عنه في جبن وخسة وقُتل أمام أعينهم، وهنا أيضاً غدروا بزيد[1] حفيد علي، فهم الذين حرضوه على مقاتلة الخليفة الأموي ولمّا هم بذلك تخلوا عنه فقتل مع الفئة القليلة التي ناصرته.

(١) هو الشهيد زيد بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ثار زيد على الحكم الأموي زمن هشام بن عبدالملك، وقد أرسل إليه هشام جيشاً كبيراً وقُبض عليه رحمه الله وتم قتله في (جبانة الكوفة) وأمر بصلبه على جذع نخلة، ومن ثم أحرقت جثته.

ومن الكوفة توجه محمد ثابت إلى النجف مستخدما **(الترام)**[1] للوصول إليها. ويتحدث عن النجف وعن مرقد الإمام علي عليه السلام وكيف دفن هناك والطريقة التي تم إكتشاف قبره الشريف في زمن هارون الرشيد. كما تحدث عن سوق النجف المشهور وقام بزيارة المرقد الشريف، وتحدث عن مقبرة السلام **(وادي النجف)**. ويقول أن في النجف فئتان من الأهلين متباغضتان هما السجورت **(الزكَرت)** والشمورت **(الشمرت)**، ولكل منهما أشياع كُثر. وأن النجف تعد مصدر جميع الثورات والإضطرابات التي تحدث في العراق ومنها ثورة العشرين، والمجتهدون لهم النفوذ الأول في المدينة يليهم **(الكليدار)**. كما تحدث عن بحر النجف، وعن سراديب النجف الرطبة الباردة، وعن المدارس الدينية ورجال الدين.

كما نقل حديثاً عن الصراع الطائفي بين السنة والشيعة. وتحدث بشيء من التفصيل عن الشيعة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين وعن مقتل الإمام علي وعن الإمام الحسين وخروجه، ولكن في هذا الصدد كانت المعلومات التي أوردها فيها الكثير من الأخطاء التأريخية تنم عن عدم إطلاعه الصحيح على الوقائع التاريخية التي تعج بها جميع كتب التاريخ المعتمدة. ومن أغرب ما ورد في مذكراته كان عن زواج المتعة حيث يقول: إسترعى نظري في النجف كثير من الأطفال الذين يلبسون في آذانهم حلقات خاصة هي علامة أنهم من ذرية زواج المتعة المنتشر بين الشيعة جميعاً وبخاصة في بلاد فارس..!. ونقل معلومات عارية عن الصحة في ذلك الموضوع.

---

(١) الترام عربات تسير على قضبان حديدية (سكة) تجرها الجياد، وكانت هي الوسيلة الأسهل للتنقل بين الكوفة والنجف، وكان الترام يقطع المسافة بين المدينتين بثلث ساعة تقريباً. وبقي الترام يُستخدم إل أوائل خمسينات القرن العشرين وتم إلغائه فيما بعد لتطور وسائط النقل بالسيارات.

ما ذكره محمد ثابت عن كربلاء:

أوجزنا ما نقله محمد ثابت عن مشاهداته ومعلوماته التي أوردها في كتاب رحلته، لأن بعض الأمور التي ورت مطولة في مذكراته تخص كربلاء أيضاً بإعتبارها من المدن المقدسة في العراق وهي والنجف تُعدّان ذات أهمية بالغة لدى الشيعة بشكل خاص، ولعامة المسلمين أيضاً.

يقول محمد ثابت:

«قمت من النجف مبكراً إلى كربلاء، فوصلناها بالسيارة في ثلاث ساعات، فكانت تحكي[1] النجف تماماً في أزقتها الملتوية، تطل عليها شرفات متقاربة متقابلة تكاد تظل الطريق. وهي ثاني معاقل الشيعة فإن قلنا أن النجف هي الرأس في المفكرة للشيعة[2] فكربلاء قلب الشيعة النابض، فهي أكثر قدسية لديهم من النجف. هنا يبكي القوم نساء ورجالاً وأطفالاً موت الحسين الذي تثير ذكرى فاجعته لديهم حماسة فائقة أشبه بحماسة أهل بابل وبكائهم على موت (تموز).

هنا زرت مدفن الحسين تحت قبة من الذهب يسمونها (الحضرة الكبيرة)، يؤمها خلق كثير وبخاصة في محرم شهر الحج[3].

وهناك مسجد آخر يدفن فيه العباس وكان أخ الحسين من أبيه. وكان يعرف القوم عن الحسين رقته وتسامحه وعن العباس دقته وقسوته في الحق، لذلك قد يحنث الواحد

---

(١) تحكي النجف أي مشابهة لها.

(٢) الرأس المفكرة للشيعة، يعني بها وجود الحوزة العلمية والمراجع الدينية والمدارس الدينية العديدة.

(٣) محرم هو ليس شهر الحج، بل الحج إلى بيت الله الحرام في شهر ذي الحجة. وإذا كان يفد (الحج) إلى قبر الحسين عليه السلام لزيارة مرقده الشريف فيكون ذلك في يوم العاشر من محرم من كل علم، وأن الناس يتوافدون لزيارة قبر الحسين في عدة مناسبات منها زيارة الأربعين في ٢٠ صفر وزيارة رجب وفي النصف من شعبان وفي أيام (عرفة)، ويتوافد كل ليلة جمعة من كل أسبوع الآلاف من الزوار بإعتبارها الزيارة المخصوصة للإمام الحسين عليه السلام.

هناك في يمين الحسين، لكنه لا يحنث قط إن أقسم بالعباس، وقد أبصرنا بصورة لرأس رجل[1] في سقف مسجد العباس قالوا لنا أنه حنث في يمينه بالعباس فطارت[2] رأسه إلى هناك، ويعتقدون أن من يأتي ذلك تطير رأسه هكذا![3].

ومـن كـربـلاء وبعد أن أنهى محمد ثابت جولته فيها، غـادرهـا متوجهاً إلى بغداد.

(١) تحدثنا عن هذا الموضوع في هذا الكتاب يمكن الرجوع إليه.

(٢) كما وردت في النص.

(٣) جولة في ربوع الشرق الأدنى (بين مصر وأفغانستان) من مشاهدات سائح مصري/ محمد ثابت ـ ص١٥٤. مطبعة سعد مصر بالفجالة في القاهرة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

رحلة السيد محسن الأمين العاملي

السيد محسن الأمين هو العلامة والباحث والمؤرخ الكبير (**محسن بن السيد عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي نزيل دمشق**). صاحب كتاب (**أعيان الشيعة**) الشهير، وكتب كثيرة أخرى.

زار السيد محسن الأمين مدينة كربلاء في نهاية شهر شعبان سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م وكانت رحلته هذه التي قام بها إلى العراق حيث زار الكثير من مدنه ومنها كربلاء والنجف الأشرف ليقوم بجمع المصادر والمعلومات لكتابه أعيان الشيعة الذي كان يشتغل عليه ولما يصدر بعد.

وعن رحلته إلى مدينة كربلاء فقد سجّل إنطباعاته عنها في كتاب سمي «**برحلات السيد محسن الأمين العاملي في لبنان والعراق وإيران ومصر والحجاز**»، والذي صدر عن دار التراث الإسلامي، وقد ذكر زيارته إلى كربلاء في الصفحات من ٨٩ إلى ٩٢ منه. يقول السيد محسن الأمين عن كربلاء:

«.. **وكربلاء مدينة كبيرة كانت متصرفية في عهد الأتراك وبقيت كذلك بعد الإحتلال الإنكليزي وسقيها من نهر مشتق من الفرات يسمى نهر الحسينية، وكانت الحسينية تزيد في أيام زيادة الفرات فتتلف الزروع والبساتين، وربما فاض ماؤها على دور البلدة فأوقع فيها الضرر وتجف في أيام نقصان الفرات حتى يضطر أهل كربلاء لحفر آبار في الحسينية يستقون منها مع أن ماءها غير عذب، فلما عملت السدّة إستقام جري الماء في الحسينية، ففي أيام الزيادة تنزل أبواب الحديد على منافذ الحسينية إلاّ قليلاً فيجيء الماء**

بالقدر اللازم، وفي أيان النقصان تنزل الأبواب على منافذ النهر (يقصد به نهر الفرات) فيرتفع الماء ويجري في نهر الحسنية حسب اللزوم.

(كربلاء) آخذة في العمران كثيرة البساتين والنخيل وأهلها جميعاً يتكلمون الفارسية عربهم وعجمهم. وبعدما زرنا ضريح الإمام الحسين الشهيد سيد الشهداء عليه السلام وضريح مولانا أخيه أبي الفضل العباس وسائر الشهداء عليه وعليهم السلام.

المجتهد السيد محسن الأمين قبيل وفاته

زرنا ضريح الحر الشهيد الرياحي فذهبنا إليه في العربة وهو يبعد عن كربلا فرسخاً واحداً، وبجواره أعراب فقراء يتبع صبيانهم الزوار فيلقون إليهم الفلوس فيلتقطونها من الرمل».

خان الحماد:

غادر المرحوم السيد الأمين كربلاء متوجهاً إلى مدينة النجف الأشرف، وفي طريقه وصف خان الحماد (خان النص) الذي يُعد من الآثار المهمة بين كربلاء والنجف حيث قال:

ومضينا بعد أيام من كربلاء في السيارة قاصدين النجف الأشرف فوصلنا خان الحماد وهو منتصف الطريق بين كربلاء والنجف، كانت تنزله قوافل الزوار التي تقطع المسافة بين البلدين في مرحلتين، والمسافة ١٨ ساعة، وكانت القوافل تمر في طريق أعلى منه وتنزل خاناً يسمى (خان أبو فشيقه) ثم بنى المحسن الشهير والتاجر الكبير محمد صالح كبه البغدادي خاناً لنزول الزوار تقرباً إلى الله تعالى سمي خان الحماد، وهجر الطريق السابق وخانه، ثم بنى الشيخ مرتضى الأنصاري أحد عظماء فقهاء الشيعة المشهورين المتوفى (١٢٨١) خاناً بجانب ذلك الخان ويحيط بالجميع سور واحد ويدعى الكل بخان الحماد (والحماد) هي البرية القاحلة، وبعد إستعمال السيارات صار الخان المذكور مخفراً ومقهى قد تمر به السيارات وقد لا تمر. وبعدما إسترحنا قليلاً تابعنا السير متجهين إلى النجف الأشرف.

وعلى نحو من مسافة ثلاثة فراسخ لاحت لنا القبة الشريفة العلوية كالجبل الشاهق في الجو، تتلألأ على ذهبها الإبريز الناصع أشعة الشمس وتملأ العيون والقلوب بالأبهة والجلال والخشوع، ففاضت العين دمعاً لفرط السرور والفرح وبالها من نعمة عظمى هي مشاهدة تلك الأنوار الشريفة بعد أربعة وثلاثين عاماً فأنشأت أقول من قصيدة:

إلى الجانب الغربي من أرض بابل حنيني وأشواقي وفرط بلابلي
ولي نحو كوفان تباريح وامق وبالنجف الأعلى لبانات آملِ
توطنته دهراً وغصن شبيبتي بنيل الأماني ناضر غير ذابلِ
وفارقتها كرهاً ثلاثين حجة ونيفاً فردتني إليها وسائلي

وفيها أقول:

فما هي إلاّ ساعة إذ بدت لنا يلوح سناها قبة المرتضى علي
تلوح كطود شامخ في إرتفاعه وتبدو كبدر لاح في الأفق كامل
ولمّا بدت للعين عن بعد غاية أهملت بدمع كالسحائب هاطل

وبعد أن زار النجف، فذكر في رحلته وصفاً كاملاً عنها، ثم زار الكوفة ومسجدها وعاد إلى النجف.

العودة إلى كربلاء:

ومن النجف عاد السيد الأمين إلى كربلاء ليجدد فيها العهد بزيارة المشهدين المقدسين فيها، والتعرف على بعض خزائن الكتب فيها فيقول:

«وخرجنا من النجف في أوائل ذي القعدة الحرام من سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) إلى كربلا وبقينا فيها أياماً قلائل جددنا فيها العهد بالزيارة وإستفدنا من بعض خزائن كتبها ثم ذهبنا إلى بغداد فالكاظمية»[1].

(١) رحلات السيد محسن الأمين/ ص٨٩ ـ ٩٢ وص١٢٢. دار التراث الإسلامي ـ بيروت.

رحلة الدكتورعبد الوهاب عزام لكربلاء

هو المفكر المصري **عبد الوهاب محمد حسن عـزام**، أحد أبـرز المفكرين العرب في القرن العشرين، فقد كان أستاذاً وأديباً وكاتباً ومفكراً وشاعراً ومترجماً وسياسياً ورحّالاً.

عبد الوهاب عزام

ولد عام ١٨٩٤م في أسرة لها باع طويل ودور كبير في الفكر والسياسة ومقاومة الإحتلال الإنكليزي. كان والده يشغل منصب عضو مجلس الشورى للقوانين، ثم

عضواً في الجمعية التشريعية، وأنتخب بعدها عضواً في أول مجلس نيابي بعد دستور ١٩٢٣م.

دخل عبد الوهاب إلى الكتّاب حيث حفظ القرآن الكريم، وإلتحق بعده بالأزهر، وبعد أن أنهى دراسته الأزهرية دخل مدرسة القضاء الشرعي وتخرج منها عام ١٩٢٠م فعيّن مدرساً، وفي عام ١٩٢٣م حصل على الليسانس في الآداب والفلسفة من الجامعة المصرية. بعد تخرجه أختير ليكون إماماً في السفارة المصرية بلندن، وهناك إطلع على ما يكتبه المستشرقون عن الإسلام والعالم الإسلامي، فقرر أن يدرس اللغات الشرقية الإسلامية، فإلتحق بمدرسة اللغات الشرقية بلندن وحصل منها على درجة الماجستير في الأدب الفارسي عام ١٩٢٧م. عاد إلى القاهرة ليُدرّس بكلية الآداب في جامعة القاهرة، وحصل على درجة الدكتوراه عن (**شاهنامه فارسي**) في الأدب الفارسي عام ١٩٣٢م ثم أصبح أستاذاً في كلية الآداب ورئيساً لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية ثم عميداً لكلية الاداب عام ١٩٤٥م، ومن ثم عمل سفيراً لمصر في السعودية (**مرتين**) وسفيراً في الباكستان واليمن.. حتى عام ١٩٥٦م.

وخلال حياته العلمية أنتدب مرتين للتدريس في بغداد. وأختير عضواً بالمجمع العلمي بدمشق وبغداد وإيران. وقد رشحته السعودية ليؤسس جامعة الملك سعود، وبقي فيها مديراً للجامعة حتى وفاته عام ١٩٥٩م، ونقل جثمانه إلى القاهرة ودفن في المسجد الذي بناه وسمّاه مسجد عزام بحلوان.

في نهاية ثلاثينات القرن العشرين الميلادي زار عبد الوهاب عزام مدينة كربلاء، وقد دوّن رحلته هذه في كتابه (**رحلات: عبد الوهاب عزام**) الذي صدر بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٩م، ويبدو أن زيارته كانت عندما كان منتدباً للعمل في وزارة المعارف العراقية، حيث نوّه في رحلته أنه كان بصحبة المفتش بوزارة المعارف عزيز سامي، وإنه عندما وصل إلى كربلاء كانت محطته الأولى المدرسة

المتوسطة فيها حيث إستقبله المعلمون والطلاب بحفاوة. ويذكر في كتابه (رحلات) عن زيارته زيارته لكربلاء الآتي:

الطريق إلى كربلاء:

وصف عبد الوهاب عزام الطريق المؤدي إلى كربلاء، ويبدو أنه من بعد المسيّب لم يسلك الطريق المعتاد للوصول إلى كربلاء، وإنما ذهب إلى سدة الهندية ومن جسر السدة عبر الفرات ولم يعبره من المسيب، وواصل طريقه محاذياً لنهر الحسينية، لأنه لم يذكر أنه عبر قنطرة في طريقه، فيقول عن بدء زيارته لكربلاء:

«أصبحنا يوم الثلاثاء نتجهز للسفر إلى كربلاء ـ ومعنا الأخ النجيب السيد عزيز سامي المفتش بوزارة المعارف ـ عبرنا دجلة خارجين من بغداد ـ والساعة العاشرة من الصباح ـ وسرنا إلى الجنوب، فمررنا بقرية إسمها المحمودية ثم أخرى تسمى السكندرية (الإسكندرية)، ثم ملنا قليلاً إلى الغرب حتى بلغنا المسيّب على شاطئ الفرات ـ والساعة إثنتا عشرة.

وفي المسيب، قابلنا بها من رجال التعليم فساروا معنا إلى الهندية[1]، حيث القناطر، التي تسمى (سدة الهندية)، قناطر على الفرات لحبس المياه وتوفيرها للري. وهي شاهدة بما يبلغه العراق من الخصب والرفاه حين تقام أمثالها في مواضع الحاجة من دجلة والفرات.

فهناك يتشعب من الفرات أربع شعب عظيمة، إثنتان في الشرق إحداهما نهر الحلة، وإثنتان في الغرب إحداهما نهر كربلاء.

عبرنا الفرات على قنطرة الهندية ميممين كربلاء. فإتجهنا نحو الشمال الغربي ـ والساعة واحدة ـ مؤملين أن نبلغ غايتنا بعد نصف ساعة. وقد تحول الأوحال دون

(١) لم يقصد بها الهندية (طويريج) وإنما منطقة سدة الهندية التي عندها أنشئ ناظم الفرات، حيث عبر الفرات منها.

الآمال!. كان بعض الطريق وحلاً، فإرتطمت فيه بعض السيارات مرة بعد أخرى، ثم إستقام لنا الطريق من بعد، فإذا حدائق كربلاء ـ والساعة إثنتان وربع ـ وفي كربلاء نخيل وأشجار كثيرة مرت عليها السيارات نصف ساعة، حتى دخلنا البلد.

فسرنا إلى المدرسة المتوسطة، حيث ألفينا مديرها ومعلميها منتظرين مُعدين كل وسائل الحفاوة والإكرام».

زيارة المرقد الحسيني الشريف ووصفه:

بعد أن تم إستقباله في المدرسة المتوسطة فقد توجه ومن معه لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام، حيث وصف الصحن في البداية وما يحدث فيه، ومن ثم دخل إلى الحرم للزيارة، ووصف مشاهداته داخل الحرم فيقول:

«.. إسترحنا قليلاً ثم يممنا المسجد المبارك ـ الذي به ضريح الحسين بن علي ـ (رضي الله عنهما) فرأينا مسجداً عظيماً على نسق مسجد الكاظمية في بناءه وزينته.

ولجنا الباب إلى ساحة واسعة[1]، فإذا إلى اليسار جماعة قد وقفوا صفوفاً يدقون صدورهم دقات موحدة موزونة، وأمامهم منبر عليه خطيب يتكلم عليهم. وإلى اليمين أبصرنا جماعة من النساء جالسات يُوَلْوِلْن في الحين بعد الحين مستمعات إلى محدث آخر. وذلك أن اليوم كان من أيام ذكرى مقتل الإمام علي[2] بن أبي طالب.

وقد دخلنا المسجد فإذا هو يدوي بالقارئين والداعين. فزرنا الضريح المبارك، ومنعنا جلال الموقف أن نسرح أبصارنا في جمال المكان، وما يأخذ الأبصار من زينته وحليته وروائه. وبجانب المسجد مسجد آخر فيه ضريح العباس بن عليّ[3]. وفيه (أي في حرم الحسين) سرداب يهبط فيه نحو عشر درجات إلى مكان مغطى بشبكة من الحديد

(١) يقصد بالساحة الواسعة (الصحن الشريف) الذي يقع حرم الحسين (الحضرة) بداخله، والصحن يلتف حول الحرم من جميع جهاته.

(٢) يبدو ان زيارة عزام كانت في شهر رمضان لأن الإمام علي عليه السلام أستشهد ليلة ٢١ من رمضان.

(٣) لم يصف مرقد العباس وإنما إستمراره لوصف حرم الحسين تم ذكر مرقد العباس عليه السلام، لأن مرقد العباس لا يوجد فيه (مذبح).

يسمونه (المذبح)[1]، ويقولون إن دم الحسين (رضي ا لله عنه) سال فيه حينما قتل في فاجعة كربلاء، وهناك زاوية يقال إنها مولد المسيح عيسى إبن مريم[2].

ثم هناك حجرة في ناحية من المسجد، دفن فيها من ملوك القاجاريين[3]، آخرهم أحمد، وأبوه محمد علي، وجده مظفر الدين[4]، والقبور ليست عالية وإنما هي بلاطات في ناحية من الحجرة، وقد علقت في مقربة منها صور الملوك الثلاثة، ووددت لو أمكننا الوقت فأطلنا المقام في هذا المشهد العظيم لأطيل الحديث عنه، ولكنها كانت زيارة عجلان يكتفي بتأدية الواجب»[5].

(١) كانت في دكة المذبح باب مشبك من الحديد تفضي إلى سلالم تؤدي إلى نفق يصل المذبح بمنطقة رأس الإمام الحسين عليه السلام في الحرم الشريف، وتم دفن النفق في وقت متاخر، وألغيت الباب الحديدية.

(٢) في الجهة من الغربية من داخل الحرم ومقابل جهة الرأس الشريف، كان هناك رسم محفور على الرخام في الحائط يمثل ثلاث نخلات تسمى بـ (نخلات مريم) ورفعت من الحائط في أربعينات القرن العشرين الميلادي، ويقال أن في هذا الموضع ولدت العذراء مريم السيد المسيح عليه وعلى نبينا السلام، وهذا المكان ظل يسمى زاوية مولد المسيح.

(٣) مقبرة الملوك القاجاريين تقع في الزاوية الشمالية الغربية من الحرم الحسيني، وهي على شكل حجرة بابها على الرواق الشمالي بالقرب من قبر السيد إبراهيم المجاب.

(٤) الشاه أحمد توفي سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، وتوفى أبوه محمد علي شاه سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وتوفى جده مظفر الدين شاه بن ناصرالدين شاه سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م. والثلاثة مدفونون في مقبرة واحدة هي مقبرة القاجاريين.

(٥) رحلات: عبد الوهاب عزام/ ص٥٨ ـ ص٦٠، طباعة القاهرة سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

رحلة الهولندي (ماليبارد) لكربلاء

الصحفي الهولندي (**ماليبارد**) أديب غربي وكاتب صحفي معروف، كان عضواً في البعثة التي جاءت إلى العراق لدراسة أحواله الإقتصادية والإجتماعية في زيارة إستغرقت خمسة أشهر، إستطاع أن يستغل كل لحظة من لحظات أيامها، فتجول بين ربوع هذه البلاد من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها.

تعرف الرحالة ماليبارد خلال تجواله بين المدن والقرى العراقية وريفها، العربية منها والكردية، وتغلغل في عشائرها وتعرف على الشخصيات والزعماء ورؤساء العشائر وحتى وكلائهم (**سراكيلهم**)، وجلس مع فلاحيهم، كما وإختلط مع مختلف طبقات الشعب الإجتماعية، ومن ذلك كلّه تمكن أن يسجل إنطباعاته وآراءه بإسلوب أدبي، وبعقلية أوربية.

وقد كتب ماليبارد مشاهداته وبحوثه عن العراق باللغة الهولندية بإسم (**بين العرب والأكراد**)، ومن ثم تم ترجمة بحثه هذا إلى اللغة الألمانية فنشر في ميونخ حيث طبع هناك سنة ١٩٥٦م.

وقام الدكتور حسين كبّه بترجمته إلى العربية لأهميته وصدر الكتاب بالعربية عام ١٩٥٧م بإسم (**نواعير الفرات أو بين العرب والأكراد**). والذي سيكون هذا الكتاب مصدرنا في بحث رحلة ماليبارد إلى كربلاء التي زارها ضمن جولاته في العراق.

ومما يؤسف له أننا لم نتمكن من تحديد التاريخ الذي زار به ماليبارد العراق، ولم يذكر ذلك هو في مذكراته ولا حتى المترجم الذي نقله إلى العربية، ولذلك

ومن خلال بحثه في هولندا وطبعه في ألمانيا ومن ثم تعريبه، فنعتقد أن زيارته للعراق كانت في أوائل خمسينات القرن العشرين الميلادي.

كربلاء المدينة المقدسة:

زار الصحفي الهولندي مدينة كربلاء في أوائل خمسينات القرن العشرين الميلادي، قادماً إليها من مدينة الحلة حيث يقول: ينحدر طريق رملي من مدينة الحلة، يبدأ ببساتين النخيل، فيخترقها حتى يصل مدينة كربلاء القديمة، وهي الأرض المقدسة التي ينظر إليها القسم الكبير من المسلمين نظرة تقديس وإحترام، خاصة من يعتنق المذهب الشيعي منهم، وهم الذين يؤيدون عليّاً بن عم النبي وزوج إبنته.

يتحدث ماليبارد في بداية تثبيت ملاحظاته عن كربلاء بشيء من الإيجاز الذي تنقصه الدقة في كثير مما قاله، عن وفاة النبي ﷺ والخلاف الذي دَبَّ بين المسلمين من بعده، وعن بنات النبيّ وتزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام، وعن ذريتهما الحسن والحسين عليهما السلام. ومن ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين وعن حجب الخلافة عن الإمام علي، وعن النزاع بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية، وعن حرب الجمل وصفّين، ومن ثم على موضوع التحكيم، ومقتل الإمام علي، وإستلام معاوية الأمر.

وتحدث ماليبارد عن خروج الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية وكانت معلوماته ناقصة تدل على عدم إطلاع ودراية، وعن معركة كربلاء وإستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثم حمل رأسه إلى والي الكوفة. فقد تحدث عن شجاعة الحسين وأصحابه في تلك المعركة الغير متكافئة، وعن غضب أهل الكوفة وتشاؤمهم من الفعل الذي أقدم عليه والي الكوفة بأمر يزيد، ولكنهم لم يبدوا غير السكوت.

ويقول ماليبارد أن الشيعة الذين هم لا يزالون يؤلفون أقوى الجماعات من المسلمين، يعتبرون علياً والحسن والحسين هم الخلفاء الحقيقيين. لذلك نرى الحجاج من مختلف البلاد الإسلامية يفدون بالآلاف كل سنة لزيارة مراقد الأئمة في جوامع الكوفة والنجف وكربلاء، ليصلّوا على القبور التي ضمت أجداثهم، وقد أتيح لي أن أزور كربلاء من بين هذه المدن الثلاثة... والحق إنها لزيارة قيّمة، تستحق الأتعاب.

مشاهداته في المدينة:

نترك ماليبارد ليتحدث عن مدينة كربلاء وعن المشهدين الحسيني والعباسي فيها وأسواقها كما ثبّته في مذكراته فيقول:

«كان أبرز ما في مدينة كربلاء الجامعان المقدسان العظيمان، فقد تحكما في تصوير منظرها. ولم يكن الزائر الأوربي في هذه المدن المقدسة مرغوباً فيه، ولم ينظر له نظرة ضيف كريم، فلا يستطيع أن يدخل في داخل الحرم المقدس، وفيه تلقى الكنوز الثمينة، فالنقوش الفنية الجميلة التي طليت بها أبواب الجوامع، كانت من أثمن وأبدع ما رأيته من آيات الفن الخالدة في هذه البقعة من العالم، أمّا قباب هذه الجوامع فقد طليت سطوحها المحْدَوْدبة بصفائح الذهب.

وكنا قبيل غروب الشمس قد زرنا المدينة وتجولنا فيها، حيث كانت الشمس وهي تميل للأفول، ترسل أشعتها الذابلة، فتداعب بها منائر الجوامع الممشوقة، وقبابها المحدودبة. وكان على إحدى هذه القباب يرف علم أسود[1]، هو شعار الحزن والألم.

(١) يبدو أن زيارة ماليبارد إلى كربلاء كانت إما في شهر محرم أو شهر صفر. لأنه من المعتاد رفع العلم الأسود على القبتين الشريفتين في كربلاء في شهري محرم وصفر من كل سنة هجرية، دلالة على الحزن وإستذكاراً لإستشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وصحبه الكرام البررة، وبقية أيام السنة في الشهور العشرة الأخرى يرفع العلم الأحمر المتمثل لدماء من سقطوا في أرض الطف يوم عاشورها ومنهم سيدهم الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام، وبعض الجهلاء يقصدون باللون الأحمر للعلم هو للأخذ بثأر الحسين..!! فممن يأخذون بثأره؟! بعد ما يقارب ١٤ قرناً من الزمان..=

وكان يبدو على المدينة العتمة من كثافة أشجارها، وكانت الحركة في الشوارع نشيطة ويُرى الحجاج الزائرون يجوبون الشوارع وهم يسرعون الخطى نحو الباب التي زُيّنت ببدائع الفن، وهي التي تؤدي إلى مدخل الحرم المقدس، حيث يقيمون هناك صلاة المغرب. ويلاحظ أن هؤلاء الحجاج يمثلون هيئات مختلفة من الناس، فبينهم الهنود بعمائمهم الفخمة وعيونهم البراقة، وبينهم رجال بلباسهم الكردي، وآخرون بلباسهم الأفغاني وغير هؤلاء وأولئك بلباسهم الإيراني، حتى لترى قسماً من الناس يرتدون اللباس الأوربي وبعضهم على رأسه الطربوش الأحمر، وكل منهم مندمج بالآخر وكأنه صديق حميم».

الرغبة في الدخول لمشاهدة الروضة:

كانت رغبة ماليبارد شديدة لمشاهدة ما بداخل حرم الحسين وصحنه، على ما سمعه من مرافقية لما يحتويه الحرم المقدس من عمارة بديعة ونفائس من الذهب والفضة وغيرها، ورغم المحاولات العديدة التي يذكرها فلم يتمكن من تحقيق أمنيته بحيث جالت في رأسه فكرة مغادرة كربلاء. إلاّ أنه تمكن أخيراً من مشاهدة الروضة المقدسة من على سطح أحد البيوت الملاصقة لصحن الإمام الحسين عليه السلام، ونتركه يقول:

«.. ولقد شعرت بأننا ثقلاء على هذه الجماهير، إذ لم نجد من قابلنا بالترحاب، ولذلك إقترحت أننا لابد أن نأخذ بأحد أمرين، فإما أن نعود من حيث أتينا، وإمّا أن نجد ملجأ ينقذنا من هذا الوضع المريب.

= إنما يرفع العلم الأحمر للتذكير بتضحيات وعذابات وبسالة ومبدئية الإمام الحسين الذي هو الوتر في الخالدين، والذي ثار من أجل تصحيح مسار الإسلام وتحقيق مبدئيته الخلاّقة ليكون مناراً للبشرية جمعاء، وما العلم الأحمر إلاّ هو الثأر من قتلته بحيث كلما يراه طلاب الحرية والثوار، جدّوا في سعيهم على خطى أبي الأحرار وغصن هاشم وريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة.

وكنت قد سمعت كثيراً بأن في هذا الجامع أحسن أنـواع الذهب والفضة التي صنعتها أيدي إيرانية، فأتقنت صنعها.

وعبثاً كانت جهود مضيفنا، فقد بذل كل ما في وسعه لأن يجد لنا وسيلة تمكننا من الدخول في أحد هذين الجامعين. وأخذنا آخر الأمر إلى سطح أحد البيوت القريبة من الجامع، ومثل هذه البيوت يجدها الإنسان دائماً بالقرب من الجامع، وهي معدة لهذا الغرض، فكل من يريد ان يشاهد الجامع وما يجري فيه يستطيع أن يجلس في أحد سطوح هذه البيوت براحة وطمأنينة، فيرى أكثر مما لو كان في صحنه، وقد اتيح لنا هناك أن نظفر بمنظر بهو الحرم الداخلي[1] ونرى الحجاج فيه منقطعين لله في أدعيتهم وصلواتهم. وفي مكان وسط من بهو هذه البناية الضخمة يرقد جدث الحسين، حفيد النبي محمد، والحق أن هذا القبر، يعيد في الذاكرة صورة صادقة، تمثل لنا تلك المأساة المؤلمة التي حلّت بآل النبي.

... كانت تُمثل مأساة قتل الحسين، وهي تُمَثّل في كل سنة، يقوم بتمثيل أدوارها معتنقوا المذهب الشيعي في هذه المدينة المقدسة، فيحمل نعش الحسين على الأكتاف، ويطاف به في الشوارع، وعند ذلك يفقد الزوّار رشدهم، فلا يتمالكون انفسهم، وتنتابهم رجفة الهلع، فيشهقون بالبكاء والعويل، ويضربون أنفسهم بالسلاسل والسكاكين والسيوف، حتى تُضرّج أجسامهم بالدماء، فتستمع إلى ضجيج الناس وعويلهم في الأزقة الضيقة وكلهم يبكي وينحب، ويصيح (ياحسين يا حسين) وفي هذه الحالة يعم الحزن والألم جميع النفوس العربية، فتنطلق من قيودها تعبّر عنه بهذا البكاء والعويل، وتَذرف الدمع بسخاء، على مصاب آل النبي محمد».

(١) بهو الحرم هو الإيوان القبلي وما يسميه العامة بـ (الطارمة). وهو إيوان الذهب، وأن ماليبارد لم يتمكن من مشاهدة داخل الحرم الذي يتوسطه قبر الإمام الحسين، فقد خلط بين البهو والحرم.

إنطباعه عن المدينة:

يذكر ماليبارد بشيء من الإسهاب إنطباعاته عن مدينة كربلاء كونه رجل غير مسلم يزور مدينة إسلامية مقدسة لها ظروفها الخاصة وإعتباراتها التي لا تسمح للغير بتجاوز تلك الحدود، حتى ولو كان لغرض المعرفة لا غير. وعن ذلك يقول الرحالة ماليبارد:

«وكربلاء بأزقتها الضيقة وجوامعها الفخمة، تعود للمسلم فقط، وقد كنا في دخولنا في هذه المدينة، كالمتطفل عليها، والمدينة ترى، كأنها ساحة حرب للذين تربطهم بالنبي المعرفة، فيبدو على الناس الإنكماش والإحتراس في سلوكهم، ويرى التاجر في السوق، وكأنه متحلل من بضائعه، فقد كنا نتلقى أجوبة أسئلتنا منه بكل إختصار وإيجاز وبرودة. وقد تراهم، ولسان حالهم يقول، ليس من الشيعة من يظهر في سلوكه ومعاشرته الفرح والبشرى.

وكان قد دنا منّي إعرابي عجوز، ونظر إلى آلة التصوير التي كنت أحملها على كتفي نظرة حادة، فاحصة، وهزَّ رأسه غضبان أسفا، فأردت أن أطمّنه وأذعن لرغبته، فبادرته مسرعاً، وأخفيت آلة التصوير في جيب معطفي الخلفي وإعتذرت منه بوساطة المترجم، بقولي، بأنني لم أقصد من حملها أن أصوّر بها شيئاً قط، ولكنه إندفع يتكلم مع (عبد)[1] بعض العبارات لم يشأ (عبد) أن يترجمها لنا، وقد سألته بعد فترة من الزمن عما عناه هذا الإعرابي بكلامه معه، فلم يرد عليَّ بأكثر من (لا شيء) ويظهر أنه لم يرد أن يطلعني على شيء مما قاله له، ولا غرو فالعربي لطيف وظريف بطبعه، وبالرغم مما في هذا السلوك من الشعور الذي يوحي بالإشمئزاز، فإن فيه شيئاً كثيراً من المعاني ونبل الطباع.

(١) (عبد) هو إسم المترجم الذي كان يرافق ماليبارد، وقد ذكر إسمه في عدة مواضع من كتاب الرحلة.

والعرب يحترسون من الـزوّار الغربيين، فيحاولون أن لا ينكشف لهم شيء من الأمـور التي يحترمونها ويقدسونها وهـي التي تثير في نفسية الغربي العجب وحب الإستطلاع»[1].

(١) نواعير الفرات أو (بين العرب والأكراد)/ الصحفي الهولندي (ماليبارد) من ص٤٨ إلى ص٥٣ ـ ترجمه من اللغة الألمانية إلى العربية الدكتور حسين كتبه، طبع بمطبعة الرابطة ـ بغداد ـ سنة ١٩٥٧.

رحلة (جاك بيرك) إلى كربلاء

جاك بيرك مستشرق فرنسي مشهور، كان قد درس حضارات الشرق وخاصة بلاد الرافدين، وقد إرتبط في العراق بعلاقات وثيقة مع جهات تخصصية بحثية في مجال التاريخ والآثار، وقد قام بزيارة العراق عدة مرات، وفي زيارته الأخيرة التي جاء بها إلى العراق، زار كربلاء وكتب عن مشاهداته فيها.

كانت زيارته إلى مدينة كربلاء سنة ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ)، وقد أبدى إعجابه بالمدينة وقدسيتها، حيث وجود المراقد المقدسة فيها، والنشاط التجاري والعمراني والتوسع الذي شمل أجزاء عديدة من المدينة.

كانت زيارته رسمية بدعوة من الحكومة العراقية، وقد رافقه إلى المدينة بعض المعنيين في إختصاصه.

وعند زيارته إلى كربلاء وصف مشاهداته ونشرها في باريس، فكتب يصف رحلته إلى كربلاء المقدسة فيقول:

«.. وما إن تتطلع بنظرك حتى تتعدد الرموز: القبة المذهبة للإمام الحسين ترتفع إلى حوالي (٣٥) متراً، وهي مرتبطة بقواعدها المربعة. هذه التشكيلة الرائعة المتداخلة بالزوايا الحادة التي تسمو ويرنو لها كل معمار يحاول ربط هذا العالم بالعالم الآخر...

إن كربلاء لا تحمل ذكرى الدم فحسب، بل تحمل أيضاً تكاتفاً دنيوياً جماعيّاً يتجدد من سنة لأخرى».

والمستشرق الفرنسي جاك بيرك كانت له دراسات شرقية متنوعة، وقد توفي سنة (١٩٩٥م).

مقتطفات

لقد زار مدينة كربلاء الكثير من الرحالة والمستشرقين ولكنهم لم يدونوا رحلاتهم، ومشاهداتهم التي تدل على أنهم وفدوا لغرض التعرف على المدينة او الكتابة عنها، وزيارة هؤلاء كانت أشبه ما تكون لأغراض رسمية وسياسية فرضتها عليهم ظروف عملهم، ومنهم:

القنصل الألماني في بغداد (**فردريك روزن**) وذلك سنة ١٨٩٨م.

والعقيد البريطاني (**فارنت**) الذي زار كربلاء في نهاية سنة ١٨٤٢م بوصفه مندوب السفارة البريطانية في الإستانة، وكان بمعيته مندوب السفارة الروسية في الإستانة (**بوريس بوتنييف**)، وكانت زيارتهما للتعرف على الأحداث التي وقعت في كربلاء عندما هاجمها الوالي محمد نجيب باشا في واقعة (**غدير دم**) التي راح ضحيتها الآلاف من أهل المدينة، وقد تدخلت الدول الكبرى لمعرفة أسباب الحادث الذي إنتشرت أخباره الأرجاء، وجعل العديد من الدول تستاء مما حصل.

وذكر أحدهم في أحد مواقع الأنترنيت بأن رحالة روسي إسمه (**جيريكوف**) زار كربلاء سنة ١٨٤٩م، ولم نتأكد من مصدر موثوق عن تلك الرحلة، لأن ما ورد عن كاتب المقال في موقع الأنترنيت بخصوص زيارة (**جيركوف**) ووصفه، كان قد ذُكر نصاً لغيره من الرحّالة، وهنا أردنا التنويه فقط.

كما زار المدينة الرسام الألماني (**ولتر أندرو**) سنة ١٩٠٣م، ويقال بأنه رسم المرقد الحسيني.

وزار المندوب السامي البريطاني (**هنري دوبس**) مدينة كربلاء بصحبة المرحوم الملك (**فيصل الأول بن الحسين**) عندما قدِم إلى العراق ليعتلي العرش فيه، ويقال بأن (**دوبس**) قد إنبهر بالقبة الحسينية والمئذنتين وما يحملان من جمال وبهاء ساحر.

كما زارها في سنة ١٨٩٨م المستشرق الفرنسي (**بارون كارا دي فوا**)، ويقال بانه وصف المرقد الحسيني الشريف.

وإذا أردنا أن نذكر جميع من زار كربلاء فالقائمة تطول، ولكن المهم لدينا كان لمن كتب عنها وتم نشْرُه، فكربلاء كانت قد إستقبلت ملوكاً وأمراءً ورؤساءً عبر تاريخها الطويل، وتدوين زياراتهم تدخل ضمن البحث عن تاريخ المدينة، وقد أوردنا جميع تلك الزيارات في كتابنا (**كربلاء.. التاريخ والقداسة**) بطبعته الجديدة القادمة وهو بثلاثة أجزاء، يبحث عن تاريخ المدينة بشكل مفصل منذ عهد السومريين إلى نهاية القرن العشرين الميلادي.

الخاتمة

من حق أبناء أي مدينة كانت جذورهم متأصلة بها وإحتضنتهم وآباءهم وأجدادهم، أن يفخروا بها ويعشقوا ترابها وكل ما يمت لها بصلة... فكيف إذا كانت هذه المدينة هي كربلاء، ذات القباب المذهبة والمنائر الباسقة التي تعلوا مراقد أشرف البشر بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام.. ففيها عبق النبوّة وريح الرسالة.. وكلما ذُكرت دمعت لها الأعين، وإشتاقت النفوس للتطلع إليها وشم نسيمها العطر الممزوج بدماء من سقطوا على ثراها وإلتحفوا بترابها ليعطوها بمواقفهم وبطولاتهم النادرة وبتضحياتهم التي لا يقدمها إلاّ المتميزون من البشر، القدسية بأعمق معانيها... فكانت المدينة التي سالت فيها دماء رهط آل محمد ﷺ يوم العاشر من محرم الحرام سنة ٦١هـ، الحسين وأولاده وإخوته وأصحابه من الأقربين والمحبين لبيت النبوّة عليهم جميعاً صلاة الله ورضوانه، هي كربلاء..

المدينة التي كان ولازال فيها كل شيء عظيم وباهر، فهي قبلة الأحرار ومسكن الثوّار، ومثوى الأبرار.. فيحق لأبناءها ومن أحب أن تكون هي دار المقام الدنيوي لهم، أن يجعلوها في أحداق عيونهم، وفي شغاف قلوبهم، فهي هويتهم، وملاذهم، وستكون بمشيئة الله مثواهم بعد دنيا فانية، وحياة زائلة غير باقية، ليرقدوا في قدس ترابها بعد أن عاشوا في رياضها الطاهرة، وبيوتها الفارهة، ودروبها العاطرة، وأسواقها العامرة، وبساتينها وحقولها الزاهرة الناضِرة..

وكان عليَّ كواحد من أبناءها المتفانين بحبها وحُب أهلها الأصلاء النجباء، أن أسدد بعض ديوني لها، وما تستحقه منيّ بعد أن أعطتني منذ طفولتي وشبابي إلى كهولتي، كل ما يتمناه إبن من أبناءها، عاش فيها وترعرع، له بها وبجده الحسين عليه السلام وفاء لا يفتر ولا يتزعزع، فقد أعانني الباري عزّ وجلّ أن أفي بجزء من أفضالها عليّ، فقد آليت على نفسي أن أكتب عنها، لأكون مع من سبقني بالكتابة عنها من أبناءها المخلصين، وكان من توفيق الباري أن أصدر كتاب **(التضحية والرمز)** وهو دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين، وكتاب **(كربلاء ـ التأريخ والقداسة)** الذي أقوم الآن بإعادة طبعه بثلاثة أجزاء، وهو عن **(تأريخ كربلاء المفصل)**، وكتاب **(بيوتات كربلاء القديمة)**، ومن ثم هذا الكتاب الذي أسميته **(كربلاء.. في أدب الرحلات)**، وهو من سلسلة الكتب التي وَضَعت ما إستطعت من جهد أن تكون جزءاً من الوفاء لمدينتي، وليس الوفاء كلّه.. وكلها مهداة إلى جدي وسيدي أبي الأحرار وسيد الشهداء والثوّار، الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وآل بيته عليهم أفضل التحية والسلام، فهم باب الشفاعة والمثوبة الذي لايغلق، يوم يفد المرء على رب كريم بغير زادٍ، يطلب الرحمة من رحمن، عطوف، غفّار، رحيم..

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الميامين المنتجبين...

السيد عبد الصاحب ناصر حسين آل نصرالله

الفائزي الموسوي الحسيني

٢٢ رجب ١٤٣٤هـ/ ١ حزيران ٢٠١٣م

المصادر

١. تاريخ حضارة وادي الرافدين/ د. أحمد سوسة ـ الجزء الأول.
٢. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة/ د. طه باقر، ط٢ ١٩٨٦م بغداد
٣. خطط الكوفة/ لويس ماسنيون ـ تعليق تقي بن محمد المصعبي.
٤. المعجم الكبير/ للطبراني.
٥. تاريخ إبن عساكر/ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي.
٦. ذخائر العقبى/ المحب الطبري.
٧. الخصائص الكبرى/ للسيوطي.
٨. مجمع الزوائد/ علي إبن بكر الهيثمي.
٩. بحار الأنوار/ العلامة المجلسي.
١٠. كنز العمال/ علاء الدين علي بن حسام الدين إبن القادري الشاذلي.
١١. كامل الزيارات/ إبن قولويه.
١٢. بغية النبلاء في تاريخ كربلاء/ عبد الحسين الكليدار.
١٣. مقاتل الطالبيين/ أبي الفرج الإصفهاني.
١٤. صورة الأرض/ إبن حوقل النصيبي.
١٥. تذكرة خواص الأمة/ إبن الجوزي.
١٦. تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار/ إبن بطوطة الطنجي.
١٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ السيد الداوودي.

١٨. نزهة القلوب/ حمدالله المستوفي القزويني.
١٩. بيوتات كربلاء القديمة/ عبد الصاحب ناصر آل نصرالله.
٢٠. نواعير الفرات أو (**بين العرب والأكراد**)/ ماليبارد ـ ترجمة د. حسين كبّة.
٢١. تحفة العالم/ العلامة السيد جعفر بحر العلوم.
٢٢. بلدان الخلافة الشرقية/ كَي لسترنج.
٢٣. غاية الإختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار/ إبن زهرة الحسيني.
٢٤. نشق الأزهار في عجائب الأمصار/ محمد بن أحمد إبن إياس.
٢٥. رحلة مطراقي زادة (**منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان**)/ نصوح أفندي السلاحي ـ تحقيق د. عماد عبد السلام رؤوف.
٢٦. تاريخ العراق بين إحتلالين/ عباس العزاوي.
٢٧. دائرة المعارف الحسينية ـ تاريخ المراقد/ محمد صادق الكرباسي.
٢٨. مدينة الحسين/ محمد حسن الكليدار.
٢٩. موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء/ جعفر الخليلي.
٣٠. السفر المطيّب في تاريخ مدينة المسيّب/ الشيخ علي القسام.
٣١. العراق قديماً وحديثاً/ عبد الرزاق الحسني.
٣٢. مباحث عراقية/ يعقوب سركيس.
٣٣. العراق في القرن السابع عشر كما رآه تافرنييه/ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد.
٣٤. أعيان الشيعة/ العلامة محسن الأمين.
٣٥. الروض المعطار في تشجير تحفة الأزهار/ كامل سلمان الجبوري.
٣٦. تاريخ الحلة/ يوسف كركوش.
٣٧. نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس/ عباس المكي الموسوي الحسيني.

٣٨. كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان (**الرحلة العراقية**)/ الشيخ مصطفى الخلوتي الدمشقي.
٣٩. رحلة نيبور الكاملة إلى العراق/ تقديم سالم الآلوسي.
٤٠. رحّالة أوربيون في العراق ـ رحلة تايلر إلى العراق/ دار الورّاق.
٤١. رحلة أوليفيه إلى العراق (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦)/ ترجمة الأب يوسف حبي.
٤٢. مسير طالبي/ أبي طالب محمد خان الإصفهاني/ طبع بومبي.
٤٣. بغداد مدينة السلام/ ريجارد كوك ـ ترجمة د. مصطفى جواد وفؤاد جميل.
٤٤. رحلة المنشي البغدادي إلى العراق/ ترجمة عباس العزاوي.
٤٥. مطالع السعود/ عثمان بن سند البصري الوائلي ـ تحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف.
٤٦. مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود/ الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني ـ تحقيق محب الدين الخطيب.
٤٧. تاريخ كربلاء وحائر الحسين/ عبد الجواد الكليدار.
٤٨. رحلتي إلى العراق/ جمس بكنغهام ـ ترجمة سليم طه التكريتي.
٤٩. رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤/ ترجمة جعفر الخياط.
٥٠. مجلة دراسات الأرض والرحلات/ إيليا نيكولا بيرزين ـ موسكو.
٥١. العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه/ ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي.
٥٢. معجم البلدان/ ياقوت الحموي.
٥٣. مشاهدات جون أشر في العراق/ ترجمة جعفر الخياط.
٥٤. كربلاء في الأرشيف العثماني/ ديلك قايا ـ إشراف وتقديم أ. د. زكريا قورشون، ترجمة حازم سعيد منتصر ومصطفى زهران، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، منشورات الدار العربية للموسوعات.

٥٥. مجلة الأقلام/ الجزء السادس ـ السنة السادسة.
٥٦. رحلة آينهولت الهولندي إلى العراق سنة ١٨٦٦ ـ ١٨٦٧/ ترجمة مير صبري ـ تحقيق وتقديم طارق نافع الحمداني.
٥٧. السفن في أنهار العراق/ كاظم الدجيلي ـ مقال في مجلة لغة العرب، العدد ٣ السنة الثانية أيلول ١٩١٢.
٥٨. قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين/ محمد رشيد بن السيد داود إبن السيد سعدي.
٥٩. رحلة مدام ديولافوا/ علي البصري.
٦٠. رحلة جون بيترز/ الجزء الثاني ـ لندن ونيويورك سنة ١٨٩٧.
٦١. العشائر والسياسة/ تعريب الدكتور عبد الجليل الطاهر.
٦٢. الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية ـ منطقة الجوف ووادي سرحان ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م/ د. عوض البادي.
٦٣. البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية أخرى/ أوسكار رُويتر ـ ترجمة محمود كبيبو ـ دار الوراق للنشر ـ لندن ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦. الطبعة العربية الأولى.
٦٤. كربلاء في المراجع الغربية/ مقال موسع لجعفر الخياط.
٦٥. سفرة إلى كربلاء والحلة وضواحيها/ عمانوئيل فتح الله عمانوئيل.
٦٦. الرحلة العراقية/ محمد هارون ـ إعداد الشيخ أحمد الحائري الأسدي.
٦٧. مجلة لغة العرب/ الجزء الثالث والجزء الرابع من السنة الأولى ١٩١١ م.
٦٨. الفرات الأوسط ـ رحلة وصفية ودراسات تاريخية/ الوا موسيل ـ ترجمة د. صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن.
٦٩. مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ورحلاته/ تقديم كامل سلمان الجبوري.
٧٠. في بلاد الرافدين.. صور وخواطر/ ليدي دراور، ترجمة فؤاد جميل.

٧١. عقيدة الشيعة (**تاريخ الإسلام في إيران والعراق**)/ دوايت دونلدسون.
٧٢. موجز تاريخ البلدان العراقية/ عبد الرزاق الحسني.
٧٣. جولة في ربوع الشرق الأدنى (**بين مصر وأفغانستان**) من مشاهدات سائح مصري/ محمد ثابت.
٧٤. رحلة فيلبي إلى كربلاء/ د. عوض الوادي.
٧٥. رحلات السيد محسن الأمين/ دار التراث الإسلامي.
٧٦. رحلات/ عبد الوهاب عزّام.

المحتويات

الإهداء..... ٧

تقديم..... ٩

كربلاء..... ١٧

أبي حمزة الثمالي وزياراته لكربلاء..... ٣٣

الشاعر منصور النمري وكربلاء..... ٣٦

زيارة الإشناني لقبر الحسين عليه السلام..... ٣٨

رحلة إبن حوقل النصيبي..... ٤٠

إبن الهبّارية وإجتيازه بكربلاء..... ٤٢

الرحالة إبن بطوطة الطنجي وكربلاء..... ٤٤

رحلة المؤرخ والجغرافي حمد الله المستوفي لكربلاء..... ٤٩

النسابة إبن زُهرة الحسيني في كربلاء..... ٥٣

الرحّالة إبن إياس وكربلاء..... ٥٦

رحلة (مُطراقي زادَه) لكربلاء..... ٥٨

رحلة القاضي نورالله الشوشتري إلى كربلاء ٦٤
العالِم والقاضي (محيطي) يزور كربلاء ٦٥
الرحّالة (بيدرو تكسيرا) في كربلاء ٦٧
الرحّالة (بيترو ديلا فاله) وزيارته لكربلاء وضواحيها ٧٧
نظمي البغدادي في كربلاء ٧٩
الرحّالة الفرنسي (تافرنييه) في ضواحي كربلاء ٨١
وصوله إلى قصر العطشان: ٨٢
النسّابة الشهير ضامن إبن شدقم في كربلاء ٨٥
الرحّالة عباس المكي يزور كربلاء ٨٩
رحلة الشيخ مصطفى الصدّيقي الخلوتي الدمشقي لكربلاء ٩٤
الرحالة الألماني (كارستون نيبور) يزور كربلاء ٩٩
رحلة (تايلر) إلى بادية كربلاء ١١٢
الآبار المعدنية في البرذويل: ١١٢
الوصول إلى شفاثا: ١١٣
الرماية عند العرب: ١١٥
الإخيضر: ١١٦
قرب النجف الأشرف: ١١٧
رحلة (أوليفييه) إلى كربلاء ١١٩
زيارة الرحّالة أبو طالب خان إلى كربلاء ١٢١

لقاءه بحاكم كربلاء:..... ١٢٢
وصفه لحادثة الوهابيين:..... ١٢٣
نهر الحسينية:..... ١٢٥
رحلة المنشي البغدادي إلى كربلاء..... ١٢٦
كربلا:..... ١٢٧
نهر الحسينية:..... ١٢٧
شفاثا:..... ١٢٨
الشيخ أمين بن حسن الحلواني وإفتراءاته عن كربلاء..... ١٢٩
١ عن الجنائز التي تدفن في كربلاء..... ١٣١
٢ حُفرة الدم في كربلاء..... ١٣٤
زيارة (يمين الدولة علي خان) لكربلاء..... ١٣٨
الرحالة (جمس بكنغهام) وذكره كربلاء..... ١٤٠
رحلة (فريزر) إلى كربلاء..... ١٤٢
الرحالة الروسي (إيليا نيكولا بيرزين) يزور كربلاء..... ١٤٧
العالم الألماني (ثيودور نولدكه) وكربلاء..... ١٤٩
رحلة عالم الآثار الإنكليزي لوفتس إلى كربلاء..... ١٥٤
وصفه للروضة الحسينية..... ١٥٧
دفن الجنائز في كربلاء..... ١٥٧
وصف أسواق كربلاء..... ١٥٩

خيْمة علي ١٥٩
لوفتس يذكر الخراب الذي حلّ بكربلاء بعد واقعة نجيب باشا ١٦٠
رحلة عبد العلي خان (أديب المُلك) لكربلاء..... ١٦٣
من خان زاد إلى المُسيّب..... ١٦٥
كربلاء المقدسة..... ١٦٧
السيد درويش قارئ الزيارة ١٧١
زيارة يعقوب أفندي حاكم كربلاء..... ١٧٢
منزل الحاج سعيد الكليدار..... ١٧٣
في ضيافة السيد سعيد..... ١٧٤
في ضيافة الميرزا حسن سادن الروضة الحسينية ١٧٥
زيارة المخيّم ١٧٦
مباني كربلاء..... ١٧٧
قبور المشاهير في الرواق المبارك..... ١٨٠
الحركة من كربلاء إلى النجف الأشرف ١٨٢
زيارة الحُر..... ١٨٥
رحلة الميرزا سيف الدولة إلى كربلاء ١٨٧
الأبنية والحمامات..... ١٨٨
أخلاق الناس ١٨٩
ضعف همم الناس..... ١٨٩

المقاتلون البلوش..... ١٩٠
قلعة (سور) كربلاء..... ١٩٠
المرقد والحرم المطهّر..... ١٩١
إلـرواق..... ١٩١
قبّة وضريح سيد الشهداء..... ١٩٢
مدرسة..... ١٩٢
عمليات الإعمار..... ١٩٣
صحن العبّاس..... ١٩٣
المحاصيل الزراعية..... ١٩٤
من كربلاء إلى النجف..... ١٩٤
طويريج..... ١٩٥
مسير السفر..... ١٩٦
قلعة الإخيضر..... ١٩٦
شفائة..... ١٩٧
رحلة (المستر جون أشر) إلى كربلاء..... ١٩٩
مغادرة بغداد إلى كربلاء:..... ١٩٩
جولة المستر أشر في المدينة:..... ٢٠١
وصفه للمرقدين الشريفين..... ٢٠٣
حديثه عن الجنائز القادمة إلى المدينة:..... ٢٠٤

تجوله في البساتين والمزارع المحيطة بالمدينة: ٢٠٥
مغادرة كربلاء: ٢٠٥
وصفه لـ (طويريج) الهندية: ٢٠٦
الرحالة آينهولت الهولندي في كربلاء ٢٠٧
الرسّام البريطاني (روبرت كلايف) والمرقد الحسيني ٢١٦
ناصر الدين شاه وزيارته إلى كربلاء ٢١٧
توجه ناصر الدين شاه من الكاظمية إلى كربلاء ٢٢٠
زيارة الإمام الحسين عليه السلام ٢٢٣
زيارة الإمام الحسين والشهداء عليه السلام ٢٢٦
زيارة الشاه إلى الحُرْ ٢٢٩
رشيد بن سيد داود السعدي وكربلاء ٢٤١
رحلة مدام ديولافوا إلى كربلاء ٢٤٣
رحلة (جون بيترز) لكربلاء ٢٥٦
وصف بيترز لمرقد الحسين عليه السلام ٢٥٧
ملاحظات عن الرحلة: ٢٥٩
بيترز يصف كربلاء: ٢٦٠
بتلر ورفيقه إيلمر في كربلاء وباديتها ٢٦٤
رحلة الدكتور المهندس الألماني (أوسكار رويتر) ٢٦٦
رحلة (المس بيل) الأولى لكربلاء ٢٧٨

الفواكه والورود في كربلاء ٢٨٠
دعوة على العشاء وأحاديث في السياسة ٢٨١
متصرف كربلاء: ٢٨٣
الأهوار بين كربلاء والهندية: ٢٨٤
المس بيل تغادر كربلاء عن طريق المسيب: ٢٨٦
رحلة (محمد هارون الحسيني الزنكي بوري) لكربلاء ٢٨٧
الطريق إلى كربلاء ٢٨٨
الوصول إلى كربلاء ٢٨٩
وصف أهالي كربلاء ٢٩١
رواية عن أحد الأولياء والسلطان العثماني ٢٩٢
بناء الضريح المقدس ٢٩٣
إنارة المرقد الشريف ٢٩٤
إدارة الحرم ٢٩٥
وصف البقعة ٢٩٦
أسواق كربلاء ٢٩٧
اللغات واللهجة الدارجة في كربلاء ٢٩٩
حوزة كربلاء ٣٠٢
الرحلة الثانية للمس بيل إلى أطراف كربلاء ٣٠٣
رحلة (عمانوئيل فتح الله) لكربلاء ٣٠٩

الرحّالة الچيكسلوفاكي (الوا موسيل) وكربلاء ٣١٧
رحلات الشيخ محمد رضا الشبيبي لكربلاء ٣٢٦
حادثة كربلاء: ٣٢٨
عودة العثمانيين إلى كربلاء: ٣٢٩
حمّى كربـلاء: ٣٣٠
وضع يـد: ٣٣١
متصرف كربلاء: ٣٣٢
الوقائع في كربلاء: ٣٣٢
رحلة السر (رونالد ستورز) إلى كربلاء ٣٣٥
المبيت في المسيّب: ٣٣٦
إستقباله في مدخل كربلاء: ٣٣٧
في قصر آل كمونة: ٣٣٧
جولة في المدينة: ٣٣٨
إستقباله لعدد من وجوه البلد: ٣٣٩
زيارته للعلامة حسين المازندراني: ٣٣٩
زيارته للمدرسة الإيرانية في كربلاء: ٣٤٠
مغادرته كربلاء إلى النجف: ٣٤٠
رحلة (فيلبي) لكربلاء ٣٤١
رحلة ليدي درَوَر إلى كربلاء ٣٤٧

في طريقها إلى كربلاء ٣٤٨
وصفها للمدينة وأسواقها ٣٥١
المقاهي في كربلاء ٣٥٣
في البيت الذي إستضافها أهله ٣٥٤
مغادرة كربلاء إلى الحلة ٣٥٤
رحلة الدكتور (دوايت دونالدسون) لكربلاء ٣٥٥
(التربة) الحسينية: ٣٥٨
دونالدسون يصف قبر العباس عليه السلام ٣٦٥
حلف اليمين عند قبر العباس: ٣٦٦
وصفه لضريح الحسين عليه السلام: ٣٦٧
وصف إجراءات فتح الضريح: ٣٦٨
رحلة المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني لكربلاء ٣٧١
قاعدة اللواء ٣٧٣
رحلة السائح المصري (محمد ثابت) لكربلاء ٣٧٨
ما ذكره محمد ثابت عن كربلاء: ٣٨١
رحلة السيد محسن الأمين العاملي ٣٨٣
خان الحماد: ٣٨٥
العودة إلى كربلاء: ٣٨٦
رحلة الدكتورعبد الوهاب عزام لكربلاء ٣٨٧

الطريق إلى كربلاء:..... ٣٨٩
زيارة المرقد الحسيني الشريف ووصفه:..... ٣٩٠
رحلة الهولندي (ماليبارد) لكربلاء..... ٣٩٢
كربلاء المدينة المقدسة:..... ٣٩٣
مشاهداته في المدينة:..... ٣٩٤
الرغبة في الدخول لمشاهدة الروضة:..... ٣٩٥
إنطباعه عن المدينة:..... ٣٩٧
رحلة (جاك بيرك) إلى كربلاء..... ٣٩٩
مقتطفات..... ٤٠٠
الخاتمة..... ٤٠٢
المصادر..... ٤٠٤

كربلاء فى ادب الرحلات

01BF0000000032225

DS.٧٩/٩٠/ك٣٥ ٦ ١ .ن

مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر و

لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز البحاون الإسلامي - بناية خطيط

هاتف: 009613514905/009617655311 - تلفاكس: 009611553119

E-mail: Albalagh-est@hotmail.com تشرف بالتواصل معكم